

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوضع في الحديث النبوي الشريف وفتنته  
في العهد الأموي والعباسي / محررته والأثره  
رسالة مقدمة للحصول على درجة "الدكتوراه" في الحديث الشريف  
من قسم الدراسات الإسلامية : جامعة البنجاب / لاهور

إعداد

سورة مراد للراوي

إشراف الأستاذ الدكتور

بشير أحمد شاد

١٩٦٤

١١-١٩٦٣٤٨  
DATA ENTERED

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة البحث :

العنوان

الوضع في الحديث النبوي الشريف  
وفتنته في العهد الأموي والعباسي ، ومحركاته وأثره

مقدمة البحث :

نبذة مختصرة عن البحث : << خطر الوضع ، ومبرراته ، وأهميته >>

الباب الأول : حجية السنة

الفصل الأول : ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف السنة .

المبحث الثاني : معنى الحديث .

المبحث الثالث : الأدلة النقلية على حجية السنة من القرآن الكريم .

الفصل الثاني : ( الأدلة النقلية على حجية السنة من الأحاديث النبوية ) :

وتشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : اثبات حجية السنة بنصوص الأحاديث النبوية بأساليب

متنوعة .

المبحث الثاني : شمول السنة لجميع نواحي الدين والدنيا ،

وفيه أربعة أقسام :

أ - القسم الأول : حاجة الحكم الشرعي إليها .

ب - القسم الثاني : الجانب الاجتماعي .

ج - القسم الثالث : الجانب الطبي .

د - القسم الرابع : الجانب السياسي .

المبحث الثالث : قيادة السنة دليل على حجيتها .

المبحث الرابع : العقاب والثواب .

الفصل الثالث : < الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعلمية على حجية السنة >

أو ( الأدلة غير النقلية ) .

- وتشتمل على خمس مباحث :
- المبحث الأول : جهود العلماء والمسلمين عامة لتعلم السنة
- المبحث الثاني : أدب المحدث وطالب الحديث .
- المبحث الثالث : إجماع العلماء .
- المبحث الرابع : الإثبات العقلي .
- المبحث الخامس : الإثبات العلمي والعملي .
- الفصل الرابع : < المعاول الهدامة لانكار حجية السنة > .
- وتشتمل على ثلاثة مباحث :
- المبحث الأول : محاربة شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -
- وتنقسم الى قسمين :
- القسم الأول - في حياته ، ويشمل على :
- ( ١ ) الحرب النفسية .
- ( ٢ ) الأذى .
- ( ٣ ) محاولات الاغتيال .
- ( ٤ ) الحرب الاقتصادية .
- ( ٥ ) الحرب الأخلاقية .
- القسم الثاني - بعد وفاته ، ويشمل على :
- ( ١ ) الجانب الاقتصادي .
- ( ٢ ) الطعن في تعدد زوجاته .
- المبحث الثاني : الطعن برواية الأحاديث ، والكيد لهم .
- المبحث الثالث : الطعن بالسنة الصحيحة مع ادخال الأحاديث الموضوعية .

## الباب الثاني : البدعة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : البدعة في اللغة - البدعة في الدين .

الفصل الثاني : مضار البدع .

الفصل الثالث : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : اسباب الابتداع .

المبحث الثاني : كيف نقضي على البدع .

الباب الثالث : < الوضع وأنواعه > في العهد الأموي والعباسي .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف الحديث الموضوع .. وكيفية معرفة الأحاديث الموضوعية .. متى

· بدا الوضع .

الفصل الثاني : طرق القضاء على الوضع .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريقة الوقاية من الوضع ، وهي : الاعتصام بالكتاب

والسنة .

المبحث الثاني : طريقة مقاومة الوضع .. وهي :

أ - جهود العلماء لمقاومة الوضع .

ب - الطرق التأديبية : (أ) المنع (ب) العقوبة

الفصل الثالث : أهم أنواع الوضع في العهد الأموي والعباسي .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تنزيه سيد الأنام مما علق في سنته من الكذب في الصلاة .

المبحث الثاني : المناقب والمثالب « لغمان » للافتراء .

المبحث الثالث : الوضع في مدح العقل .

الباب الرابع : أشهر الوضعيين في العهدين : « الأموي » و « العباسي » .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الزنادقة ووضع الحديث .

الفصل الثاني : الفرق المتطرفة وأثرها على نشر الموضوعات .

الفصل الثالث : القصاص وخطرهم .

وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ..

## المقدمة

### نبذة مختصرة عن البحث

---

أ. خطر الوضع :

ب - مبرراته .

ج - أهميته .

## تمهيد :

لقد أمطر الأعداء السنَّة بوابل من الافتراءات ظلما وزورا ،  
وصبوا حمم شرهم ، بالكذب على صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام  
- ، لاطفاء نور الحق من الانتشار ليبدد ظلام الكفر ، وكذلك وجهوا قواهم  
، ومكائدهم على المحدثين للنيل من قدرهم ، والحط من مستوى علمهم ،  
فشوهوا الحقائق وأدخلوا الشكوك ، في النفوس ، فابتعد الناس عن  
السنَّة والعمل بها ، لا بل وجه الأعداء سهام الطعن على السنَّة النبوية  
الشريفة ، فاستهان الناس العمل بها والاعتقاد بحجيتها ، تريد عزلها عن  
ميدان الشريعة و لتشوه جمال الاسلام وتنقص كماله ، وعند ذلك يتوقف  
النظام الاسلامي ، وهذه الحرب الضروس العاتية ، التي ازداد هبوبها بعد  
عصر الخلفاء الراشدين ، لهي دليل على حجية السنَّة وانها منهج حياة  
للأمة الاسلامية ..

ويمكن حصر هذا الملخص بثلاثة نقاط أساسية هي :

أ - خطر الوضع . ب - مبرراته . ج - أهميته .

### أ - خطر الوضع :

أما خطر هذا الموضوع لا يمكن أن تقدر قيمته ، ويكاد أن يكون  
كالنار في الهشيم أو كالسيل الذي لا يبقي ولا يذر ، ومن مخاطر الوضع :

(١) تغرق كلمة المسلمين وضعفهم :

فإن الوضع في الحديث النبوي يؤدي الى الابتعاد عن سبيل الرشاد  
الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده ، المقتفين لشريعته ، والله  
سبحانه وتعالى يقول : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا  
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : « ولا تتبعوا  
السبل فتفرق بكم عن سبيله » أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن  
الاختلاف والتفرق ، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبيلهم بالمرء  
والخصومات في الدين .

١ الانعام : ١٥٢

٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٦٣٣

(٥) القضاء على الأسس الأخلاقية :

إن الأحاديث الموضوعية شجعت النفوس الضعيفة والجاهلة على الانحراف الأخلاقي الذي جاء الإسلام ليقتضي عليه والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( جئت لأتمم مكارم الأخلاق ) ، ولقد سنلت عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - فقالت : < كان خلقه القرآن > ، ولقد شهد الله له بالأخلاق العظيمة فقال تعالى : « وإنك لعلی خلق عظیم »<sup>٢</sup> .

فلم يرق لأصحاب النفوس المريضة أن ترى هذا البناء الشامخ في الأخلاق المبني على العفة والحياء ، وحب الخير والاحسان والمودة . فوضعت الفرق الضالة أحاديث تقطر سمأً للنيل من عظمة الإسلام وأخلاق الإسلام ، فمما وضعت : ( النظر الى الوجه الجميل عبادة ) . وهذا تقويض للأخلاق الإسلامية ، ونبذ جميع الأحاديث النبوية الصحيحة التي تحث على الحياء والالتزام به ، وأنه لا يأتي الا بخير ، وأنه شعبة من الإيمان .

ب - المبررات الداعية لكتابة هذا الموضوع :

فالسباب الداعية لذلك لغرضين اثنين :

١ - الغرض الأول :

هو كشف اصحاب الزيغ والضلال ، الذين يقومون بتصعدع المجتمع وتهديم أركانه باثارة العداوة والبغضاء بين أفرادهم الذين قاموا بتشويه نصاعة السنّة ورونقها وروعيتها مما يجعل الطريق للوصول الى السنّة تحيطه الظنون وتخالجه الشكوك و لذلك علينا أن نزيل هذه العقبات لتمهيد السبيل للوصول الى طريق الحق يجب علينا الآتي :

(١) أن نكشف اصحاب الزيغ والضلال من الكذابين لنحذر الناس من أخطارهم وفتنهم ، وكذلك ننبه الأمة الى من هم ليسوا من أهل اصحاب الحديث وذلك لكثرة غفلتهم أو جهلهم ، وكذلك التنبيه الى من في قلبه مرض ، أو من اصحاب التعصب ، أو التكسب ممن غلب عليه حب الدنيا ونسيان الآخرة ، واصحاب الأهواء الضالة من الزنادقة والفرق المتطرفة .

(٢) بيان درجة الحديث : فالأحاديث الصحيحة درجات منها الصحيح لذاته ، والصحيح لغيره ، والحسن لذاته ، والحسن لغيره ، وكذلك الضعيف درجات ، ثم الموضوع ويوضع للتنبيه على وضعه وليس هو من

الحديث في شيء .. وقد وضع موازين تعرف بها درجة الحديث مع الحذر الشديد من قبل من وفقه الله لخدمة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلها تحمي الحديث النبوي الشريف من التبديل والتغيير والوضع منها :

أ - التثبيت قبل أخذ الحديث .

ب - وضع شروط معينة لأخذ بالحديث ، ومن هذه الشروط المعاصرة بين الراوي وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقى بينهما مع ذلك ، كما هو عند البخاري .

ج - وضع الاسناد : فالاسناد يمكن أن نتعرف به على قوة الحديث ودرجته ، والاسناد بمثابة السلم أو الدرج الذي يتوصل به الى الارتقاء والوصول الى المتن ، وبقدر قوة ذلك الاسناد يؤخذ بالحديث عندما يختبر المتن وتثبت صحته . ولذلك حث العلماء من أصحاب هذا الفن الاهتمام بالاسناد قال الامام الشافعي : < مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه > .

د - وضع درجات ومستويات لرجال السند : فقد وضع العلماء مصطلحات فيها الدقة والضبط لمستوى الراوي ودرجته في العدالة . وكذلك وضعوا في الجرح درجات للضعفاء والمتهمين والكذابين .

هـ - وضع مصنفات : منها للأحاديث الصحيحة وأخرى للضعيفة ، وثالثة للموضوعات .. وكذلك مصنفات في علم الرجال ومصنفات في الوفيات والبلدان والتواريخ والرحلات ... إلخ .

هذه الموازين والأقيسة تحمي السُّنة من أهل الكيد والافتراء والجهلة وأصحاب الإغراض الشخصية .

ب - الغرض الثاني من العبروات :

حماية السُّنة والدفاع عن حجيتها .. إن أهل الباطل يهدفون لابطال حجية السُّنة وطمس معالمها للقضاء على كل القيم الاسلامية في القوة والمودة والرحمة والعزة والثقة والوحدة والايثار .

ففي هذا المختصر أو الكتابة عن حماية السُّنة والدفاع عن حجيتها وبيان مرتبتها وانها حجة بعد كتاب الله العزيز ، ومصدر نستنبط منه

٤ شروط الأئمة الخمسة مع شروط الأئمة الستة ، ص ٢٠

٥ والمتن في الاصطلاح : هو الفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه .

### الأحكام الشرعية .

ففي هذه النبذة تذكير المسلمين بأهمية السنَّة ومقامها في الاسلام ولو لم تكن حُجَّةً وواجب على المسلمين اتباعها ، لما سخر أهل الفسق والفجور أقلامهم المسمومة ، وحقدتهم الدفين على الحديث النبوي الذي ثبتت حجيته بأدلة كثيرة منها النقل :

أ - من الكتاب العزيز .

ب - من السنَّة المطهرة .

١ - من الكتاب العزيز :

ومما ورد في كتاب الله سبحانه :

(١) طاعة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - دليل على محبة الله تعالى . قال الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

(٢) طاعة الله ورسوله طريق السعادة والرحمة :

أ - قال الله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »

ب - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً »

ج - وقال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

(٣) طاعة الله ورسوله سبيل الى دخول الجنة . قال الله تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » .

(٤) طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - دليل على طاعة الله ، وعصيانه عصيان لله . قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليه - حفيظاً » .

في هذه الآيات حجية السنَّة واضحة وضوحاً لا يحتاج الى بيان ، ومما يزيد ذلك الوضوح شدة وتألقاً الأخيرة ، حيث أن الله سبحانه وتعالى سد جميع

٦ آل عمران : ٣١

٧ آل عمران : ١٣٢

٨ الأحزاب : ٧١

٩ النور : ٥٢

١٠ النساء : ١٣

١١ النساء : ٨٠

- الأبواب والطرق للوصول الى الشريعة الاسلامية الا عن طريق طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وأن أي عمل صالح من غير طريقه لا يقبل . ومما يؤكد ما قلته بتأكيد قوي من ناحية اللغة حيث أن طاعة الله جاءت جواب شرط ، وأن هذا الجواب لا يمكن تحقيقه الا اذا تحقق فعل الشرط وهو طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .
- (٥) دليل الايمان بالله واليوم الآخر رد التنازع الى الله ورسوله . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » .
- وقال مجاهد في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء » أي الى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ، أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة .
- (٦) علامة النفاق الاعراض عن الكتاب والسنة . قال تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » .
- (٧) الرضا بحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليل الايمان . قال الله تعالى ك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .
- قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : > أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم في الأصول ، والفروع ، وأحكام الشرع ، ولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح . وتقبله كل القبول . ولم يثبت له الايمان بذلك أيضاً حتى ينضاف مقابلة حكمه بالرضا والتسليم ، وعدم المنازعة < .
- (٨) الكمال واليسر والفلاح في اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

١٢ النجم : ٤٠٣

١٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٨

١٤ النساء : ٦١

١٥ النساء : ٦٥

١٦ التبيان في أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية ، ص ٤٣٠

مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل له أولئك هم المفلحون . »

٩) العقاب لمن خالف طاعة الله ورسوله . قال الله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » .<sup>١٧</sup>

١٠) عدم طاعة الله ورسوله دليل الكفر . قال تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين » .<sup>١٨</sup>

وقالوا في قوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين »

> فدل على أن مخالفته في الطريق كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب الى الله ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله الي جميع الثقليين الجن والانس ، الذي لو كان الإنبياء بل المرسلون ، بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم الا اتباعه ، والدخول في طاعته ، واتباع شريعته ><sup>١٩</sup> .

هذه بعض الأسباب التي دعنتي للبحث عن الموضوع لتوضيح حجة السنة والدفاع عنها .

ومن الأدلة الأخرى على حجة السنة :

ب - الأحاديث النبوية الشريفة :

لقد وردت أحاديث كثيرة تدل على حجة السنة منها :

١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( تركت فيكم أمرين لن

تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسُنَّتِي )<sup>٢٠</sup> .

٢) وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ألا اني أتيت الكتاب

١٧ الأنفال : ١٣

١٨ آل عمران : ٣٢

١٩ تفسير مختصر ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

٢٠ الموطأ للإمام مالك ، ج ٢ ص ٨٩٩ كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، رقم ٢

ومثله معه ، ألا يوشك "رجل شبعان على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وأن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرم الله ) .  
(٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ) قالوا يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : ( من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ) " .

ففي هذه الأحاديث الشريفة دليل حجية السُّنة . فالحديث الأول يدل على من تمسك بالسُّنة تحميه من الوقوع في الضلال والانحراف . والحديث الثاني فيه بيان بعدم الفرق بين الكتاب والسُّنة في ناحية الحرام والحلال ..

وللسُّنة أهمية عظيمة لشمولها جميع نواحي الدين والدنيامن الأحكام الشرعية والعلاقات الاجتماعية ، والجوانب الخلقية والاقتصادية ، وقد أجمع العلماء المحققون على حجية السُّنة . وقيل : انتهى العلماء المحققون الى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة ، وأيدوا رأيهم بما ورد في الآيات القرآنية .

وقال الامام الشافعي : > اذا ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه غيره ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره < .

هذه المبررات التي دعتني لاكتب في هذا الموضوع للدفاع عن حجية السنة ، ولاثباتها بالأدلة والبراهين لرد كيد الاعداء عن أن يشوهوا حديث رسول الله أو ينقصوا من شأنه ، مما يجعلوا المسلمين يبتعدوا عن تطبيقه ، والأخذ بأحكامه ، فعند ذلك يتقاعسوا عن دراسته ، وبذل الجهد لتعلمه ، فتنظمر آثاره على مر الأيام والعصور فيتخلف المسلمون عن الركب في الدنيا ، والويل والثبور في الآخرة ، لضياح أعمالهم أدراج الرياح .

وكذلك من المبررات المهمة هو الكشف عن أهل الضلال والانحراف ،

٢١ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦ ، باب تعظيم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

سنن أبي داود ، ج ٤ ص ٤٠٠ ، باب في لزوم السنة ، رقم ٤٦٠٤

٢٢ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٦٥٥ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ٦٨٥١

### فخلاصة الأمر :

أن العيش بهجر السنَّة النبوية هو انتحار وموت قبل موت الأبدان حيث يقضي المسلم عمره بدون بركة ، ولا توفيق من عند الله والخطر لم يقف بحدود الفرد وإنما يتجاوز ذلك الى جميع الأمة ، فيشملها التأخر ، وقسوة القلب ، والتقاطع ، والتدابير .. لأن الله سبحانه وتعالى لم ينصر الا من نصر دينه المتمثل بكتابه وسنَّة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

## الباب الأول

### **حجية السنة**

الفصل الأول : ويشمل ثلاثة مباحث < تعريف السنة ، معنى الحديث ، الأدلة النقلية على حجية السنة من القرآن الكريم > .

الفصل الثاني : الأدلة النقلية على حجية السنة من الأحاديث النبوية . وتشتمل على ثلاثة مباحث .

الفصل الثالث : الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعملية على حجية السنة . وتشتمل على خمسة مباحث .

الفصل الرابع : المعاول الهدامة لإنكار السنة . وتشتمل على ثلاثة مباحث .

## الفصل الأول :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

### المبحث الأول

#### تعريف السنة

##### ١ - السنة في اللغة :

(١) هي السيرة أو الطريقة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزعن في سيرة أنت سرتها

فأول راض سنة من يسيرها<sup>٢٤</sup>

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - : ( من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة )<sup>٢٥</sup> .

وفي حديث : ( لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع )<sup>٢٦</sup> وعلى ذلك يقال ابتداء عمل أو أمر بعمل اتبعه غيره يقال أنه هو الذي سنه . ومثال ذلك قول نصيب :

كأنني سننت الحب أول عاشق

من الناس إذ أحببت من بينهم وجدي<sup>٢٧</sup>

والمعنى كأنه أول من ابتداء الحب واحده . .

وعرفها بعضهم : الطريقة المسلوكة من سننت الشيء بالسنن إذا امرته عليه حتى يؤثر فيه سنا أي طريقاً<sup>٢٨</sup> .

وعرفها آخرون : بأنها عبارة عن الطريقة المعتادة المحافظة عليها

٢٤ انظر لسان العرب ٢/٢٢٢ . التعريفات ، للرجاني ، ص ٦٥ . المصباح ، ١/٢٩٢

٢٥ أخرجه مسلم عن جرير بن عبدالله البجلي

٢٦ أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري .

٢٧ لسان العرب ، ٢/٢٢٢

٢٨ مفتاح السنة ، أو تأريخ فنون الحديث ، محمد عبدالعزيز الخولي ، ص ٥

التي يتكرر الفعل بموجبها". ومنه قوله : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »<sup>٢٩</sup> .

وسنة الانسان طريقته التي يلتزم بها فيما يصدر عنه ويحافظ عليها سواء كانت تلك الطريقة محمودة أو مذمومة .

وخص بعضهم ( السنة ) بالطريقة الحسنة دون السيئة . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( فمن رغب عن سنتي فليس مني )<sup>٣٠</sup> ولذا قيل : فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة<sup>٣١</sup> .

قال الأزهري : والسنة الطريقة المستقيمة المحمودة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة<sup>٣٢</sup> .

(٢) تأتي السنة في اللغة بمعنى الوجه ، قال الأعمش :  
كريما شمائله في بنسي معاوية الأكرمين السنن<sup>٣٣</sup>  
ويراد بالبيت المدح برفعة النسب والشمائل الكريمة ، ولذلك ذكر الوجه لانه العلامة على ذلك بالنضارة والبشاشة ..  
السنن : جمع سنة<sup>٣٤</sup> .

(٣) وتأتي بمعنى ( دائرة الوجه ) ، قال ذو الرمة :  
تريك سنة وجهه غير مقرفة

ملساء ليس بها خال ولا ندب<sup>٣٥</sup>

(٤) وتأتي بمعنى الشكل أو الصورة ، وانشد ثعلب :  
بيضاء في المرأة سنتها

في البيت تحت مواضع اللمس

٢٩ الوجيز في أصول الفقه > عبدالكريم زيدان < ، ص ١٤٦

٣٠ الأحزاب : ٦٢

٣١ الحديث اخرجه البخاري في حديث ، وذا أخره في أول النكاح ، ١٢٦/٦ . وسلم في أول النكاح

١٢٩/٤ . والنسائي في النكاح ، باب النهي عن التبتل ٥٩/٦ - ٦٠ . والدارمي في النكاح ، باب النهي عن

التبتل . واحمد في مسنده ١٥٨/٢ . وابن الجوزي في تلبيس ابليس ، باب ذم البدع ص ١٠٠ . كلهم من

حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

٣٢ لسان العرب : ٢٢٢/٢

٣٣ تهذيب اللغة ، ٢٩٨/٤

٣٤ لسان العرب ، ٢٢٢/٢

٣٥ المصباح المنير ، ٢٩٢/١

٣٦ لسان العرب : ٢٢٢/٢

- ويريد بالسنة الصورة<sup>٣٧</sup> .
- (٥) ويمكن ان تقع ( لفظ سنة ) من سننت الابل إذا احسنت رعيتهـا والقيام عليها<sup>٣٨</sup> .
- (٦) تأتي بمعنى تتابع الشيء وتواليه والسير في الطريق<sup>٣٩</sup> . يقال سن الماء : إذا صبه ووالى في ذلك وتابعه . في باب تشبيه السنة الحسنة لاضطراد العمل بها بالماء المصبوب لتواليه على مكان واحد<sup>٤٠</sup> وتأتي بمعنى : النهج والجهة .
- (٧) قال الفيروز آبادي : وسنن الطريق : نهجه وجهته<sup>٤١</sup> .
- (٨) وكذلك بمعنى ( الاثر ) .
- قال ابن منظور : وسنن النبي - صلى الله عليه وسلم - آثاره<sup>٤٢</sup> . وذكر السيوطي هذا التفسير في الامام احمد<sup>٤٣</sup> .
- (٩) وقد يقصد بالسنة نقيض البدعة<sup>٤٤</sup> ، وفي ذلك حديث العرياض بن سارية السلمي<sup>٤٥</sup> : ( فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .... واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة )<sup>٤٦</sup> .
- (١٠) وتأتي بمعنى ( السوق ) ، يقال سن الابل سناً : أي ساقها سوقاً سريعاً<sup>٤٧</sup> .
- وقيل : السير الشديد<sup>٤٨</sup> .

٣٧	لسان العرب ، ٢٢٢/٢ . القاموس المحيط ، ٢٣٧/٤
٣٨	لسان العرب في مادة <سنن> ، ٢٢٢/٢
٣٩	القاموس المحيط ، ٢٣٧/٤
٤٠	البدعة ، ١١٧
٤١	القاموس المحيط ، ٣٧/٤ . لسان العرب ٢٢٢/٢
٤٢	لسان العرب ، ١٩/١
٤٣	مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٤٦
٤٤	ارشاد الفحول ، الشوكاني ، ص ٣٣
٤٥	هو العرياض - بكسر أوله وسكون الراء المهملة - ابن سارية المسلمي ابو نجيع ، صحابي مشهور من أهل الصفة ، وكان شيخاً كبيراً ، المتوفى بعد السبعين . كذا في التقريب ١٧/٢ وله ترجمة في الاصابة .
٤٧	لسان العرب ، ٢٢٣/٢
٤٨	المصدر السابق

(١١) وتطلق في العرف الاسلامي على طريقة الاسلام ، ومنها قولهم فلان على السنة ، وقولهم : سنة وبدعة“ .

عندما ننظر على هذه التعريفات في كتب متنوعة تدور أكثرها على أن السنة هي الطريقة حسنة كانت أو قبيحة اذا جاءت مطلقة ، أما اذا قيدت تعريفه ، فالقرينة هي التي تحدد نوعها بالحسن او القبح ، فلا بد من التنبيه في هذه العجالة على نقطتين تحتاج الى التوضيح والبيان : ذكر بعض الكتاب وأوعز قسم منهم المصدر الى لسان العرب ، بأن السنة الطريقة الحسنة دون القبيحة“ ، واستشهد بالحديث النبوي الشريف ( فمن رغب عن سنتي فليس مني ) . فأقول الاستشهاد لم يكن بموضعه ، وأن القواعد والاصول العربية لم تحتمله .. وذلك في وجوه :

(١) ان كلمة السُّنة غير سُنَّتِي ، حيث ان السنة مطلقة ، واما سنتي فهي مقيدة بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن ياء المتكلم الذي أضيفت اليه السنة تعود على شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الكامل الأمين وان طريقته حق من أمر ونهي وتقرير وهي سنته ، ولذلك خصص السنة باضافتها الى شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والله سبحانه وتعالى قد أعده اعدادا خاصا ونزهه وعصمه من جميع النقائص بقدرته سبحانه وتعالى وأمر بطاعته ، قال الله تعالى : « قل اطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين » . وأن طاعة الرسول هي طاعة الله ، قال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - معصوم وكل قوله وفعله وتقريراته حق والله يشهد له حيث يقول جل قدرته : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » . ويقول الله سبحانه مادحا حبيبه ، سيد ولد آدم ، الصادق الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين : « وإنك لعلى خلق عظيم » .“

٤٩ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٢٧

٥٠ الوضع في الحديث النبوي ، ص ١٢

٥١ النساء : ٨٠

٥٢ النجم : ٣ ، ٤

٥٣ ن : ٤

٢) التنبيه الثاني وهو الاستشهاد بـ ( فلان من أهل السنة ) على أن السنة هي الطريقة الحسنة دون القبيحة .. وهذا الاستشهاد فيه ضعف لان هذه الحجة لم تكن عامة في مفهوم اصحاب العقائد الاخرى من غير المسلمين وانما هو مصطلح خاص بالامة الاسلامية ومفهومه العام عند المسلمين السنة المحمدية أو الدين الاسلامي وهو الدين الكامل ولا يمكن ان يفسر بنقص أو بقبح والله سبحانه وتعالى يقول : « اليوم اكملت لكم ... » .

## ٢ - السنة في الشرع :

إذا أطلق لفظ السنة في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونهى عنه ، وندب اليه قولاً وفعلًا ، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أي القرآن والحديث .

### أ - تعريف السنة في اصطلاح المحدثين :

ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها ، وهي ترادف الحديث عند بعضهم .

### ب - تعريف السنة في اصطلاح الأصوليين :

ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، غير القرآن ، من قول أو فعل أو تقرير ، على وجه يراد به التشريع ، فهي بهذا الاعتبار دليل من أدلة الأحكام ، ومصدر من مصادر التشريع .

### ج - وعلماء الفقهاء :

انما بحثوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي تدل أفعاله

٥٤ المائدة : ٣

٥٥ أصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . محمد عجاج ، ص ١٨

٥٦ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٤٧

٥٧ حاشية الأميري ، ج ٢ ص ١٩٦ ، والأمدي ، ج ١ ص ٢٤١ . والوجيز ، ص ١٤٧

على حكم شرعي ، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا ، أو حرمة ، أو إباحة ، أو غير ذلك<sup>٥٨</sup> .

عندما ننظر الى هذه التعاريف نجد مرد هذا الاختلاف في الاصطلاح ، يرجع الى الاغراض التي تحتاجها كل فئة منهم .. فعلماء الحديث بحثوا عن الأمين وهو القدوة والأسوة في كل تصرفاته ، ونقلوا كل ما يتصل به من أخبار وأقوال وأفعال ، وسيرة وخلق ، بغض النظر على انه اثبت حكما شرعيا أو لم يثبت .

وعلماء الأصول ينظرون من جهة وضع القواعد والمناهج الموصلة اليه ، ولذلك بحثوا في السنة على قدر تخصصهم .  
والحكم عند الأصوليين : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالافتضاء أو التخيير أو الوضع<sup>٥٩</sup> .

وعلى هذا الاساس عنى الأصوليون بأقوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وافعله وتقريراته التي تثبت الاحكام وتقررها .. أما علماء الفقه فقد اغترف من منهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يتعلق باختصاصهم .

وعلم الفقه : هو فعل المكلف من حيث ما يثبت له من الاحكام الشرعية<sup>٦٠</sup> ، ولذلك بحثوا عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك .

وفي هذه المقدمة عن حجية السنة يعيننا الأخذ الى ما ذهب اليه الأصوليون : وهو ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، غير القرآن ، من قول أو فعل أو تقرير ، على وجه يراد به التشريع .

- أما القول فهي أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات ، فترتب على ذلك حكم شرعي .. كقوله -

٥٨ انظر فتح الغفار بشرح المنار ، ج ٢ ص ٧٥ . والمدخل الى السنة وعلومها ، ص ٧ . والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٤٩ .

٥٩ مسلم الثبوت وشرحه ، ج ١ ص ٥٤ . ارشاد الفحول للشوكاني ، الوجيز ، ص ١٨ .

٦٠ علم اصول الفقه < عبد الوهاب خلاف > ، ص ١٢ .

صلى الله عليه وسلم - ( إنما الأعمال بالنيات )<sup>١١</sup> ، وقوله : ( لا وصية لوارث )<sup>١٢</sup> ، وقوله : ( لا ضرر ولا ضرار )<sup>١٣</sup> .

- وأما أفعاله - صلى الله عليه وسلم - فهي التي نقلها اليينا الصحابة مثل : أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها<sup>١٤</sup> .  
ومثل : قول عائشة - رضى الله عنها - في صيام النبي - صلى الله عليه وسلم - : > كان يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطرحتى نقول : لا يصوم <<sup>١٥</sup> .

- أما التقريرية : وهي سكوت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن انكار قول أو فعل صدر في حضرته أو في غيبته وعلم بها . فهذا السكوت يدل على جواز الفعل وإباحته ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يسكت على باطل أو منكر ، ومن الأمثلة على ذلك حديث ابن عمر قال : قال النبي لنا لما رجع من الأحزاب : ( لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ) ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم بل نصلي ، لم يرد منا ذلك ، فذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يعنف واحدا منهم<sup>١٦</sup> .

- ٦١ أخرجه البخاري ، في بدء الوحي ، ج ١ ص ٣ ، ومسلم ، في إنما الأعمال بالنيات ، ج ٣ ص ١٥١٥ رقم ١٩٠٧ ، في باب الإمارة .
- ٦٢ سبيل السلام ، ج ٣ ص ٩٦٧
- ٦٣ سبيل السلام ، ج ٣ ص ٩٢٨
- ٦٤ سبيل السلام ، ج ٤ ص ١٢١ ، السنة قبل التنوين ، ص ١٧
- ٦٥ البخاري ، صوم شعبان ، ج ٣٨/٣ ، مسلم ، صيام النبي - صلى الله عليه وسلم - ١٦٠/٣ - ١٦١
- ٦٦ البخاري بلفظه في صلاة الخوف ، ١٥/٢ ، ومسلم في المغازي ١٦٢/٥

## المبحث الثاني

### معنى الحديث

#### \* معنى الحديث لغة :

- الحديث : الجديد<sup>٦٧</sup>  
الحديث : نقيض القديم<sup>٦٨</sup>  
والجمع أحاديث ، كقطيع وأقاطيع ، وهو شاذ على غير قياس<sup>٦٩</sup> .  
وقال ابو البقاء<sup>٧٠</sup> : الحديث هو اسم من التحدث ، وهو الاخبار<sup>٧١</sup>  
والحديث : الخبر يأتي على القليل والكثير<sup>٧٢</sup> .  
يقال هو حديث عهد بكذا : أي قريب عهد<sup>٧٣</sup> .  
الحديث : كل ما يتحدث به من كلام وخبر، ويقال الحديث ذو شجون<sup>٧٤</sup>  
والحادث : ما يجد ويحدث ، وضد القديم<sup>٧٥</sup> .  
والاحدوثة : ما يتحدث به ، ويقال صار فلان أحدوثة ، كثر فيه  
الحديث<sup>٧٦</sup> .  
وقوله تعالى : « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا »<sup>٧٧</sup> عنى بالحديث  
القرآن الكريم .

٦٧	الرائد ، ١/٥٥٦
٦٨	لسان العرب ، ١/٥٨١
٦٩	السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٢٠
٧٠	ابو البقاء ، هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، كان من قضاة الاحناف ، توفي سنة ١٠٩٢ هـ وهو قاض بالقدس ، انظر هدية العارفين ، ١/٢٢٩ ، ايضاح المكنون ١/٢٥١ . ٣٨٠
٧١	قواعد التحديث ، للقاسمي ، ص ٦١
٧٢	الوافي < معجم لغوي > ، ص ١٢٠
٧٣	المعجم الوسيط ، ١/١٦٠
٧٤	المصدر السابق
٧٥	المصدر السابق .
٧٦	المصدر السابق
٧٧	الكهف : ٦

وقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث »<sup>٧٨</sup> أي بلغ ما ارسلت به .  
وقوله تعالى : « وعلمتني من تأويل الأحاديث »<sup>٧٩</sup> . أي ما يحدث به  
الانسان في نومه<sup>٨٠</sup> .  
وفيه قال الشاعر<sup>٨١</sup> :

ونص الحديث الى اهله فان الامانة في نصه  
وعند القاء نظرة علي المعاني التي وردت للحديث في اللغة : هو  
نقيض القديم وهو ما يجد ويحدث ، وكل ما يتحدث به الانسان من خبر .

#### الحديث في اصطلاح علماء الاسلام :

الحديث في اصطلاح العلماء : < ما أضيفت الى النبي - صلى الله  
عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي ><sup>٨٢</sup> .  
وعلي هذا التعريف لا يدخل في التعريف الحديث الموقوف ، وهو ما  
أضيف الي الصحابي ، ولا المقطوع ، أي ما أضيف للتابعي . .  
وهو مذهب الكرمانى والطيبى ومن وافقهما<sup>٨٣</sup> .  
ولكن الجمهور ذهبوا الى انهما من الحديث ، وسووا في الدلالة بين  
الحديث والخبر ، قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر في نزهة النظر : <  
الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث > . فلا فرق إذن عند الجمهور وبين  
الحديث والخبر<sup>٨٤</sup> .  
ويشمل عند الجمهور : < ما اضيف الى النبي - صلى الله عليه  
وسلم - أو الصحابي أو التابعي ><sup>٨٥</sup> .  
وخص بعضهم الحديث : الى انه ما أضيف الي النبي - صلى الله

٧٨ الضحى : ١١

٧٩ يوسف ، ١٠١

٨٠ لمحات في أصول الحديث والبلاغة ، ص ٢٦

٨١ البيت للشاعر طرفة بن العبد ، شاعر جاهلي ، صاحب المعلقة المشهورة التي ابتدأها بذكر الاطلال <

لخولة > ، وتقل وعمره ست وعشرون سنة . انظر تاريخ حيات ، الأدب العربي للزيات ص ٦١ ، وحياته  
ومعلقته ، ص ١٣٠ ، ١٧١ . وشرح معلقات السبع للزوزني .

٨٢ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٢٦

٨٣ انظر الكواكب الدراري ، للكرمانى ، ١٢/١ . < منهج النقد ، ص ٢٦ >

٨٤ أما الأولون فقد خصوا الخير بغير النبي - صلى الله عليه وسلم - للتمييز بينه وبين الحديث ، وكذلك قيل

لن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الخبري . ولن يشتغل بالسنة النبوية المحدث < منهج النقد ، ص ٢٧ >

٨٥ لمحات في أصول الحديث ، ص ٢٦

عليه وسلم - من قول فقط ، قال الجزائري : واما السنة فتطلق في الأكثر على ما أضيف الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير ، فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول ، وهي أعم منه عند من خص الحديث بما أضيف الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول فقط<sup>٨٦</sup> .

وعرف السيد سليمان الندوي الحديث : كل واقعة نسبت الي النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو كان فعلها مرة واحدة في حياته الشريفة<sup>٨٧</sup> .

عند الامعان في هذه التعاريف عن الحديث النبوي الشريف نخرج بنتيجة متصلة ، وقاعدة عامة عند جميع المسلمين ان الحديث النبوي الشريف يطلق على أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله فتكون السنة مرادفة للحديث .

---

٨٦ توجيه النظر ، ص ٢

٨٧ تحقيق معنى السنة ، وبيان الحاجة اليها ، ص ٢٠

## حجية السنة

### مقدمة البحث الثالث :

نحمده تعالى ونصلي ونسلم على أفضل خلقه محمد - صلى الله عليه وسلم - الصادق الأمين أرسله الله رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .. فانه لا سبيل الى النجاح والفلاح الا على سلوك طريقه ، ومعرفة الطيب من الخبيث الا من جهته ، ويجب على كل من احب نجاته نفسه ان يعرف هديه وسيرته .

إن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - اليتيم الأمي .. حدث كبير عظيم ، انه كالشمس تأثيرا في الكائنات ، وأعظم من القمر ، وأقوى من الرياح والأعاصير ، لأنه يحمل مشكاة الله تشع بالنور والعلم والهدى ، وتضيء الطريق للخاطئين الضالين الى الحق ، وتقود المظلومين والمحرومين الى نور الله الأعظم ، الشريعة الاسلامية السمحاء الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان ، والقادرة على جميع احتياجات البشرية والمتمثلة في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث يشهد له رب العالمين فيقول : « وانك لعلى خلق عظيم »<sup>٨٨</sup> ، وتقول عائشة - رضى الله عنها - : « كان خلقه القرآن »<sup>٨٩</sup> .

وعلى هذا الأساس أقام رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - صرحا شامخا ، للمودة والرحمة والقوة والعزة والثقة والوحدة والتضحية والايثار ، لا تقوي على هدمها أو زعزعتها قوى الجبارين والمنافقين والظالمين .. ولقد اعتبر العلماء (( السنة النبوية )) حجة بعد كتاب الله العزيز ومصدر تستنبط منه الأحكام التشريعية ، وواجب على جميع المسلمين الالتزام بها .

٨٨ ن : ٤

٨٩ رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، ج ١ ص ٥١٣ رقم ٧٤٦

## المبحث الثالث

### الأدلة النقلية على حجية السنة

#### من : القرآن الكريم

لقد أثبت القرآن الكريم حجية السنة ، بأدلة كثيرة وبأنواع مختلفة بطريقة الأمر ، والنهي ، والترغيب والترهيب ، والوعيد الشديد ، وباقامة الحجة ، وبيان كمال السنة ، بأسلوب جزل رفيع ، وبيان يقيني بعجز الجن والإنس على ان يأتوا بمثله<sup>٩٠</sup> ، لقد سد القرآن الكريم جميع المنافذ والأبواب أمام النفوس الضعيفة والمعرضة والمريضة ، التي تعيش في متاهات الخيال ، وسراب الجهل<sup>٩١</sup> ، ونار الفتنة<sup>٩٢</sup> ، وظلام الكفر<sup>٩٣</sup> ، وفتح امامها مصباح الايمان ، الذي ينبع من نور الكتاب<sup>٩٤</sup> ، وضياء السنة ، فيهديان الى واحة غناء فيها السعادة والاطمئنان<sup>٩٥</sup> .

\* والأدلة في القرآن الكريم على حجية السنة هي :

١- طاعة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - دليل على محبة الله تعالى :

قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »<sup>٩٠</sup> .

٩٠ « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة الإسراء : ٨٨

٩١ « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » سورة النور : ٣٩

٩٢ « قل موتوا بغيظكم ، ان الله عليم بذات الصدور » آل عمران : ١١٩

٩٣ « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » سورة النور : ٤٠

٩٤ « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ... » النور : ٣٥

٩٥ « ألا يذكر الله تطمئن القلوب » سورة الرعد : ٢٨

٩٦ آل عمران : ٣١

في هذه الآية الكريمة ذكر البيضاوي الاحكام التي فيها :  
« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » المحبة ميل النفس الى الشيء  
لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه ، والعبد اذا علم أن  
الكمال الحقيقي ليس الا الله ، وان كل ما يراه كمالا في نفسه ، أو غيره  
فهو من الله وبالله والى الله ، لم يكن حبه الا لله وفي الله ... فسرت  
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزما لاتباع الرسول - صلى الله عليه  
وسلم - في عبادته والحرص على مطاوعته<sup>٩٧</sup> .

« يحببكم الله ويغفر ذنوبكم » جواب للأمر ، أي يرض عنكم<sup>٩٨</sup> ..  
« والله غفور رحيم » لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه - صلى  
الله عليه وسلم -<sup>٩٩</sup> .

وذكر في مختصر تفسير ابن كثير ان هذه الآية تكشف عن حقيقة  
صدق الادعاء أو كذبه ، فالمسلم بقدر تطبيقه واتباعه للشرع الحمدي  
والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله .. فيقول في بيان هذه الآية :

« قل ان كنتم تحبون الله .... إلخ » .  
> هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو  
على الطريقة الحمديّة ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع  
الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وافعاله<sup>١٠٠</sup> .

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه  
قال : ( من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد )<sup>١٠١</sup> .

وقال الحسن البصري : زعم قوم انهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه  
الآية : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

ثم قال تعالي : « يغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » أي باتباعكم  
الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحصل لكم هذا<sup>١٠٢</sup> .

نستبطن من هذه التفسيرات للآية الكريمة الاحكام الآتية :

أ - ان علامة محبة الله هو اتباع سنة سيد المرسلين محمد - صلى  
الله عليه وسلم - .

٩٧ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ص ١٣

٩٨ المصدر السابق .

٩٩ المصدر السابق .

١٠٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

١٠١ أخرجه مسلم ، ج ٣ ص ١٢٤٣

١٠٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

ب - ان المسلم الذي يتبع هدي محمد- صلى الله عليه وسلم - يحبه الله ويغفر ذنوبه ، ومحبة الله للعبد هو ان يوفقه للعمل الصالح ، ويكره اليه الفسوق والعصيان ، فقد ورد في الحديث النبوي : ( احفظ الله يحفظك )<sup>١٢</sup> وليس مخالفة من ادعى انه يحبه وهو مخالف للسنة بالأمر اليسير وانما هو في أسس العقيدة الإسلامية وهو في الذين يقولون ما لا يفعلون ، فينطبق عليه النفاق لانه كذاب ، وكذلك قوله يخالف عمله . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب .. )<sup>١٣</sup> .

وكان يقال : < أس النفاق الذي يبني عليه النفاق .. الكذب .. ><sup>١٤</sup>  
عن الحسن قال : < كان يقال : النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ><sup>١٥</sup> .

## ٢ - طاعة الله ورسوله طريق السعادة والرحمة :

أ - قال الله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترحمون »<sup>١٦</sup>  
ب - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »<sup>١٧</sup>  
ج - وقال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »<sup>١٨</sup> .  
في هذه الآيات الكريمة فيها الدلالة على اقتران الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الله<sup>١٩</sup> .  
وكذلك في هذه الآيات اثبات وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الوجه وهو مطلق الاشتراك في الطاعة ، المستفاد من العطف ، غير ان الله تبارك وتعالى أكد لنا عموم طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الآيات التي كرر فيها العامل « أطيعوا » .

١٠٣ رواه الترمذي في كتاب صفة يوم القيامة ، ج ٤ ص ٦٦٧ رقم ٢٥١٦

١٠٤ صحيح مسلم ، ج ١ ص ٧٨ باب بيان خصال المنافق رقم ٥٩ .

صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢١ رقم ٣٣

١٠٥ صفة النفاق وشم المنافقين ، ص ٢٢

١٠٦ المصدر السابق .

١٠٧ آل عمران : ١٣٢

١٠٨ الأحزاب : ٧١

١٠٩ النور : ٥٢

١١٠ السنة ، عباس حمادة ، ص ٥٣

... إن تكرار العامل وهو أطيعوا يدل على تأكيد عموم طاعته في جميع ما يصدر عنه<sup>١١١</sup> .  
ولقد ذكر في مختصر تفسير ابن كثير ما يراد بطاعة الله ورسوله ، فقال :

« ومن يطع الله ورسوله » قال قتادة : فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، « ويخش الله » - في القسم الثالث ج - فيما مضى من ذنوبه « ويتقه » فيما يستقبل ، وقوله « فأولئك هم الفائزون » يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا في كل شر في الدنيا والآخرة<sup>١١٢</sup> .

في هذه الآية الكريمة عرض القرآن الكريم الاحكام بأساليب جزلة متنوعة مغرية ، ولكنها ثمار أغصان باسقة ، تحتاج الى بذل الجهد والعمل . حيث جعل في الآية الأولى - أ - وجوب الطاعة ثمرتها الرحمة ، وجعل في الآية الثانية - ب - والثالثة - ج - الفوز والسعادة وهو جواب الشرط لا يتحقق الا بوجود فعل الشرط وهما طاعة الله وطاعة الرسول . وعلى أساس هذه القواعد يرجع المرء خائباً حسيراً ، مهما بذل من جهد ما لم يدخل البيوت من أبوابها ، وهي : طاعة الله وطاعة رسوله ، قولاً وعملاً .

### ٣ - طاعة الله ورسوله سبيل الي دخول الجنة :

قال الله تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم »<sup>١١٣</sup> .

(١) في هذه الآية الكريمة اسند الحكم للشريعة الاسلامية حتى لا يقع الظلم بين الورثة .

فقد ذكر في مختصر ابن كثير عن معنى « تلك حدود الله .. »  
> أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم اليه وفقدهم له عند عدمه<sup>١١٤</sup> .

(٢) يجب على الورثة أن يذعنوا لحكم الله ورسوله في القسمة ولهذا قال : « ومن يطع الله ورسوله » > أي فيها فلم يزد بعض الورثة ، ولم

١١١ المصدر السابق ، ص ٥٧

١١٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦١٤

١١٣ النساء : ١٢

١١٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٣٦٥

ينقص بعضهم بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته < ١١٥ > .  
(٣) فتكون النتيجة « يدخله جنات تحري من تحتها الأنهار خالدين فيها  
وذلك الفوز العظيم »

فقد قال صاحب كتاب دعوة الرسل : < وعد من يطيع الله ورسوله  
بوقوفه عند هذه الحدود التي رسمها القرآن الكريم بجنات تجري من تحتها  
الأنهار > ١١٦ .

(٤) وان مخالفة الشريعة متجاوز الحدود أي عدم طاعة الله ورسوله في  
هذه الموارد يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين .

فقد ذكر في مختصر تفسير ابن كثير عن هذه المسألة ، فقال : < أي  
لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه ، وهذا إنما يصدر عن عدم  
الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب  
الاليم المقيم > ١١٧ .

(٥) ان مخالفة هذا الأمر بعدم الطاعة لله ورسوله يحبط العمل الصالح  
ويذوق صاحبه العذاب .

قال ابو داود في باب الاضرار في الوصية عن شهر بن حوشب أن أبا  
هريرة حدثه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الرجل  
ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في  
الوصية فتجب لهما النار ) ١١٨ .

(٦) الحقوق التي ذكرت في الآية الكريمة في التورث يأخذها أصحابها  
إذا لم يكن مانع يحول بينه وبين حقه وهذه الموانع خصت بالسنة النبوية  
ولا يمكن معرفتها إلا بالأخذ بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ..  
وورد ذلك في تفسير الجلالين قوله : < وخصت السنة تورث من ذكر بمن  
ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق > ١١٩ .

بعد كل هذه التحليلات والاستنتاجات واستنادا الى أقوال العلماء  
والمفسرين يتبين لنا ان السنة حجة يجب اتباعها لانه يثاب بجنات في  
الطاعة ويعاقب بخلود النار في المعصية ١٢٠ .

١١٥ المصدر السابق

١١٦ كتاب : دعوة الرسل ، ص ٥١٧

١١٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٣٦٦

١١٨ سنن أبي داود ، ج ٣ ص ١١٣

١١٩ تفسير الجلالين ، ص ٦٦

١٢٠ الواجب شرعا : هو ما طالب الشارع فعله على وجه اللزوم ، ينم تاركه ، ومع الذم العقاب . ويمدح فاعله ،

ومع المدح الثواب < الوجيز في أصول الفقه ، ص ٢٤ > .

٤ - طاعة الله ورسوله ترفع درجة المسلم في الجنة :

قال الله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »<sup>١٢١</sup> .

(١) في الآية الكريمة يخاطب الله سبحانه وتعالى عباده بأسلوب الترغيب والتشويق ، واحيطة الآية بأنوار الترغيب ، ووضعت المراتب العالية ، لاثارة كوامن النفوس للتطلع الى المستقبل الزاهر والمجد في دار الخلود مع النبيين والصديقين والشهداء .

(٢) ان المخالفة للطاعة تكون هَوْتها سحيقة في الهوان والعذاب ، وان لم تذكر في الآية ، فقد ذكرت في آيات أخرى كثيرة ، وبأساليب متنوعة ، وأن القرآن الكريم لا يناقض بعضه بعضاً .

وأما تفسير هذه الآية في مختصر تفسير ابن كثير هي :

« ومن يطع ... إلخ » > أي من عمل بما أمره الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في المرتبة ، وهم الصالحون .. < فطلب الطاعة مع الثواب يكون شرعاً ويكون حجة على جميع المسلمين .

٥ - الهداية مرتبطة بالطاعة :

قال الله تعالى : « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين »<sup>١٢٢</sup> .

(١) في الآية الكريمة طلب الأمر مع الالتزام والشدة بطاعة الله وطاعة الرسول .

(٢) مخالفة الأمر بعدم الطاعة بعد التبليغ لا عذر بقبل لصاحبها وانما يعرض المخالف نفسه لسخط الله وغضبه وعذابه ، ويفهم من قوله « فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » .

(٣) ان طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تؤدي الى الاستقامة والنجاح ، وذلك في قوله تعالى ك « وان تطيعوه تهتدوا » . ولقد بين المفسرون مقاصد هذه الآية الكريمة ومعانيها بايجاز تلتقي

١٢١ النساء : ٦٩

١٢٢ النور : ٥٤

معانيهم في أصل واحد وهو وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على  
الحكاية مبالغة على تبكيتهم<sup>١٢٣</sup> .

وقيل : < أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ><sup>١٢٤</sup> .

« فإن تولوا ، فإنما عليه » أي على محمد - صلى الله عليه وسلم<sup>١٢٥</sup> -  
« ما حمل » من التبليغ ، « وعليكم ما حملتم » من الامتثال . « وان  
تطيعوه » في حكمه ، « تهتدوا » الى الحق « وما على الرسول الا البلاغ  
المبين » التبليغ الموضح لما كلفتم به ، وقد أدى وإنما بقى ما حملتم فإن  
ادبتم فلکم وان توليتم فعليكم<sup>١٢٦</sup> .

علاوة على ما ذكرنا من الأسباب التي توجب طاعة الرسول - صلى  
الله عليه وسلم - فتوجد دلالات أخرى ، فهذه الآية جمع الله فيها وجهين  
من وجوه الدلالة على وجوب طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
والانقياد له :

أ - اقتران الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع الأمر  
بطاعة الله تعالى ، والتشريك بواو العطف مع تكرار الأمر وهو  
أطيعوا ، الذي يشعر بأنها طاعة عامة<sup>١٢٧</sup> .  
ب - الأمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، واستفيد الأمر من  
أسلوب الشرط ، « وإن تطيعوه تهتدوا »<sup>١٢٨</sup> .

٦ - طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واجبة بعد سماع التبليغ :  
قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ، ولا  
تولوا عنه وأنتم تسمعون »<sup>١٢٩</sup> .  
فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا  
عنه » أي ولا تتولوا عن الرسول ، فإن المراد في الآية الامر بطاعته  
والنهي عن الاعراض عنه<sup>١٣٠</sup> .

١٢٣ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٥

١٢٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦١٤

١٢٥ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٥

١٢٦ المصدر السابق .

١٢٧ السنة ، حماده ، ص ٧٣ ، ٧٤

١٢٨ المصدر السابق .

١٢٩ الأنفال : ٢٠

١٣٠ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ص ٤٥

وقيل فيها : يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله  
ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به ، المعاندين له ، ولهذا قال :  
« ولا تولوا عنه » أي تتركوا طاعته وامتنالوا أمره وتركوا زواجه<sup>١٣١</sup> .  
وقيل « ولا تولوا عنه » : لا تدبروا عن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - مخالفين أمره ، ونهيه<sup>١٣٢</sup> .

« وانتم تسمعون » أي بعد ما علمتم ما دعاكم اليه<sup>١٣٣</sup> .  
وقيل : القرآن والمواظ<sup>١٣٤</sup> .

وقيل : أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذابين من الكفر<sup>١٣٥</sup>  
بعد هذه النظرة الخاطفة والمرور السريع في رياض القرآن وتتبع  
آراء الأصوليين وعلماء الاسلام ، وما تحتمله اللغة العربية بدون تعسف  
ولا تكلف ، نخرج بالنتيجة التالية:

(١) ان طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واجبة ، وذلك أن الأمر  
يفيد الوجوب ، ما لم تكن قرينة تصرفه عن ذلك ، والأمر هو  
اطيعوا<sup>١٣٦</sup> .

(٢) توبيخ وتبكييت من يخالف أوامر الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
وذلك بقوله « وانتم تسمعون » .

(٣) التأكيد الشديد بالطاعة وعدم المخالفة وذلك بوجوب النهي عن  
مخالفته وهي صيغة « ولا تولوا عنه ... » حيث أن « لا » أداة نهى  
، « تولوا » منهي عنه .

وقيل : النهي في اللغة : المنع ، وسمي العقل نهية لأنه ينهى صاحبه  
من الوقوع فيما يخالف الحق والصواب .

وفي الاصطلاح : طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء ، بالصيغة  
الدالة عليه . ومن صيغ النهي ، الصيغة المشهورة :  
> لا تفعل ... إلخ <<sup>١٣٧</sup> .

وذهب معظم الأصوليين الي ان النهي ، في اصله ، يفيد القدر

١٣١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٤

١٣٢ مختصر تفسير الطبري ، ج ١ ص ٢٣٠

١٣٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٤

١٣٤ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٥

١٣٥ مدارك التنزيل وحقائق التويل ، ج ٢ ص ١٨١

١٣٦ الايجاب : هو طلب الشارع فعله على وجه الزوم ، بحيث يذم تاركه ، مع الذم العقاب ، ويمدح فاعله ، ومع

المدح الثواب .. > الوجيز ، ص ٢٣ < .

١٣٧ الوجيز ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

والتكرار ، - تكرار الكف - واستدامته في جميع الأزمنة ، كما يقتضي ترك الفعل فوراً أي في الحال<sup>١٣٨</sup> .  
بعد ذكر هذه الحصون المانعة ، والأسيجة المتينة التي لم تدع لأصحاب النفوس الضعيفة أي تسلل ، فلا بد من الخضوع لحجية السنة المطهرة .

٧ - حياة القلوب بالطاعة والامتثال لله ورسوله :  
قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنكم إليه تحشرون »<sup>١٣٩</sup> .

عند مناقشة الآية الكريمة مع الاستدلال بأراء المفسرين والعلماء والمحدثين نخرج بالنقاط التالية :

(١) وجوب طاعة الله ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم ، وذلك من قوله تعالى : « ... استجبوا لله وللرسول ... »

وقيل المراد < بالاستجابة > : الطاعة والامتثال<sup>١٤٠</sup> .  
قال البخاري : « استجبوا » : أي اجيبوا<sup>١٤١</sup> .

(٢) ان طاعة الرسول هي طاعة لله ، لأن دعوة الله تسمع من الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويعرف ذلك من توحيد الضمير في قوله تعالى « دعاكم » .

(٣) ان اتباع الاسلام وذلك بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي حياة للمسلم ، لأن الايمان نور وسعادة ، واعتماد على قوتي عزيز بيده كل شيء .

وقالوا في قوله تعالى : « لما يحييكم » في العلوم الدينية فإنها حياة القلب<sup>١٤٢</sup> .

وقال مجاهد : « لما يحييكم » قال : للحق<sup>١٤٣</sup> .

وقال قتادة : هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة<sup>١٤٤</sup> .

١٣٨ المصدر السابق .

١٣٩ الأنفال : ٢٤

١٤٠ تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ص ١٨١

١٤١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٢ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٦

١٤٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٤ المصدر السابق .

وقال السدي : « لما يحييكم » : في الاسلام احياءهم بعد موتهم بالكفر<sup>١٤٥</sup> .

(٤) ترك طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - معناه تخلي العون الرباني عن العبد واتكال المرء على نفسه وهو اعتماد على ضعف وجهل لا بل ان بعد الله تعالى عن العبد هو حرمانه من كل خير واكبر نعمة يحرم منها العبد عند تخلي الرب عنه هي نعمة الايمان .  
ومما قال أصحاب التفسير في ذلك :

قيل في قوله تعالى : « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » :  
تمثيل لغاية قربه من العبد<sup>١٤٦</sup> كقوله تعالى : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »

وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها ، أو حث على المبادرة الي اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره<sup>١٤٧</sup> .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : « واعلموا ان الله يخول بين المرء وقلبه » : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الايمان<sup>١٤٨</sup> .  
وقال السدي : لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا باذنه<sup>١٤٩</sup> .

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم بما يناسب هذه الآية .. قال الامام احمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول : ( يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك )<sup>١٥٠</sup> .

وقيل في قوله تعالى : « يحول بين المرء وقلبه » بين المؤمن ان يكفر ، وبين الكافر أن يؤمن إلا باذنه . وقيل : بين المرء وعقله ، فلا يعرف ما يعمل ، ثم قال الطبري : > غير انه ينبغي ان يقال : ان الله عمُّ بقوله : الخبر عن انه يحول بين العبد وقلبه ولم يخص في المعاني التي ذكرنا شيئاً<sup>١٥١</sup> .

فهذه الآية الكريمة من بعد ما تبين فيها من الأحكام توجب حجية

١٤٥ المصدر السابق .

١٤٦ تفسير البيضاوي ، ج ٣ ص ٤٦

١٤٧ المصدر السابق .

١٤٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٥

١٤٩ المصدر السابق .

١٥٠ رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، ج ٥ ص ٥٢٨ رقم ٣٥٢٢

١٥١ تفسير مختصر الطبري ، ج ١ ص ٢٣١

السنة لما تحمل من الامر بالطاعة وثمرتها ، وبيان خطر تركها .

٨ - طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - دليل على طاعة الله وعصيانه عصيان لله :

قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »<sup>١٢٢</sup> .

(١) في هذه الآية الكريمة حجية السنة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار حيث ان الله سبحانه وتعالى سد جميع الطرق والابواب للوصول الى الشريعة الاسلامية الا عن طريق طاعة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن أي عمل صالح عن غير طريقه لا يقبل .

(٢) ان الشخص الذي يشذ عن هذا الطريق فلا يلوم الا نفسه ويفهم من قوله تعالى : « ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .

(٣) هذه المفاهيم التي ذكرتها في الفقرتين الأولى والثانية تتوج بتأكيد قوي من ناحية اللغة حيث أن ( طاعة الله ) جاءت جواب شرط ، وان هذه الجواب لا يمكن تحقيقه الا اذا تحقق فعل الشرط وهو طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ومما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة مما يقارب المبنى مما ذكرنا فقول في قوله تعالى : « من يطع ... » يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك الا لانه « ما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى »<sup>١٢٣</sup> .

ومجمل القول أن حجية السنة واضحة وقوية في هذه الآية الكريمة.

٩ - دليل الايمان بالله واليوم الآخر رد التنازع الى الله ورسوله :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »<sup>١٢٤</sup> .

في هذه الآية الكريمة يمكن استنباط الاحكام التالية :

(١) يأمر الله سبحانه وتعالى طاعة الله وطاعة رسوله وأولى الأمر من المسلمين .. قيل في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ... »

١٥٢ النساء : ٨٠

١٥٣ النجم : ٤٠٣

١٥٤ النساء : ٥٩

إلخ « أي اطيعوا الله فيما جاء في القرآن صريحا وأطيعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء في الحديث صريحا<sup>١١٠</sup> .

(٢) أمر الله سبحانه وتعالى برد التنازع الى الله ورسوله وهو جزء من الطاعة وتكون ضمن الفقرة رقم (١) والله أعلم ان تكرار ذلك للتذكير ولأهمية الحكم ، ولبح جماح النفس التي تحب أن تعيش في نزوات هواها في كثير من التنازع .. ولقد ذكر العلماء معاني ( التنازع ) في الآية الكريمة :

ف قيل « فان تنازعتم » أمروا برد ما يختلفون فيه من أمور الدين الى كتاب الله تعالى ، والى الرسول - صلى الله عليه وسلم في حياته وسنته من بعده ، لينزلوا على حكمها<sup>١١١</sup> .

وقال مجاهد في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء ... » أي الى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ، ان يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة<sup>١١٢</sup> .

(٣) أن من لم يتحاكم في النزاع الى الكتاب والسنة ويرضى بحكهما فليس بمؤمن بالله واليوم الآخر .

فقد قيل في تفسير ابن كثير : > ان من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر<sup>١١٣</sup> .

في هذه الآية الكريمة يتبين لنا من استنباطات الاحكام التي فيها من لم يتحاكم في النزاع الى الله ورسوله فإنه يخرج من الملة الاسلامية ويكفر لان عدم رضاه بذلك هو عدم ايمانه بالله واليوم الآخر .

والايمان بالله واليوم الآخر من روح العقيدة الاسلامية ويكفر من لم يؤمن بهما .

ولقد ورد الحديث الشريف بذلك عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، إذ طلع<sup>١١٤</sup> علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي - صلى

١٥٥ المصحف الميسر ، ص ١١٠

١٥٦ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٦٥

١٥٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٨

١٥٨ المصدر السابق .

١٥٩ > إذ طلع < إذ : حرف مفاجأة ، أي خرج علينا الرجل فجأة > هامش كتاب الأربعين النووية ، ص ٢٠ <

الله عليه وسلم - فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه الى فخذيه ووقال : يا محمد ، أخبرني عن الايمان ، فقال : ( أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... )<sup>١٦٠</sup> الى آخر الحديث .

فالسنة النبوية حجة على كل مسلم بالالتزام بها ووضوح الادلة ظاهرة لكل انسان .

#### ١٠ - علامة النفاق الاعراض عن الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »<sup>١٦١</sup> .  
فالآية واضحة البيان وقد ذكر في مختصر ابن كثير فقال : < فإنها [ أي الآية ] لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا الى ما سواهما من الباطل .. « ويصدون عنك صدودا » أي يعرضوا عنك اعراضا كالمستكبرين عن ذلك ><sup>١٦٢</sup> .  
وهذا الحكم في الآية دليل على حجية السنة .

#### ١١ - الرضا بحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليل الايمان :

قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »<sup>١٦٣</sup> .  
في هذه الآية الكريمة :

- (١) أقسم الله سبحانه بذاته العلية والقسم بذاته له شأن عظيم ومنزلة لا تدانيها منزلة وقسمه جل جلاله انه ينفي الايمان على من لم يحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع شئون حياته .
- (٢) ان التحكيم وحده لا يكفي لاثبات الايمان ما لم ينتفي الحرج .
- (٣) ولم يثبت الايمان بالاثباتين بالفقرتين السابقتين ما لم يقبل الحكم بالرضى والتسليم .

يقول صاحب صفوة البيان في قوله تعالى : « ويسلموا تسليما »  
ينقادوا لقضائك انقياد لا شائبة فيه بظاهرهم وباطنهم ، وهذا الحكم باق الى يوم القيامة ، وليس مخصوص بمن كان في عهده - صلى الله عليه

١٦٠ رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب : بيان الايمان والاسلام ، ج ١ ص ٣٦ رقم ١

١٦١ النساء : ٦١

١٦٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٠٩

١٦٣ النساء : ٦٥

وسلم -<sup>١٦١</sup> .

وقيل في قوله تعالى : « ويسلموا تسليما » إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون حرجا مما حكمت به ، وينقادوا له في الظاهر والباطن<sup>١٦٢</sup> .

كما ورد في الحديث : ( والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ) .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : > اقسام سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم في الأصول والفروع واحكام الشرع .. ولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينفي عنهم الحرة ، وهو ضيق الصدر ، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح ، وتقبله كل القبول ، ولم يثبت له الايمان بذلك ايضا حتى ينضاف مقابلة حكمه بالرضا والتسليم ، وعدم المنازعة ... <<sup>١٦٣</sup> .

بعد عرض هذه الأحكام في الآية الكريمة يتبين وجوب تحكيم الرسول - صلى الله عليه وسلم - في جميع نواحي الحياة - أي شمول السنة - ومن لم يقبل بذلك فإنه لا حظ له في الاسلام وهو انتفاء الايمان عنه .

## ١٢ - الكمال واليسر والفلاح في اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

قال الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، الدين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون »<sup>١٦٤</sup> .

المعنى الاجمالي للآيتين الكريميتن :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل » وهذه صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتب الانبياء ، بشروا أممهم ببعثته وامروهم بمتابعته<sup>١٦٥</sup> ... وقوله تعالى : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » هذه صفة

١٦٤ صفوة البيان ، ص ١٢١

١٦٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤١٠

١٦٦ التبيان في اقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، ص ٤٣٠

١٦٧ الاعراف : ١٧٥

١٦٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٥٦

الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الكتب ، وهكذا كانت حاله - عليه الصلاة والسلام - لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر<sup>١٦٩</sup> .  
وقوله : « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »  
قال بعض العلماء : < فكل ما أحل الله تعالى من المأكل فهو طيب ونافع في البدن والدين ، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين ><sup>١٧٠</sup> .

وقوله : « ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم »  
: < أي انه جاء بالتيسير والسماحة ><sup>١٧١</sup> كما ورد في الحديث : ( بعثت بالحنيفية السمحة ) .

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( إن الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به ) .  
وقال - صلى الله عليه وسلم - : ( رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ) .

\* عند التعليق على ما ذكرنا من آراء العلماء والأحاديث ، وما في النص القرآني الكريم وضوح .. نستنبط الأحكام التالية :  
ان النص القرآني بأجمعه جاء ليثبت معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وان كل ما ينطق به هو من عند الله وهو واجب الاتباع والسنة النبوية حجة على جميع المسلمين :  
(١) ذكر لفظه « النبي الأمي » وهذه من الدلالات على معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث ان الأمي لا يستطيع ان يطلع على العلوم والأخبار .

(٢) إن الكتب السماوية السابقة اخبرت عن بعثته - قبل أن يبعث - وهذا غيب من عند الله . قال الله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل ... »<sup>١٧٢</sup> .

(٣) أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاجان الى معرفة علم الأخلاق وعلم الاجتماع وهو أمي - عليه الصلاة والسلام - فكيف يستطيع ان

١٦٩ المصدر السابق .

١٧٠ المصدر السابق .

١٧١ المصدر السابق .

١٧٢ الأحقاف : ٩

يعرف هذه العلوم ما لم يكن علمه من عند الله « علمه شديد القوى .. »<sup>١٧٣</sup>  
(٤) ووضع الاصر والاعلال والاتيان بالتيسير والسماحة يحتاج كذلك الى  
علم النفس ومعرفة صباثعها وبلاتها وهذا علم صعب لا يستطيع ان يطلع  
عليه أمي عاش في الجزيرة العربية بين مكة والمدينة اكثر حياته .  
(٥) واحلال الطيبات وتحريم الخبائث يحتاجان الي علم الطب البدني  
وعلم الطب النفسي ، وكل علم منهما يأخذ العمر كله ولا يستطيع ان  
يتقنه . فكيف بالأمي ؟ .  
هذه الحجج الساطعة والدرر اللامعة في هاتين الآيتين لو وزعت في  
سماء الدنيا لأنارت الأرض جميعا ولسجد الناس شكرا لله وأقر العالم  
تعاليمه وحجية سنته .. قال الله تعالى : « هو الذي ارسل  
رسوله .. »<sup>١٧٤</sup> .

### ١٣ - العقاب لمن خالف طاعة الله ورسوله :

قال الله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله  
ورسوله فإن الله شديد العقاب »<sup>١٧٥</sup> .  
في الآية القرآنية الكريمة حكمان :  
(١) مخالفة الله ورسوله لات تجوز لأن شق الشيء الواحد الى قسمين  
.. فقالوا في قوله تعالى : « شاقوا الله ورسوله » : < خالفوا أمرهما ،  
والمشاقة : المخالفة ، وأصلها المجانبية ، لأنهم صاروا في شق وجانب عن شق  
المؤمنين وجانبهم ><sup>١٧٦</sup> .  
وقيل في قوله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله » < أي  
خالفوهما ، فساروا في شق ، وتركوا الشرع والايمان به واتباعه في  
شق ><sup>١٧٧</sup> .  
(٢) أن هذه المخالفة تترتب عليها عقوبة شديدة ، لأنها خروج على شرع  
الله ..  
قالوا في قوله تعالى : « ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد  
العقاب » : < أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه ، لا يفوته شيء ، ولا

١٧٣ النجم : ٥

١٧٤ التوبة : ٣٣

١٧٥ الأنفال : ١٣

١٧٦ صفوة التفاسير لمعاني القرآن ، ص ٢٣٥

١٧٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩١

يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى ، لا إله غيره ، ولا رب سواه <sup>١٧٨</sup> .  
نستنبط من الحكمين حجية السنة لأنه حكم شرعي فيه مخالفة لأمر  
الله ورسوله مع ترتيب العقوبة الشديدة على المخالفة <sup>١٧٩</sup> .

#### ١٤ - مخالفة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتنة وعذاب :

قال الله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ،  
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره  
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » <sup>١٨٠</sup> .

في هذه الآية الكريمة يشاهد المتمعن فيها يجد انها تحمل بين طيات  
بلاغتها الأحكام الآتية :

(١) لا تجوز معاملة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كمعاملة بعضنا  
بعضا ، وانما يجب ان نكن له الاحترام والتعظيم في كل تصرفاتنا معه . .  
قالوا في قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم  
بعضا » : > لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواد  
الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير إذن ، فإن المبادرة لاجابته -  
عليه السلام - والمراجعة بغير اذنه محرمة <sup>١٨١</sup> .

وقال قتادة : > أمر الله ان يهاب نبيه - صلى الله عليه وسلم . وأن  
يبجل ، وأن يعظم ، وأن يسود <sup>١٨٢</sup> .

وقال مقاتل في قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول . . . » ، يقول  
: > لا تسموه اذا دعوتموه يا محمد ، ولا تقولوا يا ابن عبدالله ، ولكن  
شرفوه فقولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله ، وهكذا <sup>١٨٣</sup> .

(٢) ان الذي يخالف أمر رسول الله ومنهجه يعرض نفسه لغضب الله  
وسخطه ، فينزل الله به البلاء والعذاب الشديد .

١٧٨ المصدر السابق .

١٧٩ المجرم : هو ما طلب الشارع الكف عن فعله حتما ، بان تكون صبغة طلب الكف نفسها دالة انه حتم > علم

اصول الفقه ، عبدالله خلاف > .

١٨٠ النور : ٦٣

١٨١ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٨

١٨٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٢١

١٨٣ المصدر السابق .

قالوا في قوله تعالى : « أن تصيبهم فتنة » : > محنة في الدنيا أو  
يصيبهم عذاب أليم في الآخرة <<sup>١٨٤</sup> .  
واستدل أن الأمر للوجوب .

١٥ - اللعنة والعذاب تقع على من يخالف أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في  
الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذابا مهينا »<sup>١٨٥</sup> .  
(١) الآية الكريمة يشعر المرء ان الشرر يتطير منها من شدة الغضب  
على من يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مخالفة أمره أو  
ايداء رسول الله بلفظة نابية ، والعياذ بالله من ذلك .  
(٢) ان اللعنة والعذاب الشديد يصيب من قام بذلك الأذى .  
وقال ابن عباس في قوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله »  
: > نزلت في الذين طعنوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - في  
تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب ، والظاهر ان الآية عامر في كل من  
أذاه بشيء ، أذى الله ، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله <<sup>١٨٦</sup> .  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( الله الله في أصحابي لا  
تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي  
أبغضهم ، ومن أذاهم فقد أذاني ، ومن أذاني فقد أذى الله ، يوشك أن  
يأخذه )<sup>١٨٧</sup> .  
وما نزول اللعنة والغضب والعذاب الشديد الا ان الامر يفيد  
الوجوب .

١٦ - مخالفة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ضلال وعذاب :

قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى  
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »<sup>١٨٨</sup>  
استخدم القرآن الكريم اسلوب الوعد والوعيد والعذاب الشديد لمن  
خالف أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم . في هذه الآية الكريمة :

١٨٤ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٨٨

١٨٥ الأحزاب : ٥٧

١٨٦ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١١٤

١٨٧ أخرجه احمد والترمذي . .

١٨٨ النساء : ١١٥

الوعيد الأول : ان يرفع عنه العون ويكفه على نفسه ، فيتكل المرء على ضعف وهوان ، ويجعله فريسة للشيطان .

الوعيد الثاني : يدخله العذاب الشديد في نار جهنم ، وهو دليل على تمرده على أحكام الشريعة .

وقالوا في قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى » : > أي من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فصار في شق ، والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين <<sup>١٨٩</sup> .

« ويتبع غير سبيل المؤمنين » هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية ، فيما علم اتفاهم عليه تحقيقا ، فإنه قد ضمننت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم <<sup>١٩٠</sup> .

وقوله تعالى : « نوله ما تولى » نخل بينه وبين ما اختار ، لنفسه من الضلال في الدنيا . « ونصله جهنم » ندخله فيها في النار ، في الآخرة <<sup>١٩١</sup> .

وقيل كذلك في قوله تعالى : « نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » : > أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له <<sup>١٩٢</sup> .

كما قال تعالى : « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » <<sup>١٩٣</sup> .

وقوله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

وقوله : « ونذرهم في طغيانهم يعمهون » .

فهذه الطامة الكبرى التي تحيط بمن يخالف أمر الرسول - صلى

الله عليه وسلم - دليل على حجية السنة .

١٨٩ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٣٧

١٩٠ المصدر السابق .

١٩١ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ١٣١

١٩٢ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٣٧

١٩٣ ن : ٤٤

١٧ - عدم طاعة الله ورسوله دليل الكفر :

قال الله تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين »<sup>١١١</sup> .

(١) لقد صرح سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بكفر من لم يتبع أمر الله ورسوله .

(٢) نفي المحبة من الكافرين ، وهو معناه نفي كل خير عنهم ، وتهديد قلقه ورعيه لا ينقطع .

(٣) ان الحكم عام لكل من يسلك هذا المسلك يكون مصيره هذا المصير .

(٤) قطع الإدعاء بالقول الذي لم يستند قواعده على العمل .

هذه التعليقات التي استنبطناها من الآية الكريمة نجدها بين ثنايا أقوال المفسرين ..

فقد قيل في قوله تعالى : « قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا »<sup>١١٢</sup> .  
يحتمل المضي والمضارعة بمعنى : فإن تتلوا<sup>١١٣</sup> .

وقوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين » : > لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ، وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر ، وأنه في هذه الحيثية ينفي محبة الله ، وان محبته مخصوصة بالمؤمنين<sup>١١٤</sup> .

وقالوا في قوله تعالى : « فإن الله لا يحب الكافرين » فدل على ان مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وان ادعى وزعم في نفسه انه محب لله ويتقرب اليه ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ، ورسول الله الى جميع الثقليين ، الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم الا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته<sup>١١٥</sup> .

١٩٤ آل عمران : ٣٢

١٩٥ ذكر الزجاج في اعتبار القرآن باب ما جاء في التنزيل في حذف احدى التاعين في أول المضارع ، فمن ذلك قوله تعالى : « ولا تولوا » في الاعراف وطه والشعراء ، « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » في الأنفال : ٢٠ اعراب القرآن ، للزجاج ، ج ٣ ص ٨٤٩ - ٨٥٠ ، « وقل هل تریصون (٠) في التوبة : ٥٢ ،

« فان تولوا فقد ... هود : ٥٧

١٩٦ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ص ١٣ ، ١٤

١٩٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٧٧

١٨ - الايان المقبول ايمان بالله ورسوله والتفريق بينهما كفر:

قال الله تعالى : « ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإننا اعتدنا للكافرين سعيرا »<sup>١١٨</sup> .

في هذه الآية : لا يسمح رب العزة لأي فرد ان الايمان بالله دون الايمان برسوله - صلى الله عليه وسلم - واعتبر ذلك كفر .

فمعنى قوله تعالى : « ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا اعتدنا للكافرين سعيرا » : > وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعيير بكفره <<sup>١١٩</sup> .

١٩ - القيادة والسيادة في جميع الأحكام لله ورسوله :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم »<sup>١٢٠</sup> .

في هذه الآية الكريمة يذكر الله سبحانه وتعالى عباده طريقة الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحكم ، وطريقة التحاكم في كل شئون الحياة ، يجب ان تنضبط وتوزن بميزان الشريعة الاسلامية . فأهداف هذه الآية هي :

(١) لا يجوز التحاكم في أي أمر الا ان يكون الحكم لله ورسوله ، وقد اتى المنع بصيغة النهي وهو يفيد الوجوب<sup>١٢١</sup> .

ومعنى « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » : > لا تقطعوا أمر وتجترئوا على ارتكابه قبل ان يحكم الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ويأذن فيه . وهو ارشاد عام في كل شيء <<sup>١٢٢</sup> .

وحذف مفعوله - [ أي مفعول تقدموا ] - قصدا الى التعميم .

وقالوا في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا » : > أي لا تقدموا أمرا ، فحذف المفعول ليذهب الوهم الي كل ما يملي <<sup>١٢٣</sup> .

١٩٨ الفتح : ١٣

١٩٩ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٥ ص ٥٢ . تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ٨٢

٢٠٠ الحجرات : ١

٢٠١ ذهب معظم الأصوليين الى النهي في اصله ، يفيد التكرار ، تكرار الكف ، واستدامته في جميع الأزمنة > الوجيز في أصول الفقه ، ص ٢٨٢ <

٢٠٢ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٦٥٦ . المصحف الميسر ، ص ٦٨٤

٢٠٣ تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ٨٦

(٢) التحذير من المخالفة والاقدام على حكم لم يكن فيه التحكيم لله ورسوله ، وذلك في قوله تعالى : « واتقوا الله » .

(٣) ان الله مطلع وسيحصي كل شيء وهو زيادة التأكيد في التحذير والله أعلم ..

قالوا في معنى : « واتقوا الله » في التقديم أو مخالفة الحكم .  
« إن الله سميع » لأقوالكم . « عليم » بأفعالكم<sup>٢٠٤</sup> .  
فالأمر واضح على حجية السنة في هذه الآية .

٢٠- الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - مبشر ونذير وسراج منير :  
قال الله تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .  
وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا »<sup>٢٠٥</sup> .

في الآيتين الكريمتين حجج دونها السبل أمام المرء المسلم ما لم يجعل  
تعاليم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهاج حياة وزاد للأخرة ..  
وذلك من وجوه :

(١) ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاهدا على أمته بتصديقهم  
وتكذيبهم ..

قال العلماء في معنى قوله تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك  
شاهدا » : > على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم  
وهو حال مقدرة <<sup>٢٠٦</sup> .

وعن ابن عباس قال : > لما نزلت « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا  
ومبشرا ونذيرا » وقد أمر عليا ومعاذ - رضي الله عنهما - ان يسيرا الى  
اليمن ، فقال : ( انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، انه قد أنزل  
على : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » .. <<sup>٢٠٧</sup> .

(٢) ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يبشر المؤمنين بجزييل  
الثواب ، وينذر الكافرين بشدة العقاب ، « وما على الرسول إلا البلاغ  
المبين »<sup>٢٠٨</sup> الى الاقرار بتوحيده ، وما يجب الايمان به من صفاته<sup>٢٠٩</sup> .

٢٠٤ المصدر السابق .

٢٠٥ الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

٢٠٦ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

٢٠٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٢

٢٠٨ النور : ٥٤

٢٠٩ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

(٣) ان مسألة الهداية لا تتأتى الا بتوفيق الله وتيسيره ، فالهداية والضلال بإذنه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فقوله عز وجل : « بإذنه » بتيسيره ، واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه<sup>٣١</sup> .

(٤) أن التعاليم التي جاء بها الرسول . صلى الله عليه وسلم - هي من عند الله وكلها حق وبلسما شافيا للنفوس ، وفيها الحجج القانعة والبيان السهل والوضوح ..

قال العلماء : « سراجا منيرا » : > يشبه الشمس في ازالة ظلمة الكفر والضلال <<sup>٣٢</sup> .

وقالوا : « سراجا منيرا » : > يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر <<sup>٣٣</sup> .

وقيل : « سراجا منيرا » : > أي أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في اشراقها وضاءتها لا يجدها الا معاند <<sup>٣٤</sup> .

٢١ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله للناس كافة :

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »<sup>٣٥</sup> .

لقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات بخاتم الانبياء ، وجعل تبليغه للناس جميعا ، ورسالته ناسخة للرسائل المساوية الأخرى ، ولذلك يكون فيها الكمال والوضوح والتيسير ، وتكون حجة على الناس أجمع .

ولزيادة البيان نذكر ما قيل في هذه الآية الكريمة :

« وما أرسلناك الا كافة للناس » : أي الى جميع الخلائق من المكلفين<sup>٣٦</sup> . كقوله : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا »<sup>٣٧</sup> .

٢١٠ المصدر السابق .

٢١١ المصحف الميسر ، ص ٥٥٦

٢١٢ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ١٦٥

٢١٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٣

٢١٤ سبأ : ٢٨

٢١٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢١٦ الأعراف : ١٥٨

« بشيرا ونذيرا » : بشيرا بالفضل لمن أقر ، « نذيرا » بالعدل لمن أصر<sup>٢١٧</sup> .

وقيل : « بشيرا ونذيرا » : أي تبشر من أطاعك بالجنة ، وتنذر من عصاك بالنار<sup>٢١٨</sup> .

قال محم بن كعب : < يعني الى الناس عامة > .

وقال قتادة : < أرسل الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - الى

العرب والعجم ، فأكرمهم لله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل ><sup>٢١٩</sup> .

وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس - رضي الله

عنهما - يقول : < ان الله تعالى فضل محمدا - صلى الله عليه وسلم - على

أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا : يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء ؟

قال - رضي الله عنه - : ان الله تعالى قال : « وما أرسلنا من رسول إلا

بلسان قومه ليبين لهم » وقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : « وما

أرسلناك إلا كافة للناس »<sup>٢٢٠</sup> فأرسله الله تعالى الى الجن والإنس ><sup>٢٢١</sup> .

كما ثبت في الصحيحين ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة

شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته

الصلاة فليصل ، واحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت

الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ) .

٢١٧ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٤ ص ٢٠١

٢١٨ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢١٩ المصدر السابق .

٢٢٠ سبأ : ٢٨

٢٢١ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٣١

٢٢ - الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله تعالى رحمة للعالمين :

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »<sup>١</sup> .  
فكلمة الرحمة لا حدود لمعانيها ، ولا حصر لخيراتها ، ولا يستغنى عنها مخلوق في الدنيا والآخرة ، والله سبحانه وتعالى يكتبها ويمنحها لمن التزم بطاعة من أرسله الله رحمة للعالمين .

وللرحمة معاني منها :

(١) « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »  
لأن ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم ، وقيل رحمة للكفار ، أمنهم به من الخسف والمسح وعذاب الاستئصال<sup>٢</sup> .

(٢) يخبر الله تعالى أن الله جعل محمداً - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ، أي أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة<sup>٣</sup> .

(٣) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( أنا أمان لأصحابي ) ، قيل : من البدع ، وقيل : من الاختلاف والفتن ، قال بعضهم : الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الأمان الأعظم ما عاش ، وما دامت سنته باقية فهو باق ، فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن<sup>٤</sup> .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - رحمة في كل شيء لمن التزم بطاعة الله سبحانه وتعالى .

٢٣ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى :

قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى »<sup>١</sup>  
في الآيتين الكريمتين نستنبط ما يأتي :

- (١) أن كلامه - صلى الله عليه وسلم - هو من عند الله سبحانه وتعالى .
- (٢) الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الخطأ .

٢٢٢ الأنبياء : ١٠٧

٢٢٣ تفسير البيضاوي ، ج ٤ ص ٤٨

٢٢٤ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٢٥

٢٢٥ الشفاء ، للقاضي عياض ، ج ١ ص ٣٠

٢٢٦ النجم : ٣ ، ٤

٣) ان الاحكام تؤخذ من الكتاب والسنة ، لأن كلا منهما وحي من عند الله .

ونستنبط من أقوال العلماء في الآيتين ، فنرى حجية السنة في جميع شئون الحياة ، وما خرج من فيه - عليه الصلاة والسلام - إلا الحق .  
« وما ينطق عن الهوى » : أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض<sup>٣٧</sup> .  
« إن هو إلا وحي يوحى » : أي إنما يقول ما أمر به ، يبلغه الي الناس كاملاً موفوراً ، من غير زيادة ولا نقصان<sup>٣٨</sup> .

كما روى الامام احمد عن عبدالله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه ، فنهتني قريش ، فقالوا : انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ( اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني الا الحق ) .

#### ٢٤ - أخلاقه العظيمة حجة على جميع الأمة الاسلامية :

قال الله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم »<sup>٣٩</sup> .  
ان صاحب الرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما يصفه رب العالمين : انه على خلق عظيم (( ولقد سنلت عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاقه ؟ فقالت : < كان خلقه القرآن > .

وقبل التحدث عن أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - ، نذكر شيئاً عن الأخلاق في القرآن الكريم بعض المقتطفات والاختصاصات من الدكتور عبدالله دراز < دستور الأخلاق في القرآن > لقد عالج الاسلام الاخلاق علاجاً عملياً بحدود الملكات التي يحملها والقدرة التي يمكن ان يقوم بها ، وجعل للحب والبغض والكراهية ... إلخ ضوابط عملية يُقِيمُ الانسان على حسب أدائها .

٢٢٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩٦

٢٢٨ المصدر السابق .

٢٢٩ ن : ٤

- الاحساس بالخير والشر :

يقول الدكتور عبدالله دراز : > ان النفس الانسانية قد تلقت في تكوينها الأولي الاحساس بالخير والشر<sup>٢٢٠</sup> : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »<sup>٢٢١</sup> . وكما وهب الانسان ملكة اللغة ، والحواس الظاهرة ، فإنه زوده أيضا ببصيرة أخلاقية : « بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره »<sup>٢٢٢</sup> .

- مكان العمل :

فالعمل يجب ان يكون بمقدور الانسان عند التكليف ، اما اذا خرج عن القدرة النفسية والبدنية فلا يكلف المرء به ، مثل قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها »<sup>٢٢٣</sup> . وقوله : « لا نكلف نفسا الا وسعها »<sup>٢٢٤</sup> . وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها »<sup>٢٢٥</sup> . ولذا ، فان جميع الأوامر ذات الاتصال بالحب والبغض ، وبالخوف او الأمل قد فسرت عقليا لدى الشراح على انها قد جاءت لتحكم عملا سابقا نشأت عنه هذه الحالات ، او عملا مصاحباً أو لاحقاً ، ولكنه لا يمكن ان يكون قبيل اللا إرادي<sup>٢٢٦</sup> .

وهكذا نجد أن حب الله ، وهو حالة عاطفية ولا إرادية في ذاتها ، يمكن ان يكتسب بوساطة عمل إرادي ، وهو التأمل في رحمة الله التي لا تنتهي ، وتذكر فضله الذي لا يفتأ يفيضه علينا ، ذلك أن الناس جبلوا على حب من يسدي إليهم معروفاً ، وبهذا المعنى غير المباشر أصبح حب الله امراً<sup>٢٢٧</sup> .

في قوله - صلى الله عليه وسلم - : ( أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة )<sup>٢٢٨</sup> . وكذلك يمكن ان يكون حب الأقربين أمراً محتوماً بفضل طرق

٢٢٠ دستور الاخلاق في الميزان ، ص ٢٧

٢٢١ الشمس : ٧ ، ٨

٢٢٢ القيامة : ١٤

٢٢٣ الطلاق : ٧

٢٢٤ الأنعام : ٥٢ ، المؤمنون : ٦٢

٢٢٥ البقرة : ٢٨٦

٢٢٦ دستور الاخلاق في القرآن ، ص ٦٤

٢٢٧ المصدر السابق ، ص ٦٥

٢٢٨ رواه الترمذي ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير .

شبيهة بتلك نسبياً ، او بفضل تصرفات عملية أخرى أكثر تقبلاً<sup>٢٣٩</sup> .  
وهي ما نجد له مثالا طيبا في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :  
( تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء )<sup>٢٤٠</sup> .  
بل ان العقيدة نفسها يمكن ان ينظر اليها على انها الزام منبثق عن  
أمر واقع ، ما دام الانسان - أمام الوضوح الذي لا يقاوم - لا يملك الا ان  
يذعن ويسلم<sup>٢٤١</sup> .

من هذا المنطلق كان خلق الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن ،  
لأنه كله أوامر ونواهي ، وترغيب وترهيب ، وحب وكرم وشجاعة .. فكان  
المطبق للقرآن وكذلك المطبق للسنة ، أو هو الذي تتمثل في شخصيته  
الشريعة الاسلامية بأكملها .

ومما ورد في تفسير ذلك عند علماء التفسير والمحدثين :  
قيل في قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » هو ما أمر الله به  
في قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »<sup>٢٤٢</sup> .  
وقالت عائشة - رضي الله عنها - : « كان خلقه القرآن »<sup>٢٤٣</sup> أي ما فيه  
من مكارم الأخلاق<sup>٢٤٤</sup> .

وقيل في قوله تعالى : « وانك لعلى ... » دين عظيم ، لا دين أحب  
الي ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الاسلام<sup>٢٤٥</sup> . وقيل أداب القرآن .  
وعن عائشة - رضي الله عنها - : « كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه  
، ويسخط لسخطه »<sup>٢٤٦</sup> .

وقالوا : إذا تتحمل من قومك ما لا يتحمل أمثالك<sup>٢٤٧</sup> .

وقيل معناه : « انه - عليه الصلاة والسلام - صار امتثال القرآن  
بحبه له وخلقاً ، وترك طبيعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما  
نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء

٢٣٩ دستور الاخلاق ، ص ٦٥

٢٤٠ رواه مالك في الموطأ ، ١٠٠/٣

٢٤١ دستور الاخلاق في القرآن ، ص ٦٥ - ٦٦

٢٤٢ الأعراف : ١٩٩

٢٤٣ رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، ج ١ ص ٥١٣ رقم ٧٤٦

٢٤٤ مدارك التنزيل لمعاني القرآن ، ص ٧٣٨

٢٤٥ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٧٣٨

٢٤٦ المصدر السابق .

٢٤٧ تفسير البيضاوي ، ج ٥ ص ١٤٤

والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خلق جميل > ٢١٨ .

ولقد شرف الله نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بذكره في كتابه العزيز خصه الله بها دون الأنبياء والرسل مما يدل على انه أفضل المرسلين .

ومن هذه التشريعات :

أ - القسم بحياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى : « لعمرك انهم » أي قوم لوط أو قريشا « لفي سكرتهم يعمهون » يترددون .

« لعمرك » كلمة قسم - أي حياتك - ، أقسم الله بحياة نبيه - عليه الصلاة والسلام - ولم يقسم بحياة نبي غيره ولا رسول ولا ملك ، وهذا تشريف كبير .

ب - اضافة اسم الله تعالى الى اسم رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، قال الله تعالى : « فوربك لنحشرنهم » .

قال الزمخشري : > في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه ، مضافا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه < .

ج - إيتاؤه سورة الفاتحة ، قال تعالى : « ولقد أتيناك سبعا من المثاني » هي الفاتحة ، « والقرآن العظيم » . وخصت الفاتحة بالذكر - مع انها من القرآن - تنبيها على عظم شأنها .. بحيث يكون إيتاؤها وحدها كافيا في التشريف ، لاشتمالها على معاني القرآن اجمالا .

د - أمر الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالتخفيف عن نفسه ، قال تعالى [ يخاطب نبيه - صلى الله عليه وسلم - ] : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » لتتعب بما فعلت بعد نزوله ، من طول قيامك به في صلاة الليل ، بل خفف عن نفسك ، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - ينام بعض الليل ويقوم بعضه .. وقيل معنى « لتشقى » لتتعب بتأسفك على كفر من كفر ، فأرح نفسك من هذا التعب ، وانما عليك البلاغ .

فالآية على هذين الاحتمالين تفيد أمره - عليه الصلاة والسلام - بالتخفيف عن نفسه ، ولم يطلب الله من نبي قبله ، ان يخفف عن نفسه ، وقيل : > ان الكفار لما رأوا كثرة عبادته - صلى الله عليه وسلم - وكثرة تلاوته للقرآن ، قالوا له : إنك لتشقى بترك ديننا ، وان القرآن نزل عليك

لتشقى به . فرد الله ما قالوا ، وهنا أيضا يدل على عناية الله بنبيه -  
عليه الصلاة والسلام - .

#### كيف صاغ القرآن الكريم الأخلاق بصورة عملية :

> من أهم مقاصد القرآن نشر الأخلاق والدعوة الى الفضيلة ، وهو  
يشمل الدعوة الي العمل الصالح ، والنهي عن المنكرات الظاهرة  
والباطنة<sup>٢٤٩</sup> .

ومن الأمثلة الأخلاقية في القرآن الكريم :

١ - قال تعالى « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا  
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق<sup>٢٥٠</sup> » .

٢ - قال تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة  
أصلها ثابت وفرعها في السماء<sup>٢٥١</sup> » .

٣ - وقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى  
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون<sup>٢٥٢</sup> » .

٤ - وقال تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم  
ليوم تشخص فيه الأبصار<sup>٢٥٣</sup> » .

٥ - وقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة  
وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو  
أعلم بالمهتدين<sup>٢٥٤</sup> » .

٦ - قال تعالى : « قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ،  
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين  
هم لفروجهم حافظون<sup>٢٥٥</sup> » .

هذه الآيات الكريمة التي أتت بصور مختلفة للأخلاق ، من أمر ونهي ،  
وعرض يأخذ بالألباب ، ويجعل حقل التجربة فيها الميدان العملي الذي  
يكشف عن حقائق النفوس وجوهرها فتظهر الأصالة من الزيف ، والصدق  
من النفاق ..

٢٤٩ دعوة الرسل ، ص ٣٩٠

٢٥٠ الانعام : ١

٢٥١ ابراهيم : ٢٤

٢٥٢ النحل : ٩٠

٢٥٣ الحجر : ٤٢

٢٥٤ النحل : ١٢٥

٢٥٥ المؤمنون ١ - ٥

ومما قيل في أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - : > كان فيه الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يُحدّ ولا يمكن وصفه <<sup>٢٥٦</sup> .

روى البخاري في حديث ، عن البراء بن عازب قال : > كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ، وأحسن الناس خلقاً <<sup>٢٥٧</sup> . ويقول صاحب كتاب " محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه " يصف محمداً فيقول : > فرأى بين ظلمة اليتيم ، وهجير الفقر ، نوراً وهاجاً يسطع ، فيملاً الدنيا أمام عينيه جمالاً <<sup>٢٥٨</sup> . ويقول : > انه شمس قریش تبدأ في البزوغ ، وقرها الذي سيضيء لها الدنيا وهو بعد هلال <<sup>٢٥٩</sup> .

ويقول في مقام آخر : > فقد كان عزوفاً عن اللعب ، أميل الى الجد ، لا يتأثر باجتماع اقرانه ، ولا ينفعل بحماسهم للعب ، ولا تصيبه عدوى عروبتهم <<sup>٢٦٠</sup> .

ثم يقول : > واقام محمد - صلى الله عليه وسلم - للحب والمودة والرحمة والتضحية والايثار بناءً شامخاً ... <<sup>٢٦١</sup> . هذا وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه ، ومهما قال الواصفون فيه فهي رذاذ من بحر .

إن موضوعية البحث ومنهجية الموضوع لا تستدعي الاطالة ولا الاستطراد الا في أخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو شرف لكل كاتب وقارئ وسامع .. ويحق لنا أن نطيل الوقوف ونسكب العبرات ، في قلوب متقرحة ، وأكباد محترقة ، وعيون ما اكتحلت برؤياه ، ولا سعدت بتطبيق منهجه ، فعاشت كالثكل على وحيدها ، ولكنها مشلولة في حياتها ، لأنها تربت على مناهج فاسدة ونظم منحرفة ، فأثمرت العداوة والاحقاد والضعف .

يا حسرة على الأمة الإسلامية تحمل هذا الكنز الثمين في الأخلاق

٢٥٦ الشمائل > للترمذي ، ص ٥٨

٢٥٧ رواه البخاري ، في باب الكنية للصبي ، ج ٥ ص ٢٢٩١ ، كتاب الأدب ، رق ٥٨٥٠

وأخرجه مسلم في الأدب ، رقم ٢١٥٠

٢٥٨ محمد - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وصباه .

٢٥٩ قصة اليتيم الخالد ، ص ٣٣٧

٢٦٠ المصدر السابق ، ص ٢٥٢

٢٦١ المصدر السابق ، ص ٦٢٥

الكاملة ، وتعيش متخلفة في كل شيء ، ولو لا راحة الشكوى لكاد القلب  
ينفطر .

وتلهب الاحشاء شيب مفرقي

هذا الشواظ لهيب تلك النار<sup>٢٦٢</sup>

وقبل أن أختم الموضوع اذكر بعض الاخلاق الأخرى لسيد البشرية  
محمد - صلى الله عليه وسلم - منها :

١ - حياؤه :

عن أنس - رضي الله عنه - قال : > كان رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - أشد حياءً من العذراء في خدرها <<sup>٢٦٣</sup> .

٢ - شجاعته :

عن سليمان بن قيس ، عن جابر بن عبد الله ، قال : > قاتل رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - محارب خصفه<sup>٢٦٤</sup> ، فرأوا من المسلمين غرّة ، فجاء  
رجل<sup>٢٦٥</sup> ، حتى قام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف ،  
فقال : من يمنعك مني ؟ قال : ( الله ) ، فسقط السيف من يده ، فأخذ  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السيف ، فقال : ( من يمنعك مني ؟ )  
، قال : لا ، غير أنني لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم  
يقاتلونك . فخلى سبيله ، فجاء أصحابه ، فقال : جنتكم من عند خير  
الناس<sup>٢٦٦</sup> <<sup>٢٦٧</sup> .

٣ - عفوه :

أ - عن جابر : > أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل يقبض  
للناس يوم حنين من فضه في ثوب بلال ، فقال له رجل : يا نبي الله أعدل

٢٦٢ القصيدة ، لابي الحسن التهامي .

٢٦٣ أخلاق النبي ، ص ٤٠

٢٦٤ خصفه : بفتح الخاء والصاد المهملة ، وخصفه .. هذا هو ابي قيس بن عيلان ابي مضر ، ومحارب هو ابي  
خصفه ، هذه الغزوة تسمى غزوة محارب خصفه ، وغزوة ذات الرقاع ، وهي مفصلة في الصحيحين وكتب  
السيرة .

٢٦٥ اسمه : غورث بن الحارث

٢٦٦ لأنه عفا بعد مقدرة .

٢٦٧ كتاب اخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ص ٤٣

؟ ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل ) ، فقام عمر ، فقال : ألا أضرب عنقه ؟ فإنه منافق . فقال : ( معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي )<sup>٢٦٨</sup> .

ب - عن ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال : < لما كان يوم الفتح<sup>٢٦٩</sup> ، أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى صفوان ابن أمية بن خلف ، وأبي سفيان بن حرب ، والى الحارث بن هشام ، قال ابن الخطاب - رضي الله عنه - فقلت : قد امكنتني الله عز وجل منهم بما صنعوا . حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( مثلي ومثلكم كما قال يوسف لآخوته « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم » فانتضحت حياءً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ><sup>٢٧٠</sup> .

٤ - كرمه :

أ - عن ابن عمر قال : < ما رأيت أحدا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أرضي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ><sup>٢٧١</sup> .

ب - عن أنس : < أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين ، فأتى الرجل قومه ، فقال : أسلموا ، فإن محمدا - صلى الله عليه وسلم - يعطي عطاء رجل ما يخاف فاقه ><sup>٢٧٢</sup> .

ج - عن جابر بن عبد الله ، قال : < ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط ، قال : لا ><sup>٢٧٣</sup> .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - صاحب الخلق الكامل والخلق العظيم ، وخلق القرآن ، فلا مبالغة فيه وصفناه بأي صفة كاملة وهو المعصوم ، ولا غرابة ما قال ناعته : < كان محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الخلق في طفولته ، وأظهر المطهرين في شبابه ، وأنجب البرية في كهولته ، وأزهد الناس في حياته ، وأعدل القضاة في قضائه ، وأشجع

٢٦٨ المصدر السابق .

٢٦٩ فتح مكة .

٢٧٠ كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ص ٤٧ - ٤٨

٢٧١ المصدر السابق ، ص ٥٠

٢٧٢ المصدر السابق .

٢٧٣ المصدر السابق ، ص ٥١

قائد في دفاعه عن الحق ، وخير قدوة للمصلحين ، وخير أسوة للمربين < ٣١ >

ولقد وفقت السيدة خديجة - رضي الله عنها - عندما أخبرها عن الوحي بقولها : < أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوايب الحق > ٣٢ .

#### أنتراض ودراسة

قد يعترض معترض ، ويقول قائل : قد تكلمت عن شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كلاما عاما ، وخصصته بأخلاقه ، وهو خروج عن الموضوع ، وتيه في صحراء لا حدود لها .

فأقول وبالله التوفيق : ان ما جئت به عن الأخلاق في موضوع الأخلاق هو من صميمه ، ولم أحد عنه ، وان المقاصد والغايات تحدد بتفسيرها وبيانها .. وقبل الخوض في ساحة الدفاع للذود عن القلاع التي شيدتها ، أمهد للموضوع ببعض الأمثلة المنطقية لأزيل الغموض .. من تلك الأمثلة :

١ - عند زهاب مجموعة الى حديقة ، لو نظرنا الى الموضوع من وجهة ضيقة مع بساطة التفكير ، لقلنا ان الجميع جاء لأجل النزهة ، ولكن عند الخوض في الموضوع بدقة مع العمق في التفكير مع سعة الأفق ، يتبين لنا أن بعضهم ذهب للنزهة بالفعل ، والبعض الآخر مهندس زراعي جاء لفحص صلاحية التربة ، الآخر جاء لدراسة الآفات الزراعية .. وهكذا نجد كل واحد في الحديقة من وجهته التخصصية ، والنظرة البسيطة توحي أن الجميع قدموا لعمل واحد .

٢ - القرآن الكريم : نجد اللغوي يدرسه في الجانب اللغوي ، وصاحب البلاغة في الجانب البلاغي ، والنحوي في وجهته النحوية ، وصاحب الفقه يدرس الجانب الفقهي ، وصاحب الأصول من وجهته ، والطبيب الجانب الطبي .. الخ .

والأمثلة على ذلك لا حصر لها ..

٢٧٤ عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - < عطية الأبراشي > ص ٩٢

٢٧٥ قول خديجة - رضي الله عنه - : خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، ص ٣٣

وكذلك عندما أريد أن أدرس الجانب الخلقى للرسول في السنة النبوية ، أستطيع ان أستشهد بجميع الأحاديث النبوية سواءً أحاديث الجانب الاقتصادي ، أو الاجتماعي ، أو السياسي ، أو العلاقات الدولية ، أو جانب الأحكام والعقوبات .. الخ .

وأعني بدراسة هذه الأحاديث هو دراسة جانب التشويق للرغبة في العمل بها ان كانت للأجر ، أو للزهد في تركها ان كانت للنهي ، وكذلك طريقة مخاطبة الكبير ، والصغير ، والمرأة ، والحاكم ، والمحكوم ، والجندي في ساحة المعركة ، ومخاطبة المرء في حالة الرضا والغضب ، والعالم والجاهل .

فأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم جميعها تحمل الجانب الأخلاقي على أعلى المستويات في المعنى والمبنى والمظهر والجوهر .

وسوف أسرد بعض هذه الخصائص الأخلاقية في السيرة النبوية باختصار منها :

( أ ) علاقة العمل بالإيمان :

أ - علاقة الإيمان بالحياة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياة شعبة من الإيمان )<sup>٣٦</sup> .

ب - حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( فو الذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده )<sup>٣٧</sup> .

ج - حلاوة الإيمان :

عن أنس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : ان يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف

٢٧٦ صحيح البخاري . ج ١ ص ١٢ ، باب أمور الإيمان ، أخرجه في باب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، رقم ٣٥

٢٧٧ صحيح البخاري ، ج ١ ، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان .

في النار) <sup>٣٧٨</sup> .

د - من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه :  
عن أنس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لا يؤمن أحدكم  
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) <sup>٣٧٩</sup> .

هـ - علامة الايمان حب الانصار :  
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( آية الإيمان حب الانصار ،  
وآية النفاق بغض الانصار ) <sup>٣٨٠</sup> .

و - الايمان هو العمل :  
عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ : أي  
العمل أفضل ؟ فقال : ( إيمان بالله ورسوله ) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال :  
( الجهاد في سبيل الله ) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ( حج مبرور ) <sup>٣٨١</sup> .

ز - تطوع قيام رمضان من الإيمان :  
عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من  
قام رمضان ، ايمانا واحتسابا ، غفر له ، ما تقدم من ذنبه ) <sup>٣٨٢</sup> .  
وعلي هذا الأساس أن كثيرا من الواجبات الاجتماعية والخدمات  
العامّة تدخل في نطاق الايمان <sup>٣٨٣</sup> .

إذن فالاخلاق ليست من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها ، بل

- ٢٧٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٤ رقم ١٦ باب : حلاوة الايمان ،  
أخرجه مسلم في الايمان ، باب من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان ، رقم ٤٣ .  
٢٧٩ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ١٤ رقم ٣ ، باب الايمان .  
أخرجه مسلم في الايمان ، باب الدليل على ان من خصال الايمان ان يحب لأخيه ، رقم ٤٥ .

- ٢٨١ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ١٨ ، باب من ال ان الايمان هو العمل .  
أخرجه مسلم في الايمان ، باب كون الايمان بالله تعالي افضل الاعمال ، رقم ٨٣ .  
٢٨٢ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ٢٢ ، رقم ٣٧ .  
أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان ، رقم ٧٥٩ .  
٢٨٣ في مكارم الأخلاق ، ص ٣٣ .

هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين . وعلى ذلك وبناء على استعداد الانسان بتمسكه بالفضائل والاخلاق الصالحة فان ايمانه قابل للزيادة والنقصان<sup>٢٨١</sup> .

## ٢ - النية الصالحة :

١ - عن علقمة بن وقاص ، عن عمر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه )<sup>٢٨٢</sup> .

ب - عن أبي مسعود ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها ، فهو له صدقة )<sup>٢٨٣</sup> .

ج - عن الزهري قال : حدثني عامر بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، انه أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في في امرأتك )<sup>٢٨٤</sup> .

## الإخلاص :

هو حالة من حالات استقامة القلب ، وهو ان يفعل الشخص في السر ما يفعله في العلانية ، وان يكون قوله مطابقا لحاله ، فهو يستدعي اظهار الحقيقة في التفكير والتعبير عنه بالكلام أو العمل<sup>٢٨٥</sup> .  
وان الله يحب العمل نقيًا من الشوائب وان يكون خالصا لوجهه ..  
وحرارة الاخلاص تنطفيء في القلب كلما هاجت في النفس توازع الأثرة وحب الثناء .. والتملق والرياء والنفاق هي ضد الاخلاص<sup>٢٨٦</sup> .

٢٨٤ المصدر السابق ، ص ٣٤

٢٨٥ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ٣٠ ، باب الايمان .

٢٨٦ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ٣٠ ، رقم ٥٤ .

أخرجه مسلم ، في الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، رقم ١٠٠٢

٢٨٨ في مكارم الأخلاق ، ص ٨٧

٢٨٩ المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٨٨

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : > للمرائي ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد العمل إذا اثنى عليه ، وينقص إذا ذم به <<sup>٢٩٠</sup> .

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : > ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما <<sup>٢٩١</sup> .

### ٣ - الصدق :

أ - عن أبي وائل ، عن عبدالله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الصدق يهدي الى البر ، وإن البر يهدي الى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقا . وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وإن الفجور يهدي الى النار ، وإن الرجل ليكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا )<sup>٢٩٢</sup> .

ب - عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن عائشة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( سدوا<sup>٢٩٣</sup> وقاربوا وابشروا ، فإنه لا يدخل أحد الجنة عمله ) ( قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ . قال : ( ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة )<sup>٢٩٤</sup> .

الصدق : > هو مطابقة التعبير للحقيقة أي كان لون التعبير بالقول أو الحركة أو بالإشارة أو بتأليف الكتب ، وما الى ذلك ، فإذا كان التعبير عن الذات وجب ان يكون مطابقا لما يدور في النفس وإن كان التعبير عن أمر خارجي وجب ان يكون مطابقا له دون زيادة أو نقصان <<sup>٢٩٥</sup> .

وللصدق فيما يرى الغزالي ستة معان : > صدق في القول ، وصدق في النية ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في تحقيق مقامات الدين .. فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ، ومن صدق في شيء فهو صادق .. <<sup>٢٩٦</sup> .

٢٩٠ كتاب : الكبائر ، للذهبي ، ص ١٥٦

٢٩١ المصدر السابق .

٢٩٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦١ ، رقم ٥٧٤٣

٢٩٣ قال مجاهد : > سديدا < النساء : ٩ : سدادا : صدقا

٢٩٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧٣ رقم ٦١٠٢

٢٩٥ الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، ص ٢٨٠

٢٩٦ الاخلاق عند الغزالي ، ص ١٥١

#### ٤ - العدالة :

أ - عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( سبعة يظلمهم الله في ظله ، يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل قلبه معلق في المساجد . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدق ، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه )<sup>٢٩٧</sup> .

ب - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يتقاضاه بغيره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أعطوه ) ، فقالوا : ما نجد إلا سنأ أفضل من سنه ، فقال الرجل : أوفيتني أوفاك الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أعطوه ، فان خيار الناس أحسنهم قضاء )<sup>٢٩٨</sup> .

ج - عن ابن شهاب : أن سالما أخبره : أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة )<sup>٢٩٩</sup> .

لو نظرنا الى هذه الأحاديث النبوية الكريمة ان ظواهرها ومدلولاتها متنوعة ، ولكن جميعها تنبثق وتصدر من اصل واحد وجوهر واحد وهو العدالة .. > إن الإسلام ينظر الى الناس نظرة مساواة من حيث أصل الخلقة ، فليس هناك جنس يفضل على جنس آخر في الخلق ، بل إن الناس يتساوون في الكرامة من حيث أنهم جميعا بنو آدم . وإذا كان هناك تفاضل فيما بينهم فإنما هو يرجع في الأصل الى الأعمال الفاضلة التي يكتسبونها بجهودهم المشرفة .. فلا ينبغي ان يرجح فرد على آخر في التكريم والتقدير وفي الوظائف على أساس الجنس أو اللون بل على

٢٩٧ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٢٤ باب ، من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، رقم ٦٢٩

أخرجه مسلم في الزكاة ، باب ، فضل اخفاء الصدقة ، رقم ١٠٣١

٢٩٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٨٤٢ رقم ٢٢٦٢

٢٩٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٨٦٢ ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه

أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم ٢٥٨٠

أساس الاستحقاق بالأعمال الفاضلة والكفاءات المكتسبة»<sup>٣٠٠</sup>.

٥ - الصبر :

أ - باب : الصبر عند الصدمة الأولى :

عن ثابت قال : سمعت أنساً - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الصبر عند الصدمة الأولى )<sup>٣٠١</sup>.

ب - باب : الاستغفار عند المسألة :

عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( والذي نفسي بيده ، لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله ، أعطاه أو منعه )<sup>٣٠٢</sup>.

ج - باب : الحذر من الغضب :

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب )<sup>٣٠٣</sup>.

(٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رجلاً قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أوصني ، قال : ( لا تغضب ) . فردد مراراً ، قال : ( لا تغضب )<sup>٣٠٤</sup>.

د - باب : في الحوض :

وقال عبدالله بن زيد : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( اصبروا حتى تلقوني على الحوض )<sup>٣٠٥</sup>.

فالصبر قاعدة مهمة ترتكز عليها الشريعة الإسلامية ، لذلك نجده يدخل في جميع عظام الأمور ولذلك نجده يتغلغل في الجانب الإخلاقي كانتشار الشرايين في جسم الكائن الحي ، فلا يستطيع الإنسان ان يستغني عنه لحظة واحدة سواء في الشدة أو الرجاء ، وفي السلم أو الحرب . ويقول الامام الغزالي : > اعلم أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين

٣٠٠ الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣

٣٠١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٣٨ ، باب الصبر عند الصدمة الأولى رقم ١٢٤٠

٣٠٢ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٣٥ ، باب الاستغفار عن المسألة ، رقم ١٤٠١

٣٠٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٣

٣٠٤ رجلا : هو جارية بن قدامة - رضي الله عنه - .

٣٠٥ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٥

٣٠٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٤٠٤ ، باب في الحوض .

في مقابلة باعث الهوى ، وباعث الدين هو ما هدى اليه الانسان في معرفة الله ورسوله ، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب ، وهي الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات . وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضاها ، فمن ثبت حتى قهرها واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين < ٢٧ .

والصبر زاد وسلاح جميع الصالحين والمصلحين والناجحين ، وسلاح الانبياء والمرسلين وأولي العزم من المرسلين ، وقد قيل : < الصبر من فروض الاسلام ، وهو نصف الايمان ، وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعا أمراً به > ٢٨ . . . « واستعينوا بالصبر والصلاة » > ٢٩ ، وناهيا عن ضده « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » > ٣٠ ، ومحبة لأهله « والله يحب الصابرين » > ٣١ ، ومعيته تعالى لهم « إن الله مع الصابرين » > ٣٢ ، وعاقبته خير « وإن تصبروا خير لكم » > ٣٣ ، وجزاؤه عظيم « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » > ٣٤ ، وأهل الصبر هم المنتفعون بالآيات والعظات « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » > ٣٥ ، وهو سبب لدخول الجنان « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » > ٣٦ ، وبالصبر واليقين تنال الامامة في الدين « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » > ٣٧ . . . < .

والصبر علي ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية

٢٠٧ موعظة المؤمنين ، ص ٣٤٣

٢٠٨ أصول الدعوة ، عبدالكريم ، ص ٣١٠

٢٠٩ البقرة : ١٥٣

٢١٠ الأحقاف : ٣٥

٢١١ آل عمران : ١٤٦

٢١٢ الأنفال : ٤٦

٢١٣ النساء : ٢٥

٢١٤ الزمر : ١٠

٢١٥ ابراهيم : ٥

٢١٦ الرعد : ٢٤

٢١٧ السجدة : ٢٤

الله ، وصبر على المصائب والبلاء<sup>٣١٨</sup> ..

وعلى هذا الأساس لا يمكن لأي عمل ان يتم على كماله وتمامه وعلى أية حالة نفسية تكون مرضية الا بالصبر ، ولأي عبادة تكون مستمرة ولوجه الله الا الصبر . ولم نجد دواء الصبر الشافي بعد كتاب الله الا في السنة المطهرة في الأخلاق النبوية التي تكاد تدخل في أحاديث لا حصر لها .

#### ٦ - الجزاء :

ويقسم الى قسمين : أ - الثواب ب - العقاب

أ - الثواب :

(١) الحرص على الحديث :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال ، قيل : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لقد - يا أبا هريرة - أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال : لا إله إلا الله ، خالصا من قلبه ، أو نفسه )<sup>٣١٩</sup> .

(٢) ثواب التوحيد الخالص :

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ : ( من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ) ( قال : ألا أبشر الناس ؟ ، قال : لا ، إني أخاف أن يتكلوا )<sup>٣٢٠</sup> .

(٣) باب : من بنى مسجدا :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثني ابن وهب ، أخبرني عمرو ، أن بكرا حدثه ، أن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه ، انه سمع عبيد الله الخولاني ، انه سمع عثمان بن عفان يقول ، عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - : > إنكم أكثرتم ، واني سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( من بنى لله مسجداً ) - قال بكير : حسبت أنه

٣١٨ أصول الدعوة ، عبدالكريم ، ص ٣١١

٣١٩ صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٤٩ ، باب ، الحرص على الحديث ، رقم ٩٩

٣٢٠ صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٦٠ ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم ، كراهية ان لا يفهموا ، رقم ١٢٩

قال: ( يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة )<sup>٣٣١</sup> .

(٤) باب : الصلوات الخمس كفارة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، انه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمسا ، ما تقول : ذلك يبقى من درنه ) ، قالوا : لا يبقى من درنه شيئا ، قال : ( وفذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا )<sup>٣٣٢</sup> .

(٥) باب : فضل من يعول يتيما :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا )<sup>٣٣٣</sup> . وقال بأصبعيه السبابة والوسطى .

(٦) باب : الساعي على الأرملة :

عن صفوان بن سليم ، برفعه الي النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : ( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل )<sup>٣٣٤</sup> .

عندما ننظر الى السنة النبوية نجد الجزاء اشبه بحصن يحمي الأخلاق من كيد العابثين ، فنجد الجزاء يدخل في كل عمل يقوم به المسلم سواء مع الانسان أو الحيوان أو النبات ، لا بل كل شيء عليه جزاء ، فالثرثرة والتشدد ولباس ثوب الرياء تكشف كلها أمام قلعة الأخلاق الحصينة المنيعة ، فنجد الأخلاق في المسامحة ، فعن جابر - رضي الله عنه - ، ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى )<sup>٣٣٥</sup> .

ونجدها تدخل في الزيارة في الله وعبادة المريض ( قال رسول الله -

٣٢١ صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ١٧٢-١٧٣ ، باب من بنى مسجدا ، رقم ٤٣٩

أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب ، فضل المساجد والحث عليها ، رقم ٥٢٣

٣٢٢ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩٧ ، باب الصلوات الخمس كفارة ، رقم ٥٠٥

أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي الي الصلاة تمحي به الخطايا ، رقم ٦٦٧

٣٢٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧ ، رقم ٥٦٥٩ ، باب في فضل من يعول يتيما .

٣٢٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٢٢٢٣ رقم ٥٦٦٠ ، باب الساعي علي الأرملة

٣٢٥ رواه البخاري ، ج ٢ ص ٧٣٠ رقم ٧٣٠

صلى الله عليه وسلم - : ( من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناداً بأن طيب وطاب ممثاك ، وتبوات في الجنة منزلاً )<sup>٣٣٦</sup> .

ونجد الأحاديث النبوية تشمل أنواع الصدقات ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة )<sup>٣٣٧</sup> .  
ونستطيع على ضوء هذه الأحاديث أن نثبت أن الجانب الأخلاقي في الجزاء هو فريد وأصيل وشامل وتفتقر إليه الدنيا بأجمعها في كل مكان وزمان ولكل جنس من البشرية .

#### ب - العقاب :

هو رحمة للضعفاء ، به يكون الذليل عزيزاً ، والمتكبر مرغماً لقبول الحق أمام ميزان العدل الإسلامي ..  
والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها في هذه المقدمة ، نذكر نموذجاً قليلاً من الأحاديث الشريفة :

(١) باب : خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر :  
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر )<sup>٣٣٨</sup> .

#### (٢) باب : في رفع صوته بالعلم :

> عن عبدالله بن عمرو قال : تخلف عنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفرة سافرناها ، فأدركنا - وقد أرهقتنا الصلاة - ، نحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فننادى بأعلى صوته : ( ويل للأعقاب من النار )<sup>٣٣٩</sup> مرتين أو ثلاثاً < .

#### (٣) باب : إثم من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم :

- ٣٢٦ رواء الترمذي ، وقال حديث حسن  
٣٢٧ الترمذي ، ج ٤ ص ٣٢٩ رقم ١٩٥٦ ، باب ما جاء في صنائع المعروف . صحيح البخاري في الأدب المفرد ص ٨٩١ ، وصححه ابن حبان ، ص ٨٦٤  
٣٢٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٧ ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، رقم ٤٨  
٣٢٩ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٣ ، باب من رفع صوته بالعلم ، رقم ٦٠  
أخرجه مسلم في الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكاملها ، رقم ٢٤١

عن عامر بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قلت للزبير : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان ؟ قال : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : ( من كذب على فليتبوأ مقعده من النار )<sup>٣٢٠</sup> .

(٤) التحذير من اتخاذ القبور مساجد :  
قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )<sup>٣٢١</sup> .

(٥) إثم المار بين يدي المصلي :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه<sup>٣٢٢</sup> ، لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه )<sup>٣٢٣</sup>  
قال أبو النضر : لا أدري ، أقال أربعين يوما ، أو شهرا ، أو سنة .

(٦) إثم من فاتته العصر :  
عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الذي تفوته صلاة العصر ، كأنما وتر<sup>٣٢٤</sup> أهله وماله )<sup>٣٢٥</sup> .

(٧) إثم القاطع :  
أن محمدا بن جبير بن مطعم قال : إن جبير بن مطعم أخبره : أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( لا يدخل الجنة قاطع )<sup>٣٢٦</sup> .

٣٢٠ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥٢ ، باب إثم من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - فلان وفلان ، قال العيني : مسي متهما في رواية ابن ماجه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - .

٣٢١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٦٥

٣٢٢ < ماذا عليه > : من الأثم والخطيئة .

٣٢٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩١ ، باب إثم المار بين يدي المصلي ، رقم ٤٨٨

أخرجه مسلم في الصلاة ، باب منع المار بين يدي المصلي ، رقم ٥٠٧

٣٢٤ < وتر الرجل > : إذا قتلت له قتيلا أو أخذت له مالا ..

٣٢٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٣ ، باب إثم من فاتته العصر ، رقم ٥٢٧ ..

أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب التغليظ من تفويت صلاة العصر ، رقم ٦٢٦

٣٢٦ أخرجه البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢١ ، باب إثم القاطع رقم ٥٦٣٨

أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، رقم ٢٥٥٦

< لا يدخل الجنة قاطع > : أي قاطع الرحم .

فلو نظرنا الى الأحاديث النبوية التي فيها النهي أو الأمر نجدها مصحوبة بالعقوبة في الدنيا أو الآخرة ، ولو لم تكن العقوبة مع الفعل أو الترك لما اعتبر ذلك جريمة ، فقد قال العلماء :

« ان الفعل أو الترك لا يعتبر جريمة إلا إذا تقررت عليه عقوبة . . . ويعبر الفقهاء عن العقوبات بالأجزية ، ومفردتها جزاء ، فإن لم تكن على الفعل أو الترك عقوبة فليس بجريمة »<sup>٣٣٧</sup> .

والحكمة في تشريع العقوبة هو المحافظة على وحدة وسيادة الأخلاق النبوية الكريمة ، والقضاء على الفوضى والفتن والضرب على أيدي العابثين بمقدرات الأمة .

ولقد وجدت هذه المثل العليا من العلماء وأصحاب القانون أذن صاغية ، وعلي أساسها وضعت القوانين وموازين العدل ، فساد الأمة الاستقرار وسعدت بالرفاهية والقانون .

فقد قال صاحب كتاب التشريع الجنائي : « والأفعال المعتبرة جرائم يؤمر بها أو ينهى عنها ، لأن في اتيانها أو في تركها ضررا بنظام الجماعة أو عقائدها ، أو بغير ذلك في شتى الاعتبارات التي تستوجب حال الجماعة صيانتها وعدم التفريط فيها »<sup>٣٣٨</sup> .

وهذه الأفعال التي تعتبر جرائم لا يمكن دفع سمومها وشرها من المجتمع الاسلامي الا بالعقوبة والردع . وقد قال العلماء في ذلك :  
« وقد شرع العقاب على الجريمة لمنع الناس من اقترافها ، لأن النهي عن الفعل أو الأمر باتيانها لا يكفي وحده لحمل الناس على اتيان الفعل أو الانتها عنه ، ولولا العقاب لكانت الأوامر والنواهي أمورا ضائعة وضربا من العبث ، فالعقاب هو الذي يجعل للأمر والنهي معنى مفهوما ، ونتيجة مرجوة ، وهو الذي يزجر الناس عن الجرائم ، ويمنع الفساد في الأرض ، ويحمل الناس على الابتعاد عما يضرهم ، أو فعل ما فيه خيرهم وصلاحهم »<sup>٣٣٩</sup> .

٣٣٧ التشريع الجنائي الاسلامي ، ج ١ ص ٦٦

٣٣٨ المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٨

٣٣٩ المصدر السابق

٧ - التعاون على الخير وعدم التعاون على الشر > أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر > :  
فالتعاون على الخير وعدم التعاون على الشر هما القاعدتان لبناء  
الامة الإسلامية ، وشد أزرها ، وتماسك بنيانها ، والقضاء على الخلل الذي  
يتسلل منه أصحاب المكائيل للقضاء على الأخلاق الإسلامية ، والأحاديث  
النبوية خير شاهد على ذلك :

(١) عن أبي موسى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن  
المؤمن للمؤمن<sup>٣٤٠</sup> كالبنيان ، يشد بعضه بعضا )<sup>٣٤١</sup> .  
(٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ترى المؤمنين في  
تراحمهم ، وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو<sup>٣٤٢</sup> ، تداعى  
له سائر جسده بالسهر والحمى )<sup>٣٤٣</sup> .

في هذا الحديث الشريف شبه شعور المؤمنين واحساسهم كجسد واحد  
في افراحهم واطراحهم ، وعلى هذا الأساس فإن وقوع أي أذى أو ظلم أو  
فقر ... إلخ على أحد منهم فكأنما وقع على الجميع .

(٣) علاقة المسلم بالمسلم :

عن ابن شهاب ، أن سالما أخبره ، أن عبد الله بن عمر - رضى الله  
عنهما - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( المسلم  
أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في  
حاجته )<sup>٣٤٤</sup> .

(٤) طريقة نصر المسلم لأخيه :

عن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - : ( أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ) ، فقال رجل : يا رسول الله ،

٣٤٠ > المؤمن للمؤمن > : أي حال المؤمن في تعاونه مع المؤمن .

٣٤١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٨٢ ، رقم : ٤٦٧

أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم ٢٥٨٥

٣٤٢ > اشتكى عضو > بمرض أصابه ( حاشية البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٨ )

٣٤٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٨ ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم ٥٦٦٥

أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم ٢٥٨٦

٣٤٤ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٥٥٠ ، رقم ٦٥٥١

انصره إذا كان مظلوما ، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ . قال :  
( تحجزه ، أو تمنعه ، من الظلم ، فإن ذلك نصره )<sup>٣٤٥</sup> .

(٥) النصيحة لكل مسلم :

عن جرير عبدالله قال : بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم )<sup>٣٤٦</sup> .  
ويحتاج الشخص الذي يقوم بالنصيحة أو الأمر بالمعروف والناهي  
عن المنكر من العلم بالمعروف الذي يدعو اليه والمنكر الذي ينهى عنه .  
وكذلك يحتاج الى الرفق<sup>٣٤٧</sup> ..

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن الرفق لا يكون في  
شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه )<sup>٣٤٨</sup> .

٨ - التوسط والاعتدال :

لقد ورد خلق الاعتدال في السنة النبوية في كل شيء سواء في  
العمل أو العبادة أو الوعظ أو المحافظة على طهارة الأشياء .. وهذا جانب  
يثمر خيرا كثيرا لأنه يشجع المسلم على الاستمرار والالتقان والرغبة في  
العمل الذي يقوم به ، ويجعل المسلم متزن الفكر مطمئن النفس . نذكر  
قسما من الأحاديث للأستشهاد على ذلك ، منها :

أ - أحب الدين الى الله أدومه :

عن هشام قال ، أخبرني أبي عن عائشة ، أن النبي - صلى الله عليه  
وسلم - دخل عليها وعندها امرأة ، قال : ( من هذه ؟ ) ، قالت : فلانة ،  
تذكر من صلاتها ، قال : ( مه ، عليكم ما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى  
تملوا )<sup>٣٤٩</sup> . وكان أحب الدين اليه ما داوم عليه صاحبه .

٣٤٥ المصدر السابق ، رقم ٦٥٥٢

٣٤٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣١ ، باب الدين النصيحة ، رقم ٥٧ و ٥٨

أخرجه مسلم في الايمان ، باب بيان ان الدين النصيحة ، رقم ٥٦

٣٤٧ أصول الدعوة ، ص ٤٥٠ - ٤٥١

٣٤٨ أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب فضل الرفق ، ص ٢٠٠٤ ، رقم ٢٥٩٤

٣٤٩ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٤ ، باب أحب الدين الله أدومه ، رقم ٤٣

أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ، باب أمر من نعت في صلاته أو استعجم عليه القرآن ، رقم ٧٨٥

ب - تخول الموعظة :

عن ابن مسعود قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا الموعظة ، كراهة<sup>٢٥٠</sup> السامة علينا<sup>٢٥١</sup> .

ج - التخفيف في الصلاة :

عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رجل<sup>٢٥٢</sup> : يا رسول الله ، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان<sup>٢٥٣</sup> ، فما رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال : ( أيها الناس ، إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة )<sup>٢٥٤</sup> .

د - النوم عند النعاس وعدم الارهاق الشديد في العبادة :

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه )<sup>٢٥٥</sup> .

هـ - ما يقع من النجاسات في السمن :

عن ابن عباس ، عن ميمونة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن فأرة سقطت في سمن ؟ ، فقال : ( ألقوها وما حولها فاطرحوه ، وكلوا سمنكم )<sup>٢٥٦</sup> .

و - حمل الطفل في الصلاة رحمة به :

عن أبي قتادة الانصاري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي ، وهو حامل أمامة بنت زينب ، بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأبي العاص ابن الربيع بن عبد شمس ، فإذا سجد وضعها ،

٢٥٠ < كراهة السامة > : لا يجب ان يصيبها الملل ( حاشية البخاري ، ج ١ ص ٢٨ ) .

٢٥١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٨ ، رقم ٦٨

٢٥٢ < رجل > : هو حزم بن أبي كعب ، وقيل غيره ( حاشية البخاري ج ١ ص ٤٦ )

٢٥٣ < فلان > : هو معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ( المصدر السابق )

٢٥٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٦ ، رقم ٩٠

٢٥٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٨٧ ، رقم ٢٠٩

أخرجه مسلم في صلاة المسافر وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته ، رقم ٧٨٦

٢٥٦ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٩٢ ، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء رقم ٢٣٢/٢٣٤

وإذا قام حملها<sup>٢٥٧</sup> .

هذه الأمثلة المتنوعة في الأحاديث النبوية الشريفة كلها تدل على رفع الحرج عن الأمة والتوسط في حياتها ، وهو الخير لها لدوام العمل ، ورفع المشقة ، وعدم التنفير ومداراة الناس في معاشهم ، ولأجل الشفقة والرحمة .

#### أضواء على الموضوع :

أود أن أذكر بعض الملاحظات عن الموضوع خشية أن يسيء بعض المسلمين فهم هذه الأخلاق العالية ، فيتخذها مزالق للمحرمات ، أو فرصة للنوم والكسل ، وترك التسابق للمجد والمعالي ..

**\*\* والملاحظات هي :**

(١) يجب أن يكون الاعتدال في الاعمال في غير المحرم ، أما الحرام فيجب الامتناع عنه كلياً ، مهما كان نوعه ، وخاصة المحرمات التي تكون في المجالس من : غيبة ، ونميمة ، واستهزاء بالآخرين ، والمزاح الباطل .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا )<sup>٢٥٨</sup> .

(٢) الكسل في العمل مخالف للاعتدال . فلا يجوز أن يميل الإنسان إلى الكسل ويترك الأعمال الصالحة بحجة الاعتدال ، لأن الكسل والاعتدال نقيضان ، لا يمكن الجمع بينهما ، لأن الاعتدال هو أشبه بمحطات وقود لتزويد المسلم بطاقة العمل ، والكسل قاتل لكل الهمم .. ولذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ من العجز والكسل ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( نعمتان مغبون فيهما ابن آدم ، الصحة والفراغ )<sup>٢٥٩</sup> .

(٣) المسلم يحاسب على حسب قدرته التي حملها ، وتوجد موازين اسلامية لضبط قدرته التي يملكها ، وعلى أساس ذلك يكون الحساب والعمل والجهد والبذل .. الخ . من تلك الضوابط : الفراغ ، الصحة ، الشباب ، القوة ، العلم .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

٢٥٧ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩٣ ، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة ، رقم ٤٩٤

أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة ، رقم ٥٤٣

٢٥٨ وهو جزء من حديث رواه مسلم ، ج ٢ ص ٩٧٥ ، رقم ١٣٣٧

٢٥٩ رواه البخاري في كتاب الرقاق ، ج ٥ ص ٢٣٥٧ رقم ٦٠٤٩

( مروهم وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع )<sup>٣٦</sup> .  
(٤) لا يجوز تجاوز الحد الأدنى في الأعمال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فليسانه ، فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان )<sup>٣٧</sup> .  
فالحديث النبوي الشريف يبين واجب المسلم أمام أهل المنكر ، ويبين أن أضعف الايمان هو التغيير بالقلب ، ولا ايمان للمرء ان تجاوز الحد الأدنى . وتغيير المنكر في القلب يشمل : مقاطعة أهل المنكر وعدم مجالستهم ومواكلتهم ومشاربتهم والمزاح معهم والشراء منهم إن وجد غيرهم ، وعدم مزواجتهم .. إلخ .

#### ٩ - الترغيب بالالتزام ببعض الآداب الحسنة والفضائل والأعمال الصالحة :

لقد احتوت السيرة النبوية على انواع في الاخلاق الطيبة ولكل نوع له طعمه الطيب ورائحته العطرة ، والترغيب نور جذاب للعمل الصالح ، ونص الحديث النبوي يغني عن كل بيان :  
أ - من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين :  
عن ابن شهاب قال ، قال حميد بن عبدالرحمن ، سمعت معاوية خطيبا ، يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله )<sup>٣٨</sup> .  
ب - تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها :  
عن أنس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أقيموا الصفوف ، فإنني أراكم خلف ظهري )<sup>٣٩</sup> .  
ج - الترغيب في استخدام السواك :  
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لولا أن أشق على أمتي ، أو على الناس ، لأمرتهم بالسواك

٣٦ . رواه ابو داود ، ج ١ ص ١٢٢ ، رقم ٤٩٥ ، في كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة .

٣٦١ رواه مسلم ، ج ١ ص ٦٩ ، رقم ٤٩ ، في كتاب الايمان .

٣٦٢ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٩ ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، رقم ٧١

اخرجه مسلم في الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، رقم ١٠٢٧

مع كل صلاة) <sup>٣٦</sup> .

د - القيام للجنائز :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : مرت بنا جنازة ، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وقمنا له ، فقلنا يا رسول الله ، إنها جنازة يهودي ؟ قال : ( إذا رأيتم الجنائز فقوموا ) <sup>٣٧</sup> .

هـ - الترغيب في العمل :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ، خير من أن يسأل أحدا ، فيعطيه أو يمنعه ) <sup>٣٨</sup> .

هذه أمثلة من الأحاديث النبوية في السنة النبوية التي فيها من هذه الأحاديث عدد لا حصر لها للترغيب لأعمال وعادات كثيرة بأساليب جذابة ومشوقة .

وهذه الأحاديث كل منها قد اشار الى نوع من الأعمال أو العادات صراحة ، وتوجد أحاديث أخرى قد حثت على كل خير وأتت تحرك كوامن النفس وتهز الضمير لكل خير ، وهذا الأسلوب أتى بطريقة وصف الجنة وما أعد الله فيها للمتقين ، ومن رغب في هذا النعيم فعليه ان يعمل كل خير ويزود طيلة عمده من كل نافع .. ومن هذه الأحاديث :

أ - ما أعد الله لأهل الجنة :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ) <sup>٣٩</sup> .

ب - المقارنة بين الجنة والدنيا :

عن سهل قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولغدوة في سبيل الله

٣٦٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٢ ، باب السواك يوم الجمعة ، رقم ٨٤٧

أخرجه مسلم في الطهارة ، باب السواك ، رقم ٢٥٢

٣٦٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤١ ، باب من قام لجنازة يهودي ، رقم ١٢٤٩

أخرجه مسلم في الجنائز ، باب : القيام للجنائز ، رقم ٩٦٠

أو راحة خير من الدنيا وما فيها) <sup>٣٦٨</sup> .

ج - صفة أهل الجنة :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، أنيتهم فيها الذهب ، وامشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألوة <sup>٣٦٩</sup> ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا <sup>٣٧٠</sup> ) .  
قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

> ويقال سميت الجنة دار السلام أي دار السلامة من الآفات والعاهات والنكبات يسلمون فيها من الضرر والفقر والهجر ، ويسلمون من الأوجاع والأمراض ، والصدود والإعراض ، يسلمون فيها من طلب القوت ، وضيق البيوت ، وسكرات الموت ، وحسرة القوت <sup>٣٧١</sup> .

عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن عمرو بن العاص : > وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقرا لأحبابه ، مלאها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيرها ، وطهرها من كل عيب وأفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر .. الخ <sup>٣٧٢</sup> .

هذه الطريقة من وصف الجنة ، وهذا العرض الجذاب والنعيم الدائم المغربي يشوف النفس ويفتح قوى العقل وينشط البدن للعمل الصالح بكل أنواعه وفي كل الأوقات .

#### ١٠ - الترهيب والتزهيد بترك العادات السيئة والأعمال الرذيلة :

هذا الأسلوب من الأخلاق التربوية أشبه بالتحذير من الأخطار علي طريق محفوف بالمهالك لمن غفل لحظة واحدة ، فكانت هذه الآداب ، توظف

٣٦٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٨ ، باب مثل الدنيا في الآخرة ، رقم ٦٠٥٢

٣٦٩ > الألوة : العود الذي يتخرب به .

٣٧٠ سنن الترمذي ، الجامع الصحيح ، ج ٤ ص ٦٧٨ ، باب في صفة أهل الجنة ، رقم ٢٥٣٧

٣٧١ حادي الأنام الى دار السلام .

٣٧٢ حادي الأرواح الى دار الفلاح ، ص ٢١٨ - ٢١٩

النفس من غفلتها ، تشير الخوف من خطر البيات ، فتدفعه الى العمل الصالح ليكون له زاد في وم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . وعرض سنة خاتم المرسلين بلسما شافيا لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

أ - ما يكره من الأشياء قبل العشاء وبعده :

عن أبي برزة : > أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها < ٣٧٣ .

ب - ترهيب من رفع رأسه قبل الامام :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أما يخشى أحدكم ، أو ألا يخشى أحدكم ، إذا رفع رأسه قبل الامام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار ) < ٣٧٤ .

ج - ما كرهه الله لعباده من الأقوال والإعمال :

كتب معاوية الى المغيرة بن شعبه : > ان اكتب الى شيء سمعته من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فكتب اليه ، سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وإضاعة الامال ، وكثرة السؤال ) .. < ٣٧٥ .

د - السفر قطعة من العذاب :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله ) < ٣٧٦ .

هـ - ما يحبط أجر الصيام :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ) < ٣٧٧ .

و - ذم ذي الوجهين :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم -

٣٧٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٨ ، باب ما يكره من النوم قبل العشاء ، رقم ٥٤٣

٣٧٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٤٥ ، باب إثم من رفع رأسه قبل الامام ، رقم ٦٥٩

أخرجه مسلم في الصلاة ، باب تحريم سبق الامام بركوع او سجود ونحوها ، رقم ٤٢٧

٣٧٥ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٢٧ ، باب قوله الله تعالى : « لا يسألون الناس الحافا » رقم ١٤٠٧

٣٧٦ أخرجه البخاري ، ج ٢ ص ٦٣٩ ، باب السفر قطعة من العذاب ، رقم ١٧١٠

أخرجه مسلم في الامارة ، باب : السفر قطعة من العذاب ، رقم ١٩٢٧

٣٧٧ صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٧٣ ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، رقم ١٨٠٤

وسلم - : ( تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه )<sup>٣٧٨</sup> .

لقد وردت الاحاديث النبوية الشريفة في هذه الأنواع التي ذكرتها بمعالجة الجانب الاخلاقي عن طريق الترهيب والتزهيد في بعض الأعمال لما يترتب على تلك الأعمال من المشقة والتكاسل في الاعمال عند السفر ، أو يحول خلقته حقيقة أو مجازاً عند سبق الامام في الامام في الركوع والسجود . أو احباط لعمله كقول الزور ، أو وصف ذي الوجهين بأقبح الأوصاف لما يثير في المجتمع الفتنة والتفرقة والعداوة .

هذه أحاديث فيها ترهيب شامل لكل قبيل ولكل عمل لا ينفع ، وهذه الأحاديث جاءت لوصف النار التي أعدت للمذنبين ، وعندما يقرأ المسلم هذه الأحاديث تكون له سعة أفق من الخوف من كل ذنب ، فيسد كل خلل يتسرب منه الذنب ، ومن هذه الأحاديث التي توضح ما أسلفنا ذكره ما يأتي :

أ - هول الموقف وشدته يوم القيامة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم )<sup>٣٧٩</sup> .

ب - ما يفسده الزقوم لو وضعت منه قطرة علي الأرض :

عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه الآية : « اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »<sup>٣٨٠</sup> .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه )<sup>٣٨١</sup> . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ج - تشويه صورة وجه أهل النار :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « وهم فيها كالحون »

٣٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥١ ، باب ما قيل في ذي الوجهين ، رقم ٥٧١١

أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله ، رقم ٢٥٢٦

٣٧٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٩٣ ، رقم ٦١٦٧

أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها ، باب في صفة يوم القيامة ، رقم ٢٨٦٣

٢٨٠ آل عمران : ١٠٢

٣٨١ سنن الترمذي < الجامع الصحيح > ج ٤ ص ٧٠٦ - ٧٠٧ ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، رقم

قال : ( تشويه النار ، فتقلص شفته العليا حتى يبلغ وسط رأسه ، وتستتر من شفته السفلى حتى تضرب سرتة )<sup>٣٨٢</sup> . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

د - أهون أهل النار عذابا :

عن النعمان بن بشير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل في إخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه )<sup>٣٨٣</sup> . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

هـ - أهوال لا طاقة للمرء بسماعها ، فكيف الصبر على تحملها :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه تلا هذه الآية : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رؤسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » ، فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( إن الحميم ليصب على رؤسهم ، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه ، حتي يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان ) . أخرجه الترمذي والحاكم وصحاحه ، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم .

وقال ابن عباس : < يمشون وأمعأؤهم تتساقط ><sup>٣٨٤</sup> .

هذه الأحاديث أوقدت في نفوس السلف الصالح شدة الحذر ، فصفت قلوبهم ، وجعلوا النار نصب أعينهم كمنبهات خطر للذنوب ، والابتعاد عن كل ما يكدر صفاء النفس للعمل الصالح ، وقال موسى بن عقبة في - مغازيه - : < زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى مؤته ، فبكى أهله حين رأوه يبكي ، فقال : والله ما بكيت جزعا من الموت ولا صباية لكم ، ولكني بكيت جزعا من قول الله عز وجل : « وإن منكم إلا واردها »<sup>٣٨٥</sup> . فأيقنت أنني واردها ، فلا أدري انجو منها أم لا ><sup>٣٨٦</sup> .

## ١١ - روعة البيان وسحره :

لقد ذكرنا سابقا الأخلاق الكاملة بأساليب متنوعة التي تتضمنها السنة النبوية ، وإضافة على ذلك فإن تلك الأساليب تحمل من الروعة

٣٨٢ سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٧٠٨ ، رقم ٢٥٨٧

٣٨٣ سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٧١٦ ، رقم ٢٦٠٤

٣٨٤ يقظة اولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار واصحاب النار ، ص ٤٥

٣٨٥ مريم : ٧١

٣٨٦ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، ص ١٩٥

والبيان ، ما يجعل الفاظها اشبه بواحة خضراء قطوفها دانية أو شمس مضيئة تشرق على الدنيا بأجمعها .

إن الجمل متناسقة والالفاظ متناسبة والمعاني رقيقة يتقبلها الذوق وتشتاق اليها النفس ، فتفرض قيمتها على المنصفين ، وتدخل ابواب القلوب بدون استئذان ، لأن رنين اجراسها تألفه الطباع ، وهو أحوج للنفس والجسم والعقل من الماء والذاء والهواء .

> إن الفصاحة تكون مختصة بخصائص .. منها :

أ - اختصاص بعض الألفاظ برقة ورشاقة ، وأن تكون جارية على العادة المألوفة ، فلا تكون خادجة عن الاستعمال ، أن تكون اللفظة خفيفة على الألسن ، لذيدة على الأسماع ، حلوة في الذوق < ٣٨٧ .

وأما الرقة فقوله - صلى الله عليه وسلم - : ( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وأعد نفسك في الموتى ... إلخ ) < ٣٨٨ .

ب - ومن الأركان الأساسية للكلام البليغ :

خلوه من التعقيد اللفظي ، والتعقيد المعنوي ، وهذا ما يتوفر في السنج النبوية بعدد لا حصر لها .

ج - > ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام نقل الأسماء أو الصفات من مواضعها الإصطلاحية أو الطبيعية وإضفاؤها على غيرها لوجود ما يستدعي في التخيل هذا النقل ، وان لم يكن في الواقع كذلك < ٣٨٩ .

ومن بديع هذا النقل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ) .

> وفيه اضافة صفة التباطيء على العمل ، وهي في الأصل صفة الكسل أو التقصير في العمل ، ولكن التخيل اذا رأى العامل المقصر الكسول تصور أن عمله هو الذي بطأ به ، اذ العمل هو الحركة المشهودة ، اما الكسل او التقصير فهما لا يشاهدان نظرا ، وانما يدركان فكرا ( وفيه اضافة صفة الاسراع أو عدمه على النسب ، لان الناس يتخيلون ان من لم ينل السبق بعمله ربما ناله بنسبه ، فيعطي ذو النسب الكريم منزلة السبق لمجرد نسبه < ٣٩٠ .

د - ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام : تقريب الصورة الغائبة ،

٣٨٧ الطراز ، ج ١ ص ١١٣

٣٨٨ وهذا قسم من حديث مطو وزد في صحيح البخاري ، في الرقاق ، ج ٥ ص ٢٣٥٨ ، رقم ٦٠٥٣ .

٣٨٩ مبادئ في الأدب والدعوة ، ص ١١١

٣٩٠ المصدر السابق ، ص ١١٢

وذلك بوضعها في صورة مشهودة النظير ، أو في صورة متخيلة في أذهان المخاطبين<sup>٣١١</sup> .

ومن أمثلة ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : ( ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء ) .

هـ- ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام : لفت النظر الى معانٍ دقيقة لا يتنبه لها الذهن العادي في أول وهلة ، لكنه اذا لفت نظره اليها أو انتبه لها بنفسه أعجب بها ، وربما أحس انه امتلك امرا طريفا لم يكن يخطر على باله<sup>٣١٢</sup> .

ومن أمثلة ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : ( انصر أخالك ظالما أو مظلوما ) ، قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : ( تحجزه من الظلم ، فإن ذلك نصره )<sup>٣١٣</sup> .

ولا يمكن التفصيل في هذه المقدمة من روعة البيان في السنة النبوية التي كلها في القمة في الروعة البلاغية ، ومن أراد الاطلاع فعليه بالكتب البلاغية للوقف على ذلك .

#### ومجمل القول :

> أن اسلوب الحديث يمتاز باشراق ديباجته ، واتساق عبارته ، وتساوق ألفاظه ، وفقراته لأداء معنى واضح معين ، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال ، وملاءمة لغته للغة المخاطب ، وأشد ما يكون ذلك ظهورا حين يخاطب الوفود ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعمل الغريب ، ويلتزم السجع ، يذكر ألفاظا من مهجور اللغات تبعاً لما جرى لسان الوافدين عليه .. من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير الهذلي ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره<sup>٣١٤</sup> .

٣١١ المصدر السابق ، ص ١١٩

٣١٢ المصدر السابق ، ص ١٢٥

٣١٣ رواه البخاري ، ج ٦ ص ٢٥٥٠ ، في الاكراه ، رقم ٦٥٥٢

٣١٤ العقد الفريد ، ج ١ ص ١٨١ ، يمتاز الحديث النبوي باشراق ديباجته واتساق عبارته ..

## الفصل الثاني

الأدلة النقلية على اثبات حجية السنة :

من

### الأحاديث النبوية الشريفة

وتشتمل على المباحث الآتية :

#### المبحث الأول

اثبات حجية السنة بنصوص الأحاديث النبوية

بأساليب متنوعة

لقد نصت الأحاديث النبوية الصحيحة على اثبات حجية السنة بأساليب متنوعة ، ولم تدع مجالاً لأحد من المسلمين بتركها .

ومن النصوص التي وردت :

١ - هلاك الأمة بعدم طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به ، كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، واني انا النذير العريان ، فالنجا ، فاطاعه طائفة منهم من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق )<sup>١</sup> .

٢ - حفظ الأمانة من الضلال هو التمسك بالكتاب والسنة :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( تركت فيكم أمرين لن  
تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي )<sup>٣٩٦</sup> .

٣ - التزام السنة أمان من التفرق والضلال :  
قال العرباض : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات  
يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرقت منها العيون ، ووجلت  
منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا  
تعهد اليينا ؟ فقال : ( أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، ولو كان  
عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم  
بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها  
بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة  
ضلالة )<sup>٣٩٧</sup> .

٤ - لا عذر للمسلم بتجاوز حكم السنة ، إن لم يجد ذلك بكتاب الله :  
وروى مسلم عن ابن عباس ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
قال : ( مهما أوتيتم من كتاب الله ، فالعمل به ، لا عذر لأحد في تركه ، فإن  
لم يكن في كتاب الله ، فبسنة نبي ماضية )<sup>٣٩٨</sup> .

٥ - إن ما حرم رسول الله كما حرم الله :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ألا إنني أتيت الكتاب  
ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول ك عليكم بهذا القرآن  
فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وإن  
ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرم الله )<sup>٣٩٩</sup> .  
وفي هذا الحديث النبوي الشريف لا فرق بين السنة والكتاب في  
الحلال والحرام<sup>٤٠٠</sup> .

٣٩٦ الموطأ للإمام مائة ، ج ٢ ص ٨٩٩ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، رقم ٣

الفتح الكبير ، ج ٢ ص ٢٧

٣٩٧ الحديث سبق أخرجه ، ص

٣٩٨ دفاع عن الحديث ، ص ٤٦

٣٩٩ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٦ ، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقم ١٢

سنن أبي داود ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، باب في لزوم السنة ، رقم ٤٦٠٤

٤٠٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٠١

وقد عد الشاطبي هذا الحديث دليلاً على ان في السنة ما ليس في الكتاب<sup>٤١</sup> .

٦ - دخول الجنة مرتبط باتباع السنة :

عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ) ، قالوا : يا رسول الله ، ومن أبى ؟ قال : ( من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى )<sup>٤٢</sup> .

٧ - عدم قبول الأعمال ما لم يكن موافقا للسنة :

أ - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد )<sup>٤٣</sup> .

ب - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد )<sup>٤٤</sup> .

٨ - ان طاعة الرسول هي طاعة الله ، ومعصية الرسول معصية الله :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أمري فقد أطاع أمري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصا أمري فقد عصاني )<sup>٤٥</sup> . اسناده صحيح على شرط الشيخين<sup>٤٦</sup> .

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة المتنوعة نجد الحكم فيها وجوب اتباع السنة ولا مجال لتركها بأي حال من الأحوال ، حيث ان تاركها مهدد بالهلاك والضلال والتفرق وعدم قبول العمل .

٤٠١ الموافقات ، للشاطبي ، ١٥/٤

٤٠٢ صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٢٦٥٥ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم ٦٨٥١

٤٠٣ صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٩٥٩ ، كتاب الصلح ، رقم ٢٥٥٠

صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ١٢٢ ، باب نقض الاحكام الباطلة

سنن ابي داود ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ ، باب في لزوم السنة

سنن ابن ماجه ، ج ١ ، ص ٦ ، المقدمة

٤٠٤ مسند الامام احمد ، ج ٦ ، ص ١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠

٤٠٥ صحيح مسلم ، ج ٦ ، ص ١٢

سنن النسائي ، ج ٤ ، ص ١٥٤ / الجزء السابع

٤٠٦ كتاب السنة ، للشيباني ، ج ٢ ، ص ٥٠٧

ويقول الامام ابن حجر في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري في شرح حديث ( من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ) :  
> وهذا الحديث معدود في أصول الاسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله ، فلا يلتفت اليه .. وقال النووي : هذا الحديث مما ينبغي ان يعتنى بحفظه واستعماله في ابطال المنكرات ، واشاعة الاستدلال به كذلك .. وقال الطرقي : هذا الحديث يصلح ان يسمى نصف أدلة الشرع ، لأن الدليل يتركب في مقدمتين ، والمطلوب بالدليل إما اثبات الحكم أو نفيه ، وهذا الحديث مقدمة كبرى في اثبات كل حكم شرعي ونفيه < ١٧ .

## المبحث الثاني

شعول السنة لجميع نواحي الدين والدنيا

### أ- القسم الأول - حاجة الحكم الشرعي اليها يفرض حجيتها :

والأسباب التي جعلت حاجة الحكم الشرعي اليها بفرض حجيتها هي :

#### ١ - السنة اصل مستقل :

إن السنة أصل مستقل في كثير من الأحكام الشرعية مما جعل كثير من الأحكام الشرعية معطلة ومشلولة ما لم ترجع الى السنة . . من هذه الأحكام ما يأتي :

#### (١) عدم جواز لبس المخيط في الحج :

> حرم الشرع جواز لبس المخيط في أيام الحج ، ولم يرد ذلك في نص قرآني ، وإنما أوردته السنة . . فقد ورد ان عبدالرحمن بن بريد رأى رجلاً في موسم الحج قد ارتدى ثوباً مخيطاً ، فيرشده الي نزع ثيابه ، والأخذ بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في لباس الاحرام ، فيقول الرجل لعبد الرحمن : أنتني بأية من كتاب الله تنزع ثيابي . فلا يرى عبدالرحمن خيراً من أن يقرأ عليه قول الله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »<sup>١</sup> فنزع الثوب المخيط . . لم يرد صريحاً في كتاب الله وإنما ورد في الحديث فقط <<sup>٢</sup> .

#### ٢ - توريث الجدة :

فعن قبيصة بن ذؤيب قال : > جاءت الجدة الى أبي بكر فسألته ميراثها ، فقال : مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً ، فازجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله - صلى الله عليه

٤٠٨ الحشر : ٧

٤٠٩ علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٢٩٢

وسلم - أعطاهما السدس ، فقال : هل معك غيرك ؟ فقال : محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة ، فانفذه لها أبو بكر <sup>١١٠</sup> .

٣ - تحريم الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها :

فقد حرمت السنة النبوية الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها ، ولم يرد ذلك في القرآن الكريم . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ) <sup>١١١</sup> . وفي رواية أخرى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن أربع نسوة أن يجمع بينهن : المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها <sup>١١٢</sup> .

٤ - تخصيص من قتل قتيلًا بأخذ سلبه :

> قال ابن القيم : ان الناس جميعا أخذوا بحديث ( من قتل قتيلًا فله سلبه ) وهو زائد على ما في القرآن من قسمة الغنائم - أي كلها بما فيها من أسلاب القتلى بين المقاتلين جميعا - <sup>١١٣</sup> .  
> عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بارزت رجلاً فقتلته فاعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلبه <sup>١١٤</sup> .  
في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حديث طويل : ( من قتل قتيلًا فله ، فله عليه بيعة ، فله سلبه ) <sup>١١٥</sup> .

٥ - عدم التوارث بين المسلم والكافر :

لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ، وهذا زائد على القرآن ، فقد ورد الحديث النبوي الشريف لبيان ذلك عن أسامة بن زيد ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ) <sup>١١٦</sup> .

٤١٠ سنن أبي داود ، ج ٣ ص ١٢٢ ، باب في الجدة ، رقم ٢٨٩٤ . سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٤١٩

٤١١ صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٣٥ ، باب تحريم الجمع بين المرأة وخالتها في النكاح .

٤١٢ المصدر السابق .

٤١٣ دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٢١

٤١٤ سنن ابن ماجه ، ج ٢ ص ٩٤٦ ، باب المبارزة والسلب ، رقم ٢٨٣٦

٤١٥ سنن أبي داود ، ج ٣ ص ٧٠ ، باب في السلب يعطى القاتل رقم ٢٧١٧

٤١٦ صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٤٨٤ ، كتاب الفرائض ، رقم ٦٣٨٣

٦ - وجوب الكفارة على من جامع في نهار رمضان :

فقد ورد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : ( مالك ) ؟ . قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( هل تجد رقبة تعتقها ) فقال : لا ، قال : ( فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ) قال : لا ، فقال : ( فهل تجد طعام ستين مسكينا ) قال : لا ، قال . فمكث النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فبينما نحن على ذلك ، أوى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعرق<sup>١٧</sup> فيه تمر ، قال : ( أين السائل ؟ ) ؟ فقال : أنا . قال : ( خذ هذا فتصدق به ) . فقال الرجل : اعلى أفقر مني يا رسول الله . فوالله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت أنيابه ، ثم قال : ( أطعمه أهلك )<sup>١٨</sup> .

٧ - ثبت القضاء بالشاهد واليمين :

> فقد ثبت في السنة القضاء بالشاهد واليمين ، والقرآن يطالب بالشاهدين<sup>١٩</sup> .

٨ - حرم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكل الحمر الأهلية :

عن علي بن أبي طالب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الأنسية<sup>٢٠</sup> .

٩ - نهى عن نكاح المتعة :

عن عمر بن عبدالعزيز قال حدثنا الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المتعة ، وقال : ( ألا إنها حرام في يومكم هذا الى يوم القيامة ، ومن كان أعطى شيئا فلا يأخذه )<sup>٢١</sup> .

٤١٧ > بعرق < : المکتل

٤١٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٨٤ ، وجوب الكفارة ، رقم ١٨٣٤

وأخرجه مسلم في الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان ، رقم ١١١١

٤١٩ اعلام الموقعين ، ج ٢ ، ذكر الاحكام التي جاءت بها السنة .

٤٢٠ صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٣٤

٤٢١ المصدر السابق .

١٠ - ثبت المسح على الخفين في السنة :  
عن أبي سلمة ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري : أن أباه أخبره :  
أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يمسخ على الخفين<sup>٤٢٢</sup> .

١١ - قبول خبر المرأة في الشهادة في بعض الوقائع :  
أمر القرآن بضرورة الشاهدين حتى يقبل خبر الواقعة ، وجاءت  
السنة بقبول خبر المرأة الواحدة في بعض الوقائع التي من شأنها أن لا  
يعرفها إلا النساء ، وذلك كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عقبه بن  
الحارث أن يفارق زوجته ، عندما أخبرت إمراة انها أرضعته هو  
وزوجته<sup>٤٢٣</sup> .

٤٢٢ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٨٤ ، باب المسح على الخفين ، رقم ٢٠١

٤٢٣ دفاع عن الحديث النبوي وتنفيذ ، ص ١٤٧

ب - السنة النبوية هي الشارحة للقرآن الكريم :

لقد جاءت السنة النبوية الشريفة تفصل ما أجمله القرآن الكريم ، أو تقيد ما أطلقه ، أو تخصص منه ألفاظ العموم ، وتعين المقادير والحدود والجائيات .

لقد نظر العلماء الأولون الى أثر السنة العظيم في توضيح الأصول القرآنية ، مما حمل بعضهم على الحكم بأن السنة قاضية على الكتاب ، حتى قال الأوزاعي : < الكتاب أحوج الى السنة ، من السنة الى الكتاب ><sup>١١١</sup> والذي أراده الأوزاعي وغيره بهذا التنبيه على أن أعلم الخلق بمعاني القرآن الكريم هو رسول الله الأمين ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . ومن هنا قيل لمطرف ابن عبدالله بن الشخير<sup>١١٢</sup> : لا تحدثونا إلا بالقرآن ، فقال للسائلين : والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن<sup>١١٣</sup> .

\*\* والأشياء التي جاءت بها السنة لبيان وشرح ما في القرآن هي :

بيان ما أجمل القرآن من عبادات وأحكام :-

#### ١ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصلاة :

فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها . فبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا بصلاته وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة ، وقال : ( صلوا كما رأيتموني أصلي )<sup>١١٤</sup> .

إن الكتاب مجمل ، والسنة مفصلة له ، فيانها للصلوات على اختلافها في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها بأحاديث صحيح مفصلة كل ذلك ، بعد ان قلده الله وبصره وأمره ببيان ذلك ، حيث يقول

٤٢٤ جامع بيان العلم : ٢ / ١٩١

٤٢٥ مطرف بن عبدالله بن الشخير : زاهد من كبار التابعين ، ثقة فيما رواه من الاحاديث ، توفي بالبصرة سنة ٨٧ هـ < وفيات الأعيان ٢ / ٩٧ > .

٤٢٦ الموافقات ، ٤ / ٢٦

٤٢٧ أخرجه البخاري ، ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ و ج ٤ ص ٥٢

أخرجه الدارمي ، سنن الدارمي ، ١٤٨

الله سبحانه وتعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »<sup>١٢٨</sup> .

ومما ورد في القرآن مجملا وبينه النبي - صلى الله عليه وسلم - منها قوله تعالى : « حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى »<sup>١٢٩</sup> . وقوله : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب »<sup>١٣٠</sup> . وقوله : « وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا »<sup>١٣١</sup> .

فقد جاءت هذه الآيات مع قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة »<sup>١٣٢</sup> مجملة ، وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - عددها ، كما بين أوقاتها .. وفي تبينه - عليه الصلاة والسلام - لعددتها ما رواه البخاري بسنده عن طلحة بن عبيد الله ، أن اعرابيا جاء الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثائر الرأس ، فقال : يا رسول الله ، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة ؟ ، فقال : ( الصلوات الخمس ، ال أن تطوع ) ، فقال : أخبرني بما فرض الله علي من الصيام ؟ ، فقال : ( شهر رمضان ، إل أن تطوع شيئا ) ، فقال : أخبرني ما فرض الله علي من الزكاة ؟ .. فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشرائع الاسلام .. قال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق )<sup>١٣٣</sup> . هذا بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعددتها ، وأما بيانه - عليه الصلاة والسلام - لأوقاتها :

فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزيد بن ثابت ، لما فرغا من سحورهما ، قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الي الصلاة ، فصليا ، قلت لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة ، قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية<sup>١٣٤</sup> . وهذا وقت الظهر : قد صلاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في

٤٢٨ النحل : ٤٤

٤٢٩ البقرة : ٢٣٨

٤٣٠ ق : ٣

٤٣٦ الاسراء : ٧٨

٤٣٢ سورة البقرة : ٤٣ و ١١٠ ، وسورة النور : ٥٦

٤٣٣ رواه البخاري ، ج ١ ص ٢٥ ، كتاب الايمان ، باب الزكاة من الاسلام ، رقم ٤٦

وأخرجه مسلم ، ج ١ ص ٤٠ ، في الايمان ، باب بيان الصلوات التي هي احدى اركان الاسام ، رقم ١١

٤٣٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٧٨ ، باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر ، رقم ١٨٢١

وقته الأول - وقت الزوال - روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زغت الشمس ، فصلى الظهر . فذكر الساعة ، فذكر ان فيها أمورا عظاما<sup>١٣٥</sup> . .  
كما صلى الظهر في وقته ، أباح الإبراد في شدة الحر . روى البخاري بسنده عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ابردوا بالشهر ، فإن شدة الحر في—ح جهنم )<sup>١٣٦</sup> .

وكذلك صلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - العصر في وقته الأول ، روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي العصر والشمس مرتفعة ، فيذهب الذاهب الي العواني ، فيأتيهم والشمس مرتفعة . والعوالي : في المدينة على أربعة أميال أو نحوه<sup>١٣٧</sup> .

وكذلك صلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - المغرب في وقته الأول ، روى البخاري بسنده عن عطاء بن صهيب ، قال سمعت رافع بن خديج يقول : كنا نصلي المغرب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فينصرف أحدنا ، وانه ليبصر مواقع نبلة<sup>١٣٨</sup> .

وصلي - عليه الصلاة والسلام - العشاء في وقتها الأول ، وأخرها ، روى البخاري بسنده عن عروة ، أن عائشة أخبرته ، قالت : اعتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة بالعشاء ، وذلك قبل ان يفشوا الاسلام ، فلم يخرج ، حتى قال عمر : نام النساء والصبيان ، فخرج فقال لأهل المسجد : ( ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم )<sup>١٣٩</sup> .

وكما بين - عليه الصلاة والسلام - عدد الصلوات في اليوم واللييلة ، وبين أوقاتها ، بين عدد ركعات كل صلاة في الحضر ، وعددها في السفر ، وبين أن صلاة الظهر والعصر والعشاء تكون في السفر قصرا ، ثنتين ،

٤٣٥	صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٠ ، باب وقت الظهر عند الزوال ، رقم ٥١٥
٤٣٦	صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٩٩ ، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر ، رقم ٥١٣
٤٣٧	صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٢ ، باب وقت العصر ، رقم ٥٢٥
	أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التكيير بالعصر ، رقم ٦٢١
٤٣٨	صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠٥ ، باب وقت المغرب ، كتاب الصلاة رقم ٥٣٤
٤٣٩	صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٠٧ ، باب فضل العشاء ، رقم ٥٤١

وأن صلاة المغرب والصبح عدد ركعاتها لا تتغير في السفر أو الحضر<sup>٤٤٠</sup> .

٢ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصوم :

جاء في القرآن الكريم في أحكام الصوم مجملا لقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون »<sup>٤٤١</sup> ..  
وقوله تعالى : « أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر »<sup>٤٤٢</sup> .

وقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »<sup>٤٤٣</sup> .  
وجاءت السنة موضحة ومبينة لما جاء في تلك الآيات مما هو مذكور في كتب الصحاح .

وعلى سبيل المثال ، فقد جاء في القرآن الكريم ، قوله تعالى :  
« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر »<sup>٤٤٤</sup> مجملا ..

وبينت السنة النبوية توضيح ذلك ، فقد روى البخاري بسنده عن عدي ابن حاتم ، قال : لما نزلت « حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود » عمدت الى عقال اسود والي عقال ابيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرت له ذلك ، فقال : ( إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار )<sup>٤٤٥</sup> .

٣ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للحج والعمرة :

قال الله تعالى : « ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »<sup>٤٤٦</sup> . وقال تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله »<sup>٤٤٧</sup> .

٤٤٠ السنة ومكانتها ، حمادة ، ص ١٤٨

٤٤١ البقرة : ١٣٨

٤٤٢ البقرة : ١٨٤

٤٤٣ البقرة : ١٨٥

٤٤٤ البقرة : ١٨٧

٤٤٥ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٧٧ ، باب قول الله تعالى : « كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من

الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » رقم ١٨١٧

٤٤٦ آل عمران : ٩٧

٤٤٧ البقرة : ١٩٦

فقد جاءت الأحكام مجملة ، فبينت السنة ذلك تفصيلا ، عن أنس :  
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله عز وجل : « من استطاع اليه  
سبيلا » . قال : قيل يا رسول الله ، ما السبيل ؟ . قال : ( الزاد  
والراحلة )<sup>٤٤٨</sup> .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - مواقيت الاحرام التي  
يهل منها من أراد الحج أو العمرة أو مما يحاذيها ، بيانا لقوله تعالى :  
« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج  
عميق »<sup>٤٤٩</sup> .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أجملته الآية ، عن  
عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - قال : ( يهل أهل المدينة من ذي الحليفة و أهل الشام من الجحفة ،  
وأهل نجد من قرن ) .

قال عبدالله : وبلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :  
( ويهل أهل اليمن من يلملم ) .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - جميع مناسك الحج  
بأحاديث صحيحة ، سواء من ناحية عدد مرات الطواف بالبيت الحرام ،  
والسعي بين الصفا والمروة ، واعمال الحج ، والفدية ، وقال كلمته الخالدة  
وحجته الباقية التي توجب على المسلمين جميعا العمل بها في الحديث  
النبوي الشريف . عن جابر : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،  
رمى الجمرة يوم النحر على راحلته ، وقال : ( خذوني عني مناسككم ،  
فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد ... )<sup>٤٥٠</sup> .

#### ٤ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمعاملات :

وردت آيات في القرآن الكريم تحرم الزنى ، وآيات أخرى أباحت  
النكاح ، وسكت القرآن الكريم عن حكم النكاح المخالف للشرع ، كزواج  
المرأة بغير إذن وليها مثلا ، وأوضحت السنة بطلان ما لم تراخ فيه أصول  
العقد الزوجي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أيما امرأة

٤٤٨ رواه الدارقطني ، ج ١ ص ٢١٧ ، رقم ١١

سنن ابن ماجه ج ٢ ، ص ٩٦٧ ، باب ما يوجب الحة ، رقم ٢٨٩٧

نيل الإوطار ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

٤٤٩ الحج : ٢٧

٤٥٠ جامع بيان العلم وفضله ، ١/١١٣

نكحت بغير إذن مواليتها ، فنكاحها باطل (١١٠) .  
ومن هذا القبيل ، ان القرآن الكريم حرم الميتة تحريماً قاطعاً في  
مواطن متعددة ، قال تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم  
الخنزير ... » (١١١) . وقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم  
الخنزير وما أهل لغير الله ... » (١١٢) .

وقوله تعالى : « قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم  
يطعمه ، إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير .. » (١١٣) .  
فخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - ميتة البحر بالحل ،  
واستثنائها من الحكم العام ، وقال - عليه الصلاة والسلام - : ( هو الطهور  
ماؤه ، الحل ميتته ) (١١٤) .

وأكد هذا التخصيص بقوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث  
النبوي : ( أحلت لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان : فالجراد والحوت ، وأما  
الدمان : فالكبد والطحال ) (١١٥) .

ومن الأشياء التي بينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله  
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون  
تجارة عن تراض منكم » (١١٦) .. ظاهر النص اباحة كل العقود التي تقع بين  
المتبايعين عن تراض . ولكن السنة خصصت هذا العام ، وبينت انه مراد  
به الخصوص عن نهي بيوع وقعت عن تراض من ذلك :

بيع الخمر .. قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر  
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم  
تفلحون » (١١٧) .

لم تشر الآية الكريمة عن تحريم البيع أو التعرض له ، وإنما كان  
التحريم في تناول ، وعلى ظاهر الآية فهو مباح في البيع اذا وقع عن  
تراض بين المتبايعين ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حرم بيع  
الخمر ..

- 
- ٤٥١ سنن ابي داود ، ٢٩/٢ ، رقم ٢٠٨٣ ، باب في الولي من رواية السيدة عائشة - رضي الله عنها - .  
٤٥٢ البقرة : ١٧٣  
٤٥٣ المائدة ٣  
٤٥٤ الأنعام : ١٤٥  
٤٥٥ سنن ابي داود ، ٢١/١ ، رقم ٨٣  
٤٥٦ سبل السلام ، محمد بن اسماعيل الصنعاني ، ٧٦/٤ > شرح بلوغ المرام ، لابن حجر > .  
٤٥٧ النساء : ٢٩  
٤٥٨ المائدة : ٩٠

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نزلت آيات سورة البقرة عن آخرها . خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ( حرمت التجارة في الخمر )<sup>٤٥٩</sup> .

ومن البيوع المحرمة بيع المنابذة والملاسة : وان السنة النبوية خصصت العموم بتحريم بيع المنابذة<sup>٤٦٠</sup> والملاسة<sup>٤٦١</sup> .

روى البخاري أن أبا سعيد - رضي الله عنه - أخبره : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المنابذة [ وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع الى الرجل قبل أن يقبله أو ينظر اليه ] .

#### ٥ - بيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحدود :

قال الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »<sup>٤٦٢</sup> فكان ظاهر هذا القول بوجوب القطع على كل سارق بسرقة كثر أو قلت ، حتى دلت السنة أن المراد به بعض السراق ، وهو من بلغت سرقة في القيمة ربع دينار فصاعدا ، واما من لم تبلغ قيمة سرقة هذا القرد فلا قطع فيه .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا )<sup>٤٦٣</sup> .

#### والقول الحق ان السنة هادية ومرشدة الى الطريق المستقيم ، من

اتبعها نجا ، ومن حاد عنها ضل وغوى . .

٤٥٩ صحیح البخاری ، ج ٢ ص ٧٧٥ ، رقم ٢١١٣

٤٦٠ المنابذة : وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع الى رجل قبل ان يقبله او ينظر اليه .

صحیح البخاری ، ج ٢ ص ٧٥٤ ، رقم ٢٠٣٩

اخرجه مسلم في البيوع ، باب ابطال بيع الملاسة والمنابذة ، رقم ١٥١١

٤٦١ الملاسة : لس الثوب ، لا ينظر اليه .

٤٦٢ المائة : ٣٨

٤٦٣ صحیح البخاری ، ج ٦ ص ٢٤٩٢ ، باب الحدود ، رقم ٦٤٠٧

اخرجه مسلم في الحدود ، باب حد السرقة ونصابها ، رقم ١٦٨٤

ج - السنة النبوية هي المغسرة للقرآن الكريم :

لقد كانت السنة النبوية السد المنيع للتيارات الفاسدة التي أرادت أن تعبت بالشريعة عن تفسير القرآن الكريم - التفسير الباطني - وهو التفسير حسب الأهواء الذي يوافق الزنادقة وأهل الضلالات ، فوقفت السنة بحجيتها الدامغة امام العابثين تفسر القرآن ، فكانت صواعق محرقة على أهل الباطل ردت كيدهم في نحورهم ، ونوراً لأهل الحق يسترشدوا بها لمعرفة الشريعة من نور القرآن ومنهله العذب .  
عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : > كان جبريل ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن ، والسنة تفسر القرآن <<sup>١٦٤</sup> .

وعلى سبيل المثال مما جاء في تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات القرآنية :

- ١ - فسر - عليه الصلاة والسلام - قوله تعالى : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » بأنه : الشرك<sup>١٦٥</sup> .
- ٢ - ( وأن الذي رآه عند نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ) هو : جبريل<sup>١٦٦</sup> .
- ٣ - وأن ( ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ) انها : النخلة<sup>١٦٧</sup> .
- ٤ - وكما فسر ( اتخاذ أهل الكتاب أحبازهم ورهبانهم أربابا ممن دون الله ) بأن ذلك : باستحلال ما أحلوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرموه من الحلال<sup>١٦٨</sup> .

وهذا التفسير للقرآن الكريم عن طريق السنة هو الذي يسميه العلماء : التفسير بالمأثور ، وهو تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة النبوية .  
وقد ذكر ابن تيمية - رحمة الله - في كتاب > مقدمة في أصول الفقه < ما نصه :

> فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد

٤٦٤ الكفاية في علم الرواية ، ص ١٥

٤٦٥ اعلام الموقعين ، الجزء الثاني ، ص ٢٣

٤٦٦ المصدر السابق .

٤٦٧ المصدر السابق .

٤٦٨ المصدر السابق .

فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر <sup>١٧١</sup> .  
فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له ،  
بل قد قال الامام أبو عبدالله محم بن إدريس الشافعي : < كل ما حكم به  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مما فهمه من القرآن > <sup>١٧٢</sup> .  
قال الله تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس  
بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » <sup>١٧٣</sup> . وقال تعالى : « وأنزلنا  
إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلمهم يتفكرون » <sup>١٧٤</sup> .  
وعلى هذا الأساس فلا بد عند تفسير القرآن من الرجوع الى السنة  
إن وجد منها شيء يفسر النص القرآني ، وإلا نظرنا في تفسير السلف  
الصالح ، وإلا اتبعنا مطلق الفهم العربي الصحيح <sup>١٧٥</sup> .  
إن الابتعاد عن التفسير بالمأثور عند وجوده هو الهوة السحيقة بيننا  
وبين إدراك حقيقة القرآن الكريم ومقاصده ، وهو السكين الذابحة لتمزيق  
الامة وتفريقها ، وفح المجال للفرق الضالة ان تنفث سمومها من الخرافات  
والبدع في الامة الإسلامية .

ولقد قال الشيخ محمد عبده في كتابه < مشكلات القرآن الكريم > ما  
يؤيد هذا المعنى الذي ذكرته ، حيث قال :  
< التفسير عند قومنا اليوم ، ومن قبل اليوم بقرون ، هو عبارة عن  
الاصلاح على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير على ما في كلامهم من  
اختلاف يتنزه عنه القرآن > ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا  
كثيرا > وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم  
معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب ثم يبتثونه في الناس  
ويحملوهم عليه > <sup>١٧٦</sup> .

> إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه ،  
وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا ، وعن سنة نبيه الي  
بين لنا ما نزل إلينا ، يسألنا هل بلغتكم الرسالة ؟ هل تدبرتم ما بلغتم ؟  
هل هقلتم ما عنه نهيتم وما به أمرتم ؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن  
واهدتكم بهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - واتبعتم سنته ؟ .. عجباً

٤٦٩ مقدمة في أصول التفسير ، ص ٩٣

٤٧٠ المصدر السابق .

٤٧١ النساء : ١٠٥

٤٧٢ النحل : ٤٤

٤٧٣ قصة التفسير ، ص ٢٢

٤٧٤ مشكلات القرآن الكريم ، ص ٢٠

لنا ننتظر هذا السؤال ، ونحن في هذا الاعراض عن القرآن وهديه ، فيا للغفلة والغرور <sup>٤٧٥</sup> .

### ب - القسم الثاني - الجانب الإجتماعي :

ويمكن تقسم هذا الجانب الى قسمين :

- أ - الجانب الايجابي .
- ب - الجانب السلبي .

الجانب الايجابي :

وهو جانب مهم في بناء المجتمع الصالح ، واعني بهذا الجانب هو مقاومة الجوانب التي تصدع المجتمع وتهدم بين أفراده . . فكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير مصلح لبناء هذا الجانب ووضع السدود المتينة . كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجاهد كل رذيلة بلسانه وسيفه ، ويعلم أصحابه ما ينفعهم ، ويجنبهم ما يضرهم ، ويؤدبهم ويهذبهم بالأفعال والأقوال ، والاعتداء بسيرته النقية الظاهرة ، وينطق في أحاديثه بالحكم وجوامع الكلم التي لم يسبق اليها أحد من البشر ، ويحكم بين الناس بالعدل ، فكان مربيا وواعظا ومرشدا وبشيرا ونذيرا . فقد جمع بين الدين والدنيا ، وأخذ بالسعادة الى درجة فاقت القوة البشرية ، اجتمعت الفضائل فيه ، وتنزه عن المعاييب ، واصطفاه الله من بين خلقه لتبليغ رسالته ، وطهره من الرجس ، وعصمه من الناس ، وحفظه من كل سوء ، وأدبه فأحسن تأديبه .

ومن هذه الجوانب على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

#### ١ - محاربة الكذب :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( إن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا . وان الكذب يهدي الى الفجور ، ان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ) <sup>٤٧٦</sup> .

٤٧٥ المصدر السابق ، ص ٢٠ - ٢١

٤٧٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦١ ، باب ما ينهى عن الكذب ، رقم ٥٧٤٣

اخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، رقم ٢٦٠٧

ففي الحديث النبوي الشريف تهديد الكذاب بالعذاب الشديد ، ومقت الله له ، وبطمس الله على قلبه ، فلا يوفق الى الخير ، بل يعيش في الضلال والحيرة .

٢ - ذم الكبر :

عن حارثة بين وهب الخزاعي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر )<sup>١٧٧</sup> .  
فقد حارب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكبر ، وتوعد صاحبه بالنار ، لأنه يفرق النفوس ، ويولد الاحتقار بين الغني والفقير ، أو القوي والضعيف ، فإنه داء يشل المجتمع .

٣ - النهي عن عقوق الوالدين وشهادة الزور :

سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكبائر ؟ فقال : ( الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ) فقال : ( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ) قال : ( قول الزور ) أو قال : ( شهادة الزور ) .. قال شعبة : وأكثر ظني انه قال : شهادة الزور<sup>١٧٨</sup> .

٤ - تحريم النميمة :

عن عماد قال : كنا مع حذيفة و فقييل له : إن رجلا يرفع الحديث الى عثمان ، فقال حذيفة : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( لا يدخل الجنة قتات )<sup>١٧٩</sup> ، وفي رواية : النمام . < القتات : النمام > و قيل هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ذلك ، ثم ينقل ما سمعه منهم<sup>١٨٠</sup> .

وقال الامام الغزالي : < .. بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول اليه . وثالث : وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال .. ><sup>١٨١</sup> .

٤٧٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٥ ، باب الكبر ، رقم ٥٧٢٣

٤٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٠ ، عقوق الوالدين من الكبائر ، رقم ٥٦٣٢

٤٧٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٠ ، باب ما يكره من النميمة ، رقم ٥٧٠٩

٤٨٠ حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥١

٤٨١ الاذكار < للنووي > ، ص ٣٠٩

٥ - النهي عن السب واللعن :

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة )<sup>١٨٢</sup> .

٦ - بشاعة الغيبة :

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم )<sup>١٨٣</sup> .

> شبه المغتاب بأكل لحوم الناس <<sup>١٨٤</sup> .

وقد وصفهم بمثل الذين يجرحون وجوههم بأظفار من نحاس ، وذلك لقبح الفعل الذي يقومون به وهو الغيبة ، وان مصير فاعله - إذا لم يتب - الي الذاب الشديد جزاء إيذائه للناس .

٧ - نذير الظلم والبخل :

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم )<sup>١٨٥</sup> .

فالحديث الشريف فيه : الحث على اجتناب الظلم والبخل ، وسلوك سبيل العدل والكرم والسخاء . . والظلم من الذنوب الكبيرة التي تجعل فاعلها في كربات شديدة وعقاب أليم يوم القيامة<sup>١٨٦</sup> .

> والتكالب على الدنيا ، والحرص عليها ، والبخل بها ، كثيرا ما يجر

٥ - النهي عن السب واللعن :

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة )<sup>٤٨٢</sup> .

٦ - بشاعة الغيبة :

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم )<sup>٤٨٣</sup> .  
> شبه المغتاب بأكل لحوم الناس <<sup>٤٨٤</sup> .

وقد وصفهم بمثل الذين يجرحون وجوههم بأظفار من نحاس ، وذلك لقبح الفعل الذي يقومون به وهو الغيبة ، وان مصير فاعله - إذا لم يتب - الي الذاب الشديد جزاء إيذائه للناس .

٧ - تحريم الظلم والبخل :

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم )<sup>٤٨٥</sup> .

فالحديث الشريف فيه : الحث على اجتناب الظلم والبخل ، وسلوك سبيل العدل والكرم والسخاء .. والظلم من الذنوب الكبيرة التي تجعل فاعلها في كربات شديدة وعقاب أليم يوم القيامة<sup>٤٨٦</sup> .

> والتكالب على الدنيا ، والحرص عليها ، والبخل بها ، كثيرا ما يجر الناس الي المعاصي والآثام ، ويوقعهم في الفواحش والمنكرات <<sup>٤٨٧</sup> .

٤٨٢ رواه مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٤ ، باب لعن النواب وغيرها ،

٤٨٣ رواه ابو داود ، ج ٤ ص ٢٦٩ ، رقم ٤٨٧٨ ، كتاب الادب ، باب في الغيبة .

٤٨٤ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ٢ ص ١٠٤٢ .

٤٨٥ صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٨ ، باب تحريم الظلم .

٤٨٦ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٢٣٠ .

٤٨٧ المصدر السابق .

٨ - منع الهجر بين المسلمين :

عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام )<sup>٤٨٨</sup> .  
فقد حرم الاسلام التقاطع بين المسلمين لما له من أثر سيء على الأمة من التمزق والشتات والضعف .

٩ - النهي عن التحاسد :

أ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا . وكونوا عباد الله إخوانا )<sup>٤٨٩</sup> .

ب - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب )<sup>٤٩٠</sup> . أو قال : ( العشب ) .  
الحديث يحذر من الحسد ، وهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا<sup>٤٩١</sup> .

وقد شبه الحسد بالنار ، والأعمال بالحطب أو العشب ، وهو دليل على سرعة احباط الأعمال وذررها كالرماد في مهب الريح ، فا يقدر صاحبها علي ضيء منها ، فيعود يوم القيامة صفر اليدين ، وهو منتهى الحسرة التي ينفطر منها القلب و يقطر منها دما ، عندما يفاجأ المرء بأن أعماله احبطت بسبب حسده .

ب - الجانب السلبي :

وهذا الجانب يقوم المجتمع ويقويه ، ويجعل الصلة بين الأفراد متينة ، وكانت هذه الصفات تتمثل في خاتم الأنبياء عمليا ، فكان جامعا لكل صفات الكمال والخير ، والنزاهة ، والتواضع ، والمروءة ، وصلة

٤٨٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٦ ، باب الهجر ، رقم ٥٧٢٧

أخرجه مسلم ، في البر والصلة والاداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ، رقم ٢٥٦٠

٤٨٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٥٣ ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، كتاب الادب ، رقم ٥٧١٧

٤٩٠ سنن أبي داود ، ج ٤ ص ٢٧٦ ، باب الحسد ، رقم ٤٩٠٣

٤٩١ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، باب تحريم الحسد ، ص ١٠٧٩

الرحم ، والعدل ، والزهد ، والسخاء ، والشجاعة ، والعلم ، والأدب ،  
والرحمة بالضعيف ، والعطف على اليتيم ، والمسلمين .. وكل سجايا  
النقاء والصفاء ، فهو حريص عليها بأشد من حرصها على نفسها .  
ومن الأمثلة علي بعض الجوانب هي :

#### ١ - البر والصلة :

أ - صلة الرحم < بر الوالدين > : عن عبدالله قال : سألت النبي -  
صلى الله عليه وسلم - أي الأعمال أحب الى الله ؟ قال : ( الصلاة علي  
وقتها ) . قال : ثم أي ؟ . قال : ( ثم بر الوالدين ) . قال : ثم أي ؟ . قال : (  
الجهاد في سبيل الله )<sup>٤٩٢</sup> . قال : حدثني بهن ، ولو استزدته لزداني .

ب - من وصل الرحم وصله الله : عن أبي هريرة - رضي الله عنه : -  
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الرحم شجنه<sup>٤٩٣</sup> من الرحمن  
، فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته )<sup>٤٩٤</sup> .

ج - صلة الرحم ولو كان مشركا : وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق  
- رضي الله عنهما - قالت : قدمت على أمي<sup>٤٩٥</sup> وهي مشركة في عهد  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستفتيت رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - ، قلت : قدمت على أمي وهي راغبة<sup>٤٩٦</sup> ، أفأصل أمي ؟ . قال :  
( نعم ، صلي أمك )<sup>٤٩٧</sup> .

ففي الحديث النبوي الشريف يبيح صلة القريب المشرك مادام غير  
محارب ، وخاصة الوالدين .

- ٤٩٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢٧ ، باب البر والصلة ، رقم ٥٦٢٥
- ٤٩٣ < شجنه > : يجوز في الشين الضم والكسر والفتح ، وهي في الأصل : عروق الشجر المشتبكة .  
< من الرحمن > : اشتق اسمها من هذا الاسم الذي هو صفة من صفات الله تعالى .
- والمعنى : ان الرحم أثر من آثار رحمته تعالى ، مشتبكة بها ، فمن قطعها كان منقطعاً من رحمة الله عز  
وجل ، ومن وصلها وصلته رحمة الله < حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٢٣٢ >
- ٤٩٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٢ ، باب من وصل وصله الله رقم ٥٦٤٢
- ٤٩٥ اسم امها : قبيلة بنت عبدالعزيز < نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣١٣ >
- ٤٩٦ < وهي راغبة > أي طامعة عندي ، تسألني شيئاً < نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣١٣ >
- ٤٩٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٢٣٠ ، باب صلة المرأة أمها ولها زوج ، رقم ٥٦٣٤

٢ - مساعدة المحتاجين :

أ - أجر من يعول يتيما : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :  
( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ) وقال بأصبعيه السبابة والوسطى<sup>١٨٨</sup> .  
ب - فضل الساعي على الأرملة والمسكين : عن صفوان بن سليم ،  
يرفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الساعي على الأرملة  
والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالمجاهد في سبيل الله )<sup>١٨٩</sup>

٣ - صلة الجار :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( من كان يؤمن بالله واليوم  
الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه  
جائزته ) . قال : وما جائزته يا رسول الله ؟ . قال : ( يوم وليلة ،  
والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه . ومن كان يؤمن  
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت )<sup>١٩٠</sup> .

٤ - ثواب طيب الكلام :

قال أبو هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( الكلمة  
الطيبة صدقة )<sup>١٩١</sup> .

٥ - استغلال الصحة والفراغ :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - نعمتان مغبون فيهما كثير من  
الناس : الصحة والفراغ<sup>١٩٢</sup> .

٦ - النظام الاجتماعي في اللقاء :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إذا لقي أحدكم أخاه  
فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم  
عليه )<sup>١٩٣</sup> .

٤٩٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٧ ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم ٥٦٥٩

٤٩٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣٧ ، باب الساعي على الأرملة رقم ٥٦٦٠

٥٠٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٤٠ - ٢٢٤١ ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره رقم ٥٦٧٢

أخرجه مسلم في الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، ٠٠٠ ، باب الضيافة ونحوها ، رقم ٤٨

٥٠١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٥٥٤١ ، باب : طيب الكلام .

٥٠٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥٧ ، باب ما جاء في الرقاق ، وان لا عيش الا عيش الآخرة ، رقم ٦٠٤٩

٥٠٣ رواه أبو داود ، في كتاب الأدب ، ج ٤ ص ٣٥١ رقم ٥٢٠٠

٧ - آداب المجالس :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أحق به )<sup>٥٤</sup> .

٨ - إزالة الأذى عن الطريق :

أ - عقوبة من يؤذي المسلمين في طرقهم : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( من أذى المسلمين في طرقهم ، وجبت عليه لعنتهم )<sup>٥٥</sup> .

ب - ثواب من أزال الأذى عن الطريق : عن أبي عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة ، في شجرة قطعها من ظهر الطريق ، كانت تؤذي المسلمين )<sup>٥٦</sup> .

٩ - كنوز اجتماعية متنوعة :

عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني )<sup>٥٧</sup> .  
حديث صحيح .. قال سفيان : العاني : الأسير .

١٠ - مثل إجتماعية عليا تفوق الخيال :

أ - الشفقة والرحمة في الحرب : عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : > نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء والصبيان <<sup>٥٨</sup> .

ب - النهي عن النهب والمثلة : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه نهى عن النهبة والمثلة .

ج - الرحمة مع الحيوان : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب

٥٠٤ اخرج مسلم في السلام ، ج ٤ ص ١٧١٥ رقم ٢١٧٩

٥٠٥ الترغيب والترهيب > للمنذري < ج ١ ص ١١١

٥٠٦ اخرج مسلم في كتاب البر والصلة ، ج ٤ ص ٢٠٢١ رقم ١٩١٤

ورواه البخاري ، ج ١ ص ٢٢٣ رقم ٦٢٤ ، كتاب الجماعة والامامة مع اختلاف باللفظ .

٥٠٧ شرح السنة > للامام البيهقي < ج ٥ ص ٢١٤

٥٠٨ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٩٨ ، رقم ٢٨٥٢ ، باب الجهاد . واخرجه مسلم في الجهاد ، رقم ١٧٤٤

يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له (١٠٠) . قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ . فقال : ( في كل ذات كبد رطبة أجر ) .

فهذه المثل الاجتماعية ، ليست ألفاظ رنانة ، وعبارات إنشائية ، وإنما قواعد شرعية تعيش مع المسلم ، ويتقرب بها المؤمن الي ربه ، ويرجو ثواب ذلك ..

### ج - القسم الثالث - الجانب الطبي :

ويقسم هذا الجانب الي الأقسام الآتية :

- أ - الطب الوقائي .
- ب - الطب العلاجي .
- ج - الطب النفسي .

أ - الطب الوقائي :

ويشتمل على ما يأتي :

١ - الاعتدال في الماكل والعمل :

لقد اهتم الاسلام في الاعتدال في كل شيء وعدم التفريط والافراط ، ولقد ورد ذلك كثير في السنة النبوية والتزم به السلف الصالح ، وابتعدوا عن الاسراف ، ومما جاء في كراهية كثرة الأكل :

عن مقام بن معدي كرب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ) (١٠١) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

٥٠٩ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢٨ ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم ٥٦٦٢

٥١٠ سنن الترمذي ، ج ٤ ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، رقم ٢٣٨٠

ومما جاء في الاعتدال في العمل أو الطاعة : وعن أنس - رضي الله عنه - قال : > جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليهم فقال : ( أنتم الذين قلتُم كذا وكذا ؟ ، أما والله إني لأخشاكم لله ، واتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني )<sup>٥١١</sup> .

فبين الحديث ان من ( رغب عن سنتي ) مال عن طريقتي وأعرض عنها ، ( فليس مني ) أي ليس بمسلم ، إن كان ميلا عنها كرها لها أو عن عدم اعتقاد بها . وان كان غير ذلك : فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة ، التي لا تشدد فيها ولا عنت<sup>٥١٢</sup> .

### ٢ - النظافة :

وهي جانب مهم في الطب الوقائي ، وهي قاعدة ثابتة ومهمة لا تتغير بتقدم الطب ، وقد اهتم الاسلام بالنظافة بكل شيء ، وهو يدخل في التشريع الاسلامي ويتعبد به ، حيث ان الاسلام أوجب الغسل يوم الجمعة ، والغسل من الجنابة ، والوضوء ، ونظافة البدن والثوب ، والمكان في الصلاة .. وهذه صفة ينفرد بها المسلم ويتميز عن الدنيا بأكملها ، وهي مفخرة وتاج يشع على شعوب العالم لا بل لا يملكها حتى اللبيب المتخصص ، لان الامور التعبدية لا يلتزم بها الا من يعتقدها ، والعلم بالشيء لا يلزم صاحبه التطبيق ، ما لم تكن قوانين جزاء تلزمه بذلك .

ومن بعض الأمثلة على ذلك :

أ - الغسل يوم الجمعة : عن ابي سعيد الخدري - رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ) .

٥١١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٩٤٩ ، باب ترغيب في النكاح ، رقم ٤٧٧٦

اخرجه مسلم في النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، رقم ١٤٠١

٥١٢ حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٩٤٩

ب - الغسل من الجنابة : عن ابن عباس قال ، قالت ميمونة : وضعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماءً يغتسل به ، فأفرغ على يديه ، فغسلهما مرتين مرتين أو ثلاثاً ، ثم أفرغ بيمينه على شماله ، فغسل مذاكيره ، ثم ذلك يده بالأرض ، ثم مضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ويديه ، وغسل رأسه ثلاثاً ، ثم أفرغ على جسده ، ثم تنحى من مقامه ، فغسل قدميه<sup>٥١٣</sup> .

ج - الوضوء : عن همام بن منبه ، انه سمع أبا هريرة يقول ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ )<sup>٥١٤</sup> .

والوضوء : طهارة مائية تتعلق بالوجه والرأس والرجلين ، انعقد اجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى يومنا هذا ، فصار معلوماً من الدين بالضرورة<sup>٥١٥</sup> .  
أما الوضوء : هو تنظيف الاعضاء الظاهرة من الجسم . . والنظافة تبعد عن الانسان كثيراً من الأمراض ، إن القذارة تساعد على وجود القمل الذي ينقل الحمى التيفوسية ، وهناك أمراض أخرى تنتقل بالذباب<sup>٥١٦</sup> .  
وان نظافة الفم عدة مرات في اليوم من أهم أسباب الوقاية من مرض الاسنان واللثة ، وكذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر<sup>٥١٧</sup> .

ولقد حارب الاسلام جميع القاذورات ، ولا تقبل صلاة الا في المكان الطاهر والثوب الطاهر والبدن الطاهر والوضوء بماء طاهر ، وكل ذلك ورد نصوص ثابتة من الكتاب والسنة .

ولقد نظر الاسلام نظرة عميقة الى الاهتمام بالنظافة وسلط انوارا ساطعة ومكبرات كاشفة لكل دنس ، تغيب دقتها علي العاقل اللبيب ، وهي انه حجب للمسلم لبس البياض ، لان الدنس القليل يظهر فيها ، ولقد

٥١٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٠٤ ، باب تفريق الغسل والوضوء رقم ٢٦٢

٥١٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٦٣ ، باب لا تقبل الصلاة بغير وضوء رقم ١٣٥

اخرجه مسلم في الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، رقم ٢٢٥

سنن ابي داود ، ج ١ ص ١٦ ، باب فرض الوضوء ، رقم ٦

٥١٥ فقه السنة ، ج ١ ص ٣٦

٥١٦ الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية ، ص ٨٣

٥١٧ المصدر السابق .

وردت أحاديث نبوية صحيحة بذلك منها : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( البسوا البياض ، فانها أظهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم )<sup>٥١٨</sup> .

### ٣ - الرياضة :

لقد اهتمت الشريعة اهتماما كبيرا بجانب القوة ، ونجد الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحث المسلم على الحركة والقوة ، ونجد جانبا آخر من الرياضة يعيش معنا لانه يرافق العبادة ، وخاصة في الصلاة والحج والعمرة .. ومن الأحاديث التي وردت تحث على الرياضة والقوة :

أ - الرمي : عن عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله ، وارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الى من أن تركبوا ، ليس من اللهو<sup>٥١٩</sup> إلا ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة فانها نعمة تركها )<sup>٥٢٠</sup> . أو قال : ( كفرها ) .

ومن الأحاديث الأخرى عن الرمي : عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال ، مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على نفر من أسلم ينتضلون<sup>٥٢١</sup> ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( ارموا بني اسماعيل ، فان أباكم كان راميا و ارموا وانا مع بني فلان )<sup>٥٢٢</sup> . قال : فامسك احد الفريقين بأيديهم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ما لكم لا ترمون ؟ ) ، قالوا : كيف نرمي وانت معهم ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( ارموا فانا معكم كلكم )<sup>٥٢٣</sup> .

ب - السبق بين الخيل : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : أجرى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما ضمير من الخيل في الحفياء الى ثنية الوداع ، وأجرى ما لم يضمير من الثنية الى مسجد بني زريق ، قال

٥١٨ رواه النسائي ، ج ٢ ص ٢٤ ، رواه الحاكم في المستدرک ، ١٨٥/٤

٥١٩ قال الخطابي : المعنى ليس المباح من اللهو إلا . ورواية الترمذي ( كل شيء يلهو به فهو باطل ، الا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله ) . وسنن أبي داود ، ج ٣ ص ١٣

٥٢٠ سنن أبي داود ، ج ٣ ص ١٣ ، باب في الرمي ، رقم ٢٥١٣

٥٢١ < ينتضلون > : يتسابقون في الرمي > حاشية صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢

٥٢٢ < فلان > : أبي الأده ، وقيل اسمه سلمة بن ذكوان > حاشية صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢

٥٢٣ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٢ ، باب التحريض على الرمي ، رقم ٢٧٤٣ .

ابن عمر : وكنت فيمن أجرى<sup>١١١</sup> .

قال عبدالله : حدثنا سفيان قال : حدثني عبيد الله قال سفيان : بين الحفياء الي ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة ، وبين ثنية الي مسجد بني زريق ميل .

ج - السبق على الرجل : عن عائشة - رضي الله عنها - انها كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، قالت : فسابقته فسابقته على رجلي ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : ( هذه بتلك السبقة )<sup>١١٢</sup> .

هذه الأحاديث أمثلة من السنة الغنية بالأحاديث الكثيرة التي تربي المسلم علي القوة والعزة والكرامة .. وترافق العبادة كثير من الجوانب الرياضية التي يحصل عليها المسلم بدون تكلف وهي الجوانب التعبدية ، وتمتزج معها كامتزاج العروق والشرايين في جسم الكائن الحي ، فالمشي الي صلاة الجماعة ، والركوع والسجود والقيام هي خير رياضة ، وكذلك الطواف والسعي في الحج والعمرة كلها رياضة .

ويقول ابن القيم : > ولا ريب ان الصلاة نفسها فيها من حفظ البدن ، واذا به اخلاطه وفضلاته ، ما هو من انفع شيء له ، سوى ما فيها : من حفظ صحة الايمان ، وسعادة الدنيــــــــــــا والآخرة .. <<sup>١١٣</sup> .

وكل هذه الأحكام الشرعية وارده بأحاديث صحيحة عن الصادق الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم - .

#### ٤ - الابتعاد عن الأماكن الموبوءة بالمرض :

عن اسامة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها )<sup>١١٤</sup> .

في هذا الحديث النبوي الشريف ، يتبين لنا منه أن من دعا الي ( الحجر الصحي ) هي الأمة المحمدية على لسان رسولها ونبيها محمد -

٥٢٤ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣ ، رقم ٢٧١٣

اخرجه ابي داود في سننه ج ٣ ص ٢٩ ، رقم ٢٥٧٥ مع بعض الاختلاف في اللفظ .

اخرجه الترمذي . ج ٤ ص ٢٠٥ ، رقم ١٦٩٩

٥٢٥ سنن ابي داود ، ج ٣ ص ٣٠ ، رقم ٢٥٧٨

٥٢٦ الطب النبوي > ابن قيم الجوزية < ص ٢٣٠

٥٢٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٥٣٩٦ ، كتاب الطب . واخرجه مسلم في السلام ، ج ٤ ص ١٧٣٧ رقم ٢٢١٨

صلى الله عليه وسلم - .

وقال محقق مختصر الطب النبوي :

> وأول طرق الوقاية ( الحجر الصحي ) فلا يدخل أحد مدينة أو يخرج منها الا بشهادة التطعيم والحجر الصحي ، ومكافحة الفئران والبراغيث وعزل المصاب ومتابعة علاجه . وقد سبق الاسلام الشرائع في قانون الحجر الصحي<sup>٥٢٨</sup> .

والحجر الصحي الذي نادى به الاسلام يختلف عن الحجر الصحي الذي تنادي به الدول الاخرى ، حيث ان الاسلام جعل هذه القواعد الصحية من روح الشريعة الاسلامية ، ووضع على ذلك جزاءً بمنحه ثواب الشهادة لمن يموت في الطاعون ، والحديث الوارد عن ذلك هو ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( الطاعون شهادة لكل مسلم )<sup>٥٢٩</sup> .

ب - الطب العلاجي :

في هذا البحث لا يمكن الخوض في التفريعات والاشياء التي تحتمل احتمالات كثيرة ، ويحوم حولها الجدل المضمني ، وانما اذكر المواد الثابتة في كل زمان ومكان والتي هي بمثابة قواعد لبناء الهيكل الصحي للطب في جميع الأزمنة والتي لا تقل قيمتها عن التقدم العلمي .. ومن هذه الأدوية على سبيل المثال ما يأتي :

١ - الحبة السوداء :

عن ابن شهاب قال : أخبرني ابو سلمة وسعيد بن المسيب ، ان أبا هريرة أخبرهما : انه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٥٢٨ هامش مختصر الطب النبوي ، للسيوطي ، ص ٤٠

٥٢٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ١٠٤١ ، رقم ٢٦٧٥ . أخرجه مسلم ج ٣ ، الجزء السادس ، ص ٥٢ . أخرجه

الامام احمد في مسنده ، ج ٥ ، ص ٣١٠ ، ج ٣ ، ص ١٥٠ ، ج ٤ ، ص ٢١٠ ، ج ٥ ، ص ٨١ ، ج ٦ ، ص ٤٦٥ .

يقول : ( في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام )<sup>٥٢٠</sup> .  
فالحديث النبوي أورده أكثر كتب الحديث المعتمدة ، وهو صحيح ،  
وهو قاعدة عظيمة من قواعد الطب ، ويحتاج الى تجارب كثيرة ودقيقة ،  
ويوكل الأمر الي متخصصين من أصحاب الشمانر الاسلامية ، ولزمن  
طويل .

وقال الشيخ ابو محمد بن أبي جمرة : > تكلم ناس في هذا الحديث  
وخصوا عمومه ، وردوه الى قول أهل الطب والتجربة ، ولا خفاء في غلط  
قائل ذلك ، لإننا إذا صدقنا أهل الطب ومدار علمهم انما هو على التجربة ،  
التي بناؤها على ظن غالب ، فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى  
بالقبول من كلامهم .. أ . هـ ><sup>٥٢١</sup> .

ولا يعني ما قاله العلماء ان الدين الاسلامي يخالف العلم أو يناقضه  
، وانما يتريث بالأخذ بالقواعد العلمية بعد استقرارها وكمالها ، ولا  
تصطدم عند ذلك القواعد العلمية بالشريعة الاسلامية .

## ٢ - العسل :

فالعسل غذاء ودواء ، قديما وحديثا ، وهو مثار اعجاب الجميع ، ولقد  
عرفه الأقدمون وهم لازالوا في المغاور ، وغنوا به ، وظل العسل آلافا من  
السنين الحلو الصافي الوحيد بالنسبة للبشر ، وكانت له مكانة مرموقة ،  
فلقد كانت جميع شعوب الشرق الأوسط على الاطلاق تعمل على تخزين  
العسل بكميات كبيرة ، لانهم كانوا يعتقدون بالخلود<sup>٥٢٢</sup> .

وأقوال العلماء وتجاربهم عن العسل لا حصر لها ، والاستشفاء به من  
كثير من المراض ، ونجاحهم بذلك رفع شأن هذه المادة ، وأيد العلم صدق  
الاسلام بما قاله عن قيمة العسل ، ومن بعض ما قاله العلماء عن العسل :

أ - اثبت البروفيسور غولومب : > ان اضافة العسل الى جدول  
التغذية الخاص بالأطفال المرضى ، أدى الى اسراع شفائهم بشكل ملحوظ ،  
علاوة على الزيادة البينة في وزنهم ><sup>٥٢٣</sup> .

٥٢٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ، باب الحبة السوداء ، رقم ٥٢٦٤ . اخرج مسلم في باب التداوي بالحبة السوداء

ج ٤ ص ٢٥ الجزء السابع ، رقم ٢٢١٥ . اخرج الامام احمد في مسنده ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،

٢٤٢ ، ٣٨٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤ . ج ٥ ، ص ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ . ج ٦ ص ١٣٨ ، ١٤٦ .

واخرجه ابن ماجه ، ج ٢ ص ١١٤١ رقم ٣٤٤٧ ، اخرج الترمذي ، ج ٤ ص ٢٨٥ ، رقم ٢٠٤١ .

٥٢١ حاشية الشنواني على مختصر ابن ابيجمرة ، ص ٢١٦

٥٢٢ عن كتاب العسل ، بتصريف ، ص ١١

٥٢٣ العسل ، ص ٩٥

ب - وفي الموضوع الي نشره الطبيب السيني د.ل.يونغ على ان العسل علاج جيد لتقرحات الساق المزمنة<sup>٣٤</sup> .

ج - ومن مقالة الدكتور بولمان عن الضمادات العسلية يقول : > عندي كل المعطيات الايجابية كي أفكر بهذه المادة البسيطة التي تجيب على كل الأسئلة حول مشاكل الجروح والقروح المتقيحة ، فهي مادة غير محرشة ، وغير سامة .. ومضادة للجراثيم .. مغذية للجلد .. سهلة التحضير ، سهلة الاستعمال .. وفوق كل ذلك مادة جد فعالة <<sup>٣٥</sup> .

والموضوع عن العسل أوسع من أن يحيط به كتاب أو كتب ، ولكن خبر استدلال على اثبات المنافع الجمّة عن العسل هي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد كتاب الله عز وجل .. قال الله تعالى : « فيه شفاء للناس »<sup>٣٦</sup> .

عن أبي سعيد ، أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أخي يشتكي بطنه ، فقال : ( أسقه عسلاً ) . ثم أتاه الثانية ، فقال : ( أسقه عسلاً ) . ثم أتاه الثالثة ، فقال : ( أسقه عسلاً ) . ثم أتاه فقال : قد فعلت . فقال : ( صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، أسقه عسلاً ) .. فسقاه ، فبرأ<sup>٣٧</sup> .

فالحديث النبوي الشريف قد ثبتت صحته عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك لا يلتفت الى من يخالف معنى الحديث ، كائن من كان ، وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - وتكراره ( أسقه عسلاً ) هو تعليم لأمته للثبات على الحق ، والالتزام بصلافة وصراحة بنصوص الشريعة .

### ٣ - الاثمد :

عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( البسوا من ثيابكم البياض ، فانها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وان خير أكحالكم الاثمد : يجلو البصر ، وينب الشعر )<sup>٣٨</sup> .

٥٣٤ المصدر السابق ، ص ١٢٢

٥٣٥ المصدر السابق ، ص ١٢٥

٥٣٦ النحل : ٦٩

٥٣٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢١٥٢ ، في الطب ، رقم ٥٣٦٠ . أخرجه مسلم ج ٤ الجزء السابع ، ص ٢٦ .

أخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٤٠٩ ، رقم ٢٠٨٢ . أخرجه أحمد بن حنبل ، ج ٣ ص ١٩ ، ص ٩٢

٥٣٨ ابوداود ، ج ٤ ص ٨ ، في الطب رقم ٣٨٧٨ . أخرجه الترمذي ، ج ٤ ص ٣٨٨ ، في الطب رقم ٢٠٤٨ و ج

٤ ص ٢٣٤ في اللباس رقم ١٧٥٧ . وأخرجه النسائي ، ج ٤ الجزء الثامن ص ١٤٩ . وأخرجه ابن ماجه

، ج ٢ ص ١١٥٧ في الطب ، رقم ٣٤٩٧ . أخرجه أحمد ، ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٤٧ ، و ج ٣ ص ٤٧٦

قيل ان < الاثمد > : هو حجر الكحل الأسود .. ينفع العين ويقويها ، ويشد أعصابها ، ويحفظ صحتها ، ويذهب اللحم الزائد من القروح .. وينقي أوساخها ويجلوها ، ويذهب الصداع ، اذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق<sup>٥٣</sup> ..

٤ - الكمأة<sup>٥٤</sup> :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين )<sup>٥٥</sup> .

قد يسيء المرء طريقة العلاج ، فيقع في الخطأ ، فتدخل الظنون التي تضعف المسلم بارتباطه بشريعته ، ولذلك عليه ان يستعين بأهل الخبرة والتجربة وأصحاب العلم .

يقول صاحب كتاب < الطب النبوي > :

< فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها ، والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر ، والرمد الحار ( وقد اعترف فضلاء الأطباء : بأن ماءها يجلو العين ، وممن ذكره المسحي وصاحب القانون ، وغيرها )<sup>٥٦</sup> .

٥ - السواك :

أ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لولا أن أشق على أمتي أو على الناس ، لأمرتهم

٥٣٩ حاشية مختصر الطب النبوي ، ص ٨٠

٥٤٠ الكمأة : نبات لا ورق له ولا ساق ، توجد في الأرض من غير ان تزرع < حاشية صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢١٥٩

٥٤١ اخرج البخاري ، ج ٥ ص ٢١٥٩ ، رقم ٥٣٨١ . اخرج مسلم ، ج ٣ جزء ٦ ص ١٢٤ ، باب فضل الكمأة

اخرج الترمذي ، ج ٤ ص ٤٠١ ص ٢٠٦٧

٥٤٢ الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، ص ٢٣٥

بالسواك مع كل صلاة) "٢٣ .

ب - عن حذيفة قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يشوص فاه " .

ج - قالت عائشة - رضي الله عنها - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( مطهرة للغم ، مرضاة للرب ) "٢٤ .

من هذه الأحاديث النبوية الشريفة يستنبط المسلم أحكاما .. منها :

١ - حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته علي السواك والترغيب الشديد فيه .

٢ - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يستاك كثيرا ، وخاصة عند استيقاظه وعند الوضوء وعند الصلاة .

٣ - ان استخدام السواك يثاب عليه المسلم ، ويكون صحة لجسمه ، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم - : ( مطهرة للغم ، مرضاة للرب ) .

وفي السواك عدة منافع : يطيب الفم ، ويشد اللثة ، ويقطع البلغم ، ويجلو البصر ، ويصح المعدة ، ويصفي الصوت ، ويعين على هضم الطعام ،

٥٤٣ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ ، باب سواك يوم الجمعة ، كتاب الجمعة ، رقم ٨٤٧ .

وأخرجه مسلم ج ١ الجزء الأول ، باب السواك ، ص ١٥١ .

أخرجه الترمذي ، ج ١ ص ٣٤ ، باب ما جاء في السواك ، رقم ٢٢

وأخرجه النسائي ، ج ١ الجزء الأول ص ١٢ ، باب الرخصة في السواك بالعشي للصائم ، كتاب الطهارة .

وأخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٥ ، باب السواك ، كتاب الطهارة .

وأخرجه الامام احمد في مسنده ، ج ١ ص ٨٠ ، ١٢٠ ، ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ج ٤ ص ١١٤ ، ١١٦ ، ج ٥

ص ١٩٣ ، ٤١٠ ، ج ٦ ص ٣٢٥ ، ٤٢٩ .

وأخرجه ابو داود ج ١ ص ١٢ ، رقم : ٤٧ ، باب السواك ، كتاب الطهارة .

٥٤٤ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ ، باب السواك يوم الجمعة ، رقم ٨٤٩ .

وأخرجه مسلم ، ج ١ الجزء الأول ص ١٥٢ ، باب السواك

وأخرجه النسائي ، ج ١ الجزء الأول ص ٨ ، باب السواك اذا قام من الليل .

وأخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٥ ، باب السواك رقم ٢٨٦

وأخرجه ابو داود ، ج ١ ص ١٥ ، باب السواك ، رقم ٥٥

٥٤٥ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٦٨٢ ، باب السواك الرطب واليابس للصائم

وأخرجه النسائي ، ج ١ الجزء الول ص ١٠ ، باب الترغيب في السواك

وأخرجه ابن ماجه ، ج ١ ص ١٠٦ ، باب السواك ، كتاب الطهارة ، رقم ٢٨٩

وأخرجه احمد في مسنده ، ج ١ ص ١٠ ، ٣ ، ج ٦ ص ٤٧ ، ٦٢ ، ١٢٤ ، ٢٣٨ .

ويسهل مجاري الكلام ، وينشط للقراءة ، والذكر ، والصلاة ، ويترد النوم ، ويرضي الرب ، ويعجب الملائكة ، ويكثر الحسنات<sup>٢٦</sup> .  
ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت ، لعموم الأحاديث فيه ،  
ولحاجة الصائم اليه ، ولأنه مرضاة للرب ، و < مرضاته > مطلوبة في  
الصوم أشد من طلبها في الفطر<sup>٢٧</sup> .  
إن خير الدنيا والآخرة يكمنان في هذه الأحاديث الشريفة ، وهما  
الصحة والثواب والسعادة والفوز بالدارين .

### ٣ - الطب النفسي :

فالطب النفسي في الاسلام هو طب يتميز عن بقية الطب النفسي  
في العالم ، لانه يستند على القانون الرباني : الكتاب والسنة ، وهو  
اعتقاد وقول وعمل وجزاء .. فنجد الطب النفسي في الاسلام يشحن  
المسلم بنور من الايمان وينشرح له الصدر<sup>٢٨</sup> ويطمئن به القلب<sup>٢٩</sup> فيجد  
السعادة والرضا والقناعة لكل ما قدره الله له .

ويقول ابن قيم الجوزية : < فان القلب متى اتصل برب العالمين ،  
وخالق الداء والدواء ، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء : كانت له  
أدوية أخرى غير الادوية التي يعانيتها القلب البعيد منه ، المعرض عنه ><sup>٣٠</sup>

إن منشأ الأزمات على الأرض من غياب الضمير ، والنظر الي التقدم  
العلمي نظرة مادية ، فصار كل ما دري عن الانسان ناقص مشوه ، اهمل  
فيها الجوانب الروحية لا بل امرضها واقعدها ، فصارت الجوانب المادية  
تتحكم في جميع مراحل حياتنا .

ويقول أحد العلماء : < فهناك أزمة تأخذ بالخناق ، وتلح وتضغط على  
العقل البشري المتزن الهاديء — هذه الأزمة هي أزمة الضمير والوجدان  
البشري الذي لم يذق طعم الراحة والسعادة رغم كل هذه التيسيرات

٥٤٦ الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، ص ٢٩٨

٥٤٧ المصدر السابق .

٥٤٨ قال الله تعالى : فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه . فويل للقاسية قلوبهم . . . . .

٥٤٩ قال الله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨

٥٥٠ الطب النبوي ، ص ١٦

المادية الهائلة ، انه مريض يعاني من مرض عضال قد استعصى حله ، وكل ما نرى في واقع الحياة البشرية انما هو من نتائج هذه الأزمة <sup>٥٥١</sup> .

إن الدراسة الطبية أهملت الدراسة النفسية الروحية ، فالدراسة المادية واسعة جدا وكل فرع له كتاب بل كتبه التي لا تنتهي ، اما الدراسة النفسية فكتاب واحد صغير أو ملخصات بسيطة يقدم فيها الطالب امتحانه <sup>٥٥٢</sup> .

ان التقدم العلمي الهائل البعيد عن رسالة السماء المتمثلة بالكتاب والسنة أشبه بجبل شاهق من الثلج يستقر عليه الانسان الحضاري المتورم ، فتهب عليه عواصف الضجر والتمرد والظلم ، فتهدى به في قعر سحيق من الانتحار <sup>٥٥٣</sup> والخمرة <sup>٥٥٤</sup> فيتمزق ذلك الجسم المتورم أشلاء .

أما الطب النفسي الذي يريده الاسلام ، فهو الطب الناجع ولا سبيل الى حصوله بكثرة العلم والتجربة ، وانما السبيل الوحيد للوصول اليه عن طريق الرسل .

٥٥١ الطب في محراب العلم ، ج ١ ص ٦

٥٥٢ المصدر السابق ، ص ٨

٥٥٣ أعلى نسبة انتحار في العالم توجد في بلاد السويد ، وهذا الارتفاع يتوازى تماما مع ارتفاع نسبة الرخاء والدخل الفردي ، وتوفر كافة الضمانات . . . ومن يتبين ان سعادة الانسان لا تنبع من الرفاه المادي ، وان كان الرفاه المادي يشكل شرطا في السعادة ، ولكنه شرط غير جامع مانع . هذا وان مزيدا من الاباحية في السويد كالتشريع الذي اباح زواج الاخ بالاخت لن يزيد الوضع الاجتماعي الا سوء <sup>٥٥٤</sup> هامش الطب محراب الايمان ج ٢ ص ٢٩ .

٥٥٤ ان امريكا اصرت على تحريم الخمر عام ١٩١٩م ، واصرت على التحريم اربعة عشر عاما كاملة ، وحدث خلالها الشيء العجيب ، مليون نشرة تشرح اضرار الخمر ، (٤٠٤) مليون دولار مصادرات ، (١٦) مليون دولار غرامات ، سجون (٥٢٢٢٣٥) شخص ، اعدامات رمي بالرصاص (٣٠٠) شخص ، ومع كل هذا زاد عدد مصانع الخمر الى عشر اضعاف ، ولكن بشكل سري ! واصبحت تجارة الخمر المحظورة تجارة مربحة ، سخرت الأساطيل والامكانيات والقوى لصد الشعب عن هذا العين الآسنة ، ولكنه لم يرتدع ، لان التكاليف لا تبني الا على الايمان ، وهكذا فعل الاسلام ، بني العقيدة ورسخها ، ثم جاء بالتكاليف فحرمت الخمر ، ونجحت التجربة بآيات قليلة ، وبركة تحريم الخمر سارية في بلاد الشرق حتى اليوم من أثر تلك التربية ، حيث لا يشكل عدد مدمني الخمر بالنسبة الى العالم الغربي شيئا يذكر <sup>٥٥٥</sup> عن كتاب الطب محراب العلم ، ج ١ ص ٢٦٨ .

ولذلك يقول ابن قسيم الجوزية : < فأما طب القلوب ، فمسلم الى الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - ولا سبيل الى حصوله الا من جهتم وعلى أيديهم . فان صلاح القلوب : أن تكون عارفة بربها وفاطرها ، وبأسمائه وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه . ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ، ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل > .<sup>٥٥٥</sup>

فطب القلوب قد أوسدت أبوابه ، وسدت منافذه ، إلا عن طريق الشريعة الاسلامية .. ونذكر بعض تلك الشذرات على سبيل المثال لا الحصر :

#### ١ - الذكر :

##### فضل الذكر :

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، الا رجل عمل أكثر منه )<sup>٥٥٦</sup> .

٢ - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم )<sup>٥٥٧</sup> .

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياهم ، وان كانت مثل زبد البحر )<sup>٥٥٨</sup> .

٥٥٥ الطب النبوي ، ص ١٢

٥٥٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥١ ، كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل ، رقم ٦٠٤٠

اخرجه مسلم ، ج ٤ ص ٦٩ ، باب فضل التهليل والدعاء ، رقم ٨

اخرجه الترمذي ، ج ٥ ص ٥١٢ ، رقم ٣٤٦٨

٤ - عن أبي هريرة ، وأبي سعيد - رضي الله عنهما - قالا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( لا يقعد قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده )<sup>٥٩</sup> .

٥ - وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت )<sup>٦٠</sup> .

\*\* الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرتها على سبيل المثال تحتوي على فوائد جمة ، وقواعد أصولية كثيرة .. من هذه الفوائد والأصول :

(١) الأجر الجزيل الذي يحصل عليه الذكر لله ، وتكفير السيئات ، والحرز من الشيطان .. وهذه الصفات يجمعها الحديث - أي الأول - اشتمل على هذا الثواب العظيم ، وذلك لاشتمال الحديث على التقديس والتنزيه والثناء بأنواع الجميل<sup>٦١</sup> .

(٢) إن الحديث الأول من الناحية الأصولية انه مطلق من ناحية العمل في أي وقت ، وانه مقيد من ناحية العدد لمن يريد ان ينال الثواب المذكور في النص .

(٣) ان الحديث الثاني مطلق من ناحية العدد والزمان ومن جميع الوجوه ، فله ان يذكره بصفته متى شاء ، وكم شاء .

(٤) وان الحديث الثالث مقيد من ناحية العدد ، وبعد الفريضة لمن أراد أن ينال الأجر المذكور .

(٥) وان الحديث الرابع مقيد بمجلس يجتمعون على ذكر الله ، فينال الرحمة وتغشاهم الملائكة .

(٦) الحديث الخامس فيه مقارنة بين الذي يذكر ربه والذي لا يذكره في الدرجة ، وهو فرق شاسع .

(٧) هذا النوع من الذكر هو من أهم مقاصد الشريعة ، وهو التيسير واختيار الحالة التي يرغب بها المسلم .

(٨) ومن فقه المسلم أن يعلم أن هذه الفضائل إنما هي لمن أخلصوا في ذكرهم ، وتجنبوا المعاصي والحرام ، ونأوا عما يغضب الله ، ولا نظن أن من

٥٩ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٢

رواه الترمذي ، ج ٥ ص ٤٥٩ رقم ٣٣٧٨

٥٦ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٥٣ رقم ٦٠٤٤

٥٦١ نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ص ٩٧١

أدام الذكر ، وأصر على ما شاء من شهوته ، وانتهك حمى الله يلتحق بالطاهرين ، ويبلغ منازلهم بكلمات يجريها على لسانه ، لا يتجاوز أثرها فمه<sup>١٢٣</sup> .

(٩) وعلى أية حال ، فإن ذكر الله تعالى يحيي ميت القلوب ، ويزكي فاطر الهمم ، ويحوظ المرء بسياج من العصمة ، ويقيه نزعات الشيطان ، ويباعد بينه وبين المعاصي<sup>١٢٤</sup> .

#### ب - الدعاء :

##### ١ - الدعاء عند النوم :

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أوى الى فراشه ، نام على شقه الأيمن ، ثم قال : ( اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك و لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، أمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت )<sup>١٢٥</sup> .

##### ٢ - الدعاء عند نزول المنزل :

عن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قالت ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك )<sup>١٢٦</sup> .

##### ٣ - الدعاء لبقاء النعمة :

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال ، كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك )<sup>١٢٧</sup> .

##### ٤ - الدعاء لتوقي الضرر :

عن عثمان - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ما من عبد يقول في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم

٥٦٢ الأدب النبوي ، ص ٢٠٨

٥٦٣ المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨

٥٦٤ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٢٦ ، رقم ٥٩٥٤ ، باب ما يقول اذا نام

رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٧ ، باب ما يقول عند النوم .

٥٦٥ رواه مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٨٠ ، كتاب الذكر والدعاء ، رقم ٢٧٠٨

٥٦٦ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٨٨

، ثلاث مرات ، إلا لم يضره شيء )<sup>٥٧</sup> .

٥ - الدعاء على الثبات على الطاعة :

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك )<sup>٥٨</sup> .

٦ - الدعاء من جهد البلاء ودرك الشقاء :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء )<sup>٥٩</sup> .

٧ - التعوذ من شرور شتى :

وعن أنس - رضي الله عنه - قال ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات )<sup>٦٠</sup> . وفي رواية : ( وضيع الدين وغلبة الرجال ) .

\* ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تكون هذه الحالات التي ذكرت من أخطر الحالات على النفس البشرية ، فتجعلها مضطربة مهزوزة جزعة ، فجميع الخواطر والأحاسيس والهواجس تأتي على المرء في أوقات النوم ، فيصاب المرء بالقلق ، ولذلك كان الدعاء في وقت النوم من أحسن الأدوية النفسية للمسلم ، وكذلك عند نزول المرء منزلا جديدا ، فيكاد يحمل أفكارا غريبة في التصورات ، علاوة على وجود الجوانب الروحية التي تشد النفس ، تصورات تتعب الانسان ، فيكون الدعاء بلسما يصرف الهموم عن القلب ، ويبعث الطمأنينة وراحة النفس ..

وهكذا في جميع الجوانب المكدره لصفاء الضمير ، والقاتلة لهممه ، والمبعثرة لفكره من خوف زوال النعمة ، أو التوقي من الضرر ، أو خوفا

٥٦٧ رواه ابو داود ، ج ٤ ص ٢٢٢ في الادب ، رقم ٥٠٨٨

رواه الترمذي ، ج ٥ ص ٤٦٥ رقم ٣٢٨٨ ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء

٥٦٨ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٥١ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

٥٦٩ رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢٦ ، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من جهد البلاء ، رقم ٥٩٨٧

رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ٧٦ ، باب التعوذ من جهد البلاء وسوء القضاء .

من جهد البلاء ، أو الوقوع في الكسل الذي قد يعرض المرء بترك العمل ، والتكاسل في العبادة وعدم أدائها في وقتها ، أو تركها في أوقات البرد أو الحر ، وكذلك مرض البخل الذي قد يؤدي الى ترك أداء الزكاة ، وحرمان أصحاب الحقوق من حقوقهم من الأقرباء والفقراء والمساكين ، والانفاق في الجهاد .. كل هذه الأمراض النفسية التي تصيب المسلم ، فتشل حركته ، وتضعف وعيه ، وتقلق فكره ، ما لها من دون الله كاشفة ، إلا اللجوء اليه بكثرة الدعاء .. وقد قيل : < الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ، ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخفف إذا نزل . وهو سلاح المؤمن ><sup>٥٧١</sup> .

ويجب على المسلم عند الدعاء أن يلتزم بما يأتي :

(١) الالاح في الدعاء :

ومن أنفع الأدوية الالاح في الدعاء ، وفي مستدرک الحاكم من حديث أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لا تجزعوا في الدعاء ، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد )<sup>٥٧٢</sup> .

وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن الله يحب الملحين في الدعاء ) .

وفي كتاب < الزهد > للإمام أحمد عن قتادة قال ، قال مروق : < ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة ، فهو يدعو : يا رب يا رب ، لعل الله أن ينجيه > .

(٢) عدم الاستعجال :

ومن الأفات الخطرة على عدم الاستجابة ، أن يستعجل العبد ويستبطيء الإجابة فيستحسر<sup>٥٧٣</sup> ، ويدع الدعاء ، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً ، فجعل يتعاهده ويسقيه ، فلما استببطأ كماله وادراكه ، تركه واهمله .. وفي البخاري من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي )<sup>٥٧٤</sup> .

وفي صحيح مسلم عنه : ( لا يزال يستجاب للعبد ، ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل ) ، قيل يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ ، قال

٥٧١ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ٩

٥٧٢ المصدر السابق ، ص ١٠

٥٧٣ < فيستحسر > : أي انه ينقطع عن الدعاء ( حاشية صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٩٦ )

٥٧٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٢٥ ، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ، رقم ٥٩٨١

: ( يقول قد دعوت ، وقد دعوت ، فلم أر يستجاب لي ، فيستحسر عند ذلك ، ويدع الدعاء )<sup>٣٣</sup> .

(٣) ان يكون الدعاء بحضور القلب :

وعلى المسلم الذي يدعو الله سبحانه وتعالى أن يتفرغ من جميع العوائق والمشاكل ، ويستحضر قلبه بالكلية مع الله سبحانه وتعالى .

(٤) أن يتحين أوقات الاجابة ، فيستغلها ..

وهي : الثلث الأخير من الليل . وعند الأذان . وبين الأذانين والاقامة . وادبار الصلوات المكتوبات . وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر ، حتى تقضى الصلاة . وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم ، وصادف خشوعا في القلب ، وانكسارا بين يدي الرب ، وذلا وتضرعا ورقة . واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، ورفع يديه الي الله ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار .. وتوسل اليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقم بين يدي دعائه صدقة ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا ، ولا سيما ان صادف الأدعية التي أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها فطنة الاجابة ، أو انها متضمنة للأسم الأعظم<sup>٣٤</sup> .

ج - الاستغفار :

١ - سيد الاستغفار : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقت وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .. قال : ومن قالها من النهار موقنا بها ، فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة )<sup>٣٥</sup> .

٢ - عدد ما يستغفر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في اليوم : قال أبوهريرة - رضي الله عنه - ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( والله إنني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من

٥٧٥ صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٩٦ ، كتاب الذكر والدعاء ، رقم ٢٧٢٥

٥٧٦ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١١

٥٧٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٣٢٤ ، باب افضل الاستغفار ، رقم ٥٩٤٧

أخرجه أبو داود ، ج ٤ ص ٣١٧ ، رقم ٥٠٧٠

سبعين مرة) <sup>٥٧٨</sup> .

٣ - لزوم الاستغفار : وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ) .

فالاستغفار هو سبيل التذلل والاستكانة والخضوع وشعور المرء بالتقصير وارتكاب الآثام أمام العزيز القادر الكريم ، وعن طريق الاستغفار يطلب العبد الذليل المغفرة من الرب العزيز .

\* وعند القاء نظرة الى الأحاديث التي ذكرناها يتبين لنا ما يأتي :  
أ - انه توجد درجات في الاستغفار ، وأعلى الاستغفار وأفضله > سيد الاستغفار < ، والسيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع اليه في الأمور ، وسيد القوم أفضلهم ، ولما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، لا سيما وقد ذكر الله فيه بأكمل الأوصاف ، وذكر العبد بأضعف الحالات ، وهذا أقصى غاية التضرع ، ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه <sup>٥٧٩</sup> .

ب - على المسلم أن يقتدي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاستغفار أهميته ، وانه كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة ، وون الله سبحانه وتعالى قد غفر له وعصمه ، وهذا تعليم لنا ان نستغفر أكثر من سبعين مرة في اليوم .

ج - ان لزوم الاستغفار تزيل الهموم وهي من اكبر الامراض النفسية التي تमित الهمم وتقعده المسلم عن المعالي ، واكثر الحمية مصدرها الهموم ، وكان هذا الدواء الناجع للقضاء على هذا المرض المستعصي هو كثرة الاستغفار

د - محاربة الروائح الكريهة :

وقد حارب الاسلام الرائح الكريهة لما لها من أثر على تقزز النفس ، وتأثير على الطبايع السليمة ، وقد حارب الاسلام تلك الروائح بحكمة بارعة ، ولم يجابه النفوس بمنعها مباشرة ، وانما طوقها اذ يمنعنا من

٥٧٨ صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٢٢٤ ، باب استغفار النبي - صلى الله عليه وسلم - في اليوم واللييلة ،

رقم ٥٩٤٨

٥٧٩ هامش : صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٢٤

القدوم الى المساجد عند أكلنا من الأطعمة التي تسبب الروائح الكهرية كالثوم والبصل ، وبيوت الله هي أقدس البيوت . . ولا يستغني المسلم من دخولها ، مما جعله يترك الرغبة والشهوة من الأكل في سبيل ارضاء خالق السموات والأرض . . وقد ورد الحكم الشرعي في السنة النبوية ما يدل على ذلك :

- ١ - قيل لأنس ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الثوم ؟ فقال : ( من أكل فلا يقربن مسجدنا )<sup>٨٠</sup> .
  - ٢ - أن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ، زعم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو ليعتزل مسجدنا )<sup>٨١</sup> .
- هـ - الحديث على استخدام الطيب :

فالصيب له أثر كبير على انشراح النفس وابتهاج القلب ، وهذه لها انعكاسات على صحة البدن ، حيث ان الجسم تزداد صحته وتكتسب قوته بقدر سعادة النفس .

ويقول ابن قيم الجوزية : > لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح ، والروح مطية القوى ، والقوى تزداد بالطيب - وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الاعضاء الباطنة - ويفرح القلب ويسر النفس ويبسط الروح <<sup>٨٢</sup> .

ومن الأحاديث التي تحت على الطيب :

- ١ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كنت أطيّب النبي - صلى الله عليه وسلم - عند احرامه بأطيب ما أجد<sup>٨٣</sup> .
- ٢ - عن أنس رضي الله عنه - أنه كان لا يرُدُّ الطيب ، وزعم أنه - صلى الله عليه وسلم - كان لا يرُدُّ الطيب<sup>٨٤</sup> .
- ٣ - وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كنت أطيّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأطيب ما أقدر عليه قبل ان يحرم ، ثم يحرم<sup>٨٥</sup> .

٥٨٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٧٦ ، باب ما يكره من الثوم والبقول ، رقم ٥١٣٦

٥٨١ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٧٧ ، باب ما يكره من الثوم والبقول ، رقم ٥١٣٧

٥٨٢ الطب النبوي ، ص ٢٥٦

٥٨٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢١٦ ، باب ما يستحب من الطيب ، رقم ٥٥٨٤

٥٨٤ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢١٦ ، باب ما يستحب من الطيب .

٥٨٥ صحيح مسلم ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٠

فالروائح الطيبة التي تدعو الشريعة اليها هي من مقاصد الشريعة السامية التي تكون في النفس الذوق الرفيع والارهافات الحسية ..

و - الابتعاد عن الجوانب المثيرة للنفس :

إن الجوانب المثيرة للنفس من الهم والغضب والمراء وهي أشبه بكيات نار تدلغ القلب ، فيستعر ناره ، فيلتهب الجسد ، فيغلق باب الفكر ، فلا يستطيع السيطرة على ملكة الحكم على جوارحه .

ولذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعيز من الهم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طلحة : ( التمس لنا غلاما من غلمانكم يخدمني ) ، فخرج أبو طلحة يرد فني وراءه ، فكنت أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلما نزل ، فكنت أسمع أكثر أن يقول : ( اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل ، والجبن ، ضلع الدين ، وغلبة الرجال )<sup>٥٨٦</sup> .

وقد أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعدم الغضب :

١ - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب )<sup>٥٨٧</sup> .

٢ - ان رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - أوصني ، قال : ( لا تغضب ) فردد مرارا ، قال : ( لا تغضب )<sup>٥٨٨</sup> .

وهذه الأشياء تذهب الهيبة وتوقد نار الفتنة .. وقد حذر الرسول -

صلى الله عليه وسلم - منها ..

يقول ابن قيم الجوزية : > وأصل المعاصي كلها العجز ، فان العبد يعجز عن أسباب الطاعات ، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وحول بينه وبينها ، مجمع في هذا الحديث الشريف - أي حديث : ( اللهم اني أعوذ بك من الهم .. ) - أصل الشر وفروعه ومبادئه وغاياته ، وموارده ومصادره .. فقال : أعوذ بك من الهم والحزن ، وهما قرينان ، فان المكروه الوارد على القلب اما أن يكون سببه أمرا ماضيا وهو يحدث الحزن ، واما ان يكون توقع مستقبل ، فهو يورث الهم .. وكلاهما من العجز ، فإن ما مضى لا يدفع بالحزن ، بل بالرضى والحمد ، والصبر والايمان بالقدر ..

٥٨٦ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٤١ ، باب التعوذ من غلبة الرجال ، رقم ٦٠٠٢

اخرجه النسائي ، ج ٤ الجزء الثامن ، باب الاستعاذة من الحزن ، ص ٢٥٨

٥٨٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، باب الحذر من الغضب ، رقم ٥٧٦٣

٥٨٨ المصدر السابق ، رقم ٥٧٦٥

وقول العبد : قدر الله وما شاء فعل ، وما يستقبل لا يدفع بالهم ، بل إما أن تكون له حيلة في دفعه ، فلا يعجز عنه ، وأما ان تكون له حيلة في دفعه ، فلا يجزع ، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكيل والرضى بالله ربا ، فيما يحب ويكره ، والهم والحزن يضعفان العزم ، ويوهنان القلب ، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ، فهما حمل ثقيل على ظهر السائر<sup>٥٨٩</sup> .

ومن حكمة العزيز الحكيم تسليط هذين الجنديين على القلوب المعرضة عنه ليردها عن كثير من معاصيها ، ولا تزال هذه القلوب في هذا السجن حتى تخلص الى قضاء التوحيد والاقبال على الله ولا سبيل الى خلاص القلب من ذلك الا بذلك ، ولا بلاغ الا بالله وحده ، فانه لا يوصل اليه الا هو ، ولا يدل عليه الا هو<sup>٥٩٠</sup> .

فهذه الأمراض النفسية لا يمكن القضاء عليها الا بتوفيق الله والرضى بقضائه وقدره والتوكل عليه واللجوء اليه بكثرة الاستغفار والدعاء والذكر والصدقة ورجاء ثواب الدار الآخرة .

ومن عالج الامراض النفسية بغير هذه الأدوية مثله كمثل من به جرح يذر عليه الرماد فلا يزداد الا تلوثا أو كمثل عطشان يوجه الى سراب يحسبه ماءً فلا يزداد الا ظمأً .

#### د - القسم الرابع - الجانب السياسي :

لقد أعطى التشريع الاسلامي للجانب السياسي اهتماما كثيرا ، ويتمثل ذلك في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سلمه وحربه ، في بيته وبين أمته ، مع أصدقائه وأعدائه .. ونرى نصوصا كثيرة من سنته تدل على ذلك .

ولقد عرف الأعداء والأصدقاء السياسة التي كان عليها سيد البشرية ، واهتم الجميع بالتحليل الدقيق والنظرة الفاحصة لتلك السياسة ، واعاروا لها كل اهتمام ، ومن شذرات ما قال المحللون في ذلك :

٥٨٩ مختصر زاد المعاد ، لابن القيم ، ص ١٤٠ - ١٤١

٥٩٠ المصدر السابق ، ص ١٤١

> لقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يعرف كيف يجمع المؤيدين والأنصار ، ويداور المنافقين والأشرار . . وكيف يروض الحياة السياسية مع شتى طبقات الناس ، ومختلف عناصرهم <“ .  
> وتلك الهجرة البارعة ، من عاصمة الشرك العربي وبلد الاضطهاد ، الى المدينة ليحتل منها وبها البلد الذي حاول اغتياله <“ .  
> وكذلك من سياسته : فرضه علي اتباعه ليجعل من فتح مكة واجب المسلمين الأول ، وقراره بعد فتح مكة العودة مع الأنصار الي المدينة لتتغلغل في البلدين فكرة المبدأ ، ولتتأصل قواعد الدين <“ .  
> واكثاره - صلى الله عليه وسلم - الزواج بينه وبين اصحابه وكبار قومه صلة قوية ورابطة متينة بواسطة المصاهرة ، لأن ذلك مما يساعده ويشد أزره للدفاع عن مبدئه السامي ، ونشر الدعوة الى الاسلام <“ .

\*\* ومن الجوانب السياسية الأخرى :

(١) التيسير :

لقد جاءت الشريعة الاسلامية بالتيسير ، وهو جانب مهم من الجوانب السياسية الناجحة ، حيث انه يجعل الشعوب متكاتفه ومتعاونة ، والضعيف يلحق بالقوي . . ومن الأحاديث النبوية الواردة في ذلك :

أ - الأمر بالتيسير :

عن أبي التياح قال ، سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ( يسروا <“ ولا تعسروا ، وسكنوا <“ ولا تنفروا ) <“ .

ب - أخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأيسر الأمور :  
عن عائشة - رضي الله عنها - انها قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٥٩١ محمد ، عند علماء الغرب ، ص ٤٣

٥٩٢ المصدر السابق .

٥٩٣ المصدر السابق .

٥٩٤ المصدر السابق .

٥٩٥ < يسروا > : أمر بالتيسير ، وهو الأخذ بما هو أسهل ، لينشط الناس في العمل .

٥٩٦ < سكنوا > : من التسكين ، ضد التحريك ، والمراد ادخال الطمأنينة والهدوء على النفس .

٥٩٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٩ ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يسروا ولا تعسروا رقم ٥٧٧٤

وسلم - لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها لله<sup>١١٨</sup> .  
ج - التساهل مع الجاهل :  
أن اعرابيا بال في المسجد ، فثار اليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من  
ماء ، أو سجلا<sup>١١٩</sup> من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين )<sup>١٢٠</sup> .

### ٢ - مداراة الناس وعدم مواجهتهم بما يكرهون :

أ - عند شدة الغضب : عن عدي بن ثابت ، حدثنا سليمان<sup>١٢١</sup> بن سرد  
قال : استب رجلان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن عنده جلوس  
، واحدهما يسب صاحبه ، فغضبا قد احمر وجهه ، فقال النبي - صلى الله  
عليه وسلم - : ( إني لأعلم كلمة ، لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال :  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم )<sup>١٢٢</sup> . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول  
النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : إني لست بمجنون .  
ب - اتقاء الفحش : عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته : أنه  
استأذن على النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال : ( ائذنوا له ،  
فبئس ابن العشيرة ، أو بئس أخو العشيرة ) . فلما دخل ألان له الكلام ،  
فقلت له : يا رسول الله ، قلت ما قلت ، ثم ألنت له في القول ، فقال :  
أي عائشة ، ان شر الناس منزلة عند الله من تركه ، أو ودعه الناس ،  
اتقاء فحشه )<sup>١٢٣</sup> .

فعند مقابلة السيء الخلق بما يكره ، فإنه يزداد ضراوة ، ويكون حربا  
على الأمة ، وتحطيما لكل القيم والمثل ، أما عند مقابله بالبشاشة  
والانبساط ، فإنه يكف عن شره أو يخففه ، ولربما وقع الدواء على الداء  
فيزول الشر .

٥٩٨ المصدر السابق ، رقم ٥٧٧٥

٥٩٩ < سجلا > : دلوا فيه ماء .

٦٠٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧٠ ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ، يسروا ولا تعسروا رقم ٥٧٧٧

٦٠١ < سليمان بن سرد > : صحابي من الزعماء القادة ، شهد الجمل وصفيره مع علي - رضي الله عنه - ،  
سكن الكوفة ، ثم كان ممن كاتب الحسين بن علي ، وتخلف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه ، ونشبت  
معارك بين سليمان وعبدالله بن زياد ، فقتل سليمان بعبرة الورد سنة ٦٥ هـ ، وروى له عن النبي - صلى  
الله عليه وسلم - ١٥ حديثا .

٦٠٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٦٧ ، رقم : ٥٧٦٤

٦٠٣ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧١ ، باب المداراة مع الناس ، رقم ٥٧٨٠

٣ - المسامحة :

أ - احاطة رحمة الله بمن يكون سمحا : عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( رحم الله رجلا ، سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا اقتضى )<sup>٦٤</sup> .  
وورد الحديث بلفظ آخر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( رحم الله عبدا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقتضى )<sup>٦٥</sup> .  
ب - الفوز بالجنة لمن انظر معسرا : عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( كان تاجر يداين الناس ، فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه )<sup>٦٦</sup> .  
فهذه القواعد التشريعية عن المسامحة تختلف اختلافا كبيرا عن المسامحة في القوانين الوضعية ، حيث ان الشريعة تضع الجزاء الذي يحول الاعباء الثقيلة والجهود المضنية الى قبول ذلك بنفس مطمئنة راضية ، فتذهب الإحن ، وتنقطع العداوة ، ويعيش المسلمون بتواصل ومودة .

٤ - شدة الحذر :

المسلم لبق ألمعي ، قد جعل الله له بصيرة ونور من عند خالقه ، يكشف له حقائق الأمور ، فتكون له موازين معتدلة للأحكام ، فلا تغريه الزخارف الفارغة ، ولا العبارات الرنانة ، ولا الشباك المنصوبة من قبل المخادعين والمنافقين ..

وقد ورد الأثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يبين صفة المسلم في هذا الباب :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : ( لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين )<sup>٦٧</sup> .

ومن معاني هذا الحديث النبوي الشريف :

> فيه تحذير من التغفيل ، وإشارة الى استعمال الفطنة .. وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث الكامل الذي قد أوقفته معرفته على غوامض

٦٠٤ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٢٠ ، كتاب البيوع ، باب السهولة في الشراء والبيع ، رقم ١٩٧٠

٦٠٥ ابن ماجه ، ج ٢ ص ٧٤٢ ، كتاب التجارات ، رقم ٢٢٠٣

٦٠٦ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٧٢١ ، باب من انظر معسرا ، رقم ١٩٧٢

٦٠٧ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٧١ ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، رقم ٥٧٨٢ .

اخرجه مسلم في الزهد والرقائق ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، رقم ٢٩٩٨ .

الأمور حتى صار يحذر مما سيقع ، أما المؤمن المغفل فقد يلدغ مرارا . قال ابن بطال : وفيه أدب شريف أدب به النبي - صلى الله عليه وسلم أمته ، ونبههم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبه < ٦٠٨ > .

فالجانب السياسي في الشريعة الاسلامية ليس بحثه في هذه المقدمة المختصرة ، وانما هذه اشارات للتنبيه على ان الشريعة الاسلامية ان فيها أرقى السياسات في العالم ، ولقد تحلت تلك العظمة السياسية المتمثلة بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته - صلى الله عليه وسلم - ، لقد تجلت بعهد الاخاء بين المهاجرين والأنصار ، وعهد المودعة بين المسلمين واليهود ، وبرعت في مهادنة المنافقين في المدينة حتى النهاية ، وفي تأليف قلوب أهل مكة بعد فتحها ، وفي تفكيك التضامن بين اليهود والأحزاب في حملة الخندق الحاسمة ، وتفضيل معاهدة مع قريش في الحديبية على قتال غير مكفول ، وفتح غير مأمون < ٦٠٩ > .

#### فالسياسة الشرعية هي :

> التزام بالحق قولا وعملا ، واستبطان أهل التقوى وذوي الأحساب ، وان يودع السر من يكتمه ، ولا يقود اللسان الخنا والسباب وكثرة المزاح .  
وقد قيل : اتق من فوقك ، يتقك من تحتك ، وكما تحب ان يفعل بك فافعل برعيتك ، وانظر كل حسن فالزمه واستكثر من مثله ، وكل قبيح فارفضه ، وبالنصحاء يستبين لك ذلك ، وخيرهم أهل الدين ، وأهل النظر في العواقب ، ولا يستنصح غاشا ولا يستغش ناصحا < ٦١٠ > .

فالسياسة الاسلامية هي الفريدة من نوعها في كل زمان ومكان ، حيث انها لا تقبل المخادعة والكذب والغش والنفاق والغدر والخيانة ، وانما تعتمد على أساس الأمانة والعدل والاخلاص ، ويرجو كل فرد جزاء فعله ممن بيده خزائن السموات والأرض .

٦٠٨ فتح الباري ، ج ١٠ ص ٥٣٠

٦٠٩ محمد ، عند علماء الغرب ، ص ٤٣ - ٤٤

٦١٠ لباب الآداب ، ص ٣٦

## المبحث الثالث :

### قيادة السنة دليل على حجيتها

عندما ننظر الى السنة النبوية نظرة شمول وعمق تجد لها القيادة في كل شيء ، وجميع الأنظمة والقوانين والأحكام تنبع منها ، وتستمد منها القوة والأصالة .. وقد قيل :

> إن الشريعة ، هي المحجة الواضحة البيضاء ، محجة السعداء ، من مشى عليها نجا ، ومن تركها هلك < <sup>٣١١</sup> .

> ومقتضى عقد الايمان : ان يسلم زمام حياته الى الله ، ليقودها رسوله الصادق - صلى الله عليه وسلم .. ومقتضى عقد الايمان : ان يقول الرب : أمرت ونهيت ، ويقول العبد : سمعت واطعت < <sup>٣١٢</sup> .

وكان الامام احمد - رضي الله عنه - يقول : > ليس لأحد مع الله ورسوله كلام < <sup>٣١٣</sup> .

قال الامام الشافعي - رحمه الله - : > لم أسمع أحدا نسبه الناس ، أو نسب نفسه الى علم ، يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه ، بأن الله عز وجل لم يجعل لمن بعده الا اتباعه ، وانه لا يلزم قول بكل حال الا بكتاب الله وسنة رسوله ، وان ما سواهما تبع لهما ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا في قبول الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < <sup>٣١٤</sup> .

وقول ابن مسعود - رضي الله عنه - > اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم < <sup>٣١٥</sup> .

وقال الجنيد - رحمه الله - : > الطرق كلها مسدودة على ، إلا على من اقتفى أثر الرسول - عليه الصلاة والسلام - < <sup>٣١٦</sup> .

ويقول ذو النون المصري : > من علامات المحب لله عز وجل ، متابعة حبيب الله - صلى الله عليه وسلم - في أخلاقه وأفعاله وأوامره

٦١١ قواعد التحديث ، ص ٣٣٨

٦١٢ العبادة في الاسلام ، ص ٥٣

٦١٣ حجة الاسلام البالغة ، ج ١ ص ١٥٧

٦١٤ الأم ، ج ٧ ص ٢٥٠ ، كتاب جماع العلم .

٦١٥ مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٨٨

٦١٦ الرسالة ، للقشيري ، ج ١ ص ١٠٦

وسننه ><sup>٣٣٠</sup> .

ويقول صاحب كتاب الروض الباسم :  
> فإنه علم الصدر الأول والذي عليه بعد القرآن المعول ، وهو لعلوم  
الاسلام أصل وأساس ، وهو المفسر للقرآن بشهادة ليبين للناس ><sup>٣٣١</sup> .

عندما ننظر الى أقوال هؤلاء العلماء والفقهاء والزهاد والمؤلفين ،  
نجد انهم مجمعون على قيادة السنة بألفاظ متنوعة تريد المعنى متانة  
وروعة ، فالمحجة الواضحة البيضاء ، وترك زمام حياته لقيادة الرسول -  
صلى الله عليه وسلم - ، وانفراد حكم الله ورسوله ، والتسليم لحكمه  
واتباع امره ، وان ما سواهما تبع لها - أي الكتاب والسنة - .. كلها تدل  
على قيادة السنة في كل الأعمال والأقوال والتقارير ، وقد سدت جميع  
الأبواب والطرق إلا عن طريق قيادته - صلى الله عليه وسلم - .

ومن الأدلة التفصيلية على قيادة السنة .. هي :

١ - الرجوع الى السنة عند معرفتها :

انتهى العلماء المحققون الى ان الحديث الصحيح حجة على جميع  
الامة ، أيدوا رأيهم هذا بالآيات القرآنية<sup>٣٣٢</sup> التي تفرض على المؤمنين  
اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه<sup>٣٣٣</sup> .  
وأراد عمر - رضي الله عنه - رجم مجنوننة ، حتى أعلم بقول -  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( رفع القلم عن ثلاثة ) فأمر أن لا  
ترجم<sup>٣٣٤</sup> .

وعمل عمر - رضي الله عنه - بخبر سعد بن أبي وقاص - رضي الله  
عنه - في المسح على الخفين<sup>٣٣٥</sup> .

وان أبا بكر - رضي الله عنه - قضى بقضية بين اثنين ، فأخبره بال  
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى فيها بخلاف قضائه فرجع<sup>٣٣٦</sup>

٦١٧ المصدر السابق ، ص ٥٥

٦١٨ الروض الباسم ، ج ١ ص ٤

٦١٩ لقد مرت الآيات القرآنية في موضوع الأدلة النقلية في الكتاب لاثبات حجية السنة .

٦٢٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٩١

٦٢١ الاحكام ، لابن حزم ، ٢ - ١٣

٦٢٢ فتح الملهم ، ص ٧٠٠ دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٥٧

٦٢٣ الرسالة ، ص ٤٢٤ . دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٥٩

وذكر النووي في شرح المهذب : انه صح عن الشافعي - رضي الله عنه - انه قال : اذا صح الحديث فاعملوا به ودعوا مذهبي<sup>٣٣</sup> .

وأخرج عن الربيع بن سليمان قال : سأل رجل الشافعي عن حديث ، فقال : هو صحيح ( فقال له رجل : فما تقول ؟ فارتعد وانتفض ، وقال : > أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إذا رويت عن النبي - صلي الله عليه وسلم - وقلت بغيره <<sup>٣٤</sup> .

من هذه الأقوال يتضح لنا أن الأعمال لا تقبل ما لم تكن موافقة للسنة ، وهذا هو الذي جعلهم يتركون كل قول وعمل يخالف السنة ، ويرجعون الى السنة لأن تركها هو الهلاك واحباط الاعمال والضلال الذي يؤدي الى النحراف .

عن ابن وهب قال : > كنا عند مالك بن أنس نتذاكر السنة ، فقال مالك : السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق <<sup>٣٥</sup> .

#### ب - الالتزام الشديد بتطبيق السنة :

لقد كان السلف الصالح شديد التمسك بكل ما يقوم به الرسول - صلي الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو حركة سواء عرف حكمته أو لم يعرف .. وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ، ويخبر أن النبي - صلي الله عليه وسلم - كان يفعل ذلك<sup>٣٦</sup>

وامام الحجر الأسود يقف عمر - رضي الله عنه - ، ثم يقبله ، ويقول : > اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي - صلي الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك <<sup>٣٧</sup> .

> والذي ندين الله به ، ولا يسعنا غيره ، ان الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحدينه وترك ما خالفه ، ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان .. <<sup>٣٨</sup> .

٦٢٤ الروض الباسم ، ج ١ ص ١٠٦

٦٢٥ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٦٨

٦٢٦ المصدر السابق ، ص ٢٦٧

٦٢٧ رواه البزار ، ورجاله موثقون . مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٧٦

٦٢٨ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٧٩ ، باب الحج . . . رواه مسلم ، ج ٢ الجزء الرابع ص ٦٦ ، باب الحج .

سنن النسائي ، ج ٥ مجلد ٣ ص ٢٢٧

٦٢٩ قواعد التحديث ، للقاسمي ، ص ٨٧

وقال ابن حزم : جميع الحنفية مجمعون علي ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي<sup>٦٣٠</sup> .  
وليس المراد بالضعيف ما كان شديد الضعف ، فإنه لا يعمل به أصلاً<sup>٦٣١</sup> ، شرط العمل بالحديث الضعيف : عدم شدة<sup>٦٣٢</sup> ضعفه ، وان يدخل تحت أصل عام ، وان لا يعتقد سنية<sup>٦٣٣</sup> ذلك الحديث . وأما الموضوع فلا يجوز العمل به بحال ولا روايته الا اذا قرن ببيانه<sup>٦٣٤</sup> . أ.هـ .  
وهكذا كان جميع الصحابة يتأسون بالرسول الكريم ، ويحافظون علي سنته ، سواء أعرفوا علة ذلك أم لم يعرفوا .. عن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر في سفر ، فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل هذا ففعلت<sup>٦٣٥</sup> .

#### ج - قبول العمل مرتبط بالسنة :

ان جميع الأعمال الصالحة تذهب هباءً منثوراً ، ولا ينال صاحبها الا الجهد والارهاق والحسرة ، ما لم تكن موافقة للسنة النبوية .. قال تعالى : « ليلبوكم أيكم أحسن عملاً »<sup>٦٣٦</sup> .  
قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : > أخلصه وأصوبه ، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ><sup>٦٣٧</sup> .  
وأخرج عن سعيد بن جبير قال : > لا يقبل قول الا بعمل ، ولا يقبل قول وعمل الا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة ><sup>٦٣٨</sup> .  
وقل تصل العقوبة لمن يترك حديث رسول الله - صلى الله عليه

٦٣٠ كتاب > ملخص ابطال القياس < ص ٦٨ . ونقله عنه الحافظ الذهبي في الجزء الذي ألفه في > مناقب الامام أبي حنيفة < ص ٢١ . وقال ابن حزم في كتابه > الإحكام في أصول الأحكام < ٥٤/٧ ، قال ابوحنيفة الخبر الضعيف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولى من القياس . ولا يحل القياس مع وجوده .

٦٣١ قواعد في علوم الحديث > التهانوي < ص ٩٧

٦٣٢ شدة الضعيف ، قال ابن عابدين : هو الذي لا يخلو طريق من طرقه عن كذاب أو متهم بالكذب .

٦٣٣ وان لا يعتقد سنية ذلك الحديث : أي سنية العمل به .

٦٣٤ الدر المختار ، ص ٨٧

٦٣٥ اصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . عجاج ، ص ٨٢

٦٣٦ الملك : ٢

٦٣٧ رسالة الحسبية ، ص ٧٠

٦٣٨ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٥١

وسلم - بنفي الايمان عنه فتكون الطامة البكرى وهو الموت على غير ملة الاسلام كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ) . فالنجاح والفلاح يدور مع السنة ، وبقدر ما ننهل منها يكون الأجر .

د - اخذ شدة الحذر من الابتعاد عن ظاهر الحديث او لفظه :

فقد كان السلف الصالح يأخذ الحديث ظاهره ولظه وعدم الابتعاد خشية من ان يبتعد عن مدلوله ومعناه أو ينتقص من أحكامه شيئا أو يتجاسر المتساهلون بتأويلات تفقد كثيرا من رونقه وهيئته .

قال العارف الشعرائي في ميزانه : > كان الامام الشافعي يقول الحديث على ظاهره ، ولكنه اذا احتمل عدة معان ، فأولاهما ما وافق الظاهر <sup>٣٢</sup> . وقال قد بن مرة : > وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يقدرون على القياس ، ولكنهم تركوا ذلك أدبا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم < .

ومن هنا قال سفيان الثوري : > من الأدب اجراء الأحاديث التي خرجت مخرج الزجر والتنفير على ظاهرها من غير تأويل ، فانها إذا أولت خرجت عن مراد الشارع : ( من غشنا فليس منا ) <sup>٣٣</sup> ، وحديث : ( ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ) <sup>٣٤</sup> . . . > فإن العالم إذا أولها بأن المراد ( ليس منا ) في تلك الخصلة فقط ، أي وهو منا في غيرها ، هان على الفاسق الوقوع فيها ، وقال : مثل المخالفة في خصلة واحدة أمر سهل ، فكان أدب السلف بعدم التأويل أولى بالاتباع للشارع ، وان كانت قواعد الشريعة قد تشهد ايضا لذلك التأويل <sup>٣٥</sup> .

والحق أن تجويز الرواية بالمعنى قد احيط - عند المجوزين - بشروط لم تتوافر الا في الصحابة والتابعين وكبار أئمة الفقهاء والرواة ، فمن كانت لغتهم سليقة ، وجبلتهم عربية <sup>٣٦</sup> . . .

هذا على فرض رواية أولئك الاسلاف الصالحين على المعنى ، وعلئيفرض تساهلهم جميعا في الحديث المرفوع كتساهلهم في غيره ، ثم

٦٣٩ قواعد التحديث . ص ٢٠٥

٦٤٠ رواه مسلم في الايمان ، ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠١ . . . رواه ابن ماجه ج ٢ ص ٧٤٩ رقم ٢٢٢٥

٦٤١ رواه البخاري في الجنائز ، ص ٤٣٥ ، رقم ١٢٢٢ . رواه مسلم في الايمان ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠٣

٦٤٢ قواعد التحديث ، ص ٢٠٥

٦٤٣ المصدر السابق .

٦٤٤ علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٢٢٩

على فرض الاجماع على اباحة الرواية بالمعنى اطلاقا للجميع في عصر الرواية والتدوين ، ولكن الواقع خلاف هذا من كل وجه : فالرعيل الاول من الرواة كانوا يتشددون في الرواية باللفظ والنص ، ولا يتساهلون حتي في الواو والفاء ، وكان احب الي اُحدهم - كما قال الاعمش - ان يخر من السماء من أن يزيد في الحديث واو أو فاء أو دالا<sup>١٤٠</sup> .

عن معن ابي عيسى قال : كان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بين التي والذي ونحوهما<sup>١٤١</sup> .  
لم يكن ذلك الخوف والتهيب إلا لأن السنة لها القيادة ، فلذلك يخش أولئك الصالحون من السلف الأول أن يغير حرفا أو كلمة فيبتعد عن القيادة ، فيحبط عمله ويكون من الخاسرين .

هـ - وضع الشروط الشديدة ممن يؤخذ عنه الحديث :

لقد أحاط العلماء الحديث النبوي الشريف بأسيجة مانعة تحميه من التبديل والتغيير والوضع ، ولقد كانت تلك الشروط شديدة تضرب على أيدي العابثين من الجهلة والزنادقة واصحاب الضمائر الضعيفة .. ومن هذه الشروط :

١ - التثبت قبل أخذ الحديث :

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لأبي موسى الأشعري حين طلب منه راويا آخر في حديث الاستئذان : > أما إني لا أتهمك ، ولكني خشيت أن تقول الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - <<sup>١٤٢</sup> .

٢ - وضع شروط معينة<sup>١٤٣</sup> للأخذ بالحديث :

من هذه الشروط المعاصرة بين الراوي وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقى بينهما مع ذلك كما هو عند البخاري<sup>١٤٤</sup> .

٦٤٥ الكفاية ، ص ١٧٨

٦٤٦ المصدر السابق .

٦٤٧ الجرح والتعديل ، ص ٩١ - ٩٢ . الأصل معرفة السنن والآثار ١/٣٢

٦٤٨ من أراد المزيد من ذلك ان يراجع كتاب شروط الأئمة الستة > للمقدسي < ، والكتاب الذي يليه: شروط الأئمة

الخمسة > للحازمي < .

٦٤٩ شروط الأئمة الخمسة مع كتاب شروط الأئمة الستة ، ص ٢٠

٣ - وضع الاسناد<sup>٦٥٠</sup> :

فالاسناد هو بمثابة السلم أو الدرة الذي يتوصل به الى الارتقاء أو الوصول الى المتن ، وبقدر قوة ذلك الاسناد يؤخذ بالحديث عندما يختبر المتن<sup>٦٥١</sup> وتثبت صحته كذلك . ولذلك حث العلماء من أصحاب هذا الفن الاهتمام بالاسناد ..

قال سفيان الثوري : أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح . وفي رواية : الاسناد سلاح المؤمن ، فاذا لم يكن معه السلاح فبأي شيء يقاتل<sup>٦٥٢</sup> ؟ . وقال الامام الشافعي : مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري<sup>٦٥٣</sup> . وقال عبدالله بن المبارك : الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء<sup>٦٥٤</sup> .

وقال أيضا : بيننا وبين القوم القوائم ، يعني الاسناد . وقال يزيد بن زريع : لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد<sup>٦٥٥</sup> . لقد اهتم العلماء بسند الحديث وعدوه الدرع الواقى للسنة ، وان لم يحتمي به فانه يهلك ، لانه يتعرض لتغيير الشرع فيحبط عمله ، ونسبة ذلك الهلاك بمن يذهب الى الهيجاء بغير سلاح أو بحاطب ليل تلسعه حية فتقضي على حياته .

ولم يكتفي العلماء بهذا التهديد والوعيد لمن أهمل السند أو لم يتحرر الدقة فيه ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك وشهروا السلاح العملي للزجر والتوبيخ لمن لم يلتزم بالسند ..

فقد روى انه كان الزهري عند اسحاق بن أبي فروة ، فجعل ابن أبي فروة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له الزهري : قاتلك الله يا ابن أبي فروة ، ما

٦٥٠ والسند في اصطلاح المحدثين هو سلسلة الرواة الذين ينقلون ما أضيف الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وسمي سندا إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة ما ينقله الى مصدره ، او لاعتماد الحفاظ على السند في معرفة صحة الحديث وضعفه < المختصر الوجيز في علوم الحديث ، ص ٢٢ >

٦٥١ المتن : والمتن في الاصطلاح هو ألفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه ، ولعله سمي متنا لأنه الظاهر والمطلوب والغاية من الحديث كله ، فهو مأخوذ من معانيه اللغوية السابقة < المختصر الوجيز في علوم الحديث ، ص ٢٢ >

٦٥٢ جواهر الأصول ، ص ٦

٦٥٣ جواهر الأصول ، ص ٦٠٠ رسالة التقليد ، ص ٢٨ بل الحديث بلا اسناد العلم بلا حجة .

٦٥٤ معرفة أصول الحديث ، ص ٦

٦٥٥ جواهر الأصول ، ص ٧

أجراك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمه<sup>٦٥٦</sup> .

٤ - وضع درجات ومستويات لرجال السند :  
فقد وضع العلماء مصطلحات فيها الدقة والضبط لمستوى الراوي ودرجته في العدالة ، فكان كل راو له ميزانه الدقة لمصطلحاته .

فكان على بن المديني يستعمل : ثقة ، ثبت : فقد وصف عبدالله بن الحارث بأنه ثقة ، ووصف خطان بن عبدالله الرقاش بأنه ثبت ، وذلك بعد أن سرد جمعا من أعلام المحدثين الذين روا عنه كالحسن ويونس بن جبير وأبي مجلز وأبي هارون<sup>٦٥٧</sup> .

أما الامام الشافعي فمن العبارات التي استخدمها : ثقة ، ولا بأس به ، ومن لا أتهم . سأله اسحاق بن ابراهيم : ما حال جعفر بن محمد عندكم ؟ فقال : ثقة ، كتبنا عن ابراهيم عن ابي يحيى عنه أربعمئة<sup>٦٥٨</sup> .

أما الامام احمد فكان يستخدم : ثقة - ثقة خيار - ثقة ثقة - رجل صادق - صالح الحديث - أثبت الناس .. ما أعدل به أحدا<sup>٦٥٩</sup> .

وعلى أساس هذا الفن وتلك الصناعات يكون التفاضل بين حديث وآخر ، وتقديم حديث على آخر ، وترجيح حكم على آخر ، وهذا علم يحتاج الى دقة وسعة أفق ، وان لا تأخذه في الله لومة لائم .

وكما وضعوا درجات للعدالة ، كذلك وضعوا في الجرح درجات للضعفاء والمتهمين والكذابين .

#### ٥ - خوفهم الشديد عند رواية الحديث :

فقد كان السلف الصالح وخاصة الصحابة منهم ، من يرتعد عند رواية الحديث النبوي الشريف خشية ان يقع في الخطأ عند رواية الحديث .. ونرى من الصحابة من تأخذه الرعدة ، وتقشعر جلده ، ويتغير لونه ، حين يروي شيئا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورعا واحتراما لحديثه - صلى الله عليه وسلم - .

من هذا ما رواه عمرو بن ميمون قال : ما أخطأني ابن مسعود عشية إلا أتيت فيه قال : فما سمعته يقول شيء قط : > قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < ، فلما كان ذات عشية ، قال : > قال رسول الله - صلى

٦٥٦ معرفة علوم الحديث ، ص ٦

٦٥٧ كتاب العلل ، العلي بن المديني ص ٧٥ > الجرح والتعديل ص ١٠٠ <

٦٥٨ مناقب الشافعي ، ١/٥٢٣ > الجرح والتعديل ، ص ١٠٠ < .

٦٥٩ علل احمد بن حنبل : ١/١٣ ، ٦٧ > الجرح والتعديل ، ص ١٠١ < .

الله عليه وسلم - > قال : فنكس<sup>٦٦٠</sup> ، قال : فنظرت اليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه ، قد أغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريبا من ذلك ، أو شبيها بذلك<sup>٦٦١</sup> .

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : > أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه > ، وفي رواية : > يسأل أحدهم المسألة ، فيردها هذا الى هذا حتى نرجع الى الأول ><sup>٦٦٢</sup> .

ولعل الوهم والخطأ يتبادر الى بعض الناس عند النظر في حال هؤلاء الصحابة الكرام ان بضاعتهم مزجاة في الحديث النبوي الشريف ، أو عندهم زهد من حمل تلك الكنوز التي تنوء بحملها عمالقة الرجال . لم يكن هذا ولا ذاك ، وانما هم أقمار ونجوم أضاءت على الدنيا بأنوار القرآن والسنة .

> وقد ثبت عن الصحابة جميعا تمسكهم بالحديث الشريف واجلالهم إياه ، وأخذهم به ><sup>٦٦٣</sup> .

وأقول أن شدة الخوف ناتج عن كثرة الاهتمام به ، والشوق لتطبيقه وخشية نسيانه وهيبة سموه .

ز - الزجر الشديد لمن يعرف الحكم من السنة ويطلب دليلا من غيرها :

وقد ورد الزجر الشديد لمن تبين له الحكم الشرعي في السنة النبوية ، وأخذ يسأل عن دليل آخر من غير السنة .

وعن الحارث بن عبدالله بن أوس قال : > أتيت عمر بن الخطاب فسألته عن المرأة تطوف بالببيت ثم تحيض ؟ . قال : ليكن آخر عهدها الطواف بالببيت . فقال الحارث : فقلت : كذلك أفتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال عمر : تبنت يداك ، أو ثكلت أمك ، سألتني عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، كيما أخالفه ><sup>٦٦٤</sup> .

حدث الأوزاعي عن أيوب السخثياني أنه قال : > إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا ، وحدثنا من القرآن ، فاعلم انه ضال مضل ><sup>٦٦٥</sup>

٦٦٠ نكس : أي طأطأ رأسه وخفضه .

٦٦١ سنن ابن ماجه ، ج ١ ص ٨ > اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٨٥ <

٦٦٢ مختصر كتاب المؤمل .

٦٦٣ اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٨٥

٦٦٤ جامع بيان العلم ، ج ٢ ص ٢٢٨

٦٦٥ الكفاية في علم الرواية ، ص ١٦

## المبحث الرابع :

### العقاب والثواب

- أ - العقابة الوخيمة لمن هجر السنة .
- ب - مدح العلماء الذين يطلبون علم الحديث .

هذان القسمان من جوهر الشريعة الاسلامية ، من روح الاسلام ، ولو لم يكن قانون الثواب والعقاب لاختلت الموازين ولتبدلت القيم ، وسادت الرذيلة ، وغابت الفضيلة ، لذلك جعل الله هذا القانون تورا مضيئا لأهل العفاف والاستقامة ، وسيفا قاطعا لأهل الظلم والرذيلة ..  
وما أحسن قول القائل فيه - صلي الله عليه وسلم - :

ان الرسول نور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول  
ويقول المرحوم سيد قطب :

> والاعتقاد بوجود ألوهية عادلة يستتبع حتما جزاء على الخير والشر ، إن لم يتم في الأرض في هذا العالم ، فلا بد ان يتم هناك في عالم آخر<sup>٦٦٦</sup> .

وهذا الجزاء هو الذي يوقظ ضمير الانسان ، وينبه الاحساس :  
> فالعقوبات موانع قبل الفعل ، زواجر بعده . أي ان العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل ، وايقاعها بعده يمنع العودة اليه<sup>٦٦٧</sup> .  
والجزاء هو أساس التعاون والتماسك والتكافل ....  
> وعلى هذا الأساس وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية ، وشددت تشديدا ، لأن التعاون لا يقوم الا على أساس صيانة حياة كل فرد في دار الاسلام ، وماله ، وحرماته<sup>٦٦٨</sup> .  
( كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله )<sup>٦٦٩</sup> .

٦٦٦ مشاهد القيامة في القرآن ، > سيد < ص ١١

٦٦٧ فتح القدير ، ج ٤ ص ١١٢ . وانظر ابن عابدين ، ج ٣ ص ٢١٦ . الاصل في الفقه الاسلامي ص ١٣

٦٦٨ العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٧٣

٦٦٩ رواه مسلم ، ج ٤ جزء ٨ ص ١١ ، باب البر .

إن الجزاء الذي ذكرته يعتبره الشرع فرضاً لازماً على كل فرد من المسلمين أن يلتزم به ، فالأولى أن يكون ذلك الجزاء فرضاً بحق من يطبق السنة أو يهجرها ، لأن الأحكام التي ذكرتها هي فروع من السنة التي هي الأصل في ذلك ، وهدم الأصل هو هدم لجميع الفروع من الأحكام ، وأن أصل العقاب والثواب لحياة الأمة ولقوتها ولجميع شملها ، والسنة بكليتها هي أجمع للأمة ..

وبعد هذه المقدمة العامة . أتبين حجية السنة في الفرعين المذكورين أعلاه < أ ، ب > ..

#### أ - العاقبة الوخيمة لمن هجر السنة :

لقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ترك السنة ، والابتعاد عنها ، وعدم تطبيقها ، لأن المسلم يتعرض لغضب الله وعقابه ، وتشنت الأمة وتفرقتها ، ودخول البدع ..

روى أبو داود بسنده عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالاً : أتينا العرباض بن سارية ، وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه » .. فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ( فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : ( أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة )<sup>٦٧٠</sup> .

في الحديث يوصي التمسك بالسنة وهو أمر يوجب الأخذ به ، وحذرنا من البدع ، وهو جعل ما ليس في الدين ديناً ، وبمعنى آخر أن سبب الضلال والوقوع في البدعة هو هجر السنة ويكون هذا جزاءً وفاقاً .

٦٧٠ رواه أبو داود ، ج ٤ ص ٢٠٠ عن أحمد بن حنبل . والترمذي ، ج ٤ ص ١٥٠ وقال : حديث حسن صحيح

ورواه الحاكم ، ج ١ ص ٩٦ وصححه واقره الذهبي .

وقد يقع الجزاء من نوع آخر وهي عقوبة مادية ، كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أن رجلا أكل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشماله ، فقال : ( كل بيمينك ) ، قال : لا استطيع ، قال : ( لا استطعت ) ، ما منعه الا الكبر . قال : فما رفعها الى فيه<sup>٦٧١</sup> .

والمقصود : أن يده عجزت عن الحركة ، فهذا الجزاء يدل على حجية السنة وفرضيتها ، ولو كان مندوبا لما حل به هذا العقاب .

- ومن العقوبات التي عجلها الله فمن بلغه حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يعظمه ..

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - انه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( بينما رجل يتبختر في بردين ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة )<sup>٦٧٢</sup> . فقال له فتى وهو في حلة له ، يا أبا هريرة : أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به ؟ ثم ضرب بيده ، فعشر عشرة كاد ينكسر منها . فقال أبو هريرة للمتبختر<sup>٦٧٣</sup> : « إنا كفيناك المستهزئين »<sup>٦٧٤</sup> .

ولقد اتخذ بعض السلف عقوبة الهجر لمن خالف السنة ، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف ، عن خراث بن جبير قال : رأيت في المسجد فتى يخذف<sup>٦٧٥</sup> ، فقال له شيخ لا تخذف ، فإنني سمعت النبي - صلى الله

٦٧١ صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٩٩ ، كتاب الأشربة ، رقم ٢٠٢١

٦٧٢ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢١٨٢ رقم ٥٤٥٢ . صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٦٥٢ رقم ٢٠٨٨ . والدارمي  
المجلد الأول ، ص ١١٦

٦٧٣ الأنوار الكاشفة لما في كتاب اضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ، ص ١٥٢ . والدارمي ج ١  
ص ١١٦ .

٦٧٤ الحجر : ٩٥

٦٧٥ الخذف : هو ضرب الحصى أو النواة بين السبابة والابهام أو السبابتين بقصد صيد الطير ونحوه > هامش  
مفتاح الجنة ، للسيوطي ، ص ٢٤٥ > تحقيق .

عليه وسلم > نهى عن الخذف ><sup>٣٦</sup> ، فحذف . فقال له الشيخ : احدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تخذف ، والله لا أشهد لك جنازة ، ولا أعودك في مرض ، ولا أكلمك أبدا .

ب - مدح العلماء الذين يطلبون علم الحديث :

فالمدح والثناء هو نوع من الجزاء ، ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى يمدح اصحاب الأعمال الصالحة في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا ، ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم :

قال تعالى : « وبشئر المخبتين ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين علي ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون »<sup>٣٧</sup>

وقال تعالى : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون ... »<sup>٣٨</sup> .

ولقد مدح العلماء طلب علم الحديث ، وقدموه على سائر العلوم ، ومن الأقوال التي قيلت في مدحه :

١ - تفضيل طلب علم الحديث على النافلة : قال الشافعي - رحمه الله - : < طلب العلم أفضل من صلاة النافلة > . . ويعني بالعلم : العلم بالسنة<sup>٣٩</sup> ، لأنه نقل عنه انه قال : < كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ><sup>٤٠</sup> .

٢ - تفضيل علم الحديث على سائر الأعمال : عن سفيان الثوري قال : < لا أعلم من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت نيته ><sup>٤١</sup> .

٦٧٦ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي ، ص ٢٤٥ . وفي بعض الروايات هذا الحديث علة النهي وهي ان تلك الحصاة تفقأ العين وتكسر السن ولا تصطاد صيدا ولا تنكي عدوا ، وكذلك ورد في سنن الدارمي وهو قول خراش فغفل الفتى فظن ان الشيخ لا يفطن له فحذف ، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ .

وروى نحو هذا الحديث في صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٤٧ رقم ١٩٥٤ عن عبدالله بن مغفل . . .  
والبخاري ، ج ٥ ص ٢٢٩٧ ، رقم ٥٨٦٦ عن عبدالله بن مغفل .

٦٧٧ الحج : ٣٤ - ٣٥

٦٧٨ الفتح : ٣٩

٦٧٩ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٢٢٨

٦٨٠ المصدر السابق ، ص ٢٢٩

٦٨١ المصدر السابق ، ص ٢٢٨

وعن ابن مبارك قال : > ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله عز وجل <<sup>٣٢</sup> .

٣ - علم الحديث تصديق لكتاب الله وقوة وطاعة لله : سُمِعَ عن مالك بن أنس يقول : > سنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولاية الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتدٍ ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى <<sup>٣٣</sup> .

٤ - يحمل علم الحديث من كل جيل خيارهم : عن أسامة بن زيد قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين ) <<sup>٣٤</sup> .

٥ - علم الحديث حصن لحماية الاسلام من الاندراس : حدث عبدالحميد بن حميد قال ، سمعت أبا داود يقول : > لولا هذه العصاة لاندرس الاسلام - يعني اصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار .. <<sup>٣٥</sup> .

٦ - علم الحديث عز في الدنيا ورشاد في الآخرة : سمع عبدالله بن داود يقول ، سمعت سفيان الثوري يقول : > سماع الحديث عز لمن أراد به الدنيا ، ورشاد لمن أراد به الآخرة <<sup>٣٦</sup> .

من هذه الأقوال يتبين لنا أن أصحاب الحديث هم صفوة خلق الله ، وعدة الخير في كل زمان ومكان ، وهم السلاح لصد الأعداء ، ومنابع النور لبيان الشريعة الاسلامية وحفظها ولان الحديث يشتمل علي معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ..

٦٨٢ المصدر السابق .

٦٨٣ شرف اصحاب الحديث ، ص ٧

٦٨٤ المصدر السابق ، ص ٢٨

٦٨٥ المصدر السابق ، ص ٥٢

٦٨٦ المصدر السابق ، ص ٦٢

وفي الحديث قصص الأنبياء ، وكلام الفقهاء ، وشرح مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحكامه وقضاياه ، ومعجزاته ، وأزواجه وأولاده وأصهاره وأصحابه ، وذكر فضائلهم ومآثرهم ، وفيه تفسير القرآن العظيم ، وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة<sup>٣٧</sup> .

ومن هنا يعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الي معرفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ، فإنه لا سبيل الي الفلاح الا على يديه ، ولا الي معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل الا من جهته ، فأني حاجة فرضت وضرورة عرضت ، فضرورة العبد الي الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوقها بكثير<sup>٣٨</sup> .

٦٨٧ المصدر السابق ، ص ٨

٦٨٨ مختصر زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، ص ٨

### الفصل الثالث

#### الأدلة العملية والأخلاقية والعقلية والعلمية على حجية السنة

أو (الأدلة غيرالنقلية على حجيه السنة)

وتشتمل على خمسة مباحث :

#### المبحث الأول

##### جهود العلماء والمسلمين عامة لتعلم السنة :

إن الجهود المضيئة التي بذلها العلماء والصلحاء وكثير من المسلمين التي استغرقت العمر بأكمله ، وهم من صفوة كل جيل ، مع عدم اعتراض الناس لتصرفهم ، هذا دليل واضح لمن له أقل معرفة وبصيرة ، بأن هذه السنة حجة على جميع خلق الله ممن آمن بكتابه واتبع دينه ..

- ومن هذه الجهود التي بذله العلماء :

١ - الرحلة في طلب الحديث :

لقد استعذب العلماء الرحلة في طلب العلم ، مع ان السفر هو من اشد الصعاب ، وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك المشقة بالحديث ، فقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله ) .

فقد هانت عليهم تلك الصعاب ، واعتبروا تلك الرحلة هي رحمة للأمة ، يرفع عنها البلاء ويكشف الضر عنها .. وعن ابراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - انه قال : > ان الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث <<sup>٦٨٩</sup> .

وقد رحل بعضهم الى بلاد كثيرة في طلب علم الحديث ، قال احمد بن حنبل - رحمه الله - : > لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه ،

رحل الى اليمن والى مصر والى الشام والبصرة والكوفة ، وكان من رواة العلم وأهل ذلك ، كتب عن الصغار والكبار <sup>١١٠</sup> .  
ولقد بلغ من شدة اهتمامهم بالحديث ان يرحل أحدهم لأجل الحديث الواحد ..

عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

ومما يشد العزم ويقدح زناد الهمة بالاستمرار في هذه الرحلات وعدم السأم ان > قيل من علامات محبته - عليه السلام - الكعوف على ذكره وسماع حديثه في الارتحال والمقام <sup>١١١</sup> .

كل هذه المغريات في الأجر والثواب جعلت تهون عليها الصعاب ، فتقطع الفيافي والقفار ، ومما يروى عن جرير بن حيان : > أن رجلاً <sup>١١٢</sup> ، رحل الى مصر في طلب في هذا الحديث <sup>١١٣</sup> فلم يحل رحله حتى رجع الى بيته > .

وكذلك كانوا يرحلون لأجل التأكد من الحديث ولو سمعوا في بلدهم ، وعن أبي العالية الرياحي قال : > كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة ، فسمعناها من أفواههم <sup>١١٤</sup> .

وكان للرحلة أثر في شيوع الأحاديث ، وكثير طرقها ، كما كان لها أثر في معرفة الرجال بصورة دقيقة ، لأن المحدث يذهب الى البلدة فيتعرف على علمائها ويخالطهم ويسألهم ، ولولا الرحلة لتنوع علم الاقاليم المختلفة ، واتسع الخلاف في الأحكام <sup>١١٥</sup> .

ولعل هذا الظمأ الى طلب العلم ان يكون السبب في سفر عبدان <sup>١١٦</sup> الى البصرة ثماني عشرة مرة ليسمع ما يرويه أهل هذا المصر

- 
- ٦٩٠ الرحلة في طلب الحديث ، للبغدادي ، ص ٩١  
٦٩١ الرسالة المستطرفة ، للكتابي ، ص ٣  
٦٩٢ هو عقبة بن عامر ، ركب الى مسلمة بن مخلد ، وهو أمير على مصر - الكتاب العلم ، للنسائي ، ص ١٢ -  
وقيل هو : جابر بن عبدالله ، عن كتاب المحدث الفاضل ، للرامهرزي ، > ذكر ذلك في كتاب حوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢٠٨ < .  
٦٩٣ الحديث : > من سرّ على أخيه في الدنيا ، سرّ الله عليه في الآخرة < .  
٦٩٤ سنن الدارمي ، ١/١٢٦  
٦٩٥ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢١٣  
٦٩٦ عبدان : هو احمد بن موسى الجواليقي ٠٠ > حاشية علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٥٥ < .

من السنن التي تفرد بها أيوب<sup>٣٧٧</sup> .

ولقد أكبر الناس هؤلاء الرحالين والجوالين في جميع العصور مما شجع كبار المحدثين على الرحلة مرارا .. وقد ذكر أن بعض هؤلاء الجوالين قد طوفوا الشرق والغرب مرارا .. وان المستشرق جولد زيهر - على ولوعة بانكار أخبار القوم - لا يفوته ان يعترف بأن : > الرحالين الذين يقولون انهم طافوا الشرق والغرب أربع مرات ، ليسوا - في نظره - مبعدين ولا مغالين <<sup>٣٧٨</sup> .

لقد كانت لتلك الرحلات على ما فيها من المشقات والصعاب ، قد أتت بفوائد جمة ، حيث انهم وثقوا الأواصر بين بلدان العالم الإسلامي ، وهدموا الحواجز ، وأزالوا السدود والحدود ، وجعلوا العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة .

ب - الجهود التي بذلها العلماء في حفظ الحديث :

لقد اهتم المسلمون كثيرا لحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منذ صدر السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .. فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : > كنا نكون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه بيننا حتى نحفظه <<sup>٣٧٩</sup> .

وقال مرة عبدالرحمن بن أبي ليلى : > احياء الحديث مذاكرته ، فتذاكروه .. قال ، فقال عبدالله بن شداد : يرحمك الله ، كم من حديث أحييته في صدري ، قد كان مات <<sup>٣٨٠</sup> .

وكذلك كانوا يستعينون على الحفظ بكثرة المجالسة ، وذكروا انه قد تطول المجالسة والمذاكرة في أول الليل حتى نداء الفجر<sup>٣٨١</sup> .

وكانوا يبتعدون عن كثرة الكلام لأجل عدم تبعثر الفكر .. ومما يروى عن شعبة بن الحجاج انه خرج من عند عبدالله بن عون ، وقد عقد بيده جميعا فكلمه بعض اخوانه ، فقال : > لا تكلمني ، فاني حفظت عن ابن

٦٩٧ معجم البلدان ٤١٤/١ . وأيوب هو : العالم الفقيه الكبير > أيوب بن كيسان السخيتان ابوبكر < ١٢١هـ

عن حاشية علوم الحديث ، ص ٥٥ .

٦٩٨ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٥٦

٦٩٩ الجامع لاخلق الراوي وأدب السامع ، ص ٤٦

٧٠٠ كتاب العلم ، لزهير بن حرب النسائي ، ص ١٩ - ٢٠

٧٠١ اصول الحديث وعلومه ، د . محمد عجاج ، ص ١١٢

عون عشرة أحاديث ، أخاف أن أنساها<sup>٧٠٢</sup> .  
ومما كانوا يستعينون به على تثبيت الحفظ كثرة تكرار الحديث  
بالتحدث مع الناس ، فإذا لم يجد من يحدثه حدث خادمه أو بنيه ، وفي  
هذا يروى عن الامام الزهري انه كان يبتغي العلم من عروة وغيره ، فيأتي  
جارية له نائمة فيوقظها ، فيقول لها : حدثني فلان بكذا ، وفلان بكذا ،  
فتقول : مالي ولهذا ، فيقول : قد علمت انك لا تنتفغي به ، ولكن سمعت  
الآن ، فأردت ان استذكره<sup>٧٠٣</sup> .

ولا يجد اسماعيل بن رجاء من يذاكر الحديث معه ، فيجمع غلمان  
المكاتب ويحدثهم كيلا ينسى حديثه<sup>٧٠٤</sup> .

ولقد حدا بهم حادي الشوق لحفظ السنة النبوية ان تركوا حطام  
الدنيا وجعلوها وراءهم ظهريا لأجل ان يخففوا من أعبائها حتى يتفرغوا  
لحفظ الحديث النبوي ، قال ابن سيرين : قال أبوهريرة - رضي الله عنه -  
لقد رأيتني أصرع بين القبر والمنبر من الجوع ، حتى يقولوا : مجنون<sup>٧٠٥</sup> .  
وفي رواية أخرى عن هشام ، عن محمد ، قال : كنا عند أبي هريرة ،  
فتمخط ، فمسح بردائه ، وقال : الحمد لله الذي تمخط أبو هريرة في  
الكتان ، لقد رأيتني ، وأنا لأجر فيما بين منزل عائشة والمنبر مغشيا على  
من الجوع ، فيمر الرجل ، فيجلس على صدري ، فارفع رأسي ، فأقول :  
ليس الذي ترى ، إنما هو الجوع<sup>٧٠٦</sup> .

لقد ترك أبوهريرة كل عمل في الأسواق ، وجعل عمله مرافقة رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - لأجل طلب الحديث ، ولم ينكر أحد عليه ذلك  
.. ومما روي عن سعيد وأبي سلمة : أن أبا هريرة قال : < إنكم تقولون ، إن  
أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،  
وتقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله ، أو ان اخواني  
المهاجرين كان يشغلهم الصفق<sup>٧٠٧</sup> بالأسواق ، وكان اخواني من الانصار

٧٠٢ الجامع لاخلق الراوي وأداب السامع ، ص ٤٧ . وعن اصول الحديث ، د (عجاج ، ص ١١٣

٧٠٣ تاريخ الاسلام للذهبي ، ج ٥ ص ١٤٨ > عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١١٣ .

٧٠٤ المحدث الفاضل ، نسخة دمشق ، ص ١٥ ، وانظر عيون الاخبار ج ٢ ص ١٣٤ ، وتهذيب التهذيب ج ٢

ص ٢٩٦ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١١٣ .

٧٠٥ حلية الأولياء ، ١ / ٣٧٨ > عن سير النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٠ .

٧٠٦ أخرجه البخاري ، ١٣ / ٢٥٨ في الاعتصام . والترمذي (٢٢٦٧) في الزهد : باب ما جاء في معيشة

اصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - . وابن سعد في الطبقات ، ٤ / ٣٢٧

يشغلهم عمل أموالهم ، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة ، ألزم رسول الله على ملء بطني ، فأحضر حتى يغيبون ، وأعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديث يحدثه يوما : ( إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ، ثم يجمع اليه ثوبه ، إلا وعى ما أقول ) فبسطت نمرة على ، حتى إذا قضى مقالته ، جمعتها الى صدري ، فما نسيت من مقالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك من شيء<sup>٧٠٨</sup> .

ولم يكن أبو هريرة هو الوحيد من الصحابة ممن كان يطلب علم السنة ، بل كان كثير منهم له نهمة شديدة أنسته كل نصب .. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : > لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجباً لك يا ابن عباس ، أترى الناس يفتقرون اليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، واقبلت أنا أسأل اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتى باباه وهو قائل ، فأتوسد رداي على بابه ، يسفي الريح علي من التراب ، فيخرج فيراني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت الي فأتيك ؟ فأقول : لا ، أنا أحق ان أتيك ، قال : فأسأله عن الحديث<sup>٧٠٩</sup> .

لقد كان الصحابة يتبعون سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السفر والحضر والمجلس والسوق وفي كل جوانب حياتهم ، ولم يقتصر ذلك علي أفراد قلائل ، وانما يحاول كل فرد منهم ان يعرف أمور دينه . . . > حتى كان بعضهم يتناوبون مجلسه يوما بعد يوم ، ينزل هذا يوما وينزل ذلك يوما آخر ، ثم يخبر كل منهم صاحبه بما سمعه من أقوال رسول الله -

٧٠٨ اخرجه البخاري ، ٢٤٧/٤ في البيوع ، باب ما جاء في قول الله عز وجل : « فاذا قضيت الصلاة ،

فانتشروا في الأرض » عن طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة .

واخرجه مسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة ، باب في فضائل ابي هريرة من طريق الزهري عن سعيد بن

المسيب ، عن ابي هريرة ، وهو في طبقات ابن سعد : ٢٣٠/٤

وابن عساكر ، ١١٤/١٩ ، وحديث ابو هريرة حول تركه السوق عن < النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٥ > .

٧٠٩ البداية والنهاية لابن كثير ، ٢٩٨/٨ ، ترجمة الامام ابن عباس ، ص ٢٦

صلي الله عليه وسلم - وتوجيهاته ، مخافة ان يفوت احدهم منها شيء<sup>٧١٠</sup> ، بعد ان شوقهم - عليه السلام - الى العلم ، وأروى ظمأهم اليه بمثل قوله : ( رحم الله إمرأ سمع مقالتي ، فآداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع )<sup>٧١١</sup> .

لم يكن هذا الطلب الشديد للحديث النبوي الشريف مخصوص بالصحاب الكرام ، وانما تجاوز الي من جاء بعدهم ..

قال عمر بن حفص الأشقر : إنهم فقدوا البخاري أياما من كتابة الحديث بالبصرة ، قال : فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان ، وقد نفذ ما عنده ، ولم يبق معه شيء ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتي اشترينا له ثوبا وكسوناه ، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث )<sup>٧١٢</sup> .

وقال سفيان بن عيينة : سمعت شعبة بن الحجاج يقول : في طلب الحديث أفلس ، بعث طست أمي بسبعة دنانير<sup>٧١٣</sup> .

وان احمد بن سنان الواسطي يقول : بلغني ان احمد بن حنبل رهن نعليه عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن ، وأكرى نفسه من ناس من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها<sup>٧١٤</sup> .

قال ابو العباس الجرجاني : كان ابو اسحاق الشيرازي لا يملك شيئا من الدنيا ، فبلغ به الفقر مبلغه ، حتى كان لا يجد قوتا ولا ملبسا<sup>٧١٥</sup> .

لقد كان سهرهم سلوتهم ، ونور مصابيحهم حدائقهم ، وخط أقلامهم لذتهم ، لقد نسوا الجوع والتعري ، وطمحوا بطلب أوسع من الدنيا وما فيها ، فطوعوا الصعاب ، فصارت مركوبا لهم ، بدل ان تذلمهم .

قال محمد بن يوسف : كنت عند محمد بن اسماعيل - البخاري -

٧١٠ يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : > كنت وانا جار لي من الانصار من بني امية بن زيد وهي من

عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينزل يوما وانزل يوما ، فاذا

نزلت جنته بخير ذلك اليوم ، واذا نزل فعل مثل ذلك > . . . عن كتاب : دفاع عن الحديث النبوي ، ص ٤٧ .

٧١١ جامع بيان العلم ، ٢٩/١ ، رحم الله امرأ . . . عن علوم الحديث للذهبي ، ص ٣٠٤ .

٧١٢ تاريخ بغداد ١٣/٢ للخطيب البغدادي .

٧١٣ تذكرة الحفاظ ، ١٩٥/١

٧١٤ مناقب الامام احمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، ص ٢٢٧ . . . طبقات الحنابلة ، ٢٠٩/١

٧١٥ طبقات الشافعية الكبرى ، ٩٠/٣ > عن ابي اسحاق الشيرازي > ومن اراد الاستزادة فعليه بمراجعة :

طبقات ابن سعد ٣٧٣/٢ ، التاريخ الكبير ٢/٥ ، التاريخ الصغير ١٥٤/١ - ١٥٥ ، الجرح والتعديل

١٠٧/٥ ، جمهرة انساب العرب : ١٥٢ ، تاريخ بغداد ١٧١/١ ، طبقات الفقهاء : ٤٩ ، جامع الاصول

٦٤/٩ ، أسد الغابة ٢٢٧/٣ ، تاريخ الاسلام ١٧٧/٣ ، النجوم الزاهرة ١٩٢/١ .

بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت عليه انه قام واسرج - ليستذكر أشياء نعلقها في ليلة - ثمان عشرة مرة<sup>٧١٦</sup> .

لقد بارك الله تلك الجهود ، وذلك التحمل لوجه الله في طلب السنة خيرا كثيرا ، وعلما غزيرا ظهرت ثمراته ، في الحفظ والتأليف والتبليغ . فقد وفق علماء الحديث للحفظ الذي فاق الخيال ، ولم يسبق لعلم من العلوم ان احاط به ذوي اختصاصه بهذا الحفظ من الدقة والتأليف .

ومن الحفاظ على سبيل الذكر ، لا على سبيل الحصر :

١ - الحفاظ من الصحابة - رضي الله عنهم - :

قال الحافظ الذهبي : المثرون من رواية الحديث من الصحابة - رضي الله عنه أجمعين : أبو هريرة ، مروياته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون . ابن عمر ، الفان وستمائة وثلاثون . أنس الفان ومائتان وستة وسبعون . عائشة ، الفان ومائتان وعشر . ابن عباس ألف وستمائة وسبعون<sup>٧١٧</sup> . .

ولقد كان الصحابي الجليل أبوهريرة أمير الحفاظ من الصحابة الكرام ، فقد روى الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : > كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة<sup>٧١٨</sup> ، وان السيدة عائشة<sup>٧١٩</sup> كانت حافظة زمانها من النساء ، وكيف لا تكون كذلك وهي بنت الامام الصديق الأكبر خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهي أم المؤمنين ، زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهي أفقه نساء الأمة على الاطلاق ، فروت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - علما كثيرا طيبا مباركا فيه وعن ابيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد - رضي الله عن الصحابة جميعا<sup>٧٢٠</sup> - .

ومن حفاظ الصحابة : عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم ، روى علما كثيرا نافعا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن أبيه ، وأبي بكر

٧١٦ تهذيب الاسماء واللغات للامام النووي ، ١/٧٥ . طبقات الشافعية ، للتاج السبكي ، ٢/٢٢٠ و٢٢٦

٧١٧ شذرات الذهب في اخبار من ذهب > الحنبلي ، ج ١ ص ٦٣ <

٧١٨ تاريخ دمشق ، ١٩/١١٦/٢ > عن سير النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٧ <

٧١٩ من أراد الاستزادة عن حياة السيدة عائشة أم المؤمنين فليراجع ، طبقات ابن سعد : ٨/٥٨ - ٨١ .

لتاريخ لابن معين ، ٧٣ . جامع الاصول ٩/١٢٢ . اسد الغابة ، ٧/١٨٨ . تهذيب الكمال ١٦٨٨ ، البداية والنهاية ٨/٩١ ، ٩٤ . مجمع الزوائد : ٩/٢٢٥ - ٢٤٤ ، تهذيب التهذيب ، ١٢/٤٣٣ - ٤٣٦ ، الاصابة

٣٨/١٣ . كنز العمال ١٣/٦٩٣ . شذرات الذهب ١/٩ ، ٦١ ، ٦٣ .

٧٢٠ سير أعلام النبلاء ، بتصرف ، ج ٢ ص ١٣٥

- وعثمان وعلي وبلال وصهيب<sup>٣٣١</sup> .
- ولقد نال ابن عمر هذا الحفظ الكثير ، والعلم الغزير ، بتركه لحطام الدنيا واتجاهه الي طلب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
- قال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر<sup>٣٣٢</sup> .
- وروى سالم بن أبي الجعد ، عن جابر : ما منا أحد ادرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر<sup>٣٣٣</sup> .
- وامتاز ابن عمر - رضي الله عنهما - بحرصه الشديد علي تتبع آثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتطبيقها على نفسه قولاً وعملاً مما جعله ذا عقل واع وفكر ثاقب .
- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر<sup>٣٣٤</sup> .
- عن نافع : ان ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل مكان صلى فيه ، وحتى ان النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس<sup>٣٣٥</sup> .
- ولقد عاش ابن عمر عمراً طويلاً ، فضاه كله بالخير ، ووفق الي كل خير ، وهو حفظه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
- وقال مالك : بلغ ابن عمر سبعا وثمانين سنة<sup>٣٣٦</sup> .
- وقال ابو نعيم والهيثم بن عدي وابو مسهر ، وعدة : مات وسنه - يعني عبدالله بن عمر - ثلاث وسبعين<sup>٣٣٧</sup> . رضي الله عنه وارضاه .

- 
- ٧٢١ سير اعلام النبلاء ، بتصريف ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
- ٧٢٢ ابن سعد ، ١٤٤/٤ > عند الله بن عمر وسيطرته علي نفسه ، عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١١ .
- الحلية ، ٢٩٤/١ .
- ٧٢٣ الحلية ، ٢٩٤/١ ، > ابتعاده عن الدنيا ، < سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٠١ .
- ٧٢٤ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١١ .
- ٧٢٥ اسد الغابة ، ٣٤١/٣ > التزام ابن عمر بكل ما يعقله ، < سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢١٣ .
- ٧٢٦ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٢٢ .
- ٧٢٧ المصدر السابق .

ومن أولئك الاعلام ، ابو العباس عبدالله<sup>٣٢٨</sup> ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - نحووا من ثلاثين شهرا ، وحدث عنه ، وعن عمر ، وعلي ، ومعاذ<sup>٣٢٩</sup> .  
كان ابن عباس - رضي الله عنهما - شديد الخوف من الله ، ملتزما بأوامره ، منتهيا عما نهى الله عنه .

وعن طاووس قال : ما رأيت أحد أشد تعظيما لحرمان الله من ابن عباس<sup>٣٣٠</sup> .

وكانت لابن عباس همة عالية اعانتة على الحفظ ، وكان كثير السؤال عن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يمل ولا يكل .. عن سليمان الأحول ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : < ان كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ><sup>٣٣١</sup> .

ومما زاد ابن عباس بصيرة وفكرا ثاقبا كان عالما بتفسير القرآن ، ان عبدالله<sup>٣٣٢</sup> قال : < ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس ><sup>٣٣٣</sup> .  
ومع كل هذا التبحر والامام بدقائق الأمور ، كانت له عقلية فقهية واسعة ، ويروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : اعلم من بقى بالحج ابن عباس<sup>٣٣٤</sup> .

ولم يمنعه كثرة علمه وهمة طلبه من كثرة العبادة ومراقبة الله ، وشدة الخوف الذي سيطر علي جميع حياته ، عن ابن أبي مليكة ، صحبت ابن عباس من مكة الي المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل ، قام شطر

- 
- ٧٢٨ ومن اراد الاستزادة ، فعليه ان يراجع : طبقات ابن سعد ٢/٣٦٥ . المحبر : ١٦ ، ٢٤ ، ٩٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ . التاريخ الكبير ، ٥/٣ ، التاريخ الصغير ١/١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٧ . الجرح والتعديل ، ٥/١١٦ .  
جمهرة أنساب العرب ١٩ ، ٢٠ . الاستيعاب ٩٣٢ ، تاريخ بغداد ١/١٧٢ ، جامع الاصول ، ٩/٦٣ .  
اسد الغابة ، ٢/٢٩٠ . تهذيب الكمال ، ص ٦٩٨ ، تذكرة الحفاظ ١/٣٧ ، البداية والنهاية ، ٨/٢٩٥ .  
الاصابة ٢/٣٣٠ . تهذيب التهذيب ٥/٢٧٦ .  
٧٢٩ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .  
٧٣٠ الطية ، ١/٣٢٩ > عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٢ <  
٧٣١ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٤٤ .  
٧٣٢ يعني عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - .  
٧٣٣ طبقات ابن سعد ، ٢/٣٦٦ ، وأخرجه الحاكم ، ٣/٥٢٧ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ،  
ووافقه الذهبي > عن سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٧ .  
٧٣٤ ابن سعد ، ٢/٣٦٩ > عن سيرة اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٤٨ <

الله ، ويرتل القرآن حرفا حرفا ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب<sup>٧٣٥</sup> .  
وقد مر عن هذا العالم المتبحر والزاهد العابد عن حفظه ، ومسنده  
الفا وست مائة وستون حديثا<sup>٧٣٦</sup> .

وقال ابن المديني : < توفى ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين >  
.. وقال الواقدي ، والهيثم ، وابو نعيم : سنة ثمان . وقيل : عاش احدى  
وسبعين سنة<sup>٧٣٧</sup> .

ولم يقتصر الحفظ وغزارة العلم بالسنة على الجيل الفريد جيل  
الصحابة الكرام ، لا بل انتقل الى الأجيال التي أتت وتعاقبت لسنين  
طويلة ، ولم تجد زمانا يكاد يخلو من أولئك الأفاضل ، الذين هم أشبه ببحر  
متلاطم يعجز العالم ان يحيي بذكرهم ، ولكن نذكر شذرات منهم على سبيل  
المثال :

ومن تلك الجهود التي بذلت في الحفظ والتأليف في السنة النبوية  
ما قام به امام دار الهجرة الامام مالك بن أنس < ت ٧٩ هـ > .  
من الجهود في تأليف كتاب < الموطأ > قال الامام مالك : < عرضت  
كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة ، كلهم واطأني عليه ،  
فسميته الموطأ ><sup>٧٣٨</sup> .

وقد انتقى الامام مالك أحاديث الموطأ من مائة ألف حديث ، كان  
يرويها ، واستغرق تصنيفه وتنقيحه أربعين عاما<sup>٧٣٩</sup> .  
< وجملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وعن الصحابة والتابعين ١٧٢٠ ، المسند منها ٦٠٠ والمرسل ٢٢٢ والموقوف  
٦١٣ ومن قول التابعين ٢٨٥ ><sup>٧٤٠</sup> .

ولا مجال للتعليق على آراء العلماء حول مرتبة الموطأ وكتب  
الشروح لذلك الكتاب .  
ومن العلماء الذين رصدوا أنفسهم لخدمة السنة وحفظها وجمعها هو الامام  
احمد بن حنبل < ت ٢٤١ هـ > . وقد بذل جهدا مضنيا في تأليف

٧٣٥ سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٥٢

٧٣٦ المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٥٩

٧٣٧ المصدر السابق .

٧٣٨ السيوطي ، تنوير الحوال على موطأ مالك ، ص ٧ ، عن كتاب بحوث في السنة ، ص ٢٣٥ < حول

استشارة العلماء بتسمية الكتاب >

٧٣٩ المصدر السابق ، ص ٧

٧٤٠ السيوطي ، تنوير الحواك ، ص ٨

< المسند > ..

ويضم مسند الامام احمد ما يقارب الاربعين ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة ، وقد انتقاها من سبعمائة وخمسين ألف حديث<sup>٧١</sup> .  
أما عن درجة أحاديث المسند فهو يحتوي أحاديث صحيحة كثيرة ، وبعضها زيادة على ما في الكتب الستة ، كما ان فيه الحديث الحسن والضعيف والمنكر ، وبعض الأحاديث الموضوعية لكنها نادرة ، ومعظمها وقعت من زيادة ابنه عبدالله أو زيادة ابي بكر القطيعي - راويه عبدالله - على المسند<sup>٧٢</sup> .

وقيل وقع فيه - في المسند - بضعة عشر حديثا حكم عليها النقاد بالوضع<sup>٧٣</sup> .. لكن ابن حجر العسقلاني أجاب عنها<sup>٧٤</sup> ، وهو يرى ان ما لا أصل له من أحاديث مسند احمد لا يزيد على ثلاثة أو أربعة أحاديث<sup>٧٥</sup> ..  
ومما قيل ويقال لا يقلل من قيمة هذا المسند ، ولا ينزله من مركزه المهم بين كتب الحديث .

ومنهم أمير الحديثين الامام محمد بن اسماعيل البخاري > ت ٢٥١ هـ < يعتبر كتابه > الجامع الصحيح < أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل عند جمهور الحديثين ، وقد انتقاه البخاري من ستمائة ألف حديث<sup>٧٦</sup> .  
ومكث البخاري في تصنيفه ست عشرة سنة ، وما كان يضع فيه حديثا الا بعد ان يغتسل ويصلي ركعتين ، ويستخير الله في وضعه<sup>٧٧</sup> .  
ولا يدخل فيه من التعاليق والمتابعات والشواهد ضمن الصحيح<sup>٧٨</sup> .  
وجميع ما في صحيح البخاري من الأحاديث الموصولة بلا تكرير - ٢٦٠٢ حديثا ، وان جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات ٧٣٩٧ حديثا<sup>٧٩</sup> .

- 
- ٧٤١ ابو موسى المدني : خصائص المسند ، ص ٢١ > طبع في مقدمة المسند احمد محمد شاكر > وابن الجوزي المصعد الحمد في ختم مسند الامام احمد ، ص ٣١ > طبع في مقدمة كتاب المسند ، طبقة احمد محمد شاكر > عن بحوث ص ٢٣٦ .
- ٧٤٢ ابن تيمية > منهاج السنة ، ص ٣٧ ، عن بحوث ص ٢٣٧ .
- ٧٤٣ الخولي : مفتاح السنة ، ص ٣٥
- ٧٤٤ في كتاب > القول المسدد ، في الذب عن مسند احمد > .
- ٧٤٥ تعجيل المنفعة برجال الأربعة ، لابن حجر ، ص ٦
- ٧٤٦ الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٨/٢ ، وابن حجر : هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص ٥
- ٧٤٧ مفتاح السنة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .
- ٧٤٨ الباحث الحثيث ، ابن كثير ، ص ٣٤
- ٧٤٩ هدى الساري ، ابن حجر ، ص ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٨ .

وقد نال صحيح البخاري عناية فائقة من العلماء في سائر العصور بشرحه ، ومن أجل شروحه كتاب < فتح الباري بشرح صحيح البخاري > للحافظ ابن حجر العسقلاني < ت ٨٥٢ هـ > ، و < عمدة القاري > لبدر الدين العيني الحنفي < ت ٨٥٥ هـ > ، و < إرشاد الساري الي صحيح البخاري > للقسطلاني < ت ٩٢٢ هـ > .<sup>٧٥٠</sup>

ومن العلماء الراسخين في علم الحديث الامام مسلم < ت ٢٦١ هـ > : ويعتبر صحيح الامام مسلم في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري ، وقد انتقى الامام مسلم احاديث صحيحه من ثلاثمائة الف حديث مسموعة<sup>٧٥١</sup> . واستغرق تصنيفه خمس عشرة سنة<sup>٧٥٢</sup> ، ويبلغ عدد احاديثه أربعة آلاف حديث سوى المكرر<sup>٧٥٣</sup> .

ولقد لقي صحيح مسلم قبولا كبيرا من العلماء ، فاعتنوا بشرحه ، ومن أحسن شروحه كتاب < المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج > للحافظ أبي زكريا محي الدين النووي الشافعي < ت ٦٧٦ هـ > . والامام الآخر : هو أبو داود < ت ٢٧٥ هـ > : ويبلغ عدد احاديث سنن أبي داود أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، انتقاها من خمسمائة ألف حديث ، كان قد كتبها<sup>٧٥٤</sup> .

وقد شرحه عدد من أجلاء العلماء منهم : أبو سليمان الخطابي < ٣٨٨ هـ > في كتابه معالم السنن ، وشرف الحق محمد أشرف الصديقي في كتابه < عون المعبود في سنن أبي داود > .

وممن حفظ وألف في الصحاح الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي < ت ٢٧٩ هـ > ، وقد ألف < كتابه الجامع الترمذي > وهو أحد الكتب الستة ، خرج فيه الحديث الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل وأبان عن علته . . وقد التزم ان لا يخرج في كتابه الا حديثا عمل به فقيه أو احتج به محتج<sup>٧٥٥</sup> .

٧٥٠ شروح البخاري ، سزكين : تاريخ التراث العربي ، ص ٣١٢ فما بعد

٧٥١ الخطيب < تاريخ بغداد > ، ١٣/١٠١

٧٥٢ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ١/٨٩٥

٧٥٣ علوم الحديث ، ابن صلاح ، ص ١٧

٧٥٤ تاريخ بغداد ، الخطيب ، ٩/٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي ، ١/٩٣٥

٧٥٥ مفتاح السنة ، الخولي ، ص ٩٤ ، السنة ومكانتها في التشريع ، السباعي ، ص ٤١٣ . الحديث

والمحدثون ، محمد ابو زهرة ، ص ٧١٦ ، ٤١٧

ومن شروح الترمذي كتاب < عرضة الأحوزي على الترمذي ><sup>٧٥٦</sup>  
للحافظ أبي بكر محمدي عبدالله الاشبيلي المعروف بأبن العربي المالكي  
< ت ٥٤٣ هـ > . وشرح الحافظ عبدالرحمن بن الأمدي بن رجب الحنبلي  
المتوفي سنة < ٧٩٥ هـ > ، الشيخ أبو الحسن عبد الهادي السندي  
< ت ١١٣٩ هـ ><sup>٧٥٧</sup> .

وبعد أن ذكرنا شيئاً قليلاً عن جهد وضبط وتأليف هؤلاء الأجلاء من  
العلماء وما لا قوه من عناد وجوع وسهر أثمر كل ذلك حلوة ايمان قذفه  
الله في قلوبهم أضاء عقولهم ، وطهر نفوسهم ، فأخذوا ينظرون بنور الله  
، فأصبحت ذاكرتهم لاقطة للحفظ مما قاب بعضهم عن بعض ، أو بعضهم عن  
نفسه ، وهم الصفوة من خلق الله ، لا يبالغون فيما قالوا .

ومما ذكر حفظ الحفاظ ، قال أبو زرعة الرازي : كان احمد بن حنبل  
يحفظ ألف ألف حديث ، قيل له وما يدريك ؟ قال : ذاكرته ، فأخذت عليه  
الأبواب<sup>٧٥٨</sup> .

وقال يحيى بن معين : كتبت بيدي ألف ألف حديث<sup>٧٥٩</sup> .  
وقال البخاري : احفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث  
غير صحيح<sup>٧٦٠</sup> .

وقال الحاكم في المدخل : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف  
حديث<sup>٧٦١</sup> .

وسئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي  
ألف حديث ، هل يحنث ؟ قال : لا ، ثم قال : احفظ مائة ألف حديث ، كما  
يحفظ الانسان سورة « قل هو الله أحد »<sup>٧٦٢</sup> .

وقال ابوبكر محمد بن عمر الرازي الحافظ : كان أبوزرعة يحفظ  
سبعمائة ألف حديث ، وكان يحفظ مائة وأربعين ألفاً في التفسير  
والقرآن<sup>٧٦٣</sup> .

٧٥٦ مفتاح السنة ، للخولي ، ص ٩٤

٧٥٧ كشف الظنون ، ج ١ ص ٢٨٨

٧٥٨ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠

٧٥٩ المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٠

٧٦٠ المصدر السابق .

٧٦١ المصدر السابق .

٧٦٢ المصدر السابق .

٧٦٣ المصدر السابق .

قال ابي خزيمة : سمعت على بن خشرم<sup>٧٦٤</sup> يقول : كان اسحاق بن راهوية يملئ سبعين ألف حديث حفظا<sup>٧٦٥</sup> .  
وقال عبدالله بن احمد بن حنبل : قال ابي لداود بن عمرو الضبي ، وانا اسمع ، كان يحدثكم اسماعيل بن عياش هذه الأحاديث يحفظه ؟ قال : نعم ، ما رأيت معه كتابا قط ، قال له لقد كان حافظا ؟ كم كان يحفظ ؟ قال : شيئا كثيرا ، قال : أكان يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : عشرة آلاف وعشرة الاف وعشرة آلاف ، فقال : أبي هذا كان مثل وكيع<sup>٧٦٦</sup> .  
وقال يزيد بن هارون : احفظ خمسة وعشرين ألف حديث باسناده ولا فخر ، واحفظ للشاميين عشرين ألف حديث<sup>٧٦٧</sup> .  
وقال الأجرى : كان عبيد الله بن معاذ العنبري يحفظ عشرة آلاف حديث<sup>٧٦٨</sup> .

ولم تكن جهود العلماء مقتصرة على حفظ الأحاديث الصحيحة وتأليفها ، لا بل تعدت الى جميع ما يتعلق بعلم الحديث من فن ولون وباستفاضة لا تجزيء هذه المقدمة من التوضيح والبيان ، ولكن نذكر طرفا هي أشبه بعناوين لتلك البحور الزاخرة .

ومن تلك العلوم : علم غريب الحديث<sup>٧٦٩</sup> ، علم رجال الحديث<sup>٧٧٠</sup> ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه<sup>٧٧١</sup> ، وعلم مختلف الحديث أو علم تأويل مشكل

- 
- ٧٦٤ خشرم - بفتح فسكون - وهو ابن عم بشر الحافي ، مولود سنة ستين ، وصام ثمانية وثمانين عاما .  
تدريب الراوي ، ج ١ ص ٥١
- ٧٦٥ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، ج ١ ص ٥١
- ٧٦٦ المصدر السابق .
- ٧٦٧ تدريب الراوي ، ج ١ ص ٥٢
- ٧٦٨ المصدر السابق .
- ٧٦٩ مفتاح السنة ، للخولي ، ص ١٤٠ - ١٤٤ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٤ - ٤٧٨ . اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٠ - ٢٨٢
- ٧٧٠ مفتاح السنة ، ص ١٤٥ - ١٥٧ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٥٤ - ٤٦٢
- ٧٧١ الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٢ - ٤٧٤ . اصول الحديث ، د . عجاج ص ٢٨٧ - ٢٩٠ . مفتاح السنة ، للخولي ، ص ١٥٨

الحديث<sup>٧٧٢</sup> ، وعلم علل الحديث<sup>٧٧٣</sup> ، وعلم مصطلح الحديث<sup>٧٧٤</sup> ، وعلم معرفة الصحابة<sup>٧٧٥</sup> ، وعلم تاريخ الرواة<sup>٧٧٦</sup> ، وعلم معرفة الأسماء والكنى والألقاب<sup>٧٧٧</sup> ، وعلم المتفق والمفترق ، والمؤتلف والمختلف ، والمتشابه<sup>٧٧٨</sup> ، وعلم معرفة الموضوعات وكشف حال الموضوعين<sup>٧٧٩</sup> .

هذه العلوم يحوي كل منها على مجلدات ، كما أشرت الى الكتب والصفحات التي تذكر فسمما منها ، لا بل توجد كتب بأكملها تعدد أسماء كتب علم الحديث<sup>٧٨٠</sup> .

فعند النظر الي تلك الجهود الجبارة من حفظ وتأليف والتفرغ التام ، يتبين ان السنة حجة علي جميع خلق الله من وجوه :

(١) تقديمها على طلب الرزق والسعي لاكتساب العيش ، وهو واجب علي كل مسلم قادر أن يعيش على كد يده وان يبني كالأل للطلب الحلال ، يبني وهو مغمور برحمة الله .. بينما تجد أصحابي الجليل أبا هريرة ترك طلب الرزق في سبيل تعلم السنة النبوية ، كما ذكر ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) لم ينكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - علي أبي هريرة ذلك ، لا بل شجعه ، ودعا له .

(٣) التعري الشديد الذي أصاب طلبه الحديث ، وخاصة الامام البخاري ، ولم ينكر أحد من العلماء هذا الحاجة الشديدة التي لو كانت بحالة من العبادة بصورة أخرى لم يقرها أحد من السلف الصالح ، وكأنما طلب علم الحديث ضرورة فوق الضرورات ، وواجب في مقدمة الواجبات ، وحجة

- ٧٧٢ مفتاح السنة ، ص ١٥٩ ، اصول الحديث ص ٢٨٣ - ٢٨٤ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٧١ .
- ٧٧٣ الحديث والمحدثون ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ . مفتاح السنة ، ص ١٥٩ . اصول الحديث ، ص ٢٩١ - ٢٩٥ .
- ٧٧٤ مفتاح السنة ، ص ١٦٠ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٨٩ ، اصول الحديث ، ص ٢٩٩ - ٣٠٣ .
- ٧٧٥ الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .
- ٧٧٦ بحوث في التاريخ والسنة المشرفة ، ص ١٣١ - ١٥٠ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٤ - ٤٦٧ . اصول الحديث ، ص ٢٥٣ .
- ٧٧٧ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ١٢٦ . الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .
- ٧٧٨ الحديث والمحدثون ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ ، بحوث في تاريخ السنة ، ص ١٢٩ - ١٣١ .
- ٧٧٩ اصول الحديث ، ص ٤٣٧ ، الحديث والمحدثون ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩ .
- ٧٨٠ تنظر كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة

على المسلم ، لذلك وجب على المسلم الحصول على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولو سلك طريق الاضطرار .

٤ - السفر الطويل لأجل حديث واحد يثير تساؤلات كل مسلم ، ان الأمر حجة قبل ان يكون علما ، والمرء المسلم يمكن ان يعرض عن حديث واحد بعلم آخر لو أمكن التعويض ، وسد الخلل ، ولكن الأمر لا يمكن ان يكون الا بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلفظه .

٥) حصر أولئك الأتقياء الأصفياء في طلب حديث رسول الله حياتهم كلها على طلب الحديث ولم يوجد عمل واحد في الدنيا يعرض عن جميع الأعمال ، ويشغل صاحبه بالتفرغ له والشوق اليه طيلة حياته ، ما لم يكن ذلك حجة ، يثقل في ميزان العبد بالحسنات يوم القيامة .

٦) اعتقادهم ان طلب هذا العلم جهاد ، فهم قد تجشموا المشاق وركبوا الأهوال ، ورحلوا في طلب الحديث ، لا يعوقهم فقر ، ولا يفت في عزمهم صعوبة الطريق وأخطاره ، سواء عليهم الصحراء وحرها ، والبحار وأمواجها ، إذ يتغلغل في نفوسهم اعتقاد ان طلب العلم جهاد ، فمن مات في سبيله مات شهيدا<sup>٧٨</sup> .

٧) شدة تطبيق السنة وعدم التفريط بشيء منها ، كما كان يفعله عبدالله بن عمر في كل قول أو فعل أو تقرير .

٨) تخصص السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - من النساء بحفظ وعلم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتكون مرجعا للنساء في القضايا الشرعية التي فيها حرج شديد في سؤال النساء للرجال ، ولو لم يكن هذا العلم حجة لما قدمته على كثير من الأعمال الخيرية ، وجعلته زاد للأخرة ، وفي مقدمة كل خير ، حتي لقد بلغت فيه باعا طويلا ، كادت تفوق الرجال ، ويحتاج اليها الصحابة الكرام على ما كان لهم من العلم الغزير بالسنة النبوية . . > يروى عن أبي موسى الأشعري قال : ما أشكل علينا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما<sup>٧٩</sup> .

٧٨١ منحنى الاسلام ، ٢ / ٧٢ > عن علوم الحديث ، ص ٦٥ <

٧٨٢ طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، ص ١٠٦

## المبحث الثاني

### أدب المحدث وطالب الحديث

علم الحديث هو من أشرف العلوم وأجلها ، هو سفينة النجاة للوصول الى الآخرة ، ويحمل بين طياته مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم ، وينفر من مساويء الأخلاق وقبائح العادات ..  
فعلى المحدث وطالب الحديث الالتزام بما يؤهلهم لأن يكونوا من أصحاب هذا العلم الذي يرجو صاحبه النجاة من النار ، والفوز بدار النعيم ، ولذلك يجب ان يتضمن كل منهم بالصفات الآتية :

#### ١ - الإخلاص وتصحيح النية :

لما كان هذا العلم من علوم الآخرة ، وهو خير زاد لمن التزم به للوصول الى دار السعادة ، ولذلك قيل عن الإخلاص : وهو أول ما يجب عليه ، فليجعل اشتغاله بالتحصيل خالصا لابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولما أعدده من جزيل الأجر<sup>٧٨٢</sup> .  
وقال سفيان الثوري - رضي الله عنه - : > ما أعلم عملا هو أفضل من طلب الحديث لمن أراد الله به <<sup>٧٨١</sup> .  
وإذا نظرنا الى كتب السنة نجدها تجمع على استحضار النية ، بأن يسأل الله عز وجل - وهو القادر - التيسير والتأييد والتسديد والتوفيق

#### ٢ - الالتزام بالطهارة :

فالطهارة مستحبة للمتحدث ولطالب الحديث ، لانه جالس لأخذ أئمن كنز من العلوم .

وأخرج عن اسماعيل بن أبي أويس قال : كان مالك - الامام مالك - إذا أراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ، وحدث ، فقليل له في ذلك ، فقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا أحدث إلا على طهارة

٧٨٢ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٨٩ . وانظر نزعة النظر في توضيح نخبة الفكر ، ص ١٤٣ ، تيسير

مصطلح الحديث ص ١٧٥ ، أسصبال المطر على قصيرالسكر ، ص ١٧٠ ، علوم الحديث لابي الصلاح ،

ص ٢١٣ ، الباحث الحثيث في اختصا علوم الحديث ، ص ٨٢

٧٨٤ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٩٠

• متمكنا<sup>٧٨٨</sup> .

يقول علي بن خشرم سمعت الفضيل بن موسى السيناني يقول : ما مسست كتابا إلا متوضئا تعظيما لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -<sup>٧٨٩</sup> .

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال : كانوا يكرهون ان يحدثوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم على غير وضوء<sup>٧٩٠</sup> ، وكان الأعمش إذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم<sup>٧٩١</sup> .

٣ - آداب يحتاجها المحدث وطالب الحديث ٠٠ منها :

أ - النظافة لطالب الحديث والمتحدث :

يحتاج الى ان يكون نظيفا ، لما لها من الأثر في راحة النفس في الجلوس للاستماع ، وكلما كان المجلس نظيفا يكون التشجيع لطلب العلم أكثر . . ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يقول : > انه ليعجبني ان أرى القاريء النظيف <<sup>٧٩٢</sup> . كان مالك بن أنس إذا أراد ان يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب<sup>٧٩٣</sup> .

ب - عدم رفع الصوت :

فالآداب امام حديث رسول الله يقتضي عدم رفع الصوت ، لأن رفع الصوت بدون سبب هو رعونة ، وهو صفة لا تليق بهذا السمو والرفعة . كان الامام مالك اذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره ، وقال : قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »<sup>٧٩٤</sup> . فمن رفع صوته عند حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -<sup>٧٩٥</sup> .

٧٨٥ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، ص ٢٢٩

٧٨٦ الاملاء والاستملاء ، ص ٤٦

٧٨٧ اصول الحديث ، علومه ومصطلحه ، ص ١١٠

٧٨٨ جامع بيان العلم وفضله ، ج ٢ ص ١٩٩ > عن اصول الحديث ص ١١٠ ، تفسير مصطلح الحديث ص ١٧٦

٧٨٩ أدب الاملاء والاستملاء ، ص ٢٧

٧٩٠ المصدر السابق .

٧٩١ الحجرات : ٢

٧٩٢ ادب الاملاء والاستملاء ، ص ٢٧

ج - وتوجد آداب كثيرة ، دون التي ذكرت ، منها :  
الابتداء بالسواك<sup>٣٦</sup> ، وقص الأظافر إذا طالت<sup>٣٧</sup> ، ولبس الثياب  
البيض<sup>٣٨</sup> .

#### ٤ - العمل بالحديث :

فالعمل واجب للمتحدث ولطالب الحديث ، ولذلك كان المتحدث يأخذ  
نفسه بالشدة ، ويبدأ بالعمل قبل القول ، وكان لسان حاله يتحدث بالسنة  
قبل مقاله ، وقد قيل : يستحب للحديثي التوسل بتقديم الأعمال الصالحة  
الى هذا العلم .

قال الثوري : كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك  
عشرين سنة ، وهذا الأدب مما يعم الراوي والطالب<sup>٣٩</sup> .

وقال وكيع بن الجراح - شيخ الامام الشافعي - : > إذا أردت ان تحفظ  
الحديث فاعمل به <<sup>٤٠</sup> .

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع : > كنا نستعين على حفظ الحديث  
بالعمل به <<sup>٤١</sup> .

وقال عمرو بن قيس الملائي : > إذا بلغك شيء من الخبر فاعمل به ولو  
مرة <<sup>٤٢</sup> .

وقال احمد بن حنبل : > ما كتبت حديثا الا وقد عملت به ، حتى مر  
بي ان النبي - صلى الله عليه وسلم - احتجم واعطى أبا طيبة دينارا ،  
فاحتجمت واعطيت الحجام دينارا <<sup>٤٣</sup> .

ويجب التنبيه والتوضيح لبعض ما ورد في الموضوع خشية الوقوع  
في الخطأ من بعض التأويلات والتفسيرات من قبل من ينظر في  
الموضوع :

أ - منها ان يتصور ان العمل بالحديث النبوي الشريف خاص  
بالمحدث والطالب ، ولم يكن شاملا لجميع الأمة ، وهذا التصور ناقص من

٧٩٣ المصدر السابق .

٧٩٤ المصدر السابق ، ص ٢٨

٧٩٥ المصدر السابق ، ص ٣٠

٧٩٦ جواهر الاصول > للهروي ، ص ٩٥

٧٩٧ منهج النقد في علوم الحديث ، ص ١٩١ . تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٤٤

٧٩٨ تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٤٤

٧٩٩ المصدر السابق .

٨٠٠ المصدر السابق .

الجوانب العملية ، فان عمل العالم ، في كل من لم يكن مقصورا عليه ، وانما هو شامل لكل فرد ، ويكون للعالم المتبحر أخص به ، لأنه محيط بأسرار ذلك العلم ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعمل بالسنة ، وكانت أوقاته كلها مغمورة بالخير والعمل الصالح وفق ما يعلمه الله سبحانه وتعالى من كتاب وسنة ، كان الصحابة يقتدون به كل على قدر ادراكه وعلمه وقدرته .

ب - قد ينكر من ينظر الى قول الثوري : < كان الرجل اذا أراد ان يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة .. > ويقول كيف يكون ذلك ، وكثير من الطلبة < طلبه علم الحديث > وهو صغير كالامام مالك ، والبخاري .. ولم يكن لهم تعبد قبل ذلك .

فأقول : لم يكن المقصود في ذلك القول التعبد بالبحث وترك العلوم ، وانما يكون التعبد هو الغالب على الشخص فيشغل اكثر وقته بالعبادة كما يقولون : ان فان صام كذا سنة .. وان فلان جاهد كذا سنة ، إن الصوم والجهاد هما المتغلبان في حياته ، وهذا كثير ، وتحتمله اللغة ، والأمثلة في هذا النوع اكثر من ان تعد ..

وقد يحتمل القول وهو مرجوح ان بعض الأشخاص تعبد عشرين سنة بعلم قليل يمكن ان تصحح عبادته ويقبل عمله ، ثم تعمق بعد ذلك بطلب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

#### ٥ - الآخذ عن صاحب سنة :

فمن أدب طالب الحديث ان يأخذ هذا العلم ، وهو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيمن يتوسم فيه الخير والالتزام بالسنة قولاً وعملاً ، ويكون بعيداً عن التفسيرات والاحتمالات التي لا تتحملها اللغة ، ولا تليق بجناب وقدرة السنة المطهرة ،، وصاحبها القدوة الكاملة للبشرية أجمع .

قال غير واحد منهم ابن سيرين : < ان هذا العلم دين فانظر عنمن تأخذ دينك ><sup>٨٠١</sup> .

وقال علي بن حرب : < من قدر ان لا يكتب الحديث الا من صاحب سنة ، فانهم لا يكذبون ، كل صاحب هوى يكذب ولا يبالي ><sup>٨٠٢</sup> .

#### ٦ - الابتعاد عن اهل التعصب :

٨٠١ فتح المغيب شرح ألفية الحديث ، ص ٢٢٧

٨٠٢ المصدر السابق .

فالتعصب داء فتاك ، يكدر الفكر ، ويعمي البصيرة ، فيميل صاحبه الى الباطل ، ويقع في اسر الهوى ، فتجنح نفسه الى اشباع رغباتها ... > ومن أسباب الوقوع في غير الانصاف والتمسك بذيل من الاعتساف ، أن يأخذ طالب الحق أدلة السائل في مجاميع الفقه التي يعتري مؤلفها الى مذهب من المذاهب ، فان من كان كذلك يبالغ في ايراد أدلة مذهبه ، ويطيل ذيل الكلام عليها ، ويصرح تارة بأنها أدلة ، وتارة بأنها حجج ، وتارة بأنها صحيحة ، ثم يصف لخصمه المخالف ، فيورد أدلته بصيغة التمريض ، ويعنونها بلفظ الشبه <<sup>٨٣</sup>.

فإن الذي يقتصر على شرح مؤلفات معينة ويعتبر شروحا هو الدليل المقنع بدون ان ينظر الى الآراء الأخرى ، فانه يقع في الخطأ ويميل الى الباطل وهو يظنه الحق .

وكذلك من جملة أسباب التعصب التي لا يشعر بها كثير من المشتغلين بالعلوم ، ما يذكره كثير من المصنفين في انه يرد ما خالف القواعد المقرره ، فان من لا عناية له بالبحث يسمع هذه المقالة ، ويرى ما صنعه كثير من المصنفين من رد الأدلة من الكتاب والسنة اذا خالف تلك القاعدة ، فيظن انها في اللوح المحفوظ ، فان كشفها وجدها في الغالب كلمة تكلم بها ببعض من يعتقدده الناس من أهل العلم .. لا مستند لها الا محض الرأي وبحث ما يدعي من دلالة العقل<sup>٨٤</sup> .

ومن الأسباب المانعة من الانصاف ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل أو في الرئاسة الدينية أو الدنيوية ، فانه اذا نفخ الشيطان في أنفهما ، وترقت المنافسة بلغت الي حد يحمل كل واحد منهما علي ان يرد ما جاء به الآخر اذا أمكن من ذلك ، وان كان صحيحا جاريا على منهج الصواب<sup>٨٥</sup> .

فالتعصب ميدان واسع الأرجاء ، وبلاؤه محطم ومدمر للأمة ، حيث انه يزعزع وحدتها ، ويرفع الثقة من بين افرادها ، ولذلك كان من أدب طالب الحديث ان لا يأخذ هذا العلم من المتعصبين أيا كان نوع ذلك التعصب .

٨٠٣ طلب العلم وطبقات المتعلمين ، ص ٧٦

٨٠٤ المصدر السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥

٨٠٥ المصدر السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠

- تساؤلات نحتاج الي توضيح :

قد يقول قائل : على أساس هذا يبقى التعصب الى يوم القيامة ، والمشكلة قائمة ما بقي الليل والنهار ، لأن المذاهب الفقهية موجودة ، والعقل يحكم في كل زمان ومكان ، وزماننا هذا هو زمان العقل ، والاقتران موجودون ، والمنافسة قائمة .

ولتوضيح ذلك .. أقول : لم تكن المذاهب الفقهية مشكلة بحد ذاتها ، عندما يكون التصور والبناء صحيحين :

أ - ان هذه المذاهب مدارس عملية خدمت الفقه الاسلامي ، وكل منها قدمت للأمة خدمة بقرده استطاعتها ، وان النقص والخطأ قد يقع منها ، وكما قال اصحاب هذه المذاهب : < كل انسان يؤخذ منه ويرد ، إلا صاحب هذا القبر ><sup>٨٦</sup> .

ب - ان يكون بناء هذه المذاهب على الأدلة الشرعية ، وهي : الكتاب والسنة ، والاجتماع ، والقياس .

وأما العقل فليس فيه مشكلة عندما يكون متنورا يهدي الشريعة ، ومستندا على الأدلة الشرعية التي يستنبط من الأحكام ، وهذا من العقل الشرعي الذي هو اساس التكليف ، أما الرأي المردود هو الذي لا يستند على الدليل الشرعي ، وكذلك الأقران ، ليس جميعهم يقع التنافس بينهم ، والتعصب يدب في أفكارهم ، وانما يقع ذلك لبعضهم ، ويعرف ذلك منهم بالتجربة لمن عاصرهم ، واما الطبقة الكثيرة هم الذين ينتشر بينهم المودة والاخوة ، كما كان يقع بين الامام الشافعي والامام احمد ، وكان الامام احمد يذكر الامام الشافعي بخير ويدعو له ..

وكذلك ذكر الامام البخاري الامام احمد بكل خير ، وذلك تقدير البخاري لعلي بن المديني .

قال الامام الشافعي عند قدومه الي مصر من العراق : < ما خلفت أحدا بالعراق يشبه احمد بن حنبل ><sup>٨٧</sup> .

يقول احمد بن حاتم : سمعت ابراهيم بن اسماعيل يقول : < قدم علينا علي بن المديني فاجتمعنا عنده ، فسألناه الحديث ، فقال : ان سيدي احمد ابن حنبل أمرني ان لا احدث الا من كتاب ><sup>٨٨</sup> .

٨٠٦ يعني : محمدا - صلى الله عليه وسلم - .

٨٠٧ مناقب الامام احمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، ص ١٠٧

٨٠٨ المصدر السابق ، ص ١٠٩

وسئل بشر بن الحارث عن احمد بن حنبل ؟ فقال : > أنا أسأل عن احمد بن حنبل ، إن احمد بن حنبل أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر <<sup>٨٠</sup> .  
سمع محمد بن هارون الفلاني المحزمي يقول : > إذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم بأنه كذاب يضع الحديث <<sup>٨١</sup> .  
والأمثلة كثيرة في العلماء بعضهم لبعض ، والثناء عليهم .. لو نظرنا نظرة فاحصة الى هذه الآداب التي كان يلتزم بها المحدث وطالب الحديث في الاخلاص وتصحيح النية ، والالتزام بالطهارة ... إلخ ، ما ورد في هذه الآداب لتبين في هذه الآداب ان السنة حجة على جميع المسلمين ، لأن المباح لا توضع له هذه الأركان والشروط والأصول ، وانما هذه الأعمال تدخل في الفروض والواجبات .  
فحديث : ( إنما الأعمال بالنيات .. )<sup>٨٢</sup> يدخل في جميع الفرائض والواجبات ، ولا يقبل أي عمل ما لم تكن فيه نية .

وروى عن الامام احمد والشافعي - رحمهما الله - : > يدخل في حديث الأعمال بالنيات ثلث العلم <<sup>٨٣</sup> .  
وروي عن الشافعي - رضي الله عنه - انه قال : > يدخل هذا العلم في سبعين باباً من الفقه ، وقال جماعة من العلماء هذا الحديث ثلث الإسلام <<sup>٨٤</sup> .  
والمراد بالأعمال : الأعمال الشرعية ، ومعناه لا يعتد بالأعمال بدون النية مثل الوضوء والغسل والتيمم وكذلك الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والاعتكاف ، وسائر العبادات <<sup>٨٥</sup> ..

من هذه العجالة السريعة تكون السنة المطهرة حجة لا يحق لأي فرد بعدم قبولها والأخذ بها ..  
وكذا الوضوء : وهو شرط لأداء الصلاة ، ولا يمكن أداء الصلاة بدونه ،

٨٠٩ المصدر السابق ، ص ١١٧

٨١٠ الامام البخاري محدثاً وفقهياً ، عبدالمجيد هاشم ، ص ٥١

٨١١ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٢ . أخرجه مسلم في الامارة ، ج ٣ ص ١٥١٥ رقم ١٩٠٧ . وفي سنن

الترمذي ، ج ٤ ص ١٧٩ رقم ١٦٤٧ كتاب فضائل الجهاد . وفي سنن الترمذي ، ج ١ ص ٥٨ ، باب النية في الوضوء .

٨١٢ شرح الاربعين حديثاً النووية ، لأبي دقيق العيد ، ص ٣٨

٨١٣ المصدر السابق ، ص ٣٩

٨١٤ المصدر السابق .

وعلى هذا فإنه لا باحة بدخوله في المباح .  
وكذلك العمل بالحديث يثبت حجية السنة ، لان المباح يتساوى فيه  
الترك والعمل ، وكذلك الأخذ عن صاحب سنة والتأكيد على ذلك دليل على  
حجية السنة ، لأن العلوم المباحة تؤخذ من جميع الملل والنحل ، وكذلك  
الابتعاد عن أهل التعصب خوفا من الوقوع في الخطأ والباطل ، والابتعاد  
عن جوهر السنة وشفافيتها ، فيضل المرء ويشقى ، وما يقع ذلك الأعمال  
التي يحاسب عنها المرء .

وأدب عدم رفع الصوت والنظافة والسواك بحضرة علم الحديث ، إذا  
أضيفت الى الآداب السابقة تكون الأخيرة أشبه بمادة تماسك وتناسق في  
بناء صرح السنة المطهرة ، لأنها آداب وأخلاق وواجبات تدخل في العبادات  
والواجبات ولكنها دون مرتبة الأولى<sup>٨١٥</sup> .

٨١٥ فقد ورد الحديث عن النظافة : أ - < غسل الجمعة واجب على كل محتلم >

وكذلك ورد عن السواك : ب - < لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة > .

أ - صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٥ رقم ٨٥٥ كتاب الجمعة والأذان والشهادات

أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ، رقم ٨٤٦

ب - صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٠٣ رقم ٨٤٧ كتاب الجمعة

أخرجه مسلم في الطهارة ، باب : السواك ، رقم ٢٥٢

## المبحث الثالث

### إجماع العلماء :

فعند تتبع آراء العلماء المعتبرة أقوالهم ، نجد جميعهم قد أجمعوا على حجية السنة ..

وقيل : > انتهى العلماء المحققون الى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة ، وأيدوا رأيهم هذا بالآيات القرآنية<sup>٨١٦</sup> ، التي تفرض على المؤمنين اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتسليم لحكمه ><sup>٨١٧</sup> . ولم ينقل عن طائفة من طوائف المسلمين انها قالت بأن اتباع أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس بواجب ، وإن أقواله وأفعاله ليست من مصادر التشريع ، ولا شك ان في القول بذلك ردا لأحكام القرآن ، وما أجمع عليه الصحابة والمسلمون<sup>٨١٨</sup> .

وقال الشافعي : > وإذا ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمراً يخالف أمره ><sup>٨١٩</sup> .

كان اجماع المسلمين في مختلف العصور والأقطار ، على أن السنة حجة في دين الله ، ولها منزلة تلي منزلة القرآن الكريم<sup>٨٢٠</sup> . فإذا ثبت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قلدا أمانة التبليغ : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »<sup>٨٢١</sup> . وقال

٨١٦ قد مرت الآيات القرآنية في الدليل الأول فرع - أ - ، الأدلة النقلية من القرآن الكريم .

٨١٧ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢٩١

٨١٨ السنة ومكانتها ، للسباعي ، ص ١٤٩

٨١٩ الرسالة ، للشافعي ، ص ١٧٦ - ١٧٧

٨٢٠ لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، ص ٣٩

٨٢١ المائدة ، ص ٦٧



تعالى : « وما على الرسول إلا البلاغ المبين »<sup>٨٢٢</sup> . كما قلد أمانة اليان ، قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

إذا ثبت ذلك كما هو جلي واضح ، كان في الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر ، أن نؤمن بالمبين - وهو الكتاب - ولا نؤمن بالبيان - وهو أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -<sup>٨٢٣</sup> .

وعند النظر في أدلة الأحكام الشرعية<sup>٨٢٤</sup> ، نجد ان الكتاب [ القرآن ] والسنة : هما محل اتفاق تام بين أئمة المسلمين<sup>٨٢٥</sup> . . ولا نجد أحدا يخالف حجيتهما من الفقهاء والأصوليين وعلماء الحديث .

> فقد أجمع المسلمون من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وحتى يومنا هذا على وجوب الأخذ بالأحكام التي جاءت بها السنة النبوية ، وضرورة الرجوع اليها لمعرفة الأحكام الشرعية والعمل بمقتضاها . . فما كان الصحابة ولا من جاء بعدهم يفرقون بين حكم ورد في القرآن وبين حكم وردت به السنة ، فالجميع عندهم واجب الاتباع ، لأن المصدر واحد وهو وحي الله ><sup>٨٢٦</sup> .

- 
- ٨٢٢ العنكبوت : ١٨  
٨٢٣ لمحات في أصول الحديث والبلاغة ، ص ٣٩  
٨٢٤ الدليل في اصطلاح الاصوليين : ما يمكن التوصيل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خيرى . والمطلوب  
الخيرى هو الحكم الشرعى > الوجيز في الفق ، عبدالكريم ، ص ١٢٣  
٨٢٥ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم ، ص ١٢٤  
٨٢٦ المصدر السابق ، ص ١٤٨

## المبحث الرابع

### الاثبات العقلي

وأريد بالعقل هنا : من يدرك الأشياء على حقيقتها من الضار والنافع والضروري ، ويتميز عن الكائنات الأخرى - غير الانسان - وعن المجانين .

وقيل : > العاقل هو من لا يجد لنفسه حالة سوى كونه عالما بهذه المعلومات المخصوصة - جملة العلوم المخصوصة - ، والذي تفارق طريقة تصرفه طريقة المجنون > <sup>٨٧</sup>.

والعقل في نظر الاسلام يختلف عن العقل المطلق الذي يفهمه الفلاسفة - غير المسلمين - بصورة عامة والزندقة .. وعلى أساس العقل الاسلامي يجب ان يتحمل التكليف المأمور بها ، والواجبات المنوطة به ..

لذلك قيل : > ان اثبات وجود الله ومعرفته هما أول الواجبات العقلية وأهمها ، لأن باقي الواجبات تتأخر عنهما وتنبني عليهما ، فلا تعرف صحة التكليف السمعي الا بعد معرفة المكلف الحكيم > <sup>٨٨</sup>.

النبوة ، إذن ، بالنسبة للعقل ، حجة تدل على اكتمال الأدلة التي يحسن عندها التكليف ، وبعثة الرسول لها مميزات يتميز بها عن سائر البشر ، لكي يصدق فيما يخبر به : أولها ضرورة كونه على > أكمل الأحوال التي يقع القبول منه ، وتجنب ما ينفر ، وتجنب ما يقدر فيه > .

وكذلك يوصف بذلك لأنه مرسل > من قبل الله > لا لفعل على الحد الذي ألزمه ، وان يصبر على كل عارض دونه .. ولا بد من ان يدعي الرسالة ويدعو المبعوث اليه الى القبول منه .

٨٢٧ المغني ، ج ١١ ، ص ٢٧٨

٨٢٨ المغني ، ج ٥ ، ص ٢٣

والرسالة من حيث هي خبر ديني منقول ، لا تقل مرتبة في افادة العلم عن المشاهدة والتجربة .. وشرط هذه الرسالة ان تتضمن شريعة قلت أو كثرت ، إما مبتدأه أو علي جهة التجديد لشريعة مندرسة ، لأن الله سبحانه تعالي يبعث الرسل للمصلحة .

وبعد هذه المقدمة عن العقل وواجباته ، وعن النبوة وصفاتها وميزاتها وموقف العقل تجاهها ، وهو اثبات حجية ما يأتي الرسول به ، و > ثبت بالدليل القاطع على ان محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسول الله ، ومعنى الرسول > هو المبلغ عن الله > ، ومقتضى الإيمان برسالته لزوم طاعته ، والانقياد لحكمه ، وقبول ما يأتي به ، وبدون ذلك لا يكون للإيمان به معنى . ولا نتصور طاعة الله والانقياد الى حكمه مع المخالفة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ><sup>١١١</sup> .

## المبحث الخامس

### الاثبات العلمي والعملية

لقد استند التراث العلمي في الأمة الإسلامية على السنة النبوية منذ عهد الصحابة الي يومنا هذا . . فالفقه يعيش في ظل الحديث ، وتكون قوته وحجته بقدر استنادته واحتجاجة في علم الحديث .

وقيل : > وظلت الرابطة وثيقة بينهما في خدمة التشريع ، وتعبيد الطريق للتحقيق والتدقيق ، فإن يرد الآن تسميتهما باسم واحد لا نجد أدل في الدلالة عليهما من لقب < علم الحديث > ، وكأننا حينئذ نستغني بأحدهما عن الآخر إيماءً الى مكانة الحديث ، خاصة في مسائل الفقه جميعا ، فلولا الحديث لما كان الفقه علما مذكورا < ٨٢٠ .

وكذلك علوم القرآن من تفسير على اختلاف مناهج التفسير قد استندت وأرست قواعدها على علوم الحديث . ولذلك تأثرت هذه المناهج تأثرا كبيرا بتفاوت قوة وضعفا ، واتساعا وعمقا ، بما وضعه نقاد الحديث من مقاييس ، وأرسوه من أصول وقواعد ، وقيل : < ظل التفسير . . كالفقه جزءا من الحديث ، حتى استقل علما قائما بذاته له مناهجه وأصوله ، ولكنه - على استقلاله - ما انفك شديد الارتباط بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم ، ولو في جانب منه على الأقل : وهو جانب التفسير بالمأثور < ٨٢١ .

ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه . . . حتى إذا لحق - عليه السلام - بالرفيق الأعلى ، لم يكن للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسرارهِ ، المهتدين بهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه ، وتوضيح ما فهموه < ٨٢٢ .

٨٢٠ علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي ، ص ٢١٦

٨٢١ المصدر السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧

٨٢٢ مباحث في علوم القرآن ، د . صبحي ، ص ٢٨٩

تكفل الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ القرآن وبيانه : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »<sup>٨٢٣</sup> . وكان عليه أن يبينه لأصحابه : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »<sup>٨٢٤</sup> .

وكان الصحابة يرجعون الى النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما يصعب عليهم شيء في فهمه .. عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »<sup>٨٢٥</sup> شق ذلك على الناس ؛ فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ؟ ، قال : ( انه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : « إن الشرك لظلم عظيم » . إنما هو الشرك ) .

> وفي القرآن ما لا يعلم تأويله إلا ببيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كتفصيل وجوه أمره ونهيه ، ومقادير ما فرضه الله من أحكام ، وهذا البيان هو المقصود بقوله - صلى الله عليه وسلم - : ( ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه .. )<sup>٨٢٦</sup> .

أما الجانب العملي فنجد السنة متغلغلة في جميع شئون حياة المسلم ، وتعيش معه منذ حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى حياة التابعين ، الي من بعدهم الى يومنا هذا .

> وقد قامت الأدلة القطعية على ان السنة ، بمعنى ما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، حجة في دين الله ، ومصدر من مصادر الشريعة تلي في رتبته ومنزلتها كتاب الله عز وجل ، وهذه الأدلة نجدها في القرآن والسنة ، وعمل الصحابة في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته ..<sup>٨٢٧</sup> .

٨٢٣ القيامة : ١٧ - ١٩

٨٢٤ النحل : ٤٤

٨٢٥ الانعام : ٨٢

٨٢٦ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص ٣٣٦

٨٢٧ لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، د . محمد اديب ، ص ٣٣

فالسنة : فهي الطريقة المتواترة للعمل بالحديث ، بل بالقرآن أيضا<sup>٨٢٨</sup> .

ورد في القرآن الأمر بإقامة الصلاة ، وبين فيه تفاصيلها ، فالرسول - عليه السلام - صلى بموجب ذلك ، وقال لنا - عليه السلام - : ( صلوا كما رأيتموني أصلي ) ، واستمر على تلك الكيفية ، وكذلك الصحابة فالتابعون ، وسائر المسلمين .. وهكذا الأمر في الصيام ، والزكاة ، والحج ، وسائر الأوامر القرآنية ، فالصورة العملية التي رسمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لإيضاح القرآن هي السنة ، وهي في الحقيقة تفسير عملي للقرآن ، وهي من هذه الحيثية أعلي من الروايات اللفظية بمراتب كثيرة .

فعند النظرة الي الجانب العلمي والعملي للسنة النبوية ، ومرافقتها للمسلم على مر العصور ، تكون السنة هي الأساس والقاعدة للتراث العلمي والجانب العملي ، وبغيابها يكون المسلم مجردا من العلم والعمل ، وهادما - لا سمح الله - لجميع قواعد قيمه ومثله ، ويكون عضوا مشلولا .

وعلي أساس هذه الأسس تكون السنة من الجانب العلمي والعملية حجة على جميع المسلمين ..

## الفصل الرابع

### المعاول الهدامة لانكار حجية السنة

لقد أمطر الأعداء السنة بوابل من الإفتراءات ظلما وزورا ، وصبوا حمم شرهم ، على صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام - ، لإطفاء مصدر الهدى ولمنع نور الحق من الانتشار ليبيد ظلام الكفر ، وكذلك وجهوا قواهم ومكائدهم على المحدثين للنيل من قدرهم ، والحط من مستوى علمهم ، ثم القوا بسهام الطعن على السنة النبوية الشريفة بكل قواهم ، ونستطيع أن نقسم الحرب التي شنت على الشريعة الاسلامية بصورة رئيسية الى ثلاث محاور :

أ - محاربة شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - .

ب - الطعن برواة الأحاديث ، والكيد بهم .

ج - الطعن بالسنة الصحيحة ، مع ادخال الأحاديث الموضوعة .

وتشتمل على ثلاثة مباحث :

## المبحث الأول

أ - محاربة شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -

### القسم الأول - في حياته :

لقد وقف الأعداء بكل امكانياتهم وقدراتهم أمام صاحب الرسالة لمنع نور الايمان ان ينتشر على وجه الأرض ، وكان هذا العداء من أول يوم أعلن فيه < ان لا إله إلا الله منهج حياة > ، ففقد الكفر صوابه ، وتحول المسالم الي بركان يهدر ، واكبر دليل على ان الحرب لم تكن لذات شخصيته ، وانما شنت علي فكره ومنهجه « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد »<sup>٨٢٩</sup> .

واكبر دليل على اثبات ما قدمناه ، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاش قبل البعثة الشريفة أربعين سنة ، يعيش الناس بين ظلمات من الحسد والكمد أخذة في الأسود كل يوم .. والفساد الشديد الوطأة ، البعيد القرار الذي عم الجاهلية ، مع عدم وجود أصل يصلح لإحداث الوحدة والإخاء ..

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تلك الفترة الخائفة ، يسمى بالأمين ، ويرتضون كل ما يصدر عنه ، ويأتمنونه على أموالهم ، ويرتضونه لحسم الخلافات بينهم ، كل ذلك قبل بعثته ، وقبل اعلان منهج الحياة الذي ارتضاه رب العالمين .

وبعد اعلان بعثته وتبليغ رسالته ، هاجت الدنيا ، وماجت ، وتعددت الأسلحة الفتاكة للانتقام من الأمين ، صاحب المثل العليا ، والأخلاق الكاملة .. ومن هذه الأسلحة :

### ( أ ) الإستهزاء والسخرية < الحرب النفسية > :

بعد أن فشلت كل الاغراءات التي قدمت لصاحب الرسالة حتى يكف عن رسالته ، ولم يستطيعوا ان يزاحموه بما أكرمه الله من الرسالة ، لأن فضل الله يؤتیه من يشاء ، ولا يمكن ان تنال النبوة والرسالة بالجد والسعي ، وامام هذا الحاجز الذي حال بينهم وبين ما يريدون ، فقدوا صوابهم ، وقد قال صاحب كتاب ( النبوة والأنبياء ) :

> فالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم خيرة الخلق ، وصفوة البشر ، وهذا الاكرام لهم بالنبوة ، انما هو بمحض الفضل الالهي والحكمة الربانية ، ولا يمكن لأحد من البشر - مهما سما في سلم الكمال - ان ينال مرتبة النبوة عن طريق الرياض النفسية ، أو الجهد في الطاعة والعبادة ، فإن النبوة لاتنال بالكسب ، ولا تحصل بالعزم والمثابرة على فعل الخير والطاعة ، انما هي هبة من الله ، واصطفاء واختيار<sup>٨٤</sup> .  
قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »<sup>٨٥</sup> .

أ - ومن أنواع السخرية : ان أبي بن خلف مشى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم بال قد ارمت ، فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم<sup>٨٦</sup> ؟ ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك ، بعد ان تكونان هكذا .. )<sup>٨٧</sup> .

ب - لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويها لهم بها ، قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة<sup>٨٨</sup> يثرب بالزبد ، والله لئن استمكننا منها لنزقمها تزقما<sup>٨٩</sup> ، فأنزل الله تعالى : « إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون ، كغلي الحميم »<sup>٩٠</sup> .

ج - ومن أنواع السخرية التي كانوا يسخرون بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قدم رجل من أراشي بابل له قلة ، فاتباعها منه أبوجهل ، ممطلة بأثمانها ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد في قريش ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد جالس ، فقال : يا معشر من رجل يؤديني<sup>٩١</sup> على أبي الحكم بن هشام ، فإنني رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ فقال له أهل ذلك المجلس ، أتري ذلك الرجل

٨٤٠ النبوة والأنبياء ، الصابوني ، ص ١٦

٨٤١ الانعام : ١٢٤

٨٤٢ أرم : بلي وصار رمة > حاشية مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٨ <

٨٤٣ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٨

٨٤٤ العجوة ، ضرب من التمر > مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٩ <

٨٤٥ التزقم : الابتلاع .

٨٤٦ الدخان : ٤٣

٨٤٧ يؤديني : يعينني على أخذ حقي > هامش مختصر سيرة ابن هشام <

الجالس - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يهزؤون به ، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ، إذهب اليه ، فانه يؤدبك عليه . فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبني علي حق لي ، وأنا رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدبني عليه ، يأخذ لي حقي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقي منه يرحمك الله ، قال : ( انطلق اليه ) وقام معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالو لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ؟ .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : ( محمد ، فاخرج لي ) ، فخرج اليه ، وما في وجهه من رائحة<sup>٨٨</sup> - قد انتقع لونه - ، فقال : ( اعط هذا الرجل حقه ) ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له . فخرج اليه بحقه فدفعه اليه<sup>٨٩</sup> .  
> ثم لم يلبث أبو جهل ان قالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ، قال : ويحكم ، والله ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته ، فلمنت رعبا ثم خرجت اليه ، وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته<sup>٩٠</sup> . ولا أنيابها لفحل قط ، والله لو أبيت لاكلني<sup>٩١</sup> .

د - ومن المستهزئين : النضر بن الحادث العبدي ، من بني عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلسا للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم ، قال النضر : هلموا ، يا معشر قريش ، فإني أحسن منه حديثا ، ثم يحدث عن ملوك فارس ، وكان على علم ببعض أخبارها ، ويقول : ما أحاديث محمد إلا اساطير الأولين<sup>٩٢</sup>

هـ - ومن أنواع الاستهزاء < الهمز واللمز > : وهي أسلحة وقعها شديد على النفس ، وأثرها عميق وهي سهام مؤلمة ، جارحة للقلب ، مثبطة للهمم ، وان أمية بن خلف الجمحي ، كان اذا رأى رسول الله - صلى الله

٨٤٨ رائحة : أي بقية روح .

٨٤٩ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٧٤

٨٥٠ القصة : أصل العنق < هامش مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٧٤ >

٨٥١ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٧٤ . عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٠

٨٥٢ عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٢ . الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء > للكلامي

الاندلسي ، ص ٣٤٦

عليه وسلم - همزةٌ ولمزةٌ<sup>٨٥٣</sup> ، فأنزل الله فيه « ويل لكل همزة لمزة »<sup>٨٥٤</sup> الى آخر السورة .

(٢) الأذى :

أ - ومن الأذى الذي كانوا يفعلونه ، وضع الشوك على طريق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت أم جميل زوجة أبي لهب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - تفعل ذلك<sup>٨٥٥</sup> .

ب - ولاقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد الأذى من أهل الطائف عندما بلغهم الدعوة ، فكان جوابهم أن أغزوا به سفاهم وعبيدهم ، يسبونهم ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه<sup>٨٥٦</sup> ..

ج - وقد سمع كل غلظة عند انذار الأقربين من قومه ، عن ابن عباس قال أنزل الله : « وانذر عشيرتك الأقربين »<sup>٨٥٧</sup> أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا ، فصعد عليه ثم نادى : يا صباحاه ، فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء اليه ، وبين زجل يبعث رسوله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، تريد ان تغير عليكم صدقتموني ؟ ) قالوا : نعم ، قال : ( فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ) ، فقال أبو لهب - لعنه الله - : تبأ لك سائر اليوم . أما دعوتنا ألا لهذا<sup>٨٥٨</sup> .. وأنزل الله عز وجل : « تبئت يدا أبي لهب وتب .. »<sup>٨٥٩</sup> .

د - ومنها وضع القاذورات على ظهره الشريف ، روى عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد ، وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي مقيط ملا جزور فقذفه على ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت

٨٥٣ الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، للكلاعي الاندلسي ، ص ٢٤٥

٨٥٤ الهمزة : ١

٨٥٥ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٦٦

٨٥٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٨٢ . مورد الصفا في سيرة المصطفى ص ٢٧ . مختصر سيرة ابن كثير

، ص ١٢٣

٨٥٧ الشعراء : ٢١٤

٨٥٨ مختصر سيرة ابن كثير ، ص ٦٩ - ٧٠

٨٥٩ اللهب : ١

فاطمة - رضي الله عنها - فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع ذلك<sup>٨٦</sup> .

هـ - ومنها ، وضع التراب على رأسه الشريف . روى الطبري وابن اسحاق أن بعضهم عمد الى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة ، وعاد الى بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه احدى بناته تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ورسول الله - صلي الله عليه وسلم - يقول لها : ( يا بنية ، لا تبكي ، فان الله مانع أباك )<sup>٨٧</sup> .

### ٣) محاولات الاغتيال :

لم يستطع أصحاب النظم الظالمة في الجاهلية والكفر ان يروا النظام الاسلامي < الكتاب والسنة > يشقان الطريق ، ويبددان ظلام الجاهلية وأصحابها يقفون مكتوفي الأيدي ، ولم يملكوا الحجة للوقوف أمام المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ولم يبق بأيدي أصحاب الكفر الا الغدر والخيانة ، وهذه هي شريعة القرصان ، في كل زمان ومكان .

لقد دبر أولئك الحاقدون أنواعا من المؤامرات الكثيرة والمتنوعة ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد ، فرد كيدهم في نحورهم ، ومن تلك المؤامرات على صاحب السنة - عليه الصلاة والسلام - :

#### أ - الهجوم الجماعي :

في يوم من الأيام كان أشرافهم - من أهل الجاهلية - قد اجتمعوا في الحجر ، ومر رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فغمزوه ببعض القول . فقال لهم - عليه الصلاة والسلام - : ( أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتمكم بالذبح )<sup>٨٨</sup> . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة<sup>٨٩</sup> . يقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا .

وفي الغد طلع عليهم - عليه الصلاة والسلام - وتذكروا ما جرى بينهم وبينه ، فوثبوا وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب ألهمتهم ودينهم ، فيقول رسول الله

٨٦ - رواه البخاري ، من فقه السيرة ، للبوطي ، ص ١٠٦ .

٨٦١ تاريخ الطبري ، ٣٤٤/٢ . وسيرة ابن هشام ، ١٥٨/١ .

٨٦٢ الذبح : كناية عن الهلاك ، ان لم يؤمنوا < مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧ >

٨٦٣ الوصاة : الوصية ، أي وصية بالأذى .

- صلى الله عليه وسلم - : ( نعم ، أنا الذي أقول ذلك )<sup>٨٦١</sup> ، قال<sup>٨٦٢</sup> : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه ، فقام أبوبكر - رضي الله عنه - دونه ، وهو يبكي ويقول : < أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله > .

ب - محاولة الغدر به في السجود :

كان صاحب هذه المحاولة أشد أعداء الدعوة حقدا وشرا ، وعنادا ومكابرة ، لذلك قدم نفسه لينتقم من صاحب السنة ، ذلك الشخص هو أبو جهل . قال - أبو جهل - : يا معشر قريش ، ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وشتم الهتنا ، وأني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه<sup>٨٦٣</sup> . .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله كما كان يغدو . . فقام يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، . . حتى قذف الحجر من يده .

وقامت اليه رجال من قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيابه ، لفحل قط ، فهم في أن يأكلني<sup>٨٦٤</sup> .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك جبريل - عليه السلام - لو دنا لأخذه .

ج - المحاولة الجماعية لجميع القبائل قبل الهجرة :

كانت المحاولات السابقة فردية ، أو على مستوى جماعة قليلة لم تشترك فيها جميع القبائل ، ولم يتحمل المسؤولية الجميع ، فغيروا الخطة ، وتعاهد الجميع على الاشتراك ، وقيل < وأراغت<sup>٨٦٥</sup> قريش ، قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورصدوه على باب منزله طول ليلهم . فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب - رضي

٨٦٤ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧

٨٦٥ الذي قال : هو عبدالله بن عمرو بن العاص < مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٤٧ >

٨٦٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٥٢

٨٦٧ المصدر السابق .

٨٦٨ أراغت : إي أرادت وعزمت وأعدت الأمر لقتله < هامش جوامع السير النبوية ، لابن حزم ، ص ٦٩ >

الله عنه - ان يضطجع على فراشه . وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وطمس الله تعالى على أبصارهم فلم يروه ، ووضع على رؤوسهم ترابا ، ونهض ، فلما أصبحوا خرج اليهم علي - رضي الله عنه - فعلموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد فاتهم<sup>٨٦</sup> .

د - الإغراء المادي :

لما خابت مكائدهم ، واحبط الله كيدهم ، ونجا الرسول - صلى الله عليه وسلم - طاشت أحلامهم ، وجن جنونهم ، وأخذوا يفكرون بأمر يرد اليهم اعتبارهم . > جعلوا لمن جاء فيهما<sup>٨٧</sup> ، دية كل واحد منهما<sup>٨٨</sup> ، لمن يأتي بهما أو بأحدهما .

فجد الناس في الطلب ، والله غالب على أمره<sup>٨٩</sup> .

وممن خرج في الطلب طمعا في المال سراقة بن مالك ( وقال لجاريته : أخرجني بالفرس من وراء الخباء .. ثم أخذ رمحه ، وخفض عاليه يخط به الأرض ، حتى ركب فرسه ، فلما قرب منهم ، وسمع قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبوبكر يكثر الالتفات ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يلتفت . قال أبو بكر : يا رسول الله ، هذا سراقة بن مالك . فدعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فساخت يدا فرسه في الأرض<sup>٩٠</sup> .

ووردت القصة بصورة أخرى :

> وقد جعلت قريش لمن يأتي به أو بأبي بكر أو يقتلها أو أحدهما مائة ناقة ، فتبعهم سراقة بن مالك طمعا في المال ، ولحقهم في أرض صلبة ، فالتفت اليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ونهاه من اتباعهما ، فأبى فساخت قوائمه فرسه في الأرض ، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - الخلاص على أن يرد عنه ، فدعا له فخلص ، ثم تبعهم ثانيا . فساخت فرسه الى ركبته ، فسأل الخلاص ، فدعا له فخلص ، ثم تبعهم الثالثة ، فساخت فرسه الى بطنها ، فطلب فيه الخلاص ، وان يرد عنه الطلب ، فقال له - صلى الله عليه وسلم - ارجع ولك سوار كسرى ، فأسلم ورجع ، ورد كل من

٨٦٩ جوامع السير النبوية ، لابن حزم ، ص ٦٩

٨٧٠ يعني الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبوبكر - رضي الله عنه -

٨٧١ وفي سيرة ابن هشام ، ص ٩٩ : جعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم

٨٧٢ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ٩٣

٨٧٣ مختصر سيرة الرسول ، لمحمد بن عبد الوهاب ، جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٧١ . مختصر

سيرة ابن هشام ، ص ١١٦ . . ولكن بمكان ساخت : عشر بي فرسي ، فسقطت عنه . > الاكتفاء في

مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء > للكلاعي ، ص ٤٥٣

لقيه عن الطلب<sup>٨٧٤</sup> .

ووردت الرواية بصورة ثالثة في كتاب الأثر ( لابن سيد الناس ) :  
> يقول سراقه : فركبت فرسي - وعصيت الزلام - تقرب بي حتى  
إذا سمعت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو لا يلتفت ،  
وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغتا  
الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زحمتها ، فهنضت ، فلم تكد تخرج يديها )  
فلما استوت قائمة إذا الأثر يديها عثان<sup>٨٧٥</sup> ساطع في السماء مثل الدخان ،  
فاستقسمت بالازلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ،  
فركبت فرسي حتى جنتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من  
الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت  
له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يديد الناس بهم ،  
وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزاني ولم يسألاني ، الا ان قالوا : أخف  
عنا ، فسألته ان يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب لي  
رقعة من آدم ، ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ><sup>٨٧٦</sup> .

وليس موضع تعقيب على اختلاف الروايات في هذا الموضع ، وانما  
يهمنا ان جميعها كانت تهدف حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا بل  
تهدف القضاء على منهجه < الكتاب والسنة > .. ولقد أرغم الله أنف  
الجاهلية ، وأراهم جهارا نهارا أن الله يحمي نبيه ، ولن تستطيع أي قوة  
ان تصل اليه ، وان هذا الأمر ليبلغ منتهاه ، حتى بشر الرسول - صلى  
الله عليه وسلم - سراقه بأنه سوف يلبس تاج كسرى ، وهي حرب نفسية  
موجعة ، لا بل هي أشد من ضرب السهام في غلس الظلام .

هـ - الغدر بطريقة رمي الصخرة :

ولقد دبرت محاولة ، حبالها خفية ، احيطت بكل الحذر ، واسدل  
عليها ستار في الخفاء يعجز أهل الأرض عن كشفه ، فلم تكن هذا بطريقة  
ضربه أو ملاحقته ، وانما وضع السم بالعسل ، حيث وعدوه على التعاون ،  
وقلبوا ظهر المجن ، فكان الله لهم بالمرصاد ..  
ففي السنة الرابعة من الهجرة : خرج رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - الى بني النضير ، ومعه نفر من أصحابه منهم : أبوبكر ، وعمر ،

٨٧٤ مورد الصفا في مورد المصطفى ، ص ٤٩

٨٧٥ عثان : غبار

٨٧٦ عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، ج ١ ص ٢٢٥

وعثمان ، وعلي ، وطلحة - رضي الله عنهم جميعا - ، يستعينهم في دية رجلين من بني عامر وبني سليم ، كان معهما عهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ لعدم علمه بالعهد ، فلما أتاهم وطلب منهم الاعانة في الدية ، قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك علي ما أحببت ، وقد أن لك ان تزورنا ، اجلس تكرم ، وترجع بحاجتك ، ثم تخلوا عنه ، وتشاورا في أمره ، فاجمعوا علي ان يصعد أحدهم وهو عمرو بن جحاش ويرمي عليه صخرة ، حيث كان جالسا بجوار حائط ، ونصحهم بعض عقلائهم<sup>٨٧٧</sup> ، فلم يسمعوا . فأخبر الله الرسول بكيدهم ، فقام - صلى الله عليه وسلم - مظهرا انه يقضي حاجة ، ولم يخبر اصحابه خوفا من ان ينتقم القوم منهم ، ورجع مسرعا الي المدينة وتبعه أصحابه<sup>٨٧٨</sup> .

#### و - الغدر بطريقة السم :

ان الحق الذي يؤسس قواعده علي بغض الشريعة < الكتاب والسنة > فان غيومه تتلبد كل يوم ، وأسلحة الكيد تتطور ، وتأخذ غوارا عميقة تحول بينها وبين البسطاء من أصحاب النية السليمة ، مما يجعل مادة البناء بين طبقات المجتمع الاسلامي تحتاج الي فن دقيق وايمان عميق ، تكشف تلك الهوة السحيقة من الغدر والخيانة ، مما يتعذر كشفها بطريقة تجريبية أو حذاقة في السياسة ، أو براعة في الذكاء ، كل ذلك علي أهميته .. يصبح هباء منثورا . والغدر الذي حدث هو انه أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية<sup>٨٧٩</sup> ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب الي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبل لها : الذراع . فأكثر فيها من السم ، ثم سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ... فلفظها ، ثم قال : ( إن العظم ليخبره انه مسموم ) ثم دعابها ، فاعترفت . فقال : ما حملك علي ذلك ؟ قالت : بلغت في قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحمت منه ، وان كان نبيا فسيخبره ، فتجاوز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها<sup>٨٨٠</sup> .

٨٧٧ الذي منعهم عن الفعل هو : سلام بن مشكم .

٨٧٨ مورد الصفا في سيرة المصطفى ، بتصرف ، ص ١٠١ > انظر سيرة ابن هشام ص ١٥٩ - ١٦٠ .

وطبقات ابن سعد : ٩٩٠/٣

٨٧٩ مصلية : مشوية > حاشية مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٠٩ <

٨٨٠ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٠٩

ز - الغدر في الطواف :

فأماكن العبادة تخصص للصلاة مع الله من صلاة ودعاء وذكر مع اصلاح السريرة وحسن الظن ، والانابة الى الله ، ونسيان المشاحنات والخصومات ، بهذا الجو الروحي ، والصفاء النفسي ، يشعل فتيل الفتنة ، ليعكر جلال جو المكان و بالغدر والخيانة ..

وقد روى : < أن فضالة بن عمير الليثي ، أراد قتل النبي - صل الله عليه وسلم - وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أفضالة ؟ ) ، قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : ( ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ ) قال : لا شيء . كنت أذكر الله ، فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : ( استغفر الله ) ، ثم وضع يده على صدره فسكن ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه < ٨٨١ .

ح - استغلال جنح الليل للغدر به :

كان المنافقون واعداء < الكتاب والسنة > يتحينوا كل فرصة للإنقضاض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكان الله لهم بالمرصاد ، يكشف غدوهم ، ويظهر حقيقتهم ، وهذا النوع من الغدر فيه المشقة لمعرفة الغادرين ، وقد حدث هذا التخطيط عند انصراف النبي - صلى الله عليه وسلم - من تبوك ، اجتمع رأي من كانوا معه من المنافقين ، وهم اثنا عشر رجلا علي ان ينكثوا به في العقبة التي بين تبوك والمدنية < ٨٨٢ ..

ويقول المؤرخون : < إن الله أعلم رسوله سر المؤامرة > < ٨٨٢ .

فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي الرسول - صلى الله عليه وسلم - : < ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها أحد ، واسلكوا بطن الوادي .. فلما سمع المتآمرون بذلك ، استعدوا ، وتلثموا ، وسلخوا العقبة ، فأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه .. فسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - صوت المتآمرين ، وقد غشوه ، فنفرت

٨٨١ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ٢٣٥

٨٨٢ ثورة الاسلام وبطل الأنبياء ، ص ١٠٤٣

٨٨٣ المصدر السابق .

ناقته ، حتى سقط بعض متاعه ، فغضب ، وأمر حذيفة ان يردهم ، فرجع اليهم ، جعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجته ، وقال لهم : اليكم اليكم يا أعداء الله .. فولوا مدبرين ، وانحطوا في العقبة مسرعين الى بطن الوادي ، واختلطوا بالناس<sup>٨٨٤</sup> .

ولم يثبت أي عقاب لهؤلاء النفر منه - صلى الله عليه وسلم - لا بل عفى عنهم .

#### ط - استغلال فرصة الوحدة والنوم :

وهذا ايضا اسلوب شائك ، مربك ومحطم للأعصاب ، حيث ان هذا النوع من المباغته لم تترك فرصة للمرء للدفاع عن نفسه ، لا بل حتى التفكير في حالته ، ويدخل عليه الخوف الشديد ، وهذه الحالة نزلت بشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. وهذه القصة حدثت في غزوة غطفان في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره<sup>٨٨٥</sup> .

ففي هذه الغزوة أصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصرا ، فنزع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثوبيه ونشرهما ليجفا ، القاهما على شجرة واضجع ، فجاء رجل من العدو يقال له دعثور<sup>٨٨٦</sup> بن الحارث ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( الله ) ، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له : ( من يمنعك مني ؟ ) قال : لا أحد . اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام<sup>٨٨٧</sup> ، ونزلت هذه الآية فيه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم .. »<sup>٨٨٨</sup> .

٨٨٤ المصدر السابق .

٨٨٥ غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لابن سعد ، ص ٣٥

٨٨٦ دعثور بن حارث : هو الذي جمع جمعا من بني ثعلبة ومحارب بذى أمر ، قد تجمعوا يريدون ان يصيبوا

من أطراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤ >

٨٨٧ غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤

٨٨٨ المائدة : ١١

٤ - الحرب الاقتصادية :

هذه الحرب في ميزان الأمم من أصعب الحروب ، لأنها تشل حركة الجسم ، وتقضي على التفكير والفهم ، وتجعل المرء ضعيف الهممة ، هذا الأسلوب في الحرب قضى على أمم ، وحطم حضارات راقية ، وقد سلكت الجاهلية هذا الطريق ، عندما عرفت ، ان قوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقفوا للدفاع عنه في الأذى .

فقد ورد في كتاب مختصر سيرة ابن كثير :

> فلما عرفت قريش ان القوم<sup>٨٨</sup> قد منعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسونهم ولا يبايعونهم ولا يدخلون بيوتهم حتى يسلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل<sup>٨٩</sup> .

فعند ذلك أمرهم أبو طالب أن يدخلوا شعبه ، فلبثوا فيه ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء ، وقصعوا عنهم الأسواق . فلا يتركون طعاما يدخل مكة ، ولا بيعا الا بادروه فاشتروه ، ومنعوه ان يصل شيء منه الى بني هاشم . حتى كان يسمع أصوات نساءهم يتضاغون من وراء الشعب ، فأوثقوهم ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالا شديدا<sup>٩٠</sup> .

٨٨٩ القوم : هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب - حاشا أبا لهب وولده ، فانهم صاروا مع قريش على قومهم >

جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٥١ <

٨٩٠ مختصر سيرة ابن كثير ، ص ١٠٠

٨٩١ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ٦٩

### نقض الصحيفة :

عز على نفر من قريش ما يلاقيه بنو هاشم وبنو عبد المطلب من بلاء بسبب الحصار الاقتصادي الذي ضرب عليهم ، بمقتضى اتفاق الصحيفة<sup>٨٩٢</sup> .

وكان القائد لتلك الفكرة - وهي نقض الصحيفة التي فيها الظلم والاجحاف لأهل الحق - هو هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي ، وكان يصل بني هاشم في الشعب خفية بالليل بالطعام . مشى الى زهير بن أبي أمية المخزومي ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتشرب الشراب ، وأخوالك بحيث تعلم ، فقال : ويحك ، فما اصنع وأنا رجل واحد ؟ وما والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها . قال : أنا . قال : أبغنا ثالثا . قال : ابو البخترى ابن هشام . قال : ابغنا رابعا ، قال : زمعة بن الأسود . قال : ابغنا خامسا : قال : المطعم بن عدي . قال ، فاجتمعوا عند الجحون ، وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة<sup>٨٩٣</sup> .

فتم نقض الصحيفة على يد هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم حماسة وشهامة و > خرج بنو هاشم من شعبهم ، وخالطوا الناس ، وكان خروجهم في سنة عشرة من النبوة ، ومات ابوطالب بعد ذلك بستة أشهر<sup>٨٩٤</sup> .  
لقد فرج الله هذه الكربة ، بعد الشدة والضيق ، حتى بلغت القلوب الحناجر ، فثبت الله المؤمنين على دينهم ، وخاب كيد الكافرين .

### ٥ - الحرب الأخلاقية :

وهي حرب ، تصيب المقاتل ، لا يشفى المصاب بها ، منفرة لطبائع النفوس السليمة ، تأتي على الدعوة لاجتثاث جذورها من الأساس ، فلا ترحم ، لا يمكن إعادة بنائها ، تدع الحليم حيرانا ، تسكره من غير سكر ، تأخذ عقله وهو صاحب اللب ، من يصاب بها ، تقتله الهموم والأوهام ، لا يدبرها إلا أخبث الخبائث من المنافقين ، ومن لف لفهم . لا يحيك شباكها الا من تجرد من الحياء ، ونزع ثوب العفة ، وما أحسن قول الصادق الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم - : ( إذا لم تستح فاصنع ما شئت ) .

٨٩٢ وكان كاتب الصحيفة هو : منصور بن عكرمة ، ويقال : النضر بن الحارث ، فدعا عليه الرسول - صلى

الله عليه وسلم - ، فشل بعض اصابعه > عن كتاب عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٣٥ ××

٨٩٣ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ٧٢

٨٩٤ المصدر السابق ، ص ٧٣

والحدث العظيم الذي حدث هو حديث الإفك ، الذي تهتز منه الجبال ، وتميد الأرض ، باتهام الطاهرة ابنة الصديق ، زوجة الصادق الأمين ، سيد البشر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وحدثت قصة الإفك في غزوة بني المصطلق ، وتسمى أيضا غزوة المريسيع<sup>١١٠</sup> . وهي في شعبان سنة ست عند أبي اسحاق<sup>١١١</sup> ، وفي سنة أربع عند موسى بن عقبة ، وفي شعبان سنة خمس يوم الاثنين ليلتين خلتا منه عند ابن سعد ، والصحيح انها كانت في شعبان في العام الخامس للهجرة<sup>١١٢</sup> ، والذي يقوي هذا الرأي ان سعد بن معاذ كان في هذه الغزوة ، وقد توفى سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة متأثرا بجرحه الذي اصيب به في الخندق ، وقد كانت غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة . .

وفي هذه الغزاة قال أهل الافك في عائشة ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . عن عروة : ان عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ، اذا اراد ان يخرج أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -<sup>١١٣</sup> .

قالت : > فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوته تلك وقفل ، أذن ليلة بالرحيل ، فمتمت الى بعض شأني ، فلما رجعت الى الرحيل ، لمست صدري ، فإذا عقدي قد انقطع ، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه .

قالت : واقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي - وكان ذلك بعد نزول آية الحجاب - فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون اني فيه ، فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعد ما

١٩٥ المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة ، والمريسيع اسم ماء لهم > مورد الصفا في سيرة المصطفى ، ص ١١٢ . وقيل بئر لهم > غزوات الرسول ، لابن سعد ، ص ٦٣ <

١٩٦ مختصر سيرة ابن هشام ، ص ١٨٤

١٩٧ عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٢٢ > لأبي سيد الناس > . فتح الباري ، ٣٠٤/٧ ، زاد المعاد لابن القيم ١١٢/٢ ، غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ، لابن سعد ، ص ٦٢ .

١٩٨ عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٢٨ > لأبي سيد الناس > .

استمر الجيش ، فجئت منازلهم ، وليس بها داع ، ولا مجيب ، فيممت منزلي الذي كنت به ، وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، وكان صفوان بن المعطل<sup>١٩٩</sup> من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد انسان ، فعرفني حين رأني ، وكان رأني قبل الحجاب . وكنت قد غلبتني عيناى فنمت ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخرمت وجهي بجلبابي ، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحته .. فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة ، وهم نزول ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أبي سلول<sup>٢٠٠</sup> .

ووجد رأس المنافقين ، عدو الله عبدالله بن أبي سلول متنفسا ، فتنفس من كرب النفاق والحسد ، فجعل يستحكي الإفك ، وكان أصحابه يتقربون اليه به<sup>٢٠١</sup> ..

> فلما قدموا المدينة : أفاض أهل الإفك في الحديث . ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساكت ، لا يتكلم ، ثم استشار في فراقها ، فأشار عليه علي بفراقها ، وأشار عليه أسامة بإمساكها<sup>٢٠٢</sup> .

واقترضى تمام الابتلاء : ان حبس الله عن رسوله الوحي شهرا في شأنها ليزداد المؤمنون ايمانا ، وثباتا علي العدل والصدق ، ويزداد المنافقون ، افكا ونفاقا<sup>٢٠٣</sup> .

وبعد محنة قاسية مرت على السيدة عائشة ، وابويها ، وزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فمرت الأيام ثقالا وهي تحمل سرا فيه أهات وأنات وزفرات محرقات حتى جاء الفرج : > فنزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... فكان أول كلمة قالها رسول الله

٨٩٩ صفوان بن المعطل : الرجل الصالح الذي جعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لصاحه في مؤخرة

الركب ، يلتقط الضائع ، ويعين المتأخر > مورد الصفا في سيرة المصطفى ، ص ١١٧ .

٩٠٠ فقه السيرة ، للبوطي ، ص ٢٩٩

٩٠١ مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ١٢٢

٩٠٢ المصدر السابق .

٩٠٣ المصدر السابق .

- صلى الله عليه وسلم - : ( أَمَا اللهُ يَا عَائِشَةُ ، فَقَدْ بَرَأَكَ )<sup>٩٤</sup> ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوَّلَ سُورَةِ النُّورِ مِنْ قَوْلِهِ : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكَ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ .. » إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْأَفْكَ هُوَ مِنْ أَصْعَبِ الْمَحَنِّ ، الَّتِي تَقْضِي عَلَى الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ ، فَهِيَ نَارٌ لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ .  
وَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَأْخُذُ بِخُنَاقِ الْمُسْلِمِ وَيَحْجِزُهُ عَنِ الرَّؤْيَا الْوَاضِحَةِ ، يُوْجَدُ سَلْمُ النِّجَاةِ ، وَيَحْمِيهِ مِنْ كَيْدِ الْكَائِنِينَ وَافْتِرَاءِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْوَاجِهِمْ بِالطَّهْرِ فِيهِمْ ..

وَقَدْ قِيلَ : < أَنْ هَذَا أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ تَلَوُّثِ الْعَرَضِ ، وَمِنْ وَقُوعِ أَرْوَاجِهِمْ بِالْفَاحِشَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي سَمْعَةَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَطْهَارِ ، وَلِهَذَا قَالَ < ابْنُ عَبَّاسٍ > : مَا بَغَتْ أَمْرًا نَبِيٌّ قَطُّ ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أُمَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ<sup>٩٥</sup> . وَأَمَّا الْكُفْرُ مِنْهُمْ فَقَدْ يَقَعُ . فَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةُ لُوطَ كَافِرَةً ، كَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ نُوحَ كَافِرَةً أَيْضًا ، وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ الْمِثْلَ بِهِمَا ، قَالَ تَعَالَى : « ضَرَبَ اللهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرًا نُوحَ وَأَمْرًا لُوطَ ، كَانَتَا تَحْتَ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا ، فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ »<sup>٩٦</sup> .  
وَالْمُرَادُ بِالْخِيَانَةِ هُنَا < الْخِيَانَةُ فِي الدِّينِ > حَيْثُ لَمْ تُؤْمَنَّا بِاللَّهِ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ :

< « فَخَانَتَاهُمَا » : أَيُّ فِي الدِّينِ ، فَلَمْ تَتَّبِعَاهُمَا فِيهِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى فَاحِشَةٍ ، حَاشَا ، وَكَلَّا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَبِيٍّ أَنْ تَبْغِيَ أَمْرًا ، وَمَنْ قَالَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً كَبِيرًا ><sup>٩٧</sup> .

بَعْدَ أَنْ مَرَرْنَا عَلَى هَذِهِ الْحَرْبِ الطَّاحِنَةِ ، مِنْذُ أَنْ أُعْلِنَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ < الْكِتَابُ وَالسَّيِّئَةُ > هُمَا مِنْهَجُ حَيَاةٍ ، وَبَقِيَّتُهَا تِلْكَ النَّارُ مُسْتَعْرَةٌ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، لَا بَلْ بَقِيَّتُهَا تَشْنُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّيِّئَةِ حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

٩٠٤ المصدر السابق .

٩٠٥ النبوة والأنبياء ، للصابوني ، ص ٢٥٢

٩٠٦ التحريم : ١٠

٩٠٧ البداية والنهاية ، ج ١ ص ١٨٢ .. النبوة والأنبياء ، ص ٢٥٢

القسم الثاني - بعد وفاته :

ومما يزيد في التأكيد علي حجية السنة ، وانها منهج حياة للأمة الإسلامية بعد كتاب الله ، الحرب الضروس العاتية ، التي ازداد هبوبها بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولو كان الحرب على شخصه ، ولم يكن المقصود فكره ومنهجه المتمثلان بالكتاب والسنة ، لهدأت العاصفة ، ولرمى أصحاب الحقد ائثال لؤمهم ، وسموم كيدهم ، ولبدلو نفث سمومهم الخبيثة ، بسلامة الصدر ، وحسن الطوية ، لأثمر لهم صفاء العقل ، وحياة الضمير اللذان يوجبان عليهما الاعتراف بالجميل الذي قدمه لهم الاسلام على يد صاحب الرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

إن الكذب الذي صنفه أصحاب الضمائر الميتة ، والنفوس المهزوزة ، ان الرسول محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان الدافع له هو الطمع في المادة > أي الجانب الاقتصادي < ..

والأمر الثاني وهو محاولة ادخال سهام الطعن في باب تعدد زوجاته - صلى الله عليه وسلم - .. وكل هذه الأشياء هي أوهى من بيت العنكبوت ، وليس لها أي رصيد يزعمها ، لا بل هي وصمة عار على من يدعي ان تعدد زوجات النبي هو نقص أو عيب .

(١) الجانب الاقتصادي :

وهو انه تحرك لفكرته لأجل الجانب الاقتصادي ، لأجل تميميع فكرة النبوة وحجية السنة ، أو أضعاف الجانب التشريعي بين جهلة المسلمين .

فهذه الحجة وهو فكرته لأجل الجانب الاقتصادي مردودة جملةً وتفصيلاً ، وما مر من البيان يرد هذه الفكرة من وجوه :

أولا :

ان المشركين قدموا له الاغراء المادي لأجل تدك فكرته ، فرفضها ، وقال كلمته المشهورة : ( لو وضعوا الشمس في يدي ..... ) .

ثانيا :

ان الحصار الذي حدث في شعب ابي طالب كان مضايقة اقتصادية شديدة ، أبكت نساءهم وصغارهم من الجوع ، فكيف يقبل الذي يريد الطمع المادي بأن يكون معدما ، وتسلب منه جميع الفرص المواتية لاكتساب الرزق والحصول على الثراء لأجل > أن لا إله إلا الله منهج حياة < .

ثالثا :

ان الصحابة الكرام والرسول - صلى الله عليه وسلم - على رأسهم خرجوا جميعا من وطنهم مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، وتركوا دورهم وأرضهم وتجارتهم ، وهذه الهجرة جردتهم من اكثر اقتصادياتهم ، ان لم تكن جميعها ، أي انسان عاقل يقبل ان يقول ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أدى بفكرته لأجل الحصول على الجانب الاقتصادي .

رابعا :

ان صاحب الدعوة الاسلامية المباركة طلب من الصحابة الكرام الانفاق في سبيل الله ، ولذلك نجد الصحابة الكرام أنفقوا أموالهم لأجل الدعوة الإسلامية .

خامسا :

ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاش حياته كلها فقيرا ، قال عمر - رضي الله عنه - : > لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يظل اليوم يتلوى ، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه <<sup>١٨</sup> .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : نام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطأ ، فقال : ( مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ) .

لا بل يطول الجوع والحرمان حتى يزيد على الشهر ولا توقد النار في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - انها كانت تقول : > والله يا ابن أختي إن كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار < . قلت : يا خالة مما كان يعيشكم ، قالت :

> الأسودان : التمر والماء . . إلا انه كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، وكانوا يرسلون الى رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبانها فيسقيننا ><sup>١٠٩</sup> .  
وقد يخيل لبعض الناس ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع  
خشونة عيشه ، وقلة أثاثه ، قد ترك ثروة اقتصادية ، أو نوى ماله .. كل  
ذلك لم يثبت عنه منه شيء ، حيث انه عاش فقيرا ، وانتقل الى الرفيق  
الأعلى وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا ، لا بل كان مديونا .  
وعن عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث - أم المؤمنين رضي  
الله عنها - قالت : > ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند  
موته دينارا ولا درهما ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التي  
كان يركبها وسلاحه ، وأرضا جعلها لأبن السبيل صدقة ><sup>١١٠</sup> .  
وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت > توفى رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من  
شعير ><sup>١١١</sup> .

فهذه هي الحياة التي عاشها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وعاشها الصحابة الكرم ، فأى انسان له أدنى عقل ، وذرة من الضمير يقبل  
بهذا القول الواهي الذي لا أساس له من الصحة .

## (٢) الطعن في تعدد زوجاته - عليه الصلاة والسلام - :

وهو كلام لا يقبله الكرام أصحاب المروءة ، حيث ان الرسول - صلى  
الله عليه وسلم - تزوج نساء كلهن لحكم بالغة .. منها :

### ١ - الأخذ بمعالي الأمور :

وان أول أزواجه خديجة بنت خويلد بن أسد ، تزوجها عليه الصلاة  
والسلام ، وهو ابن خمس وعشرين سنة<sup>١١٢</sup> ، وكان عمرها أربعون سنة ،  
وكانت الحكمة في هذا الزواج : > فقد نظر الى مكانتها في قومها ،  
وموقفها في عشيرتها وعفتها ، وقد صدق حدسه - صلى الله عليه وسلم -  
فيها ، فكانت أول من استجاب له ، وأمن به من الرجال والنساء ،  
فصدقته وأزرتة ، وكان لهذا التصديق أثره بين عشيرتها وقبيلتها ،

١٠٩ - أخرجه البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧٢ رقم ٦٠٩٤ ، كتاب الرقاق .

وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، ج ٤ ص ٢٢٨٤ رقم ٢٩٧٢

١١٠ - رواه البخاري ، في كتاب الوصاية ، ج ٣ ص ١٠٠٥ ، رقم ٢٥٨٨

١١١ - رواه البخاري ، في الجهاد ، ج ٣ ص ١٠٦٨ ، رقم ٢٧٥٩

١١٢ - جوامع السيرة النبوية ، لابن حزم ، ص ٢٦

ومكثت تؤازره ، وتنصره حتى توفاهها الله الى رحمته ، بعد ان عاشرت النبي - الأمين الرحيم - معاشرة الزوجات الباروات خمسة وعشرين عاما ><sup>١١٣</sup> .

> أما زوجها النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يزل في مستوى العمر الطبيعي ، وقد قضى معها زهرة شبابه ، فلم يتزوج عليها ... وظل طول عمره - صلى الله عليه وسلم - يذكرها ويكرم أصدقاءها ومعارفها ><sup>١١٤</sup> .

فلقد كان زواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خديجة أخذاً بمعالي الأمور ، مما أعطى لأهل زمانه درسا في رفعته وعزته وعلو شأنه ، يربو على كل أهل زمانه .. مما جعل النوس الكثيرة ، تقدر محمداً - صلى الله عليه وسلم - وتحني رقابها لذلك الجبل الشامخ الذي طلبته خديجة - رضي الله عنها - ، ورفضت من طلبها من سادات قريش ، فكان هذا الزواج بمثابة أساس لبناء شامخ ، يعجز أن يصل اليه العظماء ولو حكوا نافوخهم في السماء .

وكذلك أعطى هذا الزواج درسا للمسلمين على ان يختار العاقل وصاحب الدين زوجة طيبة ذات عقل راجع وأخلاق عالية ونسب رفيع ، ودين مستقيم على غيرها من الصفات الأخرى .

لقد أصاب اختياره ، فكانت نعم المرأة للرسول - صلى الله عليه وسلم - لأعباء الدعوة ، وحين جاءه جبريل وهو في غار <حراء> رجع الى زوجته يرجف فؤاده ( ويقول : زملوني زملوني ، حتى ذهب عنه الروح ، فحدث خديجة بالخبر ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : > أبشر ، كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .. ><sup>١١٥</sup> .

لهذه الصفات الكريمة ، قد بلغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخمسين من العمر ، وليس عنده سواها ، فلم يعدد زوجاته ، إلا بعد وفاتها ، رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل الجنة مسكنها .

٩١٣ زوجات النبي الطاهرات ، وحكمة تعددهن ، للصوف ، ص ١٩ - ٢٠

٩١٤ المصدر السابق ، ص ٢٠

٩١٥ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥ ، بدء الوحي ، رقم ٣

وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ج ١ ص ١٣٩

٢ - جانب الشفقة والرحمة :

لقد كان صاحب القلب الرحيم ، الذي تجاوزت رحمته البشر الى الاحياء الأخرى ، وهو القائل : ( دخلت امرأة النار بهرة حبستها فلا أطعمتها... ) .

فكيف تكون شفقتة ورحمته بالمسلمين ، وأن الدعوة الاسلامية تكون قوتها وانتشارها بقدر ما يكون قاندها - عليه الصلاة والسلام - غيورا رحيفا على كل مسلم ومسلمة ، رحيفا بكل من نزلت به مصيبة ( حريصا على كرامة كل من آمن من الرجال والنساء ، ولا يستطيع إنسان أن يصف تلك الرحمة التي هي أرحم بالمؤمنين من أنفسهم لأنفسهم ، فإن خالق السموات والأرض حيث قال فيه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. »<sup>١١٦</sup> . ومن جوانب تلك الرحمة زواجه من سوده ..

وفي الشهر الذي ماتت فيه خديجة - رضي الله عنها - تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد ان توفى عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو ، وقد كانت أمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها ، وهاجرت مع زوجها الي الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعه من هجرته توفى عنها ، لم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزواج رجل آمن به و لو تركت لقومها على ما هم فيه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها<sup>١١٧</sup> .

> ولو كان غرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشهوة ، كما زعم المستشرقون الأفاكون ، لاستعاض عنها وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين - بالنواهد الابكار . ، ولكنه عليه السلام كان المثل الأعلى في الشهامة ، والنجدة ، والمرؤة ، ولم يكن غرضه إلا حمايتها ورعايتها .. <<sup>١١٨</sup> .

٣ - الجانب الاجتماعي :

لقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - صاحب الدعوة الشاملة ، خبيرا بمعالجة النفوس ، وكيفية جمعها وربط أصرتها ، وأن الجانب الاجتماعي له أهمية لقوة الصف وبناء الأمة ، ولذلك راعى الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الجانب ، ويظهر هذا الجانب بوضوح في تزوج

١١٦ التوبة : ١٢٨

١١٧ سيرة سيد المرسلين > تأليف جماعة من كبار العلماء < ص ٤٥

١١٨ شبهات وابطال حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٩

النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبنة الصديق الأكبر < أبي بكر > - رضي الله عنه - ، ثم بأبنة الفاروق < عمر > رضي الله عنه ، ثم باتصاله عليه الصلاة والسلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق ، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في ايمان ، واكبار ، وإجلال<sup>١١٩</sup> .

< إن مصاهرة النبي - عليه أفضل الصلاة والتسليم - لأول اصحابه وأول مصدقيه ، وأعلامهم قدرا ، وأكثرهم إخلاصا ، وتضحية ، في سبيل الله ورسوله .. هذه المصاهرة ، كانت مكافأة لهذا صاحب الوفي الأمين ، وهذا المجاهد البطل الكريم الذي حمل أعباء الرسالة من بعد الرسول العظيم ، فكان خير خلف لخير سلف ، وكانت ابنته البارة أم المؤمنين عائشة المبرأة الصديقة الزوجة المثالية ، التي جعل الله بينها وبين النبي الكريم مودة ورحمة ><sup>١٢٠</sup> .

#### ٤ - الجانب السياسي :

كان لتعدد الزوجات حكمة سياسية ، لها أثر كبير في نجاح الدعوة الإسلامية وتبليغها ، من بركة هذه الناحية .. ان بعض القبائل خفضت عداوتها ضد الاسلام ، ومنها من دخلت في الاسلام بسبب المصاهرة .  
ومن الأمثلة على ذلك ، تزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسيدة < جويرية بنت الحارث > سيد بني المصطلق ، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها ، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر ، أرادت أن تفتدي نفسها ، فجاءت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستعيه بشيء من المال ، فعرض عليها الرسول الكريم ان يدفع الفداء ، وأن يتزوج بها ، فقبلت ذلك ، فتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت أيدينا ، فاعتقوا جميع الأسرى ، الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبيل والسمو ، هذه الشهامة والبروءة ، أسلموا جميعا ، ودخلوا في دين الله ، وأصبحوا من المؤمنين<sup>١٢١</sup> .

وكذلك تزوج - عليه الصلاة والسلام - بالسيدة أم حبيبة < رمة بنت أبي سفيان > ، وأبو سفيان كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك ، كألد الأعداء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أسلمت ابنته في مكة ، ثم هاجرت مع زوجها الى الحبشة فرارا بدينها ، وهناك مات زوجها

١١٩ المصدر السابق ، ص ٢٣

١٢٠ زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٣٥

١٢١ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٢٦ - ٢٧

، فبقيت وحيدة فريدة ، لا معين لها ولا أنيس ، فلما علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمرها ، أرسل الي النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها ، فأبلغها النجاشي ذلك ، فسرت سرورا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه<sup>١١١</sup> ، ولما بلغ < أبا سفيان > الخبر ، أقر ذلك الزواج ، وقال : < هو الفحل لا يقدر أنفه > . فافتخر بالرسول ، ولم ينكر كفاءته له . فقد كان هذا الزواج سببا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين<sup>١١٢</sup> .

#### ٥ - الجانب التعليمي :

فالجانب التعليمي جانب مهم في الشريعة الإسلامية ، ولا يمكن لأمة تريد ان ترتق وترفع من شأنها إلا على أساس التعليم الذي هو سلاح الأمة وعلى أساسه تُبنى جميع المقومات والأركان .

وكانت هذه التعاليم منها ما يخص الرجال ، ومنها ما يخص النساء ، وقسم يكون مشتركا بينهما ، وكان القسم الذي يخص النساء ، يحتاج الى تبليغه لمجموعة من النساء الواعيات المؤمنات اللاتي لهن اتصال بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا يمكن ان يكون ذلك الا عن طريق زوجاته - عليه الصلاة والسلام - .

< والأحكام التي تختص بالنساء كثيرة ، ويجد الرجال حرجا في ايضاحها الي النساء ، بل ان سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجد حرجا في تبين قسم من الأحكام الخاصة بالنساء ، خاصة الأحكام المتعلقة بالغسل والطهارة والحيض والنفاس ، فلا يستطيع تبليغها الي النساء بصورة واضحة بينة الا النساء ><sup>١١٣</sup> .

< واذا كانت الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء متعددة الجوانب ، أدركنا ان امرأة واحدة لا تستطيع ان تقوم بهذه المهمة ، ولا يستطيع ان يقوم بذلك الا عدد من النساء من قبائل متعددة لنشر أحكام الشريعة في العالمين .. وهل من وسيلة ناجحة في هذا أحسن من تزوجه - صلى الله عليه وسلم - بعدد منهن ><sup>١١٤</sup> .

٩٢٢ المصدر السابق ، ص ٣١

٩٢٣ المصدر السابق ، ص ٣١

٩٢٤ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم نعمة ، ص ٧٣

٩٢٥ المصدر السابق ، ص ٧٣ - ٧٤

ولذلك أخذن نساء الرسول - صلى الله عليه وسلم - العلم عنه ، كل حسب قدرتها ، ليبلغن ذلك الى النساء .

وكانت > عائشة - رضي الله عنها - المرجع الأول في الحديث والسنة ، والفقيهة الأولى في الاسلام <<sup>٣٦</sup> .

وقال الامام > الزهري < لو جمع علم عائشة ، الى علم جميع أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل<sup>٣٧</sup> .

وكذلك روت - أم المؤمنين - حفصة في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن أبيها عمر - رضي الله عنهما - روى عنها أخوها عبدالله وابنه حمزة ، في عدد من حفاظ التابعين<sup>٣٨</sup> .

وروت أم المؤمنين السيدة أم سلمة > هند بنت أبي أمية المخزومية < عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكتب الستة ، وفيها كذلك ما روى ابنها سلمة وابنتها زينب ، ربيبا النبي - صلى الله عليه وسلم -<sup>٣٩</sup> .

وكذلك روت أم المؤمنين السيدة > صفية بنت حيي بن أخطب < عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمخرج في الكتب الستة . ومن الذين رووا عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ، ومولاها الآخر يزيد بن متعب ، والامام زين العابدين على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان ، في عدد من حفاظ التابعين - رضي الله عنها وعنهم -<sup>٤٠</sup> .

٩٢٦ نساء النبي ، د . بنت الشاطي ، ص ١١٥

٩٢٧ الاستيعاب ، ١٨٨٣/٤ ، الاصابة ، ١٤٠/٨

٩٢٨ نساء النبي ، د . بنت الشاطي ، ص ١٢٩

٩٢٩ تهذيب التهذيب ، ٤٥٦/١٢

٩٣٠ نساء النبي ، د . بنت الشاطي ، ص ١٩٤

وللسيدة أم المؤمنين السيدة < أم حبيبة - رلة - بنت أبي سفيان > في الكتب الستة خمسة وستون حديثاً ، روت عنها بنتها حبيبة ربيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وابن أخيها عبدالله بن عتبة بن أبي سفيان ، وابن اختها أبو سفيان أبي سعيد بن المغيرة ، وعروة بن هشام بن المغيرة ، وأبو صالح السمان ، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي - صلى الله عليه وسلم -<sup>٣١</sup> .

وهكذا نجد أمهات المؤمنين كل منهن قد قامت بنشر الشريعة الإسلامية التي نهلت من معينها الأول الصافي الزوج المخلص صاحب المثل الكامل محمد - صلى الله عليه وسلم - .

#### ٦ - الجانب التشريعي :

لقد أراد الإسلام أن يزيل جميع العوائق والسدود الاجتماعية المخالفة للنظام التشريعي الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى ، ومن تلك العادات الجاهلية الفروق الطباقية بين سيد ومسود ، ينشأ عنها خفير وعظيم ، وظالم ومظلوم ، هدر للحقوق ، وعلي هذا الأساس يكون البناء متصدعا ، فجاء الإسلام ليقضي على تلك الفجوة ، ويقوم ببناء متماسكا قويا .

وكذلك من العادات المخالفة للشريعة الإسلامية هو تحريم زواج زوجة المتبني ، فأراد العليم الخبير ان يقضي على هذه العادات العميقة الجذور ، الغائرة في أعماق النفوس ، أن يجتثها من أصولها ، لا يبق لها أثرا ،

فأراد ان يطبق هذه العملية الصعبة على النفوس مع < أعلى القبائل العربية نسبا من رجل كان عبدا فحرره النبي - صلى الله عليه وسلم - ><sup>٣٢</sup> .

وهذا الامتحان الذي لا مفر منه ، وهو زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ، وزينب هذه من قريبات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو يعرفها حق المعرفة من طفولتها ، وقد رغب في أن يزوجها من زيد بن حارثة . فكرهت ذلك ، ورفض أخوها ، اعتزازا بما لأسرة زينب من مكانة ،

٩٢١ الاصابة ٨/٨٥ . وتهذيب التهذيب ١٢/٤١٩ . و خلاصة التهذيب ص ٤٢٣

٩٢٢ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٨٦

فهي من ذؤابة قريش<sup>٩٣٣</sup> . وما زيد<sup>٩٣٤</sup> ؟ انه كان عبدا ، ولو ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكرمه فيما بعد ، وألحقه بنسبه ، فصار يدعى زيد بن محمد<sup>٩٣٥</sup> .

> فحدثهما - صلى الله عليه وسلم - عن مكانة < زيد > منه ، ومن الإسلام .. لكنهما على حبهما للنبي - عليه الصلاة والسلام ، وحرصهما على طاعته ، كرها هذا الزواج<sup>٩٣٦</sup> ، حتى نزل فيهما قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضللا مبينا »<sup>٩٣٧</sup> .

وتزوجت < زينب > زيدا .. طائعة لأمر الله ورسوله ، والتزاما بشريعة الاسلام ، وبنى زيد بزید بعد أن ساق النبي اليها مهرها .. فلما سارت زينب الى زوجها لم يسلس له قيادها ، ولا لان إباؤها ، بل جعلت تؤذي زيدا ، وتفخر عليه بنسبها .. واشتكى زيد الى النبي - صلى الله عليه وسلم - غير مرة من سوء معاملتها إياه ، واستأذن غير مرة في تطليقها ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجيبه : « أمسك عليك زوجك واتق الله » .

ولكن زيدا لم يطق معاشرة زينب ، وإبائها عليه طويلا فطلقها<sup>٩٣٨</sup> . ولحكمة يريدتها الله سبحانه وتعالى ، طلق زيد زينب ، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ، ليبطل < بدعة التبني > ويقيم أسس الاسلام ، ويأتي علي الجاهلية من قواعدها<sup>٩٣٩</sup> .

ولكنه - عليه الصلاة والسلام - كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار ، أن يتكلموا فيه ، ويقولوا : تزوج محمدا امرأة ابنه ، فكان

٩٣٣ ان زينب بنت جحش هذه هي ابنة أميمة بنت عبدالمطلب عممة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وانها ربيت بعينه وعنايته ، وانها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى ، وانه كان يعرفها قبل ان تتزوج زيدا < حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، ص ٢٣٣ > .

٩٣٤ لم يكن الاستفهام عن زيد في الاسلام ، انه حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - انما في عرف الجاهلية الجائر .

٩٣٥ فقه السيرة < محمد الفوالي ، ص ٤٦١ > .

٩٣٦ نساء النبي ، د . بنت الشاطيء ، ص ٤٦١

٩٣٧ الاحزاب : ٣٦

٩٣٨ حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، محمد حسين هيكل ، ص ٢٣٤

٩٣٩ شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصابوني ، ص ٢١

يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله - عليه السلام - في قوله عز وجل : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا »<sup>١٤٠</sup> .

وهكذا انتهى حكم التبني ، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية ... ونزل قوله تعالى مؤكدا التشريع الرباني الجديد : « ما كان محمدُ أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً »<sup>١٤١</sup> .

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى ، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة ، كما يقول بعض الأفاكين والمرجفين من أعداء الله ، وكان لغرض نبيل ، وغاية شريفة ، فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقول ، وتدرکها الأفهام ..

> وما يبعث على الأسف الشديد أن ينزلق كثير من المبشرين والمستشرقين الى مهاوٍ سحيقة ، حين يتحدثون عن زواج رسول الله من السيدة < زينب > ، فإن الراهب ( فيدانزيو ) قام بكتابة قصة زواج النبي - صلي الله عليه وسلم - من < زينب > كما يكتب القاص قصة غرامية سواء بسواء<sup>١٤٢</sup> .

وختاماً أقول ، ان النفوس الوضيعة ، والأفعاعي اللاسعة ، الضمائر الميتة ، تنظر الى العظماء بمنظار الحقد والحسد ، فيسهل عليها الافتراء والخيانة ، وان عظيم العظماء وخاتم الأنبياء ، وسيد البشرية لهو أسمى من أن يصيب هؤلاء الحثالات شعث نعله .

#### ٧ - القوة العملية في التربية :

لقد أكثر العلماء والحماة والمربون في العصر الحاضر في الأقوال الطيبة ، والحكم البليغة ، والخطط التربوية الكثيرة ، وأكثرها تعيش بين طيات الكتب ورفوف المكتبات ، لا بل الفرق شاسع بين القول والعمل ، ولربما تكلف كثير منهم هذه الحكم ، ولم يؤمن بها ، وعندما يعرف شخصه ويظهر عمله للأمة ، يغيب بريق تلك الكلمات ، فتكون أشبه بتمثيلية

١٤٠ الاحزاب : ٣٧

١٤١ الاحزاب : ٤٠

١٤٢ انظر ما يقال عن الاسلام ، للاستاذ عباس محمود العقاد ، ص ٤٥٩ ، موسوعة عباس محمود العقاد

يسخر منها العقلاء ، لا بل هي صور مجسمة لأرواح فيها قد وضعت في المتاحف الأثرية ، وهذا التمثيل ينكشف عندما يتعامل هؤلاء مع المجتمع ، لا بل يعجز عن تربية ولده وبنته وزوجته ، ولربما يعيش هو في مكان ومن تحت رعايته في مكان آخر ، هروبا من المشاكل ، فينكشف ثوب الرياء .

أما التربية الإسلامية فهو قول وعمل وإخلاص ، وهذه الصفات الثلاثة للتربية لا توجد إلا في التربية الإسلامية المتمثلة بشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولمن يقتدي به من المسلمين ، فتعدد الزوجات الذي قام به سيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - جانب تربوي مهم ، يقتدي به المسلمون ، ويتأسون به - عليه الصلاة والسلام - ، ومن أهم تلك الجوانب التربوية العملية مع زوجاته - عليه الصلاة والسلام - : ( العدل ) ، فكم عانت المرأة من ظلم وجور ... حتى جاء الرسول الحكيم ، فضرب أروع الأمثلة في العدل بين الزوجات ، ودعا الى إكرامهن والاحسان إليهن<sup>٩٤٣</sup> .

إن هذه المعاملة الطيبة التي كان يعامل بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - زوجاته ، كانت درسا عمليا بليغا ألقاه على الصحابة ليقتدوا به ويقتفوا أثره في احترام المرأة ، بل ألقاه على العالم كله ليبعد عنها شبح الحيف والظلم والجور<sup>٩٤٤</sup> .

وقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الكامل والقُدوة الصالحة للرجال في كيفية معاشرة الزوجات بالمعروف ، والقسمة بينهن بالعدل<sup>٩٤٥</sup> في المبيت ، والنفقة ، واللفظ ، والتكريم ، والأناة والرفق ، والموعظة الحسنة ، ومن سمو خلقه - عليه الصلاة والسلام - انه كان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده الشريفة<sup>٩٤٦</sup> .

وقالت أم المؤمنين < عائشة > - رضي الله عنها - : < ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده امرأة له ولا خادما قط ><sup>٩٤٧</sup> .

إن التربية التي قام بها سيد البشرية لهي التربية المثالية الفريدة

٩٤٣ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٦٩

٩٤٤ المصدر السابق .

٩٤٥ كان عليه الصلاة والسلام يقول : ( اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك ) ، السميت الثمين

، ص ٧

٩٤٦ زوجات النبي الطاهرات ، وحكمة تعددهن < للصواف ، ص ٨٨ > .

٩٤٧ المصدر السابق .

الناجحة التي طبقها علي مجموعة من زوجاته : منهم المسنة الطاعنة في السن ، ومنهم المتوسطة ، ومنهم الشابة ، ومن قبائل مختلفة ، ومنهم صاحب الثراء ، ومنهم الفقيرة ، ومنهم الأرملة صاحبة الأطفال ، والأرملة التي لا أطفال لها ، هذا المزج من الأعمار ، والقبائل ، والعادات ، مما يجعل الموقف حرجا وصعبا في التربية ، لا بل يحول المكان ساحة حرب تستعر أوارها ، ويشتعل ليهيبها ، ولكن صاحب المثل الكامل والمربي الفريد ، حول الساحل المتلاطم الأمواج ، الي حديقة غناء ، يرتع السلف والخلف من ثمارها اليانعة التي أصبحت غذاء وشفاء للمؤمنين ، حتى أصبحت أمهات المؤمنين يضرب بهن المثل في الزهد والكرم ، والذكر والصيام ، والقيام . فأصبحت تلك الأمزجة المختلفة من الجبلات البشرية ، نسيج خير متجانس .

إن عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته الكاملة أثرت في تربية نسائه ، فكانت خير مدرسة . وقد عاشرتة السيدة خديجة خمسة عشر عاما قبل أن يبعث ، وهي تجربة طويلة ، وحياة زوجية تكشف كل صغيرة وكبيرة ، ما قد يخفى على الناس ، ولقد قالت فيه الكلمة التي تبين بعض جوانب العظمة فيه - عليه الصلاة والسلام - حين سمعت منه الحديث العجيب عن الوحي ، حتى هتفت من أعماق قلبها بتصديقه وتأييده وتثبيته علي ما يقول ، إيمانا منها أن أخلاقه الكاملة لا تسلمه إلا الي خير .. فقالت : > .. والله ما يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين علي نواب الحق <<sup>١٨</sup> .

لقد تربين نساؤه - عليه الصلاة والسلام - علي هذه الصفات > من : الصدق ، والأمانة ، وصلة الرحم < ..

وقد قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتربية الصحيحة ، قولا وعملا واخلصا ، وهو القائل الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل

٩٤٨ صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥ ، في كتاب بدء الوحي ، رقم ٣

وأخرجه مسلم في الايمان ، باب بدء الوحي الي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ج ١ ص ١٢٩ رقم ١٦٠ وورد في عيون الأثر : ١/١٥٠ مع شيء من اختلاف النص ، قالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل ذلك بك ،

فوالله انك لتؤدي الامانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث .

الله ، أو القائم الليل الصائم النهار )<sup>٩٤٩</sup> .  
ولم يكن هذا القول خطبة يرفع فيها الصوت ، لأجل قولة أجاد أو أحسن ، وإنما كانت هذه العبارة دستوراً أو قانوناً تربوياً يمرض الكذابين ، ويزعج الخائنين والمنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون .  
ولذلك تزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأرامل والعجائز ، ومن بحوزتهن مجموعة من الأيتام عشن تحت كنف رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، بعطف وحنان ، وشفقة أشد مما يحب المرء لنفسه .  
فنشأ عن ذلك - في بيت النبوة - مؤمنات ، قانتات ، ذاكرات ، ساجدات ، طلقن الدنيا بعد أن حزن لزهرة الحياة الدنيا ، حتى أصبحت بيوتات الرسول - صلى الله عليه وسلم - يمر الشهران ولا يوقد فيها نار للطعام ، ايثاراً لا فقراً ، عطاءً كالسحاب المثقل بالمطر ، وكالريح المرسلة ، لا يرد ، لا يرددن سائلاً ، ولا محتاجاً .

وقد ورد عن عروة عن عائشة - رضي الله عنهما - انها كانت تقول :  
> والله يا ابن أختي ، إن كنا لننظر الي الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار . قلت يا خالة فما كان يعيشكم ، قالت : الأسودان ، التمر والماء ، إلا انه كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، وكانوا يرسلون الي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبانها فيسقيننا <<sup>٩٥٠</sup> .

هذه التربية العظيمة أثرت فيهن تأثيراً كبيراً .. ذكر الزمخشري :  
> أن أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كن >> يدلجن ويمشين بالحمل ، قد أثقلهن << بالقرب ، يسقين أصحابه .. في غزوة أحد < .

ولقد بقى على هذه الحالة في القمة من العظمة ، حتى انتقل الى الرفيق الأعلى ، ولم يملك شيئاً من حطام الدنيا .. وقد ورد في الحديث النبوي عن عمرو بن الحارث أخا جويرية بنت الحارث أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت : > ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته ديناراً ولا درهما ولا عداً ولا أمة ولا شيئاً الا بغتله البيضاء التي كان

٩٤٩ صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٢٢٣٧ رقم ٥٦٦٠ ، باب الساعي على الأرملة .

وأخرجه مسلم في باب الاحسان الى الأرملة والمسكين واليتيم ، ج ٤ ص ٢٢٨٦ ، رقم ٢٩٨٢

٩٥٠ صحيح البخاري ، ج ٥ ص ٢٣٧٢ ، رقم ٦٠٩٤ من كتاب الرقاق

وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، ج ٤ ص ٢٢٨٣ ، رقم ٢٩٧٢

يركبها ، وسلاحه ، وارضاه جعلها لابن السبيل صدقة > ” ..

هكذا ربي الرسول - صلى الله عليه وسلم - زوجاته الطاهرات ،  
فقمنا بتربية المؤمنات من الجيل الأول ، وهن الصحابيات ، فنشأ منهن  
الجيل الفريد .

#### ٨ - مراعاة الظروف وطريقة علاجها :

لقد سلك الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بكل أعماله  
وأقواله سبيل الحكمة وطريق الرشاد ..

> فالحياة الأولى التي عاشها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في  
زهرة شبابيه مع امرأة واحدة وهي السيدة خديجة ، وعاش معها خمسا أو  
ستا وعشرين سنة ، وكان قد بلغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا  
وخمسين سنة ، ثم تزوج بأمة المؤمنين سودة بنت زمعة وهي طاعنة في  
السن ، ومكث معها وحدها ما يقرب من ثلاث سنوات > ” .

وقد قضى من حياته الشريفة - عليه الصلاة والسلام - ما يقرب من  
أربع وخمسين سنة في العزوبة والزوجة الواحد فقط .

> وقد عدد الرسول - صلى الله عليه وسلم - زوجاته بعد الهجرة ،  
في السنة التي بدأت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين ، وكثر القتل  
والقتال ، وهي من السنة الثانية للهجرة الى السنة الثامنة ، التي تم  
فيها النصر للمسلمين > ” .

فظروف الحرب العصبية ، وما يحيط بها من ويلات من قتل الرجال  
، وترمل النساء ، وتيتم الأطفال ، فيبقى كثير من الناس من نساء  
وأطفال ، لا معيل لهم ، ولا كفيل ، بهذا الجو المكفهر المملوء الحزن والأسى ،  
والأنين على لقمة العيش يظهر دور العظماء ، فيفتحو صدورهم وقلوبهم ،  
ليمسحوا دموع اليتامى ، ويجبروا القلوب المنكرة من الأرامل .

> لقد لطف - عليه الصلاة والسلام - بالنساء المترملات ، وأحسن  
إليهن ، وكفل أبناءهن اليتامى ، وتزوج منهن بهذا العدد ، ليخفف من  
ويلات الحرب والغزو ، وليرحم عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر > ” .

ففي فترة الحروب ، تكثر النساء ، ويقل الرجال ، أو أن عدد النساء

٩٥١ رواه البخاري في كتاب الوصاية ، ج ١ ص ١٠٠٥ ، رقم ٢٥٨٨

٩٥٢ زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٨٦

٩٥٣ شبها وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصابوني ، ص ٥٥

٩٥٤ زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - الطاهرات وحكمة تعددهن ، للصواف ، ص ٨٧

يكون اكثر من عدد الرجال ، وفي هذه الحالة يتعرض المجتمع للتفكك والضعف ويتصدع البناء ، وقد يتعرض لضعف الأخلاق .. وفي هذه الحالة لو ترك النساء ولم يتزوجن ، واكتفى كل رجل بإمرأة واحدة ، لكان هذا الفعل مخالفا للنظام الإسلامي ، وهو

> يقوم على أساس أن أفراده تتضامن في مواجهة الحياة ، وتتعاون في حمل أعبائها ، ويساند بعضهم بعضا أمام الأزمات والخطوب ، فإن مبدأ الأخوة الذي تقوم على أساس العلاقة بين أفراد المجتمع يعني أن يصبحوا كيانا واحدا<sup>١٠٠</sup> يخطو في الحياة خطوات متعاونة ، تحمي الأفراد من الضياع والهوان <<sup>١٠١</sup> .

علاوة على الأسباب التي ذكرناها في تعدد الزوجات في الحروب وهو القضاء على الفساد ، والشفقة على اليتيم ، وجبر الأرملة ، وجمع الصف ، يوجد سبب مهم في هذا الظرف العصيب ، وهو التعويض عن فقد الرجال الذين فقدتهم الأمة واعادة القوة لها ، فيقول الشيخ مصطفى صبري عن مصلحة تعدد الزوجات :

> .. تعدد الزوجات الذي سوف يطبق بعد وقوع حرب وبعد موت عدد كبير من الرجال فيها ، إنما يأتي بثمراته في عشرات من السنين بعد انتهاء تلك الحرب ، والحال أن الأمة المتيقظة من واجبها ان تظل عقب انتهائها من حرب ، قادرة على حرب أخرى ؛ فيلزمها ان تكون دائما علي استعداد . ولا تنتظر أوان الحاجة <<sup>١٠٢</sup> .

ويمكن ان يوضح هذا الكلام أكثر بالمثال الآتي :

> إذا طرأت علي الأمة حال احتاجت رجالها بالحروب ، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة ، وبقيت نساءً عديدات بلا زواج ، ينتج من ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة ، ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات ، فإذا تقاطلت أمتان مع فرض انهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية ، وكان إحداهما لا تستفيد من جميع نساؤها بالاستيلاء ، فلا تستطيع ان تقاوم خصيبتها التي يستولد رجالها جميع نساؤها ، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمة المعددة للزوجات <<sup>١٠٣</sup> .

وأريد أن ألفت إنتباه القارئ على أن زيادة النساء على الرجال

٩٥٥ « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » التوبة : ٧١ . « انما المؤمنون اخوة » الحجرات : ١٠ .

٩٥٦ المجتمع الاسلامي ، د . مصطفى عبدالواحد ، ص ١٢٩

٩٥٧ قولني في المرأة ، مصطفى صبري ، ص ٢٢

٩٥٨ دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي ، ٦٩٢/٤ - ٦٩٣

تصل الي الحد الأعلى في حالة الحروب ، أما في حالة السلم كذلك يبقى عدد النساء فوق عدد الرجال في كل العصور ، وان في بعض من البلدان يكون عدد النساء أضعاف عدد الرجال ، كما نجد ذلك في شمال أوروبا . . يقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - :

« وقد قال لي طبيب في دار التوليد في ( هلسنكي ) - فنلندا - انه من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكرا والباقيون إناثا »<sup>٩٥٩</sup> .

« وأن أعمار النساء تزيد على أعمار الرجال في معظم أنحاء العالم ، وتبلغ هذه الزيادة حدا كبيرا في كثير من الدول - ٨ سنوات في الاتحاد السوفيتي مثلا ، ٨ ر ٦ سنة في فرنسا ، ٦ ر ٦ سنة في الولايات المتحدة ، ٦ سنوات في بريطانيا »<sup>٩٦٠</sup> .

ولم يكن تعدد الزوجات تشريع استقل به الاسلام ، « ولقد عرف تعدد الزوجات في بيئات العالم كلها »<sup>٩٦١</sup> متحضرة وغير متحضرة ، وثنية وغير وثنية ، وعندما سطعت شمس الاسلام علي الوجود عالجت لتلك الفوضى التي لا ظابط لها ، فلم تحرم التعدد تحريما كلياً ، كما لم يترك الحبل على الغارب ، كما كانت تفعله الجاهلية »<sup>٩٦٢</sup>

« وقد ثبت تاريخيا أن بين المسيحيين الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات ، وقد كان في أقدم عصور المسيحية من يرى إباحة تعدد الزوجات في أحوال استثنائية ، وأمكنة مخصوصة »<sup>٩٦٣</sup> .

قال ( وستر مارك ) العالم الثقة في تاريخ الزواج :

« ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي الى القرن السابع عشر ، وكان يتكرر كثيرا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة »<sup>٩٦٤</sup> .

« بل ذهب بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ،

٩٥٩ المرأة بين الفقه والقانون ، السباعي ، ص ٨١

٩٦٠ الفكر الاسلامي والتطور ، فتحي عثمان ، ص ٢٢٢

٩٦١ كان التعدد موجودا في الأمم القديمة كلها تقريبا : عند الاثينيين ، والصينيين ، والهنود ، والبابليين ، والاشوريين ، والمصريين ، ولم يكن له عند أكثر الأمم حد محدود ، وقد سمحت شريعة « لبكي » الصينية بتعدد الزوجات الى مائة وثلاثين امرأة ، وكان عند احد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف امرأة ! والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ( المرأة بين الفقه والقانون ، السباعي ، ص ٧١ ) .

٩٦٢ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٥٣

٩٦٣ المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٧٢

٩٦٤ حقائق الاسلام ، للعقاد ، ص ١٧٧

ففي سنة ١٥٣١م نادى اللامعدانيون في مونستر صراحة بأن المسيحي - جف المسيحي - ينبغي ان تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون<sup>٩٦٥</sup> كما هو معلوم ان تعدد الزوجات نظام إلهي مقوس<sup>٩٦٦</sup> .

لقد هذب الاسلام التعدد ، فجعل له حدود واحاطه بسعادة العدل والحرية ، فكان قمة الرقي الذي يصبوا اليه العالم أجمع ، ولا يمكن لأي مصلح أو مرب أن يجد لهذا الصرح ثغرة يدخل منها ، ولكن الحقد والحسد والتعصب أعمت القلوب ، فأصبحت لا تعرف حقا .

ومع هذه الحقائق الثابتة ووجود التصارع الذي هو أشبه بتمثيلية يسكت عن فوضى التعدد بأنواعه الفاسدة والظلمة ، ويشهر سلاح الباطل على عظمة نظام التعدد في الاسلام ، فقد وجدت جماعات كثيرة تنادي بملء فيها بعد الكبت الشديد الذي كاد يمزق الصدور ، على طلب التعدد .. > وفي عام ١٩٤٩ تقدم أهالي ( بون ) عاصمة المانيا الاتحادية بطلب الى السلطات المختصة يطلبون فيه ان ينص في الدستور الالماني على اباحة تعدد الزوجات<sup>٩٦٧</sup> .

وقال الفيلسوف الفرنسي الدكتور < غوستاف لوبون > .. :  
> ان مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب ، يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقوله به ، ويزيد الأسرة ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا > .  
ونقل صاحب كتاب ( مفتريات على الإسلام ) ما يأتي :

> إن كبير أساقفة انجلترا لا يجد علاجاً لمنع التحلل الخلقي ، والانهيال العائلي ، اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية ، إلا بإباحة تعدد الزوجات .. فهو علي حد تعبيره ، الذي يمنح المرأة الانجليزية من الانهيال النفسي .. وارتكابها للجريمة والعار ، ويرد اليها الكرامة والعزة ، حيث لا تكون فراشا لرجل إلا بكلمة الله > .

آخر ما يملكه المعارض على تعدد الزوجات :  
توجد أسباب أخرى تحط رجالها في ميدان الموضوع ، ويعتبر أصحابها انها سدود مانعة للتعدد ، ولها أثر كبير في تصدع الحياة الزوجية

٩٦٥ المورمون : فرقة من البروتستانت تبيح تعدد الزوجات وتمارسه فعلا ولها كنائسها المنتشرة في أوروبا

وامريكا > الاسلام روح المدنية ، للعلائي ، ص ٢٣٤ <

٩٦٦ المرأة في القرآن ، للعقاد ، ص ١٢٢ - ١٢٣

٩٦٧ في احكام الأحوال الشخصية ، د . محمد يوسف موسى ، ص ١٢١ ، ط ٢

، لا بل تعرضه للفشل المحقق ، ولكن كل تلك التصورات ، يمكن حلها ، اذا كان المقبل على ذلك ، يراقب الله تعالى ، وله سعة أفق ..

**\*\* والعوائق التي تمنع العدل على حسب تصور أصحابها .. هي :**

#### ١ - صعوبة العدل :

إن العدل الذي هو تحت قدرة الانسان ، وله ضوابط وحدود ، لا يجد المرء صعوبة بتطبيقه . وهذا هو العدل الذي يحاسب عليه المسلم ، ويشمل النفقة والسكن والملبس ، والمأكل والمبيت .. إلخ .  
ومن المؤسف ان قسما من الناس الذين تأثروا بالثقافة الغربية ، ومنهج حياتها وأخلاقها ، حيث يزعم هؤلاء أن الاسلام حرم تعدد الزوجات ، حين قال : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء .. ولو حرصتم »<sup>١٨</sup> .. بعد قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .. »<sup>١٩</sup>

فهم يقولون : < إن القرآن أباح التعدد في الآية الأولى ... ، لكنه اشترط العدالة بين الزوجات . والعدالة هذه متعذرة هنا ، بل مستحيلة ، فتكون النتيجة ان التعدد محرم .. ><sup>٢٠</sup>

لقد وقع أصحاب هذا القول بخطأ كبير ، وحرفوا المعنى ، وافتروا على الله ، وطعنوا في الشريعة الاسلامية ، لا بل نسبوا اليها ظلما كثيرا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..

وترد هذه الأفكار الواهية ، الأفكار المسمومة جملة وتفصيلا لأسباب

الآتية :

(١) ان الله سبحانه وتعالى أمر بالعدل في كل شيء ، ومنها بين الزوجات ، فالأمر يفيد الوجوب ، وعلي هذا الأساس ، ان العدل الذي يريده الله من العبادة ، هو العدل الذي تحت قدرة الانسان ، ويحاسب عليه المرء .

(٢) ان العدل الذي لا يستطيع المرء عليه في الآية القرآنية : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا .. » يراد به العدل القلبي من حب ، وبغض ، وشوق .. وهذه كلها تكون في خلجات النفس وخبايا القلب ، وهي تتربع في داخل الانسان ولا ضابط لردعها أو ردها ، ولا قدرة للسيطرة عليها ،

٩٦٨ النساء : ١٢٩

٩٦٩ النساء : ٣٠

٩٧٠ الاسلام وتعدد الزوجات ، ابراهيم النعمة ، ص ٢٠ - ٢١

والله سبحانه وتعالى قد تجاوز عنها ما لم يعمل بها المرء ، أو يتكلم بها ..  
وقد وردت أدلة كثيرة تؤيد ما ذكرته من القرآن والسنة والقواعد  
الأصولية في الفقه :

أ - قال تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .. »<sup>٣١</sup> .  
ب - كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الكامل في  
تطبيق أحكام الله ، وفي إقامة العدل في كل شيء ، في القول والفعل ،  
فكان يقسم بين زوجاته بالسوية ، ويعدل في القسمة .. وكان يقول : (   
اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك )<sup>٣٢</sup> . والذي لا  
يملكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خارج عن القدرة البشرية  
وهو الحب القلبي والميل النفسي في الداخل .

ج - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن الله تجاوز  
لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن  
أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به )<sup>٣٣</sup> .  
د - والقاعدة الأصولية تقول انه : < لا تكليف إلا بمقدور ><sup>٣٤</sup> ، والميل  
القلبي ليس بمقدور .

هـ - والقاعدة الأصولية تقول أيضا : < الحرج مرفوع ><sup>٣٥</sup> ، والله  
سبحانه وتعالى يقول : ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) .  
وبقى سبب مهم آخر يدحض جميع آراء المفرضين ، أصحاب الحجج  
الواهية ، وهو ان كثيرا من الصحابة الكرام الذين تنوروا بنور الاسلام ،  
وطهرت نفوسهم بصحبة سيد الأنام ، قد عددوا الزوجات وهم الجيل  
الفريد ، فلم ينكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أحد منهم على  
ذلك التعداد ، وكذلك عدد من التابعين وتابع التابعين الي يومنا هذا سلك  
هذا السبيل فلم ينكر العلماء والصلحاء ذلك عليهم .

### ٢ - الغيبة :

٩٧١	البقرة : ٢٨٦
٩٧٢	سنن ابي داود ، ج ٢ ص ٢٤٢ رقم ٢١٢٤ ، كتاب النكاح . اخرجه الترمذي ، في كتاب النكاح ، ج ٣ ص ٤٤٦ ، رقم ١١٤٠
٩٧٣	رواه البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٢٠ رقم ٤٩٦٨ ، كتاب الطلاق .
٩٧٤	الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم زيدان ، ص ٢١
٩٧٥	المصدر السابق ، ص ١٤٣

ويحتج المفرضون من منع التعدد بحجة ان التعدد يولد العداوة بسبب الغيرة بين النساء . . والعداوة داء فتاك في المجتمعات ، ومفروق وممزق ، للعوائل .

فهذا صحيح لو كانت الغيرة خاصة في تعدد الزوجات ، وهذه الإثارة تحصل في ذلك ، لكان لصاحب القول ، حجة لها قيمتها ، ولها اعتبارها .  
> اما التبغض الذي يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين أولادهن فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم يمنع من التعدد لما في تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة <<sup>٣٣</sup> .  
فدل ذلك على ان مقاصد التعدد في نظر الشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعية .  
على أن هذا التباغض الذي يقع بين الزوجات ، يرى مثله كثيرا بين الزوجة وأحمائها ، لا بل بين الزوجة وصديقاتها ، وجيرانها ، ومعارفها ، وتكاد تكون الغيرة شاملة بين النساء بعضهن مع بعض ، الا من عصمهن الله .

ومما يؤيد هذا الكلام على ان الغيرة تكاد تكون بين جميع النساء من ضرائر وغيرهن من النساء ، من حديث السيدة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما خرجت لقضاء حاجتها وأم مسطح بنت زهم ، واطرت في حديثها مسطح ، فردتها السيدة عائشة ، فأخبرت أم مسطح السيدة عائشة بالذي كان من قول أهل الإفك > قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم ( والله لقد كان . . . ، ورجعت ، فو الله ما زلت أبكي حتى ظننت ان البكاء سيصدع<sup>٣٤</sup> كبدي . وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ؟ قالت : أي بنية خفصي<sup>٣٥</sup> عليك الشأن ، فو الله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها نثر إلا أكثرن وأكثر الناس عليها <<sup>٣٦</sup> .

فمن حديث ام عائشة - رضي الله عنهما - يتبين ان الغيرة عامة بين الضرائر وغير الضرائر ، وتكون في الضرائر أشد .  
وإذا ألقينا على الموضوع نظرة عميقة وشاملة لداد الغيرة ، نجد ان خطر الغيرة بين النساء من غير الزوجات ، هو أشد خطرا ، من الغيرة بين الزوجات لرجل واحد ، وذلك لأسباب منها :

٩٧٦ ماذا عن المرأة ، د . نور الدين عتر ، ص ١٨١

٩٧٧ سيصدع : سيشق > هامش خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، للشيخ العساف ، ص ٢٤٠

٩٧٨ خفصي : هوني عليك > هامش خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر < للشيخ العساف ، ص ٢٤١

٩٧٩ خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، الشيخ العساف ، ص ٢٤١

- أ - ان الغيرة في الخارج لا حدود لها ولا حصر ، فيبقى علاجها صعبا لسعة الميدان ، فلا يستطيع المرء حصر الداء لأجل العلاج ، فتبقي نار الغيرة متأججة ، وحممها تحرق من يتقرب لإطفاء ذلك السعير<sup>٩٨٠</sup> .
- ب - انه لا يملك القرار الحاسم لحساب العلاج والعقاب ، فتبقى أحكامه مشلولة لا أثر لها على ساحة الميدان .
- ج - ان الرجل في الخارج لا يستطيع ان يقوم بالدور البناء الايجابي وهي التربية الصحيحة التي تعتبر من أهم الجوانب لعلاج الغيرة .
- د - ان الأدواء التي تطرأ على الغيرة في الجو الخارجي مستجدة وكثيرة ، بل كثيرا ما يكون مستترا ، ويدب دبيبا خفيا ، يدع الحليم حيرانا ، وقد يكون تافها ، لا يخطر ببال المربي ان يدرجه في صحيفة المشاكل التي يحاول ان يجد لها الحل الناجعة ، وهذا هو الخطر الحقيقي الذي تشكو منه الدنيا ، كما يقول المثل : < ومعظم النار من مستصغر الشرر > .

#### \* أما الغيرة بين الزوجات :

- أ - فيمكن ان يراقبها الزوج على كثب ، ويضع لها الحل المجدية .
- ب - ان طاعة الزوج واجبة ، ولا يجوز مخالفتها ما لم تكن فيها معصية . وعن عائشة - رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ > قال : ( زوجها ) ، قلت : فأأي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال : ( أمه ) .
- ج - أن الله سبحانه وتعالى جعل بين الزوجين مودة ورحمة .. قال الله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »<sup>٩٨١</sup> . فهذه المودة والرحمة تمهد لحل المشاكل التي تنجم عن الغيرة ، والزوجات على استعداد لسماع

٩٨٠ أعني بالعسير : اي ان الذي يريد الاصلاح قد يلاقي الطعن والتهم لانه لا يستطيع ان يتبين حقائق الامور من الطرفين ، فيتهم بالطعن في عدله ، واتهامه بالميل لأحد الطرفين .

اللول ، إن أحسن الزوج التصرف ، وعرف أصول التربية الإسلامية ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدوة حسنة بين زوجاته ،

د - ان المشاكل التي تحدث بين الزوجات يمكن حصرها وعلاجها ، وأول العلاج التربوية ..

> ولا بد للتربية من القدوة الحسنة ، فإن المبادئ وحدها لا تكفي ، مهما سمت حتى تصبح سلوكا في واقع الحياة ، يراه الناس ويتعاملون معه ، ويتأثرون به .. لأن الكلمة لا تستمد قوتها وتأثيرها من حلاوتها وجمالها ، وإنما تستمد قوتها من واقعها ومن رصيدها العملي في سلوك صاحبها وإيمانه بها .. فإذا خالف بين قوله وعمله .. أصيبت النفوس بالشك فيه وفي دعوته .. وفقت كلماته قوتها وتأثيرها ، وأصبحت وعظا لا صلة له بالقلوب ، وحرفة تؤدي لا أثر لها في اصلاح أو تربية < ٣٢ .

وكان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - المثل الكامل والقدوة الحسنة ، ولذلك نجد ان علاجه لنسائه قد أجدى وغير حياتهن ، فصرن عابدات صالحات ، تركن الدنيا ، واتجهن الى الله بقلوب مخلصه .

قالت عائشة - رضي الله عنه - : > كان رسول الله اذا ذكر خديجة ، أثنى واحسن الثناء عليها ، فغرت يوما ، وقلت : ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيرا منها > فقال : ( ما أبدلني الله خيرا منها ، قد أمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، واستنني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني أولادها ، إذ حرمني أولاد النساء ) < ٣٣ .  
فأمسكت > عائشة > وهي تقول في نفسها : > والله لا أنكرها بعدها أبدا < ٣٤ .

وهكذا نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجد والحزم والصرامة يعالج المشاكل ، ولا يجامل احداهن ، وإنما يدافع عن الجميع ويذكر فضل كل واحدة منهن ، ولا يسمح بالعداء ، ومع انه يرد عائشة ليبصرها لمعرفة حقوق الأخريات ، نجده - عليه الصلاة والسلام - يدافع

٩٨٢ الجهاد في الاسلام ، محمد شديد ، ص ٦٥

٩٨٣ السمع الثمين ، ٢٥ ، عن البخاري ومسلم ، انظر مسند احمد ١٥٠:٦

٩٨٤ نساء النبي ، د . بنت الشاطي ، ص ٥٢

عنها - أي السيدة عائشة .

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : ( يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها ) .

وبلغ < صفية > - رضي الله عنها - كلام عن حفصة وعائشة ، فلما حدثت به وهي تبكي ، قال - صلى الله عليه وسلم - : ( ألا قلت ، وكيف تكونان خيرا مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى )<sup>٨٥</sup> .

ونزل كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - بردا وسلاما ، وطيب خاطرها ، وأزال حزنها وهمها ..

وبقى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يزيل العقبات ، ويغرس المودة في نفوس أزواجه ، ويوقف المتعديه عند حدها ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

## المبحث الثاني

### الطعن برواة الأحاديث والكيد لهم :

أراد أعداء الاسلام ان يحجبوا السنة عن المجتمع ، بوضع الحواجز ، والشكوك الواهية بين مصدر السنة ، صاحب الرسالة ، محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين المجتمع الاسلامي ، فيمنعوا نور السنة من أن يصل الى البصائر ، فيختصروا الطريق ، ويحققوا مأربهم ، ولكن فعلهم هذا اشبه بمن يريد ان يحول بين الشمس والارض بتغميض عينيه أو تغطية وجهه ، فآل كل ذلك كشف عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والإتجاه الى معرفة تلك الشخصية من قبل كثير ممن لم يكونوا على دين الاسلام .

فما كان الاعداء الا ان ينسحبوا الى الخط الثاني < ليلغموا > الطريق على المثقفين < بمتفجرات > الشك والطعن بتلاميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى حولوا بين المجتمع الاسلامي وهؤلاء التلاميذ الأخيار ، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ، وخيب ظنهم ، فهياً الله رجالاً مؤمنين مخلصين ، يدافعون عن تلاميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - وحملة سنته .

ونذكر على سبيل المثال عملاقاً عظيماً من تلاميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - ممن وجهت اليه سهام الكذابين والمنافقين ، والحمقى والمغفلين ، ممن باعوا ضمائرهم رخيصة ، للكيد بالاسلام عن طريق تشكيك حجية السنة المطهرة .

ذلك العملاق العظيم ، والعالم المتبحر بالسنة ، أمير الصحابة في السنة النبوية هو : أبو هريرة<sup>٨٦</sup> - رضي الله عنه - .

ومن السهام التي وجهت عليه هي :

١ - فيما يتعلق بشخصيته :

(١) الاختلاف في اسمه : يقول أبو رية : > لم يختلف الناس في اسم أحد - في الجاهلية والاسلام - كما اختلفوا في اسم أبي هريرة ، فلا يعرف أحد على التحقيق الاسم الذي سماه به أهله ، ليدعى بين الناس < ١٨٧ .

(٢) نشأته وأصله : ويقول أبو رية : > واذا كانوا قد اختلفوا في اسم أبو هريرة ، فانهم كذلك لم يعرفوا شيئاً عن نشأته ولا عن تاريخه قبل اسلامه ، غير ما ذكره هو عن نفسه من انه كان يلعب بهرة صغيرة ، وكل ما يعرف عن أصله انه من عشيرة سليم بن جهم من قبيلة أزد ثم من دوس < ١٨٨ .

(٣) فقره وحاجته : ويقول أبو رية : > وانه - أي أبو هريرة - كان فقيراً معدماً يخدم الناس بطعام بطنه < ١٨٩ .

(٤) أميته : ويقول أبو رية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : > لقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب < ١٩٠ .

أما هذه السهام التي وجهها أبو رية الى الصحابي الجليل أمير الصحابة في الحديث على شخصية أبي هريرة ، لم يكن يدل على خبثه ، وحقده على السنة النبوية ، ولا أجد عزاء ، يشفي الغليل ، وينفس الكربة ، كقول المرحوم السباعي في << أبو رية >> ، حيث يقول :  
> واشهد ان << أبا رية >> كان أفحش وأسوأ أدبا من كل من تكلم في حق أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديماً وحديثاً ، مما يدل على سوء عقيدة ، وخبث طوية ، وسيجزيه الله بما افترى وازدرى ، وحرف وشوه من الحقائق ، وسيلقى ذلك - في صحيفته - يوم يرد الى الله < ١٩١ .

(١) اما عن الاختلاف في الاسم ، فلا يعتبر طعن على الرجال ، من

وجوه :

أ - ان الاختلاف في الاسم لا يدخل في ميزان الاعمال ، ولا يحط من قدر الرجال .

٩٨٧ أضواء على السنة المحمدية ، لأبي رية ، ص ١٥٢

٩٨٨ المصدر السابق ، ص ١٥٣

٩٨٩ المصدر السابق .

٩٩٠ المصدر السابق .

٩٩١ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢٠

ب - لم يكن < أبو رية > أميناً في نقله للحقائق العلمية ، وذلك بقوله عن أبي هريرة على انه يقول : < فلا يعرف أحد على التحقيق الاسم الذي سماه به أهله ليدعى بين الناس > .

وان الراجح عند العلماء ان اسمه في الجاهلية : عبد شمس ، وقد ترجم له البخاري بهذا الاسم<sup>٩٩٢</sup> ، وهو الأصح عن الحاكم<sup>٩٩٣</sup> ، والترمذي<sup>٩٩٤</sup> ، وبهذا الاسم يسميه تلميذه أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف<sup>٩٩٥</sup> .  
ونقل البخاري في الأدب المفرد عن موسى بن يعقوب الزمعي الذي لقي بعض أصحاب أبي هريرة ، أن أبا هريرة كان اسمه عبدالله<sup>٩٩٦</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ان بعض اسمائه أصابها تصحيف أو تحريف .. ثم قال : < فعند التأمل لا تبلغ الأقوال عشرة خالصة ، ومرجعها من جهة صحة النقل الى ثلاثة : عمير ، وعبد الله<sup>٩٩٧</sup> ، وعبدالرحمن ><sup>٩٩٨</sup> .

< فالخلاف الحقيقي هو في ثلاثة أقوال ، ونحن نجد في عشرات الصحابة من اختلف في أسمائهم الى أربعة أقوال أو خمسة أو ستة ، فلماذا التشويش في هذا الشأن ، إلا ان تكون النية خبيثة ، والقصد التشنيع والتشويش ><sup>٩٩٩</sup> .

(٢) أما ما قاله عن أصله ونشأته : فإنه ما ادعاه أبو رية ، بأنه لم يعرف عن تاريخه ، قبل اسلامه ، غير ما ذكره هو عن نفسه ... وكل ما يعرف عن أصله انه من عشيرة سليم بن جهم من قبيلة أزد ، ثم من دوس .  
إن كلام المؤلف فيه زيف وخبث ونكران للحقائق يكشفه ، أصحاب السير ، وهو - رضي الله عنه - دوسي ، بفتح الدال وسكون الواو ، من بني دوس بن عدنان ، وهم من بطون الأزد ، والأزد قبيلة يمانية قحطانية مشهورة ، ونسبه معروف محفوظ الى الجد الأعلى لهذه القبيلة : الأزد بن

٩٩٢ التاريخ الكبير للبخاري ، ج ٣ ص ١٣٢

٩٩٣ المستدرک ، ٥٠٧/٣

٩٩٤ صحيح الترمذي ، ١٣/١

٩٩٥ الكنى والأسماء ، للدولاني ، ١٩٢/١

٩٩٦ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ٦٧/١

٩٩٧ ويجعل ابن حجر احتمال الصحة للإسمين < عبدالله ، عبد شمس > الإصابة ٢٠٢/٤

٩٩٨ الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢٠٤/٤

٩٩٩ السنة ومكاتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢١

الغوث ، ذكره المؤرخ الثقة خليفة بن خياط<sup>١٠٠٠</sup> .  
فعنه سعد بن أبي ذياب ، عينه الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
أميرا على دوس ، واقره أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - على تلك  
الامارة<sup>١٠٠١</sup> .

قال الامام ابو عبيد القاسم بن سلام : < حدثنا صفوان بن عيسى عن  
الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذياب عن منير بن عبد الله عن أبيه عن  
سعد بن أبي ذياب قال : قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ،  
فأسلمت ، وقلت : يا رسول الله ، اجعل لقومي ما اسلموا عليه من أموالهم  
، قال : ففعل ، واستعملني عليهم ، ثم استعملني ابوبكر بعده ، ثم  
استعملني عمر من بعده - رضي الله عنهما ><sup>١٠٠٢</sup> .

في هذه القصة لم تكن أي اشارة توحى انه عم أبي هريرة من قريب  
أو بعيد ، وانما يعرف ذلك من ترجمة ابنه - ابن ابن سعد - الحارث بن  
سعد ابن ابي ذياب - اذ صرح ابو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف انه ابن عم  
ابي هريرة ، ومم أورد ذلك الخبر بسند صحيح كل من البخاري ومسلم<sup>١٠٠٣</sup> .  
أما نسبه من جهة أمه : فإن أمه < أميمة بنت صفيح بن الحارث ، من  
دوس .. وخاله : سعد بن صفيح ><sup>١٠٠٤</sup> . وكان < من أشداء بني دوس ><sup>١٠٠٥</sup> .  
بل < من أشد أهل زمانه ><sup>١٠٠٦</sup> .

ولقد نال أبو هريرة من جهة أخواله الشرف الرفيع والشجاعة  
والشدة ، وهي صفات تبويء أبا هريرة ان يكون وسطا بين قومه .  
فهذا هو أبو هريرة الشامخ النسب من جهة أعمامه وأخواله ، وليمت  
في غيظه كل أفاك أثيم .

(٣) وأما عيب أبي هريرة من جهة فقره :  
أ- لم يكن في موازين البشرية المتبصرة على مر التاريخ أن الغنى  
دليل العظمة ، ولا الفقر دليل الضعة والاحتقار .  
ب- وان الاسلام قد هدم الطبقيّة ووضع بمكانها التفاضل بالايمان ، قال

١٠٠٠ الطبقات ، ص ١١٤ نقلا عن كتاب دفاع عن ابي هريرة للأستاذ عبدالمنعم ، ص ١٨

١٠٠١ دفاع عن أبي هريرة ، للأستاذ عبدالمنعم ، ص ١٩

١٠٠٢ الاحوال < لأبي عبيد القاسم بن سلام > ص ٦٦٧ . وانظر : تعجيل المنفعة لابن حجر ص ١٤٧

١٠٠٣ صحيح مسلم ٣١/٧ . التأريخ الكبير للبخاري ، ج ١ ص ٢٦٩

١٠٠٤ المعارف ، لابي قتيبة ، ص ٢٧٧

١٠٠٥ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٣٢٥/٤

١٠٠٦ المعارف ، ص ٢٧٧

تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »<sup>١٠٧</sup> .  
وقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم »<sup>١٠٨</sup> .

ج - كثير من العظماء والمصلحين عاشوا فقراء ، وماتوا فقراء ، وخاصة  
الرسول ، وعلى رأسهم سيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - وانه  
انتقل الى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من  
شعير<sup>١٠٩</sup> .

وكذلك عاش كثير من الصحابة الكرام فقراء وجميعهم عظماء ، رغم  
أنف < أبي رية > .

د - لقد سلك < أبو رية > مسلك الكفار أعداء الانبياء والرسول ورجال  
الاصلاح .. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى حجج المكابرين والمعاندين ،  
اعداء الانبياء بعدم ايمانهم بهم بحجيتهم بأن الفقراء اتبعوهم ، وهم أقل  
الناس شأنا ، لا بل هم أعينهم أراذل الناس ، وكان قولهم دائما ان يقولوا  
، ما قال قوم نوح لنوح - عليه السلام - : « وما نراك اتبعك الا الذين هم  
أراذلنا بادي الرأي »<sup>١١٠</sup> .

هـ - الاستعلاء على الفقراء وازدراثهم ، هو دليل الجهل وخفة العقل  
وضيق الأفق ، مما يجعله كالاعمى الذي يحمل مصباحا ، وما أشبه اليوم  
بالأمس البعيد ، قول نوح - عليه السلام - انه قال للذين احتقروا الفقراء  
المؤمنين من اتباعه ، قال الله تعالى : « وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم  
ملاقوا ربهم ، ولكني أراكم قوما تجهلون »<sup>١١١</sup> .

و - ان احتقار < رية > لفقر أبي هريرة هو طعن في صميم الاسلام عن  
طريق عظيم من رجالات الاسلام ، وعمله هذا هو سلم خبيث يتسلق به  
للوصول الى الطعن في كثير من الصحابة الأجلاء الذين لا يرتقى < أبو  
رية > وأمثاله من الأقرام ، الى مقام أولئك الأفاضل ، كأمثال : بلال مؤذن  
الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وصهيب الرومي بعد ان ترك ثروته  
لله تعالى ، لا بل ان الذين آمنوا بدعوته ، في أول الأمر ، كان أكثرهم من  
الضعفاء والفقراء والأرقاء .

١٠٠٧ الشعراء: ٨٨

١٠٠٨ الحجرات: ١٣

١٠٠٩ رواه البخاري في الجهاد ، ج ٣ ص ١٠٦٨ ، رقم ٢٧٥٩

١٠١٠ هود: ٢٧

١٠١١ هود: ٢٩

٤) اما من ناحية الطعن في أميته : فهو طعن ينم عن خبث عميق ، عروقه بعيدة الغور ، تهدف الى اجتثاث الاسلام من أصوله ، لان هذه الامة من الجيل الأول ، وهو الجيل الفريد ، وهم قدوتنا ، هي أمة ، أمية ، والرسول الكريم - سيد البشرية والمثل الكامل - أمي ، ويقول المرحوم السباعي :

« انه لم يكن في مكة - حين بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من يعرف القراءة والكتابة ، الا نفرًا يعدون بالأصابع ، وبذلك يكون جمهور الصحابة الذين بلغوا مائة وأربعة عشر ألفاً أميين لا يقرؤون ولا يكتبون .. »<sup>١١٣</sup> .

ويقول صاحب كتاب الحديث والمحدثون :

« لم تكن الكتابة منتشرة بين العرب ، بل كانت منحصرة في أفراد قليلين ، مما يجعل الحكم على الامة العربية أمة أمية ، لا تقرأ ولا تكتب من السهولة بمكان ، حتى لقد سماها القرآن عند مجيء الاسلام بذلك »<sup>١١٤</sup> . فقال سبحانه وتعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم »<sup>١١٥</sup> .

وقد كان عدم انتشار الكتابة بين العرب من أهم العوامل في تنمية ملكة الحفظ ، ان الكلام الذي وجهه « أبو رية » يشمل طعن أكثر الصحابة ، وقد يوصل بصاحبه الى الحكم عليه بالزندقة ، وخاصة اذا كان مقصده بالطعن ، وهو كره الاسلام ، وأقل ما يقال فيه : ان كان لغير هذا بالحكم بفسقه .

وذكر ابو زرعة الرازي حيث يقول :

« إذا رأيت الرجل ينقص احدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلم انه زنديق ، وذلك ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندنا حق ، والقرآن حق ، وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وانما يريدون ان يدحضوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة »<sup>١١٦</sup> .

١٠١٢ يقول صاحب كتاب فقه السيرة : « وتحدثنا السيرة ان الذين دخلوا في الاسلام ، في هذه المرحلة - أي

الفترة الأولى - كان معظمهم خليطاً من الفقراء والضعفاء والارقاء .. » فقه السير : د . البوطي ، ص ٩٥

السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، للسباعي ، ص ٣٢٢

١٠١٣ الحديث والمحدثون ، محمد محمد ابو زهو ، ص ١١٩ - ١٢٠

١٠١٤ الجمعة : ٢

١٠١٥ الكفاية في علم الرواية ، للبغدادي ، ص ٤٩

ولقد جعل الامام الطحاوي ، ان حب الصحابة علامة الايمان ، وان بغضهم دليل الكفر ، فجعل ذلك من أصول الدين ، ومن أسس الشريعة ، حيث قال :

> ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم . ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم الا بخير . وحبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطفغان < ١١٦ .

ولم يكتفي الامام ابن تيمية بأن يذكر الوعيد ونوع الانحراف ، بل وضع حسابا لهؤلاء المرضى من العمليات الجراحية لأجل شفائهم ، وتأديبهم ، ولتعتبر النفوس الخبيثة ، وترتدع ، فيقول الامام :

> من لعن أحدا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كمعاوية ابن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ونحوهما ، أو من هو أفضل من هؤلاء ، كأبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ونحوهما ، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير ، أو عثمان وعلي ابن أبي طالب ، أو أبو بكر الصديق وعمر ، أو عائشة أم المؤمنين ، أو غير هؤلاء من اصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فانه مستحق للعقوبة البليغة ، باتفاق أئمة الدين < ١١٧ .

ولقد صرح الامام السرخسي ببيان تلك العقوبة ، وتحديدتها بكل جلاء ووضوح ، بأن عقوبة هؤلاء ضربة بالسيف ، فيقول الامام :

> ... والشريعة بلغتنا بنقلهم ، فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للاسلام ، دواؤه السيف ان لم يتب < ١١٨ .

لقد قام الصحابي الجليل واخوانه بخدمة الاسلام ، وايصال تعاليمه الينا ، ولقد قدموا حياتهم كلها لاجل هذه الشريعة الغراء ، فقد تركوا لذائذ الدنيا ، ونعيمها ، يرجون ثواب الله تعالى ، وما يلحقهم من ترحم الاجيال والدعاء لهم ، جزاء إحسانهم ، وهو أقل ما يكون من رد الجميل اليهم : « وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان » < ١١٩ .

١٠١٦ شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩٦

١٠١٧ فتاوى ابن تيمية ، ٢١٦/٤

١٠١٨ اصول السرخسي : ١٣٤/٢

١٠١٩ الرحمن : ٦٠

## ب - الطمن فيما يتعلق بعلمه وعدله وإسلامه -

الامم والشعوب تمجد عظمائها ، وتشيد بمآثرهم ، وتقتفي آثارهم ، وترفع صرح بنانهم ، بينما نجد ومن المؤسف بعض الأفراد الذين ينتمون الى هذه الأمة بأسمانهم ، قد قلبوا ظهر < المحن > على هذه الأمة ، وتنكروا لها ، وأخذوا يطعنون بصالحيتها وعلمائها ، بمكائد يستعيذ منها الشيطان . ومن تلك المكائد التي دبرها أصحاب القلوب الغلف .. وهي :

(١) الطعن بقلة علمه وسطحيته : وزعموا أن أبا هريرة - رضي الله عنه - كان خفيف الوزن في العلم والفقہ<sup>١٢٢</sup> .

كان ظاهر البطلان ، وكذب مكشوب ومفضوح من وجوه :

أ - < صحب ابو هريرة ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع سنوات<sup>١٢٣</sup> ، وسمع منه كثيرا ، وشاهد دقائق السنة ، ووعى تطبيق الشريعة ، وعرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منزلته ، فأرسله مع العلاء الحضرمي الي البحرين ، فكان مؤذنا واماما ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتأخر في اجابته عما يسأل لما عرف من حرصه على طلب العلم ><sup>١٢٤</sup> .

قال أبو هريرة ذات يوم : < يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك

١٠٢٠ الحديث والمحدثون ، أبو زهو ، ص ١٦٧

١٠٢١ فتح الباري ، ٤٢١/٧ ، سير اعلام النبلاء ، ٤٢٦/٢ .

وقد صرح بهذه المدة عبدالرحمن الحميدي ، بقوله : < لقيت مع صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما صحبه ابو هريرة اربع سنين > ابو داود ، ١٩/١ ، النسائي ، ١٣٠/١ ، ابن سعد ، ٣٢٧/٤ ، معاني الآثار ، ١٤/١ ، بأسانيد صحيحة .

وذكر ابو هريرة بانه صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين < معاني الآثار ، ٢٦٠/١ >

ولعل ذكر ثلاث سنين هي الملازمة الشديدة ، أو الصحيح التي يتفرق عنه بغزو او تبليغ دعوة والله اعلم .

١٠٢٢ السنة قبل التتوين ، د . عجاج ، ص ٤٢٠

على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه (١٣٣) .

ب - مركز أبو هريرة عند عائشة - رضي الله عنهما - : فقد كان لأبي هريرة تقدير مما يدل على ذلك .. انه استفتى أحد التابعين عبدالله بن الزبير ، فقال له : > اذهب الى عائشة ، فاني تركت عندها أبا هريرة وابن عباس < (١٣٤) .

مما يدل علي مركزه من السيدة عائشة ، ومن مستواه الفقهي في الفتوى .

ج - تصدره الفتوى : كان > ابو هريرة < من رؤوس العلم في زمانه ، في القرآن والسنة والاجتهاد ، فان صحبته وملازمته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاحت له ان يتفقه في الدين ، ويشاهد السنة العملية ، عظيمها ودقيقها ، فتكونت عنده حصيلة كثيرة من الحديث الشريف ، كما اطلع على حلول أكثر المسائل الشرعية ، التي كانت تعرض للمسلمين في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، كل ذلك هياً أبا هريرة ، لأن يفتي المسلمين في دينهم نيافاً وعشرين سنة ؛ والصحابة كثيرون آنذاك (١٣٥) .

يقول زياد بن مينا : > كان ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد ، وابو هريرة ، جابر مع أشباه لهم ، يفتون بالمدينة ، ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفى عثمان الي أن توفوا .. قال : هؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى < (١٣٦) .

> وولي البحرين لعمر - رضي الله عنه - ، وأفتى الناس فيها ، وكانت فتاواه تتلاقى وفتاوى عمر بن الخطاب (١٣٧) .. وكان يفتي بحضور ابن عباس < (١٣٨) .

> وذكر ابن حزم ثلاثين صحابياً من التوسطين ، فيما روى عنهم في الفتيا ، فكان أبو هريرة رابعهم في الترتيب .. < (١٣٩) .

د - صلته على جنازة عائشة - رضي الله عنها - : فقد ورد عن نافع ،

١٠٢٣ فتح الباري ، ج ١ ص ٢٠٣

١٠٢٤ التاريخ الكبير ، للبخاري ، ج ١ ص ٢١

١٠٢٥ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٢٨

١٠٢٦ تاريخ الاسلام ، ج ٢ ص ٣٣٧ ، وسير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٤٣٧

١٠٢٧ فقد خرج البخاري عنه انه حين سأله أهل البحرين عن اكل السمك الميت الذي يطفو في البحر أجاب لا بأس

١٠٢٨ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦

١٠٢٩ الاحكام في اصول الاحكام ، لابن حزم ، ٩٢/٥

الامام الثقة مولى ابن عمر ، انه : < صلى مع أبي هريرة على عائشة ><sup>١٢٠</sup> . . وقال : < صلينا على عائشة وأم سلمة ، والامام أبو هريرة يوم صلينا على عائشة ، وحضر ذلك عبدالله بن عمر ><sup>١٢١</sup> .  
فهذه الرواية تدل على علمه ، وفقهه ، وفضله ، وشرفه<sup>١٢٢</sup> .

(٢) عدم اخلاصه : وزعموا انه - رضي الله عنه - كان في الفتنة ، يصلي خلف علي ، ويأكل مع معاوية . .  
نقل أبو رية عن الثعالبي وبديع الزمان الهمذاني ما قيل في طعام يقال له : < المضيرة ><sup>١٢٣</sup> وأن أبا هريرة كان يحبها حتى كان يسمى < شيخ المضيرة > واستشهد بعد ذلك بكلام لعبد الحسين شرف الدين في أبو هريرة من أنه قال : < علي أغنم ، ومعاوية أدمم ، والجبل أسلم ><sup>١٢٤</sup> .  
أما انه كان يأكل المضيرة عند معاوية ، ويصلي وراء علي ويقول ما

١٢٠ التاريخ الصغير للبخاري ، ص ٥٢

١٢١ المصدر السابق .

١٢٢ في باب من الأحق بالصلاة على الميت ، اختلاف في المذاهب . . منها :

أ - الحنفية قالوا : يقدم في الصلاة عليه السلطان وان حضر ثم نائبه وهو أميرا لمصر ، ثم القاضي ، ثم الشرطة ، ثم امامة الحي ، اذا كان أفضل من ولي الميت ، ثم ولي الميت .

ب - الحنابلة قالوا : الأولى بالصلاة عليه اماما : الوصي العدل ، فاذا أوصى بان يصلي عليه شخص عدل قدم على غيره ، ثم السلطان ، ثم نائبه ، ثم أب الميت .

ج - الشافعية قالوا : الأولى بامامتها أب الميت ، وان علا ، ثم ابنه وان سفل . . واذا أوصى بالصلاة عليه لغير من يستحق التقدم ممن ذكر فال تنفيذ وصيته .

د - المالكية قالوا : الاحق بالصلاة على الميت من أوصى الميت بان يصلي عليه ، اذا كان الايضاء كرجاء بركة الموصي له ، والا فلا ، ثم الخليفة ، وهو الامام الاعظم ، واما نائبه فلا حق له في التقدم الا اذا كان نائباً عنه في الحكم والخطبة ، ثم اقرب العصابة . .

\*\* < الفقه على المذاهب الأربعة - عبدالرحمن الجزيري - كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ٥٢٥ >

من هذه الخصائص التي ذكرها أصحاب المذاهب الأربعة ان الامام له صفات : الشفقة والرحمة ، كما ذكر الأب والابن وكذلك يتمثل فيه العدل بصريح العبارة ، وكذلك يتميز بغزارة علمه وسعة أفقه ، كما ذكر يصلي عليه القاضي وكذلك يتميز بعلومنزله وخطر مسئوليته كما ذكر السلطان .

١٢٣ المضيرة عند العرب : ان يطبخ اللحم باللبن الحامض ، حتي ينضج اللحم ، وتخثر المضيرة > عن كتاب : المعجم الوجيز ، ص ٥٨٤

١٢٤ ابو هريرة ، لعبد الحسين الموسوي ، ص ١٥٦ - ١٥٧

قال ، فذلك مما ترويه كتب الشيعة وكتب الأدب التي لا تعني بصحة الأخبار كالثعالبي والهمذاني<sup>١٣٥</sup> .

> واعتزل أبو هريرة - رضي الله عنه - الفتن التي قامت بعد استشهاده عثمان - رضي الله عنه - ولم يثبت انه اشترك فيها ، وربما كان يحث الناس على اعتزالها<sup>١٣٦</sup> .

وقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : ( ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذب به )<sup>١٣٧</sup> .

لقد عاش أبو هريرة زاهدا بعيدا عن لذائذ الدنيا ، قانعا بالكفاف الذي يسد جوعته ، وكان نعيم الدنيا أحقر من ان يغيره ، أو يبدله ، وقد استمر على هذا الزهد بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يغيره زينة الدنيا ، ولا جذبتة اليها مواثدها ، لا بل كان النعيم ، يزهده ويذكره بحياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما كان عليه من الشدة والتقشف ، فيزداد تمنا عن النعم ، ويذكره نفسه بالأيام التي كان يعيشها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتزداد نفسه اباء ، وما أدل على قولنا من اثبات ذلك من قول تلميذ ابي هريرة < سعيد المقبري > عن شيخه < أبي هريرة > إذ يقول :

> إنه مر بقوم بين أيديهم شاه مصلية - أي مشوية - فدعوه ، فأبى ان يأكل . قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الدنيا ، ولم يشبع من خبز الشعير<sup>١٣٨</sup> .

أهكذا يقابل أولئك العظماء بالطعن والكذب ، أهكذا يكون الجزاء والوفاء يا أبا رية ؟ ..

(٣) الطعن في إيمانه : > إن أبا هريرة - رضي الله عنه - أسلم حبا في الدنيا لا رغبة في الدين<sup>١٣٩</sup> .  
يقول المرحوم السباعي :

> تدور مطاعن < أبي رية > في أبي هريرة - رضي الله عنه - حول

١٠٣٥ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٢٣٥

١٠٣٦ السنة قبل التدوين ، ص ٤١٧

١٠٣٧ فتح الباري ، ج ٧ ص ٤٢٦ . ومسنود الامام احمد ، ج ٢ ص ٤٤١ . البخاري ٢٤١/٤ ، ٦٤/٩

١٠٣٨ البخاري : ٩٧/٧

١٠٣٩ الحديث والمحدثون ، محمد ابو زهر ، ص ١٦٧

احتقاره وازدراء شخصيته ، واتهامه بعدم الاخلاص في اسلامه .. < ١١٠ .

هذه التهمة من اكبر الافتراءات ، ولم يقلها أخبث خلق الله ، وعلى جميع أنواع الملل والنحل ، وتدل كذلك ، على ضحالة علمه ، وضيق أفقه وبلادته ، لأن كلامه ، مردود جملة وتفصيلا ، وهو الذي يناقض قوله بنفسه ، بأن يعيب عليه شدة فقره ، ثم يقول بعد ذلك انه أسلم حبا في الدنيا ، وهل الدنيا هي الفقر والمجاعة والحاجة والكفاف ..

ويحدثنا أبو هريرة عن نفسه انه : < كان امرأً من مساكين الصفة > ١١١

كان أهل الصفة هم فقراء المسلمين ، لا أهل ولا مال ، وكانوا مع ذلك يوطنون أنفسهم لكل خير ، فهم أشبه بجنود في الثكنة ينتظرون الأوامر من قائدهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

> وكان أهل الصفة يقومون بفروض عظيمة ، منها تلقي القرآن والسنن ، فكانت الصفة مدرسة الاسلام ، ومنها حراسة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامره وحاجاته في طلب من يريد من المسلمين وغير ذلك ، وكانوا قائمين بهذه الفروض عن المسلمين ، فكانت نفقتهم على سائر المسلمين ، وان سميت صدقة < ١١٢ .

لقد كان < أبو رية > فاقد الاحساس والبصيرة ، بأنه يوجه العيب والنقص على أبي هريرة من شدة فقره ، ثم يتحول الى فلسفة الهذيان ، وينفلت من زمام السيطرة على عقله ، ويعلل ان سبب اسلامه حبه في الدنيا لا رغبة في الدين .. وان الدنيا التي نالها بعد اسلامه ، شدة الفقر ، والجوع ، وهل يطمع فيها أحد للدخول في الاسلام .

(٤) الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد أراد أعداء الاسلام ان يضعوا حواجز التشكيك بين المسلمين وعظمائهم ، وخاصة الجيل الفريد ، تلاميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وفي مقدمتهم في علم الحديث التلميذ المخلص أبو هريرة ، وكانت تلك الأسلحة يوجهها المستشرقون ، فلوثت سمومها عقول كثير من المثقفين ، ممن ينتمون الى الاسلام ، فكانت سهامهم مؤلمة ..

١٠٤٠ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، السباعي ، ص ٣٢٠

١٠٤١ البخاري ، ٦٥/٣

١٠٤٢ من كلام عبدالرحمن المعلمي ، في الأنوار الكاشفة ، ص ١٤٥

### وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

لقد نقل احمد أمين أن الصحابي أبا هريرة كان يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بغير ما سمعه ، واستدل على ذلك بأنه روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : < ومن أصبح جنباً فلا صوم له > فلما أنكرت عائشة ذلك ، قال : < انها أعلم مني ، واني لم اسمع من النبي ، بل سمعته من الفضل بن العباس ><sup>١٠٤٣</sup> .

< لقد اتهم عبد الحسين ، وأبو رية أبا هريرة بالكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إرضاء للأمويين ونكاية بالعلويين ><sup>١٠٤٤</sup> .  
من المؤسف ان الكاتب لم يكن أميناً في نقله و وقد شوه أمير الحفاظ بتزوير النقل ، فحول المدح ذماً ، والصدق كذباً ، وتقول عليه ما لم يقل ، لا أدري سبب دخوله بهذه الورطة ، هل هي مسابرة للمستشرقين أم عدم دقة علمه ، أم تصوره الفلسفي المبني على الحيال والظنون أورده تلك المهالك ، وان كلامه عند غربلته امام الحقائق العلمية ترده كليلاً .  
للأسباب التالية :

أ - عدم نكران عائشة - رضي الله عنها :

قال السباعي - رحمه الله - رداً على ذلك ، ان كتب الصحاح لم تذكر عن عائشة - رضي الله عنها أنها انكرت ، بل جاء في هذه الكتب أن أبا هريرة استفتى في صوم من أصبح جنباً ، فأفتى بأنه لا صوم له ، فاستفتيت عائشة وأم سلمة ، فأجابا بصحة الصوم ، وقالتا : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصبح جنباً ثم يصوم ، فلما قيل ذلك لأبي هريرة ، رجع عن فتواه ، وقال هما أعلم مني<sup>١٠٤٥</sup> .

ب - لم تكن رواية الناقد التي نسبها الى كتاب < شرح مسلم الثبوت > ثابتة ، لم يقع من السيدة عائشة - رضي الله عنها - الانكار والرد منها على أبي هريرة ، أو ان أبا هريرة نسب الحدث الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فإن رواية مسلم فيها أن : < أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث قال : سمعت أبا هريرة ، يقول : < من ادركه الفجر جنباً ، فلا يصم ><sup>١٠٤٦</sup> .

١٠٤٣ فجر الاسلام ، احمد امين ، ص ٢٦٩

١٠٤٤ ابو هريرة ، لعبد الحسين ، ص ٣٥

١٠٤٥ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٣٠٧

١٠٤٦ شرح مسلم الثبوت ، ١٣١/٢ أو ١٧٥/٢

ج - أراد المؤلف ان يحكم الخناق على امام الحفاظ ويحيط حججه بقوة التوكيد ليؤيد قوله ، فجعل دائرة السوء تدور عليه ، ورد كيده في نحره حيث انه نسب الى أبي هريرة انه زاد في روايته الحديث : < من اقتنى كلبا ، إلا كلب صيد أو ماشية أو كلب زرع ، انتقص من أجره كل يوم قيراطان > .. والزيادة هي : < أو كلب زرع ><sup>١٤٧</sup> .

وأراد الصاق هذا الافتراء باتباع سبيل الشيطان ، فابتعد عن طريق الحق ، وكشف الله حقيقته ، ذكر الكاتب انه قد قيل لابن عمر ان ابا هريرة يزيد في الرواية < أو كلب زرع > فقال : < ان لأبي هريرة زرعاً ، ويعلق الناقد على ذلك بقوله : < وهذا نقد من ابن عمر لطيف في الباعث النفسي ><sup>١٤٨</sup> .

أي ان ابا هريرة وضع تلك لمصلحته ، حيث انه صاحب زرع ، وعند التثبت العلمي تنجلي الحقيقة ، ويتضح ان الرواية التي فيها الزرع رواها مسلم عن ابن عمر بلفظ ( من اتخذ كلبا إلا كلب زرع أو غنم أو صيد .. )<sup>١٤٩</sup> .

وان الحافظ ابن حجر في كتاب < فتح الباري > أوضح ان ابن عمر أكد رواية أبي هريرة ، وان سفيان بن زهير وعبدالله بن معقل قد وافقها على هذه الزيادة<sup>١٥٠</sup> .

وقال النووي في شرح مسلم : < قول ابن عمر ان لأبي هريرة زرعاً > ليس توهينا لرواية أبي هريرة ، ولا شكا فيها ، بل معناه انه لما كان صاحب زرع وحدث اعتنى بذلك وحفظه واتقنه<sup>١٥١</sup> .

فان رواية مسلم عن أبي هريرة ( من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط ) .. قال الزهري : فذكر لابن عمر قول أبي هريرة ، فقال : < يرحم الله أبا هريرة ، كان صاحب زرع ><sup>١٥٢</sup> قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :

< قول ابن عمر هذا لا يصح عنه ، لأن الزهري لم يدركه ، فهو منقطع ، وليس على شرط الصحيح ><sup>١٥٣</sup> .

١٠٤٧ ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ١٣١

١٠٤٨ المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

١٠٤٩ مختصر صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٩٧

١٠٥٠ فتح الباري ، ج ٥ ص ٦

١٠٥١ المنهاج ، شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ج ٦ ص ٥٥٥

١٠٥٢ مختصر صحيح مسلم ، ج ٢ ص ١٩٧ ، الحديث ١٢٤٤

١٠٥٣ المصدر السابق .

د - عدل الصحابة ، وتفاضل درجاتهم : ان الصحابة الكرام كلهم ثقة ، وان مستواهم في العلم والفضل فيه تفاوت ودرجات ، ويسمى هذا الاختلاف في أحاديثهم مختلف الحديث ، وقد يسميه المحدثون : < مشكل الحديث > .

وهذا العلم علم واسع ، ويحتاج طالبه الى دقة وعمق وسعة أفق وقوة ايمان ، يلجأ الى الله فيه كلما تشعبت الطرق ، وقل السالك والدليل ، وكثرت المفاوز المهلة ، ومالها من دون الله كاشفة ، الا بالصلة العميقة بالله تعالى ، وسلاح العلم الشرعي المعمول به باخلاص ، فهو اشد من السير على حد السيف ، ولذلك لا يمهر فيه الا الامام الثاقب النظر .

ومن هذا الباب قد يتهجم طوائف من أهل البدع على السنة وأهل الحديث بسبب زيفهم في فهم الأحاديث على وجهها حتي اتهموا المحدثين بالكذب ، ورواية المتناقض ونسبته الي رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ثم تبعهم في عصرنا المستشرقون<sup>١٠٥٤</sup> ومقلدوهم ممن اغتر بالمادة واحتجروها على عقله ، وغلف بحواجزها مشاعره<sup>١٠٥٥</sup> .  
فقد قسم علماء الحديث الأحاديث المستشكلة نتيجة البحث الى قسمين :

- القسم الأول : انه يمكن الجمع بين الحديثين المختلفين ، وابداء وجه من التفسير للحديث المستشكل يزيل عنه الاشكال ، وينفي تنافيه مع غيره ، فيتعين المصير الى ذلك التفسير<sup>١٠٥٦</sup> .

- القسم الثاني : في مختلف الحديث ، يتضاد الحديثان ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، وذلك على ضربين :

١٠٥٤ لزيادة سعة الاطلاع عن المستشرقين انظر في كتاب :

أ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم < د . السباعي > .  
ب - المستشرقون والاسلام < د . عرفان عبد الحميد > .

ج - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلامي ، للأستاذ ابراهيم خليل احمد

د - الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين < الشيخ ابو الحسن الندوي > .

هـ - انتاج المستشرقين < مالك بن نبي > .

١٠٥٥ منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر ، ص ٢٢٨

١٠٥٦ المصدر السابق .

\* الضرب الأول : ان يظهر كون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا ، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ<sup>١٠٥٧</sup> .

\* الضرب الثاني : ان لا تقوم دلالة على النسخ ، فيفزع حينذ الي الترجيح ويعمل بالأرجح منها بكثرة عدد رواته ، أو مزيد حفظ ، أو مزيد ملازمة ، راوي أحد الحديثين لشيخه ، في أوجه كثيرة من وجوه الترجيح<sup>١٠٥٨</sup>

وهذا الضرب لا يدخل في الشاذ<sup>١٠٥٩</sup> والمحفوظ<sup>١٠٦٠</sup> ، وان تساويا ولم يمكن الجمع ولا الترجيح حكم بالاضطراب<sup>١٠٦١</sup> عليهما ، وضعفا<sup>١٠٦٢</sup> .

وان الحديث الذي أورده أبو هريرة أو أفتى به > من ادرك الصبح وهو جنب فلا يصم < يكون من نوع ( مشكل الحديث ) . . ويمكن الاجابة على ذلك :

- الاحتمال الاول : ان أبا هريرة لم يسمع الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وانما سمعه من الفضل وأسامة - وهما من أهل الصدق والأمانة - ، ولكن لما ترجح لديه حديث عائشة وأم سلمة رجح اليه وترك فتواه اتباعا للحق<sup>١٠٦٣</sup> .

- الاحتمال الثاني : انه كان < الحديث > في مبدأ فرض الصيام حينما كان الأكل والشرب والجماع محرما بعد النوم ، ثم أباح الله ذلك كله الي طلوع الفجر . . فدل على ان حديث عائشة وأم سلمة ناسخ لحديث الفضل وأسامة ، ولم يبلغهما ، ولا أبا هريرة الناسخ ، فاستمر أبوهريرة على الفتيا به . ثم رجح عنه بعد ذلك لما بلغه<sup>١٠٦٤</sup> .

١٠٥٧ المصدر السابق .

١٠٥٨ أورد الحازمي في الاعتبار خمسين وجها : ص ١١ - ٢٧ ، وأوصلها العراقي في نكته الي أكثر من مائة . وقد ضبطها السيوطي بتقسيم جيد جعلها تنقسم الي سبعة أقسام < تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٨ - ٢٠٢

١٠٥٩ الشاذ : ما رواه المقلد مخالفا لمن هو أولى منه < تيسير مصطلح الحديث - د . الطحان ، ص ١١٦ >

١٠٦٠ المحفوظ : ما رواه الأوثق مخالفا لرواية الحديث < تيسير مصطلح الحديث ، د . القطان ، ص ١١٨ >

١٠٦١ المضطرب : هو الحديث الذي يروى من وجوه يخالف بعضها بعضا ، مع عدم امكان ترجيح احدهما على غيره ، سواء أكان راوي هذه الوجوه واحدا ام أكثر < اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٣٤ >

١٠٦٢ منهج النقد في علوم الحديث < د . نور الدين عتر > ص ٢٤٠ - ٢٤١

١٠٦٣ مكانة السنة في الاسلام ، د . محمد ابو زهو ، ص ٦٦

١٠٦٤ المصدر السابق .

هذه الحجج والبيانات ترد جميع افتراءات الكذابين ، وتجعل سهامهم في نحورهم ..

ومع كل هذه الحجج ، لا نكتفي بملاحقة الفلول الهاربة الى هذا الحد من الضربات ، ولا بد من ملاحقتهم ، والجهاز على آخر أنفاسهم .. ومن ذلك شهادة جهايزة العلماء الكرام ، لصدق وفضل أبي هريرة :

أ - قال صاحب < فتح الباري > : وفيه فضيلة - أي في الحديث الذي ذكره - لأبي هريرة لاعترافه بالحق ، ورجوعه اليه<sup>١٦٦</sup> .

ب - صدقه وأمانته : وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - أمينا في حديثه عن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وإذا قال في شيء برأيه قال : < هذا من كيسي ><sup>١٦٧</sup> .

ج - شهادة ابن عمر - رضي الله عنهما - له : يقول عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - لأبي هريرة : < يا أبا هريرة ، كنت ألزمنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأعلمنا بحديثه ><sup>١٦٨</sup> .

يقول حذيفة : < قال رجل لابن عمر : ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ابن عمر : أعيذك بالله أن تكون في شك مما يخبر به ، اجترأ وجبنا ><sup>١٦٩</sup> .

د - شهادة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - : وحين أرسل ابن عمر يستفهم من السيدة عائشة عن حديث الجنازة الذي رواه أبو هريرة ، قالت : < صدق أبو هريرة ><sup>١٧٠</sup> .

هـ - شهادة ابن كثير : وقال ابن كثير : < وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم ><sup>١٧١</sup> .

٥) الحط من قدره بين الصحابة بعدم أمانته : زعموا أن عمر استعمل أبا هريرة - رضي الله عنهما - على البحرين ، ثم بلغه عنه ما يخل بأمانة الوالي العادل ، فعزله ، وأخذ ما بيده من أموال ، وضربه حتى أدماه<sup>١٧٢</sup> .

١٠٦٥ فتح الباري ، ج ٤ ص ١٢٨

١٠٦٦ اعلام الموقعين ، ج ١ ص ٤٣٥

١٠٦٧ المحدث الفاضل ص ١٣٤ ، وسير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٥ ، ونحوه في طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٨

١٠٦٨ المستدرک ١٠/٣ ص ٥١٠ بسند صحيح .

١٠٦٩ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٧ ، الاصابة ج ٧ ص ٢٠٥

١٠٧٠ البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٠

١٠٧١ كتاب ابوهريرة ، لعبد الحسين الموسوي ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

أ - ان ما ادعاه الكاتب كذب وافترء من ان الفاروق ضربه<sup>١٠٧٢</sup> . . واما عزله فلم يكن هو الوحيد الذي وقع عليه العزل ، ولقد عزل الفاروق عددا من الصحابة ، فلم يتطرق التاريخ لثلبهم والخط من شأنهم ، فقد عزل الفاروق أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله ، وعزل سعد بن أبي وقاص عن العراق ، وعزل المغيرة بن شعبة ، وعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش<sup>١٠٧٣</sup> .  
ب - لقد بقى الصفاء والود بين أبي هريرة والفاروق ، ولم يعكر صفو المودة ما قام به الفاروق من مقاسمة أموالهم ، وهي طريقة سلكها مع كثير من الولاة .

وكان أبو هريرة يقول : < اللهم اغفر لأمير المؤمنين ><sup>١٠٧٤</sup> . . ولم يحقد على عمر - رضي الله عنه - مع انه يعلم ان ما قاسمه اياه إنما هو عطاياه واسهمه وبعض غلة رقيقه .

ولو ان عمر - رضي الله عنه - شك في أمانة أبي هريرة بعض الشك لحاكمه وعاقبه العقوبة الشرعية ، ولكنه عرف فيه الأمانة والإخلاص ، فعاد اليه حين يطلبه للولاية ، فأبى أبو هريرة قبولها<sup>١٠٧٥</sup> .

> وهكذا نجا أبو هريرة من تلك الأعاصير التي عصفت حوله ، ومن تلك الأمواج التي تلاطمت على قدميه ، فبقى صامدا لها ، وانهار ما ادعاه أعداؤه امام الصرح الشامخ الذي يحمي عدالته ، وتحطمت سهامهم الواهية على الحصن المنيع الذي بناه بصدقه وامانته واستقامته<sup>١٠٧٦</sup> .

٦) تقديم العاجلة علي الآجلة : وزعم أصحاب النفوس المريضة انه - أي أبا هريرة - كان متشيعا لبني أمية ، ويأخذ من معاوية جعلاً على وضع الأحاديث في ذم علي - رضي الله عنه - .

يقول عبد الحسين : < قال الامام أبو جعفر الاسكافي : إن معاوية حمل

١٠٧٢ ذكر د . محمد عجاج ، ان قصة ضربه عشر عليها في العقد الفريد ج ١ ص ٢٤ بلا سند ، وانها تعارض الروايات الصحيحة التي ذكرت عزله دون ضربه ، < انظر ابو هريرة راوية الاسلام ، ص ٢٤ > ومن المؤكد أنا عبدالحسين و ابا رية قد نقلاه من العقد الفريد .

١٠٧٣ انظر طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٢٥ ، ج ٣ ص ٢٨٢ طبع ١٤٠٠ هـ ، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٧٢ ، الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة معاذ بن جبل ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١١٣ طبع القاهرة ، الانوار الكاشفة ص ٢١٣ ، دفاع عن ابي هريرة ص ١٤١ ، ابو هريرة راوية الاسلام ، ص ٢٢٥ .

١٠٧٤ طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ٦٠

١٠٧٥ اقتباس من كلام د . محمد عجاج < كتاب السنة قبل التدوين ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ > .

١٠٧٦ الحديث والمحدثون ، محمد محمد ابو زهو ، ص ١٦٩

قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً .. منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة .. < ١٠٧٧ > .

ومما قاله عبدالحسين في أبي هريرة والأمويين : < استعبد بنو أمية أبا هريرة ببرهم ، فملكوا قياده واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فاذا هو لسان دعايتهم في سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم ، فتارة يفتنت الأحاديث في فضائلهم .. وتارة يلفق أحاديث في فضائل الخليفتين نزولاً على رغائب معاوية وفتته الباغية > ١٠٧٨ .

إن كل هذه الادعاءات كذب وافتراء يتبرأ منها من هو دون أبي هريرة ، فيكف بالصحابي الجليل أبي هريرة ، وإن الحجج الواضحة والحقائق الساطعة سوف تكون سياتا لازعة لعبد الحسين وأمثاله ، ولا مفر من ذلك وحبل الكذب ضعيف وقصير .

وأبو هريرة من كل ما تقدم براء ، ولقد أورد عبد الحسين وأبو رية أخباراً ضعيفة وموضوعة لا أصل لها . من هذا ما ذكره عبد الحسين فقال : < قال الامام ابو جعفر الاسكافي : ان معاوية حمل قوما من الصحابة ... وقد مر ذكر هذا الحديث > .

هذه أخبار مختلقة ، استشهد بها عبد الحسين ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلاً للأمويين ، وضاعاً للحديث ، وإن هذه الأخبار مردودة سنداً وامتناً ..

أ - أما من حيث السند : فإن ابن أبي الحديد صاحب شرح < نهج البلاغة > نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبدالله أبي جعفر الاسكافي ، وهو من أئمة المعتزلة المتشيعين ، والعداء المستحکم بين المعتزلة وأهل الحديث

.. فروايته مردودة ١٠٧٨ لأسباب :

- (١) انه معتزلي يناصب العداء لأهل الحديث ١٠٧٨ .
- (٢) انه شيعي محترف ، اجتمع هذان العاملان فيه ، ويكفي احدهما لرد روايته .. وبعد هذا لا يعقل ان تقبل الجرح والتعديل في رجل مطعون في عدالته ، مشكوك في روايته ، يعادي أهل السنة ، فمن البدهاة رفض

١٠٧٧ ابو هريرة ، عبدالحسين الموسوي ، ص ٤٢

١٠٧٨ المصدر السابق ، ص ٣٥ وما بعدها

١٠٧٩ ابوهريرة ، رواية الاسلام ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠

١٠٨٠ ابوهريرة واقلام الحاقدين ، ص ١٢

روايته<sup>١٠٨١</sup> .

(٢) لم تذكر هذه الرواية في مصدر موثوق بسند صحيح ، علما بأن الاسكافي لم يذكر لها سندا<sup>١٠٨٢</sup> .

ب - أما من حيث المتن : فلم يثبت أن معاوية حمل أحدا على الطعن في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة انه تطوع بذلك أو أخذ أجرا مقابل وضع الحديث . . وان جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة انما كان عن طريق أهل الاهواء الداعين الى أهوائهم ، المتعصبين لمذاهبهم ، فتجرؤوا على الحق ، ولم يعرفوا للصحبة حرمتها ، فتكلموا في خيار الصحابة ، واتهموا بعضهم بالضللال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالكفر ، وافتروا على ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم<sup>١٠٨٣</sup> .

الأسباب الأخرى لرد كذب عبد الحسين ، وأبورية . وأمثالهما :

أ - فادعاء هؤلاء مردود حتى يثبت زعمهم بحجة صحيحة مقبولة ، وكيف نتصور معاوية يحرض الصحابة على وضع الحديث كذبا وبهتاننا وزورا ، ليطعنوا في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، وقد شهد ابن عباس - رضي الله عنهما - لمعاوية بالفضل والعقل والفقہ<sup>١٠٨٤</sup> ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه ، فهل لهؤلاء ان يتهموا حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية<sup>١٠٨٥</sup> .

هذه هي شهادة أقرب الناس لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شهادة حبر الأمة .

ب - اعترض أبي هريرة على بني أمية : كيف يوالي بني أمية ، وقد وقف لهم بالمرصاد ، في مواقف كثيرة عندما يرى واجب الحق يفرض عليه ذلك ، نرى أبا هريرة ينكر على مروان في مواضع عدة ، فقد أنكر عليه عندما رأى في داره تصاوير ، فقال له : > سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ! فليخلقوا ذرة )<sup>١٠٨٦</sup> .

١٠٨١ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ٤٤٣

١٠٨٢ المصدر السابق .

١٠٨٣ العواصم من القواصم ، ص ١٨٢ - ١٨٣

١٠٨٤ انظر ، فتح الباري ج ٨ ص ١٠٤ - ١٠٥

١٠٨٥ انظر أضواء على التاريخ ، ص ١٩١ ، وما بعدها ، الأستاذ / محب الدين الخطيب .

١٠٨٦ مسند الامام احمد ، ج ١٢ ص ١٤٨ رقم ٧١٦٦ باسناد صحيح ، رواه البخاري .

كما أنكر عليه حين أبطأ بالجمعة ، فقام إليه قائلاً : > أتظل عنب ابنة فلان تروحك بالمراوح ، وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم ><sup>١٠٨٧</sup> .

ج - حب أبي هريرة لآل البيت : هذه حجة أخرى لدمغ المفتريين وكشف زيفهم ، عندما نجد ان أبا هريرة ، هو الذي يروي الأحاديث التي وردت في فضل علي - رضي الله عنه - ، وما قام به من جهاد ومدح هو وآل بيته .

(١) في فضل علي - رضي الله عنه - : أخرج الامام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر : ( لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه )<sup>١٠٨٨</sup> .

(٢) في مدح فاطمة - رضي الله عنها - : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن فاطمة سيدة نساء أمتي )<sup>١٠٨٩</sup> .

(٣) في حب الحسن والحسين : أخرج الحاكم عن أبي هريرة انه قال : > خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه الحسن والحسين ، هذا علي عاتقه وهذا علي عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى الينا ، فقال له رجل : يا رسول الله : إنك تحبهما ؟ فقال : ( نعم ! من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني )<sup>١٠٩٠</sup> .

د - رواية أبناء علي وأصحابه ومواليه عن أبي هريرة :

١- رواية زين العابدين لأبي هريرة حديثاً وتمسكه بالعمل به : وهذا دليل آخر على الحب المتبادل بين أمير الصحابة في السنة وآل البيت ، وهكذا صفة الكرام ، يعرف كل منهما فضل صاحبه .

قال البخاري : > حدثنا احمد بن يونس حدثنا عاصم بن محمد قال حدثني واقد بن محمد قال حدثني سعيد بن مرجانة صاحب علي بن حسين قال : قال لي أبو هريرة - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( أيما رجل اعتق امرأً مسلماً ، استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار ) .

١٠٨٧ العقد الفريد ، ج ١ ص ٤٢

١٠٨٨ صحيح مسلم ، ٧ / ١٢١

١٠٨٩ التاريخ الكبير للبخاري ، ج ١ ص ٢٢٢ بسند موصول .

١٠٩٠ المستدرک ، ٣ / ١٦٦ بسند صحيح ، أقره الذهبي .

قال سعيد بن مرجانة : فانطلقت الي علي بن حسين ، فعمد علي بن حسين - رضي الله عنهما - الي عبد له ، قد أعطاه الله به عبدالله بن جعفر عشرة آلاف درهم ، أو ألف دينار ، فاعتقه<sup>١٠١</sup> .

وفي لفظ : > فقال علي بن الحسين - رضي الله عنهما - يا سعيد : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ قال : نعم . فقال لي علي بن حسين عند ذلك لغلام له إمرة علمانه : ادع لي مطرقا . قال : فلما قدم بين يديه ، قال : اذهب ، فأنت حر لوجه الله <<sup>١٠٢</sup> .

ثم أخذ علي بن الحسين وابن مرجانة بعد ذلك يرويان هذا الحديث ، ويبشران به الناس ، فراه عمر بن علي بن الحسين عن ابن مرجانة<sup>١٠٣</sup> .  
وزيد بن اسلم عن علي<sup>١٠٤</sup> . وسعيد بن عبدالله بن مرجانه هذا من أوائل الشيعة ، وعده البرقي في كبار أصحاب علي بن الحسين - رضي الله عنهما<sup>١٠٥</sup> .

٢- رواية أصحابه : وفي مقدمة هؤلاء الأصحاب ، الصحابي الجليل أبو أيوب الانصاري - رضي الله عنه - فقد رآه التابعي الفقيه ابو الشعثاء يحدث عن أبي هريرة في المدينة<sup>١٠٦</sup> .

وأبو أيوب الانصاري من جملة الصحابة الذين تثق بهم الشيعة ، ويعدونه من أصحاب الايمان الراسخة ، وممن ثبت على ايمانه بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويزعمون انه خامس خمسة من الصحابة لم يرتدوا .. > حاشا للصحابة الكرام - الذين مدحهم الله - من الارتداد < ..

ووثقه الكشي وغيره<sup>١٠٧</sup> ، وذكره بحر العلوم ضمن شيعة علي - رضي الله عنه - ونسب اليه شهود مشاهد أمير المؤمنين كلها<sup>١٠٨</sup> .

٣- موالى أبناء علي : وقد روى كثير من موالى أبناء علي عن أبي هريرة - رضي الله عنهم جميعا ، كل ذلك يدل على قوة أصرة الاخوة التي لم تدع للمنافقين ثغرة يدخلون منها لاثارة الفتنة بين الأحبة ، ولكن نار

١٠٩١ البخاري ١٧٨/٣ . مسلم ٢١٨/٤

١٠٩٢ منتقى ابن الجارود ص ٣٢٤ بسند صحيح ، مسند ابي عوانة ١٤٥/١ ، فتح الباري ٧٣/٦

١٠٩٣ صحيح مسلم ٢١٧/٤ ، مشكل الآثار ٣١١/١ ، وتاريخ جرجان ، للسهمي ص ٩٦

١٠٩٤ البخاري ١٨١/٨ ، مسند احمد ٤٢٠/٢

١٠٩٥ رجال البرقي ، ص ٩

١٠٩٦ المستدرک ٥١٢/٣ ، مجمع الزوائد ٣٦٢/٩

١٠٩٧ رجال الكشي ص ٣٩ ، رجال البرقي ص ٢

١٠٩٨ رجال السيد بحر العلوم : ٣١٨/٢

الحقد والحسد تتأجج في القلوب فاطارت صوابهم ، وكشفت نوايا سرائرهم  
لحرب السنة النبوية ، ورابطة الاخوة الاسلامية .

من هؤلاء : أبو زياد الطحان ، مولى الحسن بن علي ، وأحد الثقات<sup>١١٠٠</sup>  
وصفوان مولى عمر بن علي ، ثقة يروي عن أبي هريرة<sup>١١٠١</sup> . وسعيد بن  
يسار أبو الحباب ، قيل انه مولى الحسن بن علي<sup>١١٠٢</sup> ، وثقه أبي المطهر  
الجلي وغيره<sup>١١٠٣</sup> ، وله عن أبي هريرة أحاديث كثيرة<sup>١١٠٤</sup> .

ومنهم من يستفتيه ، إذ ورد : > عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي  
طالب انه سأل أبا هريرة : كيف كان رسول الله - صلي الله عليه وسلم -  
يوتر ؟ فقال : إن شئت أخبرتك كيف أصنع أنا .. <<sup>١١٠٥</sup> ، فأخبره .

٤- طبقات محبة ومخلصة لعلي من مشاهير الزهاد والفقهاء .. من  
هؤلاء ، الفقيه الكبير :

أ - أبو بردة ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري - رضي الله  
عنه -<sup>١١٠٦</sup> .

ب - عبيد بن عمير بن قتادة المكي . من أبناء الصحابة ، وكان ابن عمر  
يجلس اليه لجلالته<sup>١١٠٧</sup> .

ج - ومنهم كليب بن شهاب الجرمي ، ثقة يحتج بحديثه<sup>١١٠٨</sup> . وذكره  
الطوسي في الشيعة<sup>١١٠٩</sup> .. وذكر التستري خبر مبايعته لعلي - رضي الله  
عنه -<sup>١١١٠</sup> وروايته محفوظة عن علي وأبي هريرة<sup>١١١١</sup> .

هذا هو أبو هريرة ، صاحب القلب السليم ، واللسان العفيف ، يحبه

١٠٩٩ - تعجيل المنفعة ص ٢١٩ ، وروايته عن أبي هريرة في مسند احمد ٢٠١/٢ ، مشكل الآثار ١٩/٣

١١٠٠ - ثقات ابن حبان ، ص ١١٨

١١٠١ - التهذيب ، ١٠٢/٤

١١٠٢ - رجال ابن المظهر الطلي ص ٨٠ ، قاموس الرجال للتستري : ٢٨٦/٤

١١٠٣ - انظر البخاري ٢٥/٣ ، ١٦٨/٦ ، مسلم : ٤٥/٥

١١٠٤ - معاني الآثار : ١ / ٢٠٣ بسند صحيح

١١٠٥ - يروي عن علي ، كما في سنن أبي داود ٤٠٧/٢ ، وهو من اصحابه كآبيه ، وروايته عن أبي هريرة في مسند

احمد : ٤٠١/٢

١١٠٦ - التهذيب ٧١/٧ ، وذكر انه يروي عن علي ، واما روايته عن أبي هريرة ، فعند مسلم ٢٢٢/٨

١١٠٧ - التهذيب ، ٤٤٥

١١٠٨ - رجال الطوسي ، ص ٥٦

١١٠٩ - قاموس الرجال ، ٤٢٨/٧

١١١٠ - روايته عن علي في مسند احمد : ١٦٠/١ ، وعن أبي هريرة عند النسائي ، ٣١٩/٣

كل مسلم ، ويحب كل مسلم ، لقد عم خبره الدنيا ببركة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعاش ناشرا للعلم والفضيلة . ولا يبغضه ويفتري عليه إلا من في قلبه مرض للإسلام والمسلمين .

(٧) الطعن في كثرة حديثه : يقول عبدالحسين الموسوي : > هذه دراسة لحياة صحابي روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكثر حتى أفرط ... <<sup>١١١١</sup> .

حتى يقول : > وأما حديثه فقد أمعنا النظر فيه كما وكيف ، فلم يسعنا - شهد الله - إلا الإنكار عليه في كل منها ... <<sup>١١١٢</sup> .

ويقول : > وأي رأو رؤية متجرد ومتحرر يطمئن الى هذه الكثرة التي لا يعد لها المجموع من كل ما حدث به الخلفاء الأربعة وأمهات المؤمنين التسع والهاشميون والهاشميات كافة .. وكيف تسنى لأمي تأخر إسلامه ، فقلت صحبته يعي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يعيه السابقون الأولون من الخاصة وأولي القربى ، ونحن حين نحكم الذوق الفني والمقياس العلمي نجدهما لا يقران كثيرا مما رواه هذا المفرط في اكثاره وعجائبه .. فالسنة أرفع من ان تحتضن أعشابا شائكة وخز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية قبل أن يشوه بها السنة المنزهة ، ويسيء الى النبي وأمته .. <<sup>١١١٣</sup> .

هذا ما قاله عبد الحسين ، وبكل وقاحة يتجرأ على السنة النبوية ، بكل هذا التناول ، لأن الطعن برواتها الثقات هو طعن بها .. فقد عاش أبو هريرة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنال منه كل تكريم واحسان وكفاه تزكية ، ثم جاء من بعد الخلفاء الراشدون ، فكان موضع تقدير واحترام بعد ان عرفوا صدقه واخلاصه ، وقد عرف الصحابة الكرام فضله وقربه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان موضع الثقة ، والسيد المطاوع .

أما اعتراض عبد الحسين على الكثرة التي رواها أبو هريرة .. سوف نرد على اعتراضاته بحجج دامغة ترده على اعقابها خائبا ..

١١١١ أبو هريرة ، عبدالحسين الموسوي ، ص ٦٢٥

١١١٢ المصدر السابق .

١١١٣

المصدر السابق .

وأما قوله : > ان السنة أرفع من ان تحتضن أعشابا شائكة وخز بها أبو هريرة ضمائر الإذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية ... الخ < .

هذا كلام لا يقبله من عبد الحسين أدنى صاحب ذوق في طعنه بالسنة التي أوتى صاحبها - عليه الصلاة والسلام - جوامع الكلم ، وهل أبو هريرة - رضي الله عنه - أتى إلا بالسنة النبوية ، وهل الطعن الغير المباشر ينجيه من غضب الله وعذابه ، وهل يفلت من قبضة جهابذة العلماء الذين تصدوا لكل مكابر عنيد ، فكشفوا زيفه وفضحوا خبثه وضحالة علمه ، وفقدان ذوقه ، ولأجل تنفيذ تلك التهم الباطلة ، التي لفظها عبد الحسين ، ومن لف لفهم ، بوعز كثرة حفظه وغزارة علمه للأسباب التالية :

- السبب الأول : دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - : إن دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير وبركة ، وهي شفاء للصدر ، فهي المفتاح الأول لتنوير البصائر وفتح الضمائر لاستقبال كل علم وخير .. قال البخاري : > حدثنا محمد بن عتبة ، قال حدثنا الفضل بن العلاء ، قال حدثنا اسماعيل بن أمية ، قال حدثنا محمد بن قيس أن زيد بن ثابت قال : دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة < "" . وقد ورد حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه - عليه الصلاة والسلام - خصه بدعوة دعا له بها بأن لا ينسى ما سمعه منه "" . جاء في الحديث عن الأعرج قال : قال أبو هريرة : > إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والله الموعود ، انى كنت امرءاً مسكيناً ، أصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام علي أموالهم ، فحضرت من النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلساً ، فقال : من يبسط رداءه حتى أفضي مقالتي ، ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني ، فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ، ثم قبضتها إلى ، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد < .

لقد كان دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فتحاً مبيناً لأبي هريرة في بركة عمره ، وقوة ذاكرته ، وشدة حفظه .

- السبب الثاني : ملازمته للرسول - صلى الله عليه وسلم - :  
لقد لازم أبو هريرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الملازمة  
المستمرة ، طيلة وقته .

هذه المداومة المستمرة ، جعلت العقل رطبا مستمرا لاستيعاب العلم ،  
وقابليته الحفظ ، وقد أبعدت تلك الصفة وهي المداومة ، المشاغل  
والهواجس النفسية ، التي هي أشبه بسدود لمنع رواقد الفكر ، لاستقبال  
العلم .

ويقول المرحوم السباعي : < .. إذ من المعلوم أن أبا هريرة كان من  
المكثرين في التحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رغم تأخر  
اسلامه ، لكثرة ملازمته للرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى كان يدور  
معه حيثما دار ، فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسأل  
كبار الصحابة عن حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ><sup>١١١٦</sup> .  
هذه الهمة العالية ، التي سحقت جميع المعوقات من المطامح الدنيا ،  
فغرست في نفسه الحب والشوق والهيام لطلب سنة رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - ، فكان فارس الميدان - .

- السبب الثالث : نشاطه ومذاكرته :  
كان الصحابي الجليل أبو هريرة صاحب همة عالية ، لا يفتر عن  
المذاكرة والمتابعة لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قطع جميع  
العوائق ، وخير مثل ينطبق عليه قول الشاعر < محمود سامي  
البارودي > :

ومن تكن العلياء همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محبب<sup>١١١٧</sup>  
فالههم العالية تبني الرجال ، ويعين على الحفظ ، ويقول الامام  
البخاري :

< لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ، ومداومة النظر ><sup>١١١٨</sup> ..  
ويقول الامام أبو هريرة - رضي الله عنه - : < صحبت النبي - صلى  
الله عليه وسلم - ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني ، ولا أحب الي  
ان أعي ما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهن ><sup>١١١٩</sup> .

١١١٦ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٣١١

١١١٧ البيت للشاعر : محمود سامي البارودي .

١١١٨ هدي الساري ، ج ٢ ص ٢٠١

١١١٩ طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ٥٤

وكان حريصا على وقته وتنظيمه لقضاء أعماله ، وكان حريصا على وقته فلا يفرط به . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : > جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا أصلي ، وثلثا أنام ، وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - <<sup>١١٢٠</sup> .

هذه بعض الأمثلة التي كانت تعينه على الحفظ ، وهي أعمدة صلبة يقوم عليها بناء الشخصية العلمية ..

- السبب الرابع : قناعته - رضي الله عنه - :

كان - رضي الله عنه - قانعا من دنياه بما يحصل عليه ، من لقمة العيش أو متاع ، غير متسخط ولا متضجر ، وهذا عامل مهم لجمع شتات الفكر ، وراحة النفس ، وعليهما المعول في قدح زناد العقل للحفظ والإدراك ، وكم من طمع شتت الفكر وبلد العقل ، واضرم نار الحقد ، فاحرق ذخيرة الحفظ ، وأنسى العلماء ما جمعوه ، وما حصلوا عليه في أيام جهدهم وكدهم .. كان أبو هريرة - رضي الله عنه - يرضى من الدنيا > بماء بطنه < وهذا هو منتهي القناعة .

قال الامام النووي في شرح قول أبي هريرة : > على ملء بطني < : > أي : الأزمه واقنع بقوتي ، ولا أجمع مالا لذخيرة ، ولا غيرها ولا أزيد على قوتي ، والمراد من حيث حصول القوت من الوجوه المباحة ، وليس هو من الخدمة بالأجر <<sup>١١٢١</sup> أ.هـ .

وقال الحافظ ابن حجر : > علي ملء بطني < : > أي مقتنعا بالقوت ، أي فلم تكن له غيبة عنه <<sup>١١٢٢</sup> .

وقال العلامة العيني : > على ملء بطني : أي مقتنعا بالقوت <<sup>١١٢٣</sup> ، هذه القناعة والبساطة من العيش أهلته لأن في الصفة ، مأوى الذين زبيت لهم ولا سكن ، وان يتحمل الجوع في سبيل علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

- السبب الخامس > جرأته < :

كان الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - جريئا ، يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء كثيرة .

١١٢٠ سنن الدارمي ج ١ ص ٨٢ . والجامع لاخلق الراوي وأداب السامع ، ص ١٨٠ - ١٨١

١١٢١ النووي على مسلم ١٦/٥٣

١١٢٢ فتح الباري ٤/٥٣١

١١٢٣ عمدة القاري ٥/٣٩٤

يقول أبي بن كعب - رضي الله عنه - : > إن أبا هريرة كان جريئاً على ان يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء لا يسأله عنها غيره <<sup>١١٢٤</sup> . . و > لا نسأله عنها <<sup>١١٢٥</sup> .

وكذلك قيل لابن عمر : هل تنكر مما تحدث به أبو هريرة شيئاً ؟ فقال : لا ، ولكنه اجتراً ، وحبنا <<sup>١١٢٦</sup> .

فالجراءة والشجاعة في هذا الباب وهو اللسان السؤول ، يفتح أبواب العقل للتركيز والحفظ .

- السبب السادس : المحبة المتبادلة بين المؤمنين وأبي هريرة - رضي الله عنهم :

لقد امتاز الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه بحبه لآخوانه الصحابة الكرام ، وكذلك حب الصحابة له وهذه جوهرة ثمينة وكنز يفوز بالحسنين من يعثر عليه ، حيث ان المحبة توفر للمرء الصفاء ، وتبعد عنه الهموم الناجمة عن الحقد والحسد والغيبة والنميمة والطمع ، وكل هذه الأمراض تنبت من شجرة العداوة والبغضاء ، فلما قلع تلك الشجرة ببركة دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - له . . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - قلت : ادع الله - يعني للرسول صلى الله عليه وسلم - ان يحببني وأمي الى عبادته المؤمنين ( فقال : ) اللهم ، حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك المؤمنين ، وحببهم اليهما <<sup>١١٢٧</sup> .

\*\* هذا عامل مهم من ناحية التركيز والحفظ ، وللبركة في العمر .

- السبب السابع : تخصص أبي هريرة بالحديث النبوي الشريف :  
لقد تفرغ الصحابي الجليل أبو هريرة طيلة حياته للعلم وخاصة الحديث النبوي الشريف حيث لم يكن له وقتاً في ليل أو نهار الا وقد صرفه الي الحديث النبوي الشريف . وهذه الميزة يكاد ينفرد بها أبو هريرة عن بقية الصحابة الكرام .

١١٢٤ مسند احمد ١٣٩/٥

١١٢٥ المستدرک ٥١٠/٣ بسند صحيح أقره الذهبي .

١١٢٦ سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٨

١١٢٧ سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٣ ، اسناد حسن .

يقول الاستاد محمد عجاج في كتابه < السنة قبل التدوين > : < صحيح ان الخلفاء الراشدين الأربعة - رضي الله عنهم - سبقوا أبا هريرة في صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل روى عنه ، الا ان هؤلاء اهتموا بأمور الدولة ، وسياسة الحكم ، ووافدوا العلماء والقراء والقضاة الى البلدان ><sup>١١٢٨</sup> .

ثم يقول : < انصراف أبي هريرة الى العلم والتعليم واعتزاله السياسة ، واحتياج الناس اليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة السابقين أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل هي خطأ كبير ><sup>١١٢٩</sup> .

فهذا جانب مهم يغيب عن كثير من الناس ، ولكنه في العصر الحاضر يكاد يعرفه اكثر الناس ، لأن العصر الحديث هو عصر التخصصات وهي القاعدة التي قام عليها الاختراعات والاكتشافات الحديثة<sup>١١٣٠</sup> ، وهي مفخرة العصر ، وقد سبقهم اليها أبو هريرة - رضي الله عنه - ولذلك تقدم على أقرانه ، وتفوق على أهل زمانه .

- السبب الثامن : الانقطاع عن الدنيا بكليتها :

لقد انقطع الصحابي الكريم ابو هريرة عن الدنيا بجميع ما فيها . فانقطعت جميع العلائق الدنيوية ، من هموم وجهد وتفكير ، وتحول بكله الى الآخرة ، فكانت أفكاره وهواجسه ومشاغله ، وحزنه وفرحه ، وكل ما يملك من الطاقات الفكرية والجسدية قد وجهه الى علم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكانت تلك الهيمنة التي سيطر بها على قيادة عقله ونفسه وجسمه ، قد جعلت كل منافذه نور لفهم وحفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

عن أسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة على عائشة ، فقالت له : أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ، قال : أي والله يا أماء ، ما كانت تشغلني عنه المرأة ، ولا المكحلة ، والدخي . قالت : لعله<sup>١١٣١</sup> .

١١٢٨ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٥٠

١١٢٩ المصدر السابق ، ص ٤٥١

١١٣٠ ويعتبر عصرنا الاختصاص كأمر ضروري ، والاختصاص بمعناه البسيط لا يتطلب من صاحبه الا ان يكون

عارفا بمهنته ، غير ان المهن في ميدان العلوم قد تفرعت بصفة مدهشة منذ خمسين سنة ، ذلك ان

الاختصاص صار اليوم متعدد ، بعد ان كان في الماضي مفردا < عن كتاب الوعي العلمي ، سمير عبده >

١١٣١ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦١٤

عن محمد بن ابراهيم ، عن أبي أنس مالك بن أبي عامر<sup>١١٣٢</sup> ، قال ،  
جاء رجل الى طلحة بين عبيد الله ، فقال : > يا أبا محمد ، رأيت هذا  
اليمني - يعني أبا هريرة - أهو أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - منكم ؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ، أم هو يقول على رسول  
الله ما لم يقل ؟ قال : أما ان يكون سمع ما لم نسمع ، فلا أشك ، سأحدثك  
عن ذلك : انا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل ، وكنا نأتي رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - طرفي النهار ، وكان مسكينا ، ضيفا على باب رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - ، يده مع يده ، فلا نشك انه سمع ما لم نسمع  
، ولا تجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل ><sup>١١٣٣</sup> . ورجاله  
ثقة<sup>١١٣٤</sup> .

ولقد بلغ الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - من غزارة  
علمه وحفظه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتركه هذا  
التفرغ التام ، ان اعتمد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
رواية أبي هريرة لما عرفوا منه في الاتقان والحفظ .  
عن أشعث بن سليم ، عن أبيه ، قال : أتيت المدينة ، فإذا أبو أيوب  
يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت : وأنت  
صاحب رسول الله ، قال : انه قد سمع ، وأني أخذ عنه ، عن رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - أحب إلى من أن أحدث عن النبي - صلى الله عليه  
وسلم -<sup>١١٣٥</sup> .

هذا التفرغ الكامل اكسبه حفظا تفوق به على غيره ، مما  
جعل الصحابة الكرم يثقون به ويعتمدون عليه .

١١٣٢ مالك بن أبي عامر ، هو جد مالك بن أنس الفقيه > حاشية سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٦ <

١١٣٣ أخرجه الترمذي ، ج ٥ ص ٦٨٤ باب ٤٧ مناقب لابي هريرة - رضي الله عنه - رقم ٣٨٢٧ من طريق ابن  
اسحاق به ، وحسنه هو ، وصححه الحاكم ٥١١/٢ - ٥١٢ ، ووافقه الذهبي وأورده ابن كثير في > البداية <

١٠٩/٨ ، وابن عساكر ج ١/١٢١

١١٣٤ حاشية سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٦

١١٣٥ تاريخ ابن عساكر ١٢١/١٩ ، المستدرک ١٢/٢٠٥

ب - شهادات تثبت الحفظ :

- ١ - قول العلماء في حفظ أبي هريرة - رضي الله عنه - :  
أ - قال ابو صالح السمان : كان أبو هريرة من أحفظ اصحاب محمد - صلي الله عليه وسلم -<sup>١١٣٦</sup> .  
ب - قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره<sup>١١٣٧</sup> .  
ج - قال الامام البخاري عن الامام أبو هريرة : وكان احفظ من روى الحديث في عصره<sup>١١٣٨</sup> .  
د - قال الامام الذهبي ( ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ ) عن الامام أبي هريرة : > الامام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات <<sup>١١٣٩</sup> .  
هـ - وقال ابن كثير ( ٧٧٤ هـ ) : > وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم <<sup>١١٤٠</sup> .  
و - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ ) : > إن أبا هريرة كان أحفظ من يروي الحديث في عصره <<sup>١١٤١</sup> .

هذه شهادات العلماء الأفاضل في حفظ أبي هريرة ، وهي غيضة من فيض بالنسبة لغزارة علمه ، وكثرة حفظه .

ب - الافتاء :

لقد شهد العلماء الأفاضل بتبحر أبي هريرة في الفقه ، وكان يقوم على غيره في مسائل الافتاء .. ومما يشهد على ذلك ما ذكره الامام الشافعي حيث يقول : > أخبرنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بكير بن الأشجع ، عن معاوية بن أبي عياش الانصاري : انه كان جالسا مع ابن الزبير ، فجاء محمد بن إياس بن البكير ، فسأل عن رجل طلق قبل

١١٣٦ السنة قبل التدوين ، د . عجاج ، ص ٤٣٣

١١٣٧ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٩٩ . تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٣٤

١١٣٨ تهذيب التهذيب ، ج ١٢ ص ٢٦٥

١١٣٩ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٥٧٨

١١٤٠ البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١١٠

١١٤١ تهذيب التهذيب ، ج ١٢ ، ص ٢٦٦

الدخول . فبعثه الى أبي هريرة ، وابن عباس - وكانا عند عائشة - فذهب ، فسألهما ( فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة . فقال : الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها . وقال ابن عباس مثله <sup>١١٤٢</sup> .

قال ابن حزم في كتاب < الإحكام في أصول الأحكام > : < المتوسطون فيما روى عنهم من الفتاوى : عثمان ، أبو هريرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أم سلمة ، أنس ، أبو سعيد ، أبو موسى ، عبدالله بن الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، سلمان ، جابر ، معاذ ، أبو بكر الصديق > <sup>١١٤٣</sup> .

ولم يكن افتاء أبي هريرة مقصورا على زمن معين . لا بل كان المعول عليه طيلة حياته الى ان توفاه الأجل ، وهو بحر زاخر . قال ابن سعد : < كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو واقد الليثي ، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفي عثمان الي ان توفوا ، والذين صارت اليهم الفتوى <sup>١١٤٤</sup> منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وجابر > <sup>١١٤٥</sup> .

ولقد بقى أبو هريرة - رضي الله عنه - علما شامخا في كل العصور الى ان وافاه الأجل .

### ٣ - الامتحان القاسي :

ان الاختبارات الشاملة وعلى غير موعد هي محك العظماء وموازين لمعرفة الجهابذة ، وبها يعرف غزارة علم الرجال ، وسعة أفقهم ، ولقد نصبت تلك الموازين الصعبة ، والميدان الفسيح ، للعالم الفقيه والمحدث الكبير < أبي هريرة > - رضي الله عنه - فصال وجال ، وانكشف عن فارس لا يشق له غبار .

والاختبار الرهيب الذي حدث لأبي هريرة - رضي الله عنه - ما يذكره لنا أبو الزعير كاتب مروان ما يثبت اتقانه وحفظه ، فيقول : < دعا مروان أبا هريرة ، فجعل يسأله ، واجلسني خلف السرير ، وجعلت أكتب

١١٤٢ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٧ اسناد صحيح ، وهو في مسند الشافعي ٢/٣٧٥ ، والموطأ < ١١٩٨ >

١١٤٣ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٢٩ ، الاحكام في اصول الاحكام ٥/٩٢

١١٤٤ قال ابن سعد : وهؤلاء الخمسة صارت الفتوى ، أي الذين ذكرتهم ، عن طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٥ طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٩ هؤلاء بعض من روى عن أبي هريرة وأحاديثهم في كتب الأئمة الستة ، انظر تهذيب التهذيب ج ١٢

ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، والأصابة ج ٧ ص ٢٠١ - ٢٠٢

الدخول . فبعثه الى أبي هريرة ، وابن عباس - وكانا عند عائشة - فذهب ، فسألهما ( فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة . فقال : الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها . وقال ابن عباس مثله <sup>١١٤٢</sup> .

قال ابن حزم في كتاب < الإحكام في أصول الأحكام > : < المتوسطون فيما روى عنهم من الفتاوى : عثمان ، أبو هريرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أم سلمة ، أنس ، أبو سعيد ، أبو موسى ، عبدالله بن الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، سلمان ، جابر ، معاذ ، أبو بكر الصديق > <sup>١١٤٣</sup> .  
ولم يكن افتاء أبي هريرة مقصورا على زمن معين . لا بل كان المعول عليه طيلة حياته الى ان توفاه الأجل ، وهو بحر زاخر . قال ابن سعد : < كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو واقد الليثي ، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لدن توفي عثمان الي ان توفوا ، والذين صارت اليهم الفتوى <sup>١١٤٤</sup> منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وجابر > <sup>١١٤٥</sup> .  
ولقد بقى أبو هريرة - رضي الله عنه - علما شامخا في كل العصور الى ان وافاه الأجل .

### ٣ - الامتحان القاسي :

ان الاختبارات الشاملة وعلى غير موعد هي محك العظماء وموازين لمعرفة الجهابذة ، وبها يعرف غزارة علم الرجال ، وسعة أفقهم ، ولقد نصبت تلك الموازين الصعبة ، والميدان الفسيح ، للعالم الفقيه والمحدث الكبير < أبي هريرة > - رضي الله عنه - فصال وجال ، وانكشف عن فارس لا يشق له غبار .

والاختبار الرهيب الذي حدث لأبي هريرة - رضي الله عنه - ما يذكره لنا أبو الزعير كاتب مروان ما يثبت اتقانه وحفظه ، فيقول : < دعا مروان أبا هريرة ، فجعل يسأله ، واجلسني خلف السرير ، وجعلت اكتب

١١٤٢ سير اعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٦٠٧ اسناد صحيح ، وهو في مسند الشافعي ٢/٢٧٥ ، والموطأ < ١١٩٨ >

١١٤٣ سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٢٩ ، الاحكام في اصول الاحكام ٥/٩٢

١١٤٤ قال ابن سعد : وهؤلاء الخمسة صارت الفتوى ، أي الذين ذكرتهم ، عن طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢

١١٤٥ طبقات ابن سعد : ٢/٣٧٢



الكذابون ، وقد أجمعت الأمة على صدق تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - وبنت تراثها على نقله ، والويل والعار للحاقدين على تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - ويصدق عليه أولئك الكذابين ومنهم أبو رية وأمثاله قول المرحوم السباعي :

> إن مقاييس البحث العلمي الصحيح في كل عصر ، تسقط عدالة أبو رية ، وتشهر به ككذاب وكمحرف للكلم عن مواضعه < ١١٥٠ .

ج - حفظ ابي هريرة - رضي الله عنه :

هي ضجة مفتعلة ، وعمل غير مستند علي الواقع والحقيقة ، لان حفظ ابي هريرة هو حفظ طبيعي ، وبمقدور كثير من الناس ، اذا بذلوا الجهد ، وملكوا التركيز ، والنفس الطويل ، لا بل توجد أمثلة كثيرة<sup>١١٥١</sup> تستوعب اكثر من مجلد من أسماء الحفاظ بشتى العلوم المختلفة ، ولم يثر أحد عنهم أي صرخة وصيحة ، ولكن عبيد الشيطان ، وخدم الغرب ، واصحاب الثقافة الضحلة ، والعقول البليدة ، والنفوس المريضة ، أثاروا كل الشكوك والظنون حول تلميذ محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه حامل لواء السنة .

لقد حفظ كثير من العرب أضعاف أضعاف ما حفظه أبو هريرة ، ماذا يقول في حفظ ابي بكر أنساب العرب ؟ وماذا يقول < عبد الحسين > و < أبو رية > وأمثالهما ، في حماد الراوية الذي كان أعلم الناس بأيام العرب ، واشعارها ، واخبارها ، وانسابها ، ولغاتها ، ،ماذا يقول فيه اذا علم انه روى علي كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى ، المقطعات ، من شعر الجاهلية دون الاسلام<sup>١١٥٢</sup> .

ما موقف < عبد الحسين الموسوي > المتعجب من كثرة حديث ابي هريرة - رضي الله عنه ، تجاه رواية الشيعة الذين رواوا عشرات الألوف من الأحاديث التي ينسبونها الي أهل البيت - رضي الله عنهم - ، فهذا عالم الشيعة في الجرح والتعديل أبو العباس النجاشي يذكر ابان بن تغلب ، وهو من رواتهم الموثوقين ، فيقول : < .. انه روى عن الامام جعفر الصادق

١١٥٠ السنة ومكانتها في التشريع ، ص ٢٢١

١١٥١ انظر كتاب طبقات الحفاظ للسيوطي ، وسير اعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، وتهذيب التهذيب

لابن حجر ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي .

١١٥٢ انظر الاعلام ، ج ٢ ص ٣٠١

٢. ألف حديث .. < ١١٣ .

وهذا الامام الصدوق يذكر محمد بن مسلم بن رباح وهو من رواتهم الموثوقين ، فيقول < .. سمع من الباقر عليه السلام ثلاثين ألف حديث ، ومن الصادق عليه السلام ستة عشر ألف حديث > ١١٣ .

وهذا الحر العاملي يذكر جابر بن يزيد العجفي ، فيقول : < انه روى عن الامام الباقر سبعين ألف حديث ، وعن باقي الأئمة روى مائة وأربعين ألف حديث > ١١٣ .

هؤلاء المكثرون ذكرهم عبد الحسين في كتابه الذي سماه < المراجعات > ، ودافع عنهم واثنى عليهم .

أهذه هي المقاييس العلمية ، في نقد الرجال ؟  
أهذا هو الحق والعدل ؟ يكذب من يروي ( ٥٣٧٤ ) ، ويوثق من روى  
اضعاف هذا العدد .

إن أدنى موازين العدالة ، تنسف جميع أقوال الحاقدين في أبي هريرة ، وتجعلهم يموتون في حقدهم ..

المبحث الثالث : الطعن بالسنة الصحيحة مع ادخال الاحاديث الموضوعية  
ج - الاعتراضات الأخيرة والردود عليها :

بعد بيان حجية السنة والرد على جميع المكائد ، التي برزت في ساحة المعركة ، من أنواع الأسلحة ، نجد أفرادا متسللين وسط الظلام يتحينون الفرصة السانحة لتوجه ضربات من الخلف ، أو الدخول من ثغرات نام أصحابها عنها ، تحت ضيق الأفق ، وجهل الفقه في الدين ، أو ضعف الايمان ، فقلبوا بعض الحجج الناقصة التي يمكن ان تفسر تفسيراً يحيط السنة وبضاعتها بسراب وهمي يجعل عامة المسلمين وكثيراً من العلماء ، لا يهتم بالسنة لشدة اضطرابه في معرفة حجيتها ، فيؤدي ذلك القلق الي تركها ..

١١٥٣ رجال النجاشي ، ص ٩ ، وقد ذكر هذا العدد من الاحاديث المؤلف في مراجعاته ص ٣٠٩ ، طبع الاعلمي

< عن كتاب ابوهريرة واعلام الحاقدين ، ص ٢ >

١١٥٤ مشيخة الفقيه ص ٦ ، انظر ترجمة في فاتحة الوسائل ص ٢٤٣ > عن كتاب ابو هريرة والاقلام الحاقدة

ص ٢ <

ومن تلك الاعتراضات :

- الاعتراض الأول > عدم تدوين السنة < :

فقد وردت أحاديث تمنع تدوين السنة ، وأحاديث أخرى تجيز الكتابة مع وجود جماعة من الصحابة قد كتبوا السنة ، وهو أقوى دليل على السماح ، لا بل يوجد أقوى من ذلك وهو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر بالكتابة لبعض الصحابة عندما طلب منه ذلك .

وسوف نذكر الأدلة التي تمنع الكتابة ، والأدلة التي تسمح بالكتابة . . ثم بيان كيفية التوافق بين ذلك الاختلاف :

أ - أدلة النهي عن الكتابة :

(١) فقد ورد ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كتابة الحديث النبوي ، فقال : ( لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج )<sup>١١٥٦</sup> .

(٢) قال أبو سعيد الخدري : > جهدنا بالنبوي - صلى الله عليه وسلم - أن يأذن لنا بالكتاب ، فأبى <<sup>١١٥٧</sup> .

(٣) روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : > جمع أبي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيرا . . . فلما أصبح قال : أي بنية ، هلمي الأحاديث التي عندك ، فجننت بها ، فدعا بنار فحرقها <<sup>١١٥٨</sup> .

(٤) وروى عن عبدالله بن مسعود كراهيته لكتابة الحديث الشريف : عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال : > جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن ، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت : بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنا على عبدالله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا إليه الصحيفة ، قال : فدعا الجارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له يا أبا عبدالرحمن ، انظر فان فيها أحاديث حسانا ، قال : فجعل يمينها<sup>١١٥٩</sup> فيها ، ويقول : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن »<sup>١١٦٠</sup> ، القلوب أوعية ، فأشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما سواه <<sup>١١٦١</sup> .

١١٥٦ أخرجه مسلم ص ٢٢٩٨ . > كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث < .

١١٥٧ تقييد العلم ، للخطيب البغدادي ، ص ٣٢ - ٣٣

١١٥٨ تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٥

١١٥٩ مائه : أي فكره ليدوب في الماء وتتفرق أجزاءه > حاشية أصول الحديث ، د عجاج ، ص ١٥٦ <

١١٦٠ يوسف : ٢

١١٦١ تقييد العلم ، ص ٥٤ ، انظر سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥ > عن اصول الحديث ، د عجاج ، ص ١٥٦ <

(٥) ويروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - انه وقف في الناس خطيبا ، فقال : > أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمجاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم < ١١٣ .  
(٦) وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : > إنا لا نكتب العلم ولا نُكْتَبُهُ < ١١٣ .

(٧) وكره أبو موسى الأشعري ان يكتب ابنه عنه مخافة ان يزيد أو ينقص ، ومحا ما كتبه بالماء < ١١٣ . وفي رواية قال : > احفظوا عنا كما حفظنا < ١١٣ .

ونكتفي بهذا القدر الذي يوضح النهي عن كتابة السنة ، ثم نذكر القسم الثاني ، وهو السماح بكتابتها .

ب - أدلة السماح بالكتابة :

- (١) روى أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ( قيدوا العلم بالكتاب ) ١١٣ .
- (٢) عن عمرو بن أبي سفيان انه سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : > قيدوا العلم بالكتاب < ١١٣ .
- (٣) روى عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه ، كتب له فرائض الصدقة التي سنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١١٣ .
- (٤) يقول الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لبنيه وبني أخيه : > تعلموا تعلموا ، فانكم صغار قوم اليوم ، تكونون كبارهم غدا ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب < ١١٣ .

- 
- ١١٦٢ جامع بيان العلم وفضله ، ج ١ ص ٦٥ ، تقييد العلم ص ٤٢ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥٧ <  
١١٦٣ جامع بان العلم وفضله ج ١ ص ٦٥ ، تقييد العلم ص ٤٢ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥٨ < .  
١١٦٤ المحدث الفاضل ج ٤ ص ٦ ، سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٢ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥٨ <  
١١٦٥ جامع بيان العلم ، ج ١ ص ٦٦ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥٨ < .  
١١٦٦ صحيح الجامع ، رقم ٤٣١٠ ، سنن الدارمي ١/١٢٧ > عن كتاب قبض البيان ، ص ٢٣ < .  
١١٦٧ تقييد العلم ص ٨٨ ، وجامع بيان العلم ج ١ ص ٧٢ ، الكفاية ص ٣٥٤ ، توجيه النظر ص ٣٤٨  
١١٦٨ انظر تقييد العلم ص ٨٧ ، وفي مستند الامام احمد أن ابا بكر كتب لهم > ان هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - < انظر ج ١ ص ١٨٣  
١١٦٩ الكفاية ، ص ٢٢٩ > اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٦١ <

- وفي رواية : > فليكتبه وليضعه في بيته < <sup>١١٧٠</sup> .
- (٥) ويروى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - انه كان لا يخرج من بيته غدوه حتى ينظر في كتبه <sup>١١٧١</sup> .
- (٦) وكان أنس - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول لبنيه : > يا بني قيدوا العلم بالكتاب < <sup>١١٧٢</sup> .
- (٧) قال عبدالله بن عمرو بن العاص : > كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرجو حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأومأ بأصبعه الى فيه ، وقال : ( اكتب ، فوالذي نفسي بيده ، ما خرج منه إلا حق ) <sup>١١٧٣</sup> .
- (٨) ذكر أبو هريرة - رضي الله عنه - : > ان رجلاً أنصاريًا شكوا الي النبي - صلى الله عليه وسلم - قلة حفظه ، فقال : ( استعن بيمينك ) <sup>١١٧٤</sup> .
- (٩) حديث رافع بن خديعة : > قلت يا رسول الله ، إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ ، قال : ( اكتبوا ولا حرج ) <sup>١١٧٥</sup> .
- (١٠) كتب النبي - صلى الله عليه وسلم - كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر بن حزم <sup>١١٧٦</sup> .
- (١١) طلب رجل من أهل اليمن يوم فتح مكة من الصحابة ان يكتبوا له خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الفتح ، فاستأذنوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك ، فقال : ( اكتبوا لأبي شاه ) <sup>١١٧٧</sup> .
- (١٢) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي توفي فيه : ( أتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ) <sup>١١٧٨</sup> .

- 
- ١١٧٠ تقييد العلم ، ص ٩١ > اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٦١ <
- ١١٧١ انظر : الآداب الشرعية ، ج ٢ ص ١٢٥
- ١١٧٢ كتاب العلم لزهير بن حرب ص ٢٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٤٤ ، تقييد العلم ص ٩٦ > عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٦٤ <
- ١١٧٣ سنن الدارمي ، ١/١٢٥
- ١١٧٤ تقييد العلم ، الخطيب ، ص ٦٧
- ١١٧٥ تدريب الراوي ، للسيوطي ، ص ٢٨٦
- ١١٧٦ جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر : ١/٧١
- ١١٧٧ صحيح البخاري ١/٢٨ ، يذكر > لابي فلان < بل > لابي شاه < ( تقييد العلم ، للخطيب ، ص ٨٩ )
- ١١٧٨ صحيح البخاري ، ١/٢٩

فالأراء التي وردت في كتب السنة المعتمدة ، التي تثبت تدوين السنة في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقيقة لا يدخلها الشك ، ولكثرة ورود هذه الأدلة ترقى هذه الأدلة الى درجة التواتر .

### \*\* كيفية التوافق بين ذلك الاختلاف ؟ :

لم يكن ذلك الاختلاف في حقيقته الا اختلافا لفظيا ، وهو متوافق في جوهره ، هو أشبه ، بأزهار مختلفة الألوان ، وعطور مختلفة الرائحة ، تزيد الناظر بهجة وسرورا .

فالاختلاف الذي ورد هو أشبه بمراحل يمر بها المتعلم في مراحل الدراساتية ، مراعاة للجانب التربوي في التدرج للأرتقاء الى قمة العلم ، ومنعا للأضطراب ، الذي يهز النفوس ، فتصاب بالضعف والهزال .

فالخطة التربوية التي رسمها سيد ولد آدم لنشر الشريعة ، هي خير طريقة ، جنبت النفوس العثرات ، فسارت في خط منسجم ، وتوافق تام ، راعى فيها النفوس الضعيفة ، ولم يغمط أو يضعف القدرات البارزة ، فاعطى في خصته الاصلاحية بناء متينا متماسكا ، وهذا البناء يتكون من العناصر التالية :

### ١ - خشية الاختلاط :

لقد منع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكتابة في البداية خشية اختلاط القرآن الكريم بالسنة النبوية ، وخاصة أن العرب كثير من أفرادهم لا يعرفون القراءة والكتابة ، وهي أمة أمية ، ولقد ذكر العلماء في أسباب المنع في بداية الاسلام خشية الاختلاط<sup>١١٧٩</sup> ، ولما استقر القرآن الكريم في النفوس ، ورزقوا ملكة التمييز ، وتذوقوا اسلوب القرآن ، أباح لبعضهم الكتابة لمن له القدرة على التمييز بينهما .

### ٢ - خشية الإنشغال بالسنة المشرفة عن القرآن الكريم :

وهو عامل مهم لمنع التدوين في بداية الاسلام ، وقد استشهد به كثير من الصحابة والعلماء :

أ- عن عروة بن الزبير ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد ان يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأشاروا عليه ان يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا .. فقال : > إني كنت أردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم

كتبوا كتباً ، فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، واني والله لا ألبس كتاب بشيء أبداً > ١١٨٠ .

ب - ولقد ورد عن كثير من الصحابة ما دل على نفس ما ذهب اليه ابن الخطاب - رضي الله عنهم - جميعاً ، منهم : ابن عباس ١١٨١ وابن مسعود ١١٨٢ وأبي موسى الأشعري ١١٨٣ ، ولقد وردت روايات كثيرة تدل على كراهية صحابة أخرى ١١٨٤ للكتابة ، وقد رأى كل من هؤلاء الصحابة ان سبب كراهية كتابة الحديث خوفه من انشغال الناس بها وانصرافهم عن القرآن الكريم ١١٨٥ .

ج - قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : > اعزم على كل من كان عنده كتاب الا رجع فمحاها ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم ، وتركوا كتاب ربهم > ١١٨٦ .

نجد مع هذا النهي عن الكتابة من الصحابة الكرام يجوزون الكتابة ، ولم يكن ذلك منهم تناقضا ، وانما جوزوا الكتابة عندما زالت العلة ، وهي خشية الانشغال بالسنة عن القرآن الكريم عندما رسخ الايمان في قلوبهم ، وفهموا أهداف كل من الكتاب والسنة ، وطريقة التطبيق ، ورسخت في عقولهم ملكة التمييز بين كل منهما ، نجد الصحابة الكرام يجوزون الكتابة في المواقف التالية :

أ - كتب أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لأنس بن مالك فرائض الصدقة ، التي سنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ١١٨٧ .  
ب - كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لعتبة بن فرقد بعض السنن ١١٨٨ .

ج - وكان عند علي - رضي الله عنه - صحيفة فيها : العقل ، وفكاك

١١٨٠ أخرجه الخطيب في تقييد العلم ، ص ٤٩ . وابن عبد البر في جامع بيان العلم ، ٦٤/١

١١٨١ تقييد العلم ، ص ٤٣

١١٨٢ > أتى عبدالله بن مسعود بصحيفة فيها حديث ، فدعا بقاء فمحاها ، وقال : بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم

حين نبؤوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون > جامع بيان العلم : ٦٥/١

١١٨٣ تقييد العلم ص ٥٣ - ٦٥ ، جامع بيان العلم ٦٤/١ - ٦٧

١١٨٤ منهم : زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري > بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢٢٢ <

١١٨٥ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ٢٢٢

١١٨٦ جامع بيان العلم ، لأبي عبد البر ٦٣/١ > عن بحوث في تاريخ السنة ، ص ٢٢١ <

١١٨٧ مسند الامام احمد ١١/١

١١٨٨ مسند الامام احمد ، ١٦/١

- الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر<sup>١١٨٩</sup> .
- د - وقد كتب بعض الصحابة أحاديث في الصحف ، ومن تلك الصحف التي عرفت منها :
- ١ - صحيفة سعد بن عباد الانصاري<sup>١١٩٠</sup> .
  - ٢ - الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص > ت ٦٥ هـ <<sup>١١٩١</sup> .
  - ٣ - صحيفة سمرة بن جندب > ت ٦٠ هـ < جمع فيها أحاديث كثيرة<sup>١١٩٢</sup> .
  - ٤ - صحيفة جابر بن عبد الله الانصاري > ت ٧٨ هـ <<sup>١١٩٣</sup> .
  - ٥ - صحيفة أبي هريرة > ت ٥٨ هـ <<sup>١١٩٤</sup> .
  - ٦ - وصحيفة أبي موسى الأشعري > ت ٥٠ هـ <<sup>١١٩٥</sup> .
  - ٧ - كتاب أبي رافع - مولى النبي صلى الله عليه وسلم - وفيه استفتاح الصلاة<sup>١١٩٦</sup> .

فهذه الأدلة الكثيرة تثبت جواز تدوين السنة النبوية مع عدم تعارضها مع النهي الذي أوردناه ، كما بينا طريقة التوافق والانسجام .

### ٣ - خوف الزيادة والنقصان :

ان الجيل الأول ، جيل الصحابة ، وهو الجيل الفريد ، كان شديد الخوف من الله تعالى ، وقد امتنع بعضهم عن الكتابة زهدا وخشية ، وورعا ، ولم يكن ذلك تحريما ، وإنما كما تدل على ذلك الرواية التالية :

فقد ورد ان أبا موسى الأشعري ، كره ان يكتب ابنه عنه ، مخافة ان يزيد أو ينقص ، ومحا ما كتبه بالماء<sup>١١٩٧</sup> .

- 
- ١١٨٩ صحيح البخاري ٢٨/١ > عن بحوث في تاريخ السنة ، ص ٢٢٢ <
- ١١٩٠ سنن الترمذي ، كتاب الاحكام ، باب اليمين مع الشاهد .
- ١١٩١ جامع بيان العلم ، ٧٣/١ ، سنن الدرامي ١٢٧/١ > عن علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٢٧ <
- ١١٩٢ تهذيب التهذيب ١٩٨/٤ ، أو ٢٣٦/٤ > ( عن علوم الحديث د . صبحي ، ص ٢٥ ، وبحوث د . اكرم ص ٢٢٣ )
- ١١٩٣ الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٧/٥ أو ٣٤٤١٥ > د . صبحي ص ٢٦ ، بحوث د . اكرم ص ٢٢٣ <
- ١١٩٤ جامع بيان العلم وفضله ٧٣/١ > عن بحوث د . اكرم ص ٢٢٣ < طبقات ابن سعد ٢٩٦/٥ > عن علوم الحديث ، د . صبحي ص ٢١ <
- ١١٩٥ مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا ، نقلا عن كتاب بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، د . اكرم ص ٢٢٣ <
- ١١٩٦ الكفاية للخطيب ، ص ٣٣٠ ( عن بحوث ، د . اكرم ، ص ٢٢٣ )
- ١١٩٧ كتاب العلم لزهير بن حرب ، وسنن الدرامي ، ج ١ ص ١٢٢ ( عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥٨ )

٤ - النهي عن كتابة الحديث مع القرآن الكريم في صحيفة واحدة :  
قد يحتمل من النهي ان يكون في صحيفة واحدة فيحدث الاختلاط بين الكتاب والسنة ، وعند ذلك لا يمكن التمييز بينهما ، فيقع الارتباك ، والاضطراب في الاحكام ، وخاصة في بداية نزول القرآن الكريم ، وان النفوس لا زالت تتربى على العلم والعمل ، وهي فترة تحتاج الي التوضيح والبيان خشية التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن الكريم . وقد أشار الي هذا المعنى الخطابي . . حيث يقول :  
> وقد قيل : انه انما نهى ان يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لنلا يختلط به ، ويشتبه على القارئ ، فأما ان يكون نفس الكتاب محظورا ، وتقيد العلم بالخط منهي عنه فلا < ٣٣٣ .  
فهذا الاحتمال الذي أورده بهذا الصورة وخاصة في بداية نزول الوحي ، أو بين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، أو الذين يعيشون بعيدا عن مصباح النبوة في البوادي والقرى الصغيرة يتعرضون لصعوبات جمة عند كتابة الحديث الشريف والقرآن الكريم .

٥ - النسخ :  
وهو من أهم العناصر في بناء الهيكل التوافقي لجمع شمل المنع من الكتابة والسماح بالكتابة .  
فالنسخ مادة قوية لتمسك ذلك الاختلاف ، مما يجعل كيد الاعداء ترد الي نحورهم ، وتكون صيحتهم وصرختهم هباءً منثوراً .  
ومن الأدلة التي تدل على ذلك :  
(١) روي أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : ( قيدوا العلم بالكتاب ) ٣٣٣ .

قال ابن قتيبة ٣٣٣ : نهى في أول الأمر ، فلما علم ان السنن تكثر ،

١١٩٨ معالم السنن للخطابي ، ١٨٤/٤ ( عن علوم الحديث ، د. صبحي ، ص ٢٠ )  
١١٩٩ انظر صحيح الجامع رقم ٧٣١١ ، اخرجه احمد ١٢/٣ ، ٣٩/٣ ، الحاكم ١٢٧/١ ( عن كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، ص ٢٣ )  
١٢٠٠ ابن قتيبة : هو احمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ابو جعفر ، قاضي من اهل بغداد له اشتغال بالادب ، والى القضاء بمصر ، وتوفى فيها سنة ٣٢٢هـ ( هامش كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ ، ص ٢٣ )

فيفوت الحفظ ، أجاز الكتابة<sup>١١١</sup> .

٢) ان النهي عن الكتابة انما كان في أول الاسلام ، مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين ، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة ، وميزوه من الحديث ، زال هذا الخوف عنهم ، فنسخ الحكم الذي كان مترتبا عليه ، وصار الأمر الى الجواز<sup>١١٢</sup> .

٣) قال الرامهرمزي : > وحديث أبي سعيد (( حرصنا أن يأذن لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكتاب فأبى )) احسب انه كان محفوظا في أول الهجرة ، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القربة عن القرآن<sup>١١٣</sup> .

وقد أيد الاستاذ / احمد شاکر نسخ هذا الحديث ، وهو النهي عن الكتابة ، وقد استشهد بالأخبار التي تبيح الكتابة ، بقوله : > هذا ما يدل على ان حديث أبي سعيد : ( لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ) .. منسوخ ، وانه كان في أول الأمر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي<sup>١١٤</sup> - صلى الله عليه وسلم - ، وكذلك أخبار أبي هريرة - وهو متأخر الإسلام<sup>١١٥</sup> - يقول : ان عبدالله بن عمرو كان يكتب ، وانه هو لم يكتب : يدل علي ان عبدالله كان يكتب بعد اسلام أبي هريرة ، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخرا عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز ، نعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحا<sup>١١٦</sup> .

٤) قال ابن عباس - رضي الله عنه - لما اشتد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وجعه ، قال : ( ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده ) قال عمر : ان النبي - صلى الله عليه وسلم - غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللفظ . قال - عليه الصلاة والسلام -

١٢٠١ كتاب اخبار اهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، مع كتاب قبض البيان في

ناسخ ومنسوخ القرآن ، ص ٢٣

١٢٠٢ توضيح الافكار ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ( عن اصول الحديث ، ص ١٥٠ )

١٢٠٣ المحدث الفاضل ، ص ٧١ ( عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٥١ )

١٢٠٤ كان امر الكتابة لأبي شاه في فتح مكة ، مسند الامام احمد ج ١٢ ص ٢٣٢ . وفتح الباري ج ١ ص ٢١٧

، جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٠ ، تقييد العلم ص ٨٦ ( عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ١٤٩ )

١٢٠٥ اسلم ابو هريرة - رضي الله عنه - في السنة السابعة من الهجرة > عن اصول الحديث ، ص ١٥١ <

١٢٠٦ الباعث الحثيث ، ص ١٤٨ - ١٤٩

( قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع )<sup>١٢٧</sup> .  
هذا الحديث وهو آخر حديث ، وهو الحجر الأساس في نسخ النهي ،  
واباحة الكتابة ، ولا يوجد أي حديث معاجز عليه ، ولذلك يمكن ان نقول  
عليه في نسخ النهي عن الكتاب .  
ويقول الدكتور عجاج : < وأرى في حديث أبي شاه ، وفي حديث ابن  
عباس ( ايتوني بكتاب ... ) إذنا عاما ، واباحة مطلقة للكتابة ، وعلى هذا  
لا تعارض بين جميع تلك الروايات .. ><sup>١٢٨</sup> .  
هذه الأحاديث التي أوردتها باباحة الكتابة في أزمنة مختلفة ،  
وختامها بالحديث في مرضه الذي انتقل به الي الرفيق الأعلى لهي دليل  
قاطع على الاباحة ، وازالة جميع الشكوك والريب التي يعتقدها من يجهل  
ذلك ، أو يتوهمها من له أفق ضيق في استنباط الاحكام أو يحيكها  
ويبيتها من في قلبه مرض ليشكك المسلمين في منهج شريعتهم .

#### - الاعتراض الثاني < رد فيمن لم يعتبر خبر الأحاد<sup>١٢٩</sup> حجة > :

لقد ذهب بعض الفرق وبعض المذاهب التي ليست لها سنداً تدعم  
حجتها وتثبت أدلتها ، انما هو تطرف يجعلها تشذ عن الصراط السوي ،  
وتخالف الأمة الاسلامية ، ومن تلك المذاهب :  
١ - ما ذهب اليه القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر انه لا يجب  
العمل به<sup>١٣٠</sup> .  
٢ - وقال الجنائي من المعتزلة : < لا يجب العمل الا بما رواه اثنان عن  
اثنين ><sup>١٣١</sup> .  
٣ - وقال بعضهم : < لا يجب العمل إلا بما رواه أربعة عن أربعة ><sup>١٣٢</sup> .  
فالقول عن رد خبر الأحاد مردود من أساسه جملة وتفصيلا .. فهو  
أخطر الحروب التي شنت على السنة ، لأن معظم الشريعة الاسلامية مبنية  
على خبر الأحاد ، فالأخذ بهذا الرأي - وبدون دليل ولا حجة - هو قضاء

١٢٠٧ فتح الباري ج ١ ص ٢١٨ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٥٧ ، ١٢٥٩ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧ )

عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ص ١٤٩ )

١٢٠٨ اصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د . عجاج ، ص ١٥٢

١٢٠٩ خبر الواحد : فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحدا أم أكثر ( الحديث والمحدثون

ص ٢٥ ) .

١٢١٠ المصدر السابق .

١٢١١ المصدر السابق .

١٢١٢ المصدر السابق .

- على الشريعة الاسلامية ، وبالتالي هو انتهاء الاسلام من الوجود - لا سمح الله - . ويمكن رد اعتراضهم من وجوه هي :
- ١ - فقول الجمهور : < على ان خبر الواحد الثقة حجة يلزم به العمل > <sup>١١١</sup>
  - ٢ - قال ابن حزم : < ان خبر الواحد العدل من مثله الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوجب العلم والعمل معا > <sup>١١٢</sup> .
  - ٣ - قال ابن القيم في اغاثة اللهفان ما ملخصه : < ولا ترد أحاديث الصحابة وأحاديث الأئمة الثقات ، بتفرد الراوي ، فكم من حديث تفرد به واحد من الصحابة ، وقبله الأئمة كلهم ، فلم يرده واحد منهم ، وكم من حديث تفرد به واحد من التابعين ولم يرده أحد من الأئمة ... > <sup>١١٣</sup> .
  - ٤ - تواتر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ارسال امرائه وقضاته ورسله وسعاته الى الأفاق وهم أحاد ، ولا يرسلهم الا لقبض الصدقات وحل العهود وتقريرها وتبليغ أحكام الشرع ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يلزم أهل النواحي قبول قول من يرسلهم اليهم . ولو لم يكن خبر الواحد حجة لما ألزمهم بذلك <sup>١١٤</sup> .
  - ٥ - ان العامي بالاجماع مأمور باتباع المفتين وتصديقه ، مع انه ربما يخبر عن باطنه ، فالذي يخبر بالسمع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يشك فيه أولى بالتصديق والقبول والعمل بموجب خبره <sup>١١٥</sup> .
  - ٦ - اننا مأمورون بالحكم بشهادة اثنين مع ان هذه الشهادة تحتل الكذب ، فلو كان العمل بها لا يجوز الا بانتفاء احتمال الكذب بصورة قاطعة لما علمنا بها ، فاذا وجب العمل بالشهادة مع احتمالها الكذب ، فانه لذلك يجب العمل برواية الأحاد عن النبي - عليه السلام - أولى <sup>١١٦</sup> .
  - ٧ - وأمر رسول الله أنيسا ان يغدوا على امرأة رجل ذكر انها زنت ، فإن اعترفت فارجمها ) ، فاعترفت فرجمها <sup>١١٧</sup> .
- فلو لم يكن خبر الأحاد حجة لما قام رجل واحد في التأكد من الزنى ، والقيام بالرجم ، وهي حدود يجب الدقة في تطبيقها ، لأن الخطأ اذا وقع لا يمكن تداركه .

١٢١٣ شرح مدمة مسلم ، للنووي ، ٦٢/١ ( عن علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٢١١ )

١٢١٤ الاحكام في اصول الاحكام ، لابن حزم ، ١١٩/١ - ١٣٧ ( عن علوم الحديث ، د . صبحي ، ص ٢١١ )

١٢١٥ عن كتاب الحديث والمحدثين ، محمد ابو زهو ، ص ٢٦

١٢١٦ الوجيز في اصول الفقه لعبدالكريم زيدان ، ص ١٥٧

١٢١٧ المصدر السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٨

١٢١٨ المصدر السابق ، ص ١٥٨

١٢١٩ الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤١٠ رقم ١١٢٥

٨ - عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : > بينما الناس بقباء في صلاة الصبح ، اذ أتاهم أت ، فقال : إن رسول الله قد أنزل عليه قرآن ، وقد أمر ان يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام ، فاستداروا الي الكعبة < ١١٣ .

فتغيير فرض كان عليه الصحابة ، لا يمكن ان يبذل الا بقيام حجة يجب العمل بها .

٩ - عن أنس بن مالك قال : > كنت أسقي أبا طلحة وأبا عبيدة بين الجراح وأبي بن كعب شرابا في فضيح وتمر ، فجاءهم أت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال ابو طلحة : قم يا أنس الي هذه الجرار فاكسروها ، فقامت الي مھراس ١١٤ لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت < ١١٤ .

فلو لم يكن خبر الواحد حجر لترتب علي عملهم هذا :

أ - قد حرموا حلالا ، وهو تحريم الخمر الذي كان مباحا قبل تحريمه  
ب - قاموا بتلف أموال المسلمين وهي كسر الجرار ، واهراق الخمر ، وهذا لا يفعله الصحابة الكرام لانه اسراف وتبذير .

ومن هنا يتبين لنا ان خبر الواحد حجة في شرع الله ، ولا يمكن مخالفته ..

١٠ - اجماع الصحابة في حوادث لا تحصى ١١٥ على قبول خبر الواحد ، والعمل به ، فأبوبكر - رضي الله عنه - ورث المرأة في دية زوجها لورود السنة بذلك ، وهي سنة آحاد ، وأخذ الجزية من المجوس بسنة آحاد ، وهكذا عل الصحابة الآخرون ، فيما بلغهم من أخبار الآحاد ١١٦ .

فنظرة سريعة الي هذه البيانات التي ذكرتها ، نجدها تشمل الشريعة الاسلامية بأكملها ، من العبادات والمعاملات والحدود ... الخ ، وكلها قد وردت بخبر الآحاد ، وكانت حجة على الصحابة والتابعين وتابع التابعين الي يومنا هذا ، فلا يمكن ان ينسلخ منها الا من لا حظ له في الاسلام .

١٢٢٠ المصدر السابق ، ص ٤٠٦

١٢٢١ المھراس : حجر مستطيل منقور يتوضأ به .. ( هامش الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤٠٩ )

١٢٢٢ الرسالة للامام الشافعي ، ص ٤٠٩ ، رقم ١١٢٠

١٢٢٣ من أراد المزيد من البيان على حجة سنة الآحاد ، فليراجع ( الرسالة للامام الشافعي ، من ٤٠١ - ٤٧١ )

١٢٢٤ الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم زيدان ، ص ١٥٨

- الاعتراض الثالث < التعارض بين الأحاديث الصحيحة > :

النظرة البسيطة والسطحية وضيق الأفق تعصي للدارس لهذا العلم فكرة التعارض بين الأحاديث الصحيحة ، ما لم تكن له نظرة ثاقبة ، وعلم واسع ، ودراية وحنكة في كثرة النظر في هذا العلم حتى يستطيع التوفيق بينها ، بتقييد المطلق وتخصيص العام ، أو بحملها على تعدد الحادثة التي جاء من أجلها الحديث .

وهذا العلم من أهم العلوم .. قال الامام السخاوي فيه :

< هو من أهم الأنواع ، مضطر اليه جميع الطوائف من العلماء ، وانما يكمل للقيام به من كان إماما جامعاً لصناعتي الحديث والفقه ، غائصاً على المعاني الدقيقة ><sup>١٢٢٥</sup> .

وهذا التعارض يقع في الأحوال الآتية :

- الحالة الأولى < عدم الإحاطة بعلم مختلف الحديث > :

فالذي يجهل هذا العلم يقع بكثير من الأخطاء ، ويتعثر سيره ، ويرتبك طلبه ، لا بل يكون معولاً هداماً في السنة ، لانه يتصور ان فيها تناقض فيزهد بها . ولكن عند الاحاطة بعلم مختلف الحديث يستطيع المرء ان يوفق بين جميع الروايات ، فيكون التناسق بينهما ..

ومن أمثلة ذلك : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن استقبال القبلة في الاستنجاء ، فذهب قوم الى عموم هذا الحكم ، وكونه غير منسوخ ، ورأه جابر يبول قبل ان يتوفى بعام مستقبل القبلة ، فذهب الى انه نسخ للنهي المتقدم .. ورأه ابن عمر قضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام ، فرد به قولهم .

جمع قوم بين الروايتين ، فذهب الشعبي وغيبه الى ان النهي مختص بالصحراء ، فإذا كان في المراحيض فلا بأس بالاستقبال والاستدبار ، وذهب قوم الى ان القول عام محكم ، والفعل يحتمل كونه خاصاً بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلا ينتهز ناسخاً ولا مخصصاً<sup>١٢٢٦</sup>

وهذه الاحتمالات تجعل سعة أفق للتطبيق واختيار الرأي الذي ما يناسبه بعد الاطلاع على الدليل الذي مسنده حجة .

١٢٢٥ فتح المغيث للسخاوي ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ عن اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤

١٢٢٦ الانصاف في بيان اسباب الاختلاف للدهلوي ، ص ٣٠

- الحالة الثانية < الاختلاف الواقع بين الزئمة > :

وهذا الاختلاف يضعف حجية السنة ، ويحيط السنة بالشك وعدم قابليتها للاتساع حتى تشمل جميع النظم .  
ولكن عند النظر لهذا الاختلاف نظرة فاحصة دقيقة ، والاطلاع على اعذارهم ، يفتح للمسلم باب التوفيق ، والاجمع بين هذه الأحاديث — وهذه الأعذار ثلاثة أصناف :

- أ - عدم اعتقاده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله<sup>١٢٢٧</sup> .
- ب - عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك الرسول<sup>١٢٢٨</sup> .
- ج - اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ<sup>١٢٢٩</sup> .

وهذه الأعذار لها اسباب متعددة .. منها :

(١) السبب الأول :

ان لا يكون الحديث قد بلغه ، ومن لم يبلغه الحديث ، لم يكلف ان يكون عالما بموجبه .. وهذا السبب : هو الغالب على اكثر ما يوجد من أقوال السلف ، مخالفا لبعض الأحاديث<sup>١٢٣٠</sup> .

فقد يحدث هذا الأمر وهو عدم وصول حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الناس جميعا ، لأن العلماء كل قد أخذ بقدر همته وسعيه ، واطلاعه على الأحاديث التي وصلت اليه في بلده أو البلدان التي رحل اليها والعلماء الذين اتصل بهم .. ولقد كان تفاوت الصحابة بين اكثر ومتوسط ومقل وهم الصفوة في الخلق ، فنجد أبا بكر - رضي الله عنه - لما سئل عن ميراث الجدة ، قال : < مالك في كتاب الله من شيء ، ولكن أسأل الناس > فسألهم ، فقام المغيرة بن شعبة ، ومحمد بن مسلمة - رضي الله عنهما - فشهدا < أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطاهما السدس ><sup>١٢٣١</sup> .

وكذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لم يكن يعلم سنة الاستئذان ، حتى أخبره بها أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - واستشهد بالأنصار<sup>١٢٣٢</sup> .

١٢٢٧ رفع الملام عن الأئمة الاعلام ، ابن تيمية ، ص ١٠

١٢٢٨ المصدر السابق .

١٢٢٩ المصدر السابق .

١٢٣٠ المصدر السابق .

١٢٣١ رواه احمد وابو داود والترمذي ، عن رفع الملام ، ص ١٢

١٢٣٢ رواه البخاري عن ابي سعيد الخدري - رضي الله عنه - فتح الباري ٤٣/١١ ، عن رفع الملام ، ص ١٢

هذا باب واسع لا يمكن الاطاعة به أوالتوسع به في مثل هذه المقدمة.

(٢) السبب الثاني :

> أن يكون الحديث قد بلغه ، لكنه لم يثبت عنده ، اما لأن محدثه ، أو محدث محدثه ، أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده ، أو متهم ، أو سيء الحفظ .. الخ<sup>١٣٣</sup> .

وقد يكون ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره باسناد متصل .. او لتلك الرواية من الشواهد والمتابعات ما يبين صحتها، فقد بلغت الأحاديث لكثير من العلماء من طرق ضعيفه ، ولغيرهم من طرق صحيحة غير تلك الطرق التي ضعفها الآخرون ، فتكون حجة من هذا الوجه ، مع انها لم تبلغ من خالفها من الوجه الآخر<sup>١٣٤</sup> .

(٣) السبب الثالث :

اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره ، مع قطع النظر عن طريق آخر ، سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما<sup>١٣٥</sup> .  
ويحدث هذا الأمر لأسباب الآتية :

أ - تفاوت الموازين بين العلماء في الجرح والتعديل .  
ب - اطلاع احد العلماء على حالة من رجال السند لم يطلع عليها الآخر .

ج - ان يكون للمحدث حالان : حال استقامة ، وحال اضطراب .. فما حدث في الاستقامة فهو صحيح ، وما حدث في حال الاضطراب فهو ضعيف<sup>١٣٦</sup> .

(٤) السبب الرابع :

اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ : شروطا يخالفه فيها غيره<sup>١٣٧</sup> .  
ومن هذه الشروط :

١٢٣٣ رفع الملام عن الأئمة الاعلام ، ص ١٨

١٢٣٤ المصدر السابق - بتصرف - ص ١٩

١٢٣٥ المصدر السابق ، ص ١٩

١٢٣٦ المصدر السابق - بتصرف - ص ٢٠

١٢٣٧ المصدر السابق ، ص ٢١

- عرض الحديث علي الكتاب والسنة .
  - واشتراط بعضهم ان يكون المحدث فقيها اذا خالف قياس الأصول .
  - واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره<sup>١٢٣٨</sup> .
- هذه الشروط وتفاوت درجاتها بين العلماء ، مما كون بعض الاختلافات في الأخذ من الأحاديث النبوية .

نكتفي بهذه الأسباب ، ومن أراد التفصيل ، فليراجع المصادر<sup>١٢٣٩</sup> في هذا الباب ..

#### - الحالة الثالثة < تفاوت رتب الحديث > :

فالحديث النبوي الشريف لم يكن على درجة واحدة في الصحة ، وانما مراتب الصحة تتفاوت بين حديث وآخر من حيث المتن والسند أو أحدهما ، فنجد الثقة في راوي الحديث ، والأوثق وبينهما مراتب دقيقة يعرفها من مارس هذا الفن من الجهابذة العلماء ، الذين اكتسبوا خبرة بهذا الفن من كثرة تجاربهم ، وغزارة علمهم ، ودقة مقاييسهم ، وكثرة صلتهم بالله ، وطلب العون منه ، والتوكل عليه ، فأثار قلوبهم ..

أ - قال النووي - رحمه الله - : < الصحيح أقسام : أعلاهما ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ثم ما انفرد به البخاري ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرطهما وان لم يخرجاه ، ثم على شرط البخاري ، ثم على شرط مسلم ، ثم ما صححه غيرهما من الأئمة ><sup>١٢٤٠</sup> .

فهذه سبعة أقسام ، أي انها سبعة مراتب تكون قوتها حسب الترتيب الذي أورده الامام النووي - رحمه الله - ، أي انه اذا ورد حديث اتفق عليه البخاري ومسلم يقيم على ما انفرد به البخاري ، واذا وجد ما انفرد به البخاري يقيم على ما انفرد به مسلم ، وهكذا .. وعلي هذا الأساس تنطبق أصول الأحكام ، فيزول الالتباس الذي يؤدي الى الاختلاف بين العلماء ، عند معرفة درجة الحديث وكيفية تقديم الراجح على المرجوح ، والأوثق على الثقة ..

١٢٣٨ المصدر السابق .

١٢٣٩ من أراد الاستزادة من هذه الاسباب فليراجع كتاب رفع الملام عن الأئمة الاعلام .

١٢٤٠ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للقاسمي ، ص ٨٢

ب - وكذلك تتفاوت رتب الصحيح بسبب تفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح في القوة<sup>١٢٤١</sup> . فما يكون رواته في الدرجة العليا من العدالة والضبط ، وسائر الصفات التي توجب الترجيح ، كان أصح الأسانيد ، كالزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه ، ولحمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلماني عن علي ، وكابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود .. الخ<sup>١٢٤٢</sup> .

ج - وتتفاوت كذلك رتب الصحيح بتفاوت الأمصار التي روته ، قال الامام تقي الدين بن تيمية - رحمه الله تعالى - : < اتفق أهل العلم بالحديث ، على ان أصح الأحاديث ، ما رواه أهل المدينة ، ثم أهل البصرة ، ثم أهل الشام ><sup>١٢٤٣</sup> .

د - كذلك يحدث التفاوت بتفاوت الصحابة في رواية الأحاديث .. للأسباب الآتية :

(١) الاشتغال بالخلافة والحروب عاق كثيرا من الصحابة عن تحمل الحديث وروايته كما في الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير ، وعلى العكس من ذلك ، مكن التفرغ من هذه الشواغل لكثير من الصحابة في كثرة التحمل والأداء ، كما في أبي هريرة ، وعائشة ، وابن عمر ، وغيرهم<sup>١٢٤٤</sup> .

(٢) طول الصحبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وكثرة ملازمته سفرا وحضرا ، وانفساح الأجل بعد وفاته ، كان مدعاة للأكثر من تحمل الحديث وروايته ، كما في أبي هريرة ، وجابر ، وأنس<sup>١٢٤٥</sup> ..

(٣) وقوع الفتنة والكذب في الحديث من بعض الفرق .. كل ذلك كان داعيا الى قلة الأحاديث التي تروى ، والى التشدد فيمن يؤخذ عنه الحديث من الرواة<sup>١٢٤٦</sup> .

هذه الفتنة جعلت من هو قريب منها واكتوى بنارها جعلته يتريث في الأخذ بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حذرا وخوفا من الوقوع في الكذب .

بينما البعيد عن تلك الفتنة كان هادئ البال ، مطمئن النفس ،

١٢٤١ المصدر السابق ، ص ٨٠

١٢٤٢ المصدر السابق .

١٢٤٣ المصدر السابق ، ص ٨١

١٢٤٤ مكانة السنة في الاسلام ، د . محمد ابوزهو ، ص ٤٥

١٢٤٥ المصدر السابق .

١٢٤٦ المصدر السابق ، بتصريف .

ينهل من الحديث النبوي بكل ما أوتى من همة وذكاء ، فكان له من الذوق والمشرب والسقي الحثيث ، ما جعله يغترف بالكيل الأوفى ، مما جعل التفاوت شاسع في الحصول والطلب .  
(٤) كثرة الاتباع وقلتهم ، ونشاطهم وخمولهم ، كان له أكبر الأثر في كثرة الرواية وقلتها عن الصحابة - رضي الله عنهم -<sup>١٢٤٧</sup> .

وهذا التفاوت كان له أكبر الأثر على الأمة الاسلامية حول أخذها بالسنة وعدم أخذها ، وهذا التفاوت في الأخذ من السنة ، لم يكن التفاوت تقديمهم في السنة أو الاختلاف تقديرهم للسنة ، وانما هو تطبيقهم بما يملكون ، والعمل بما يعلمون ، وهو حقيقة التكليف الشرعي .

#### - الحالة الرابعة > الناسخ والمنسوخ <<sup>١٢٤٨</sup> :

فالناسخ والمنسوخ طريق شائك ، منحدر تزل فيه الأقدام ، وتدق فيه الأعناق ، والجاهل في هذا العلم يهلك ، ويهلك غيره ، لانه لا يستطيع ان يميز بين الاحكام ، فيجد في السنة أشياء كثيرة متضاربة ، فيقع في الحرام ، ويترك كثيرا من الاحكام .

وقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - :  
> انه دخل يوما مسجد الجامع بالكوفة ، فرأى فيه رجلا يعرف بعبد الرحمن بن داب<sup>١٢٤٩</sup> ، وكان صاحبا لأبي موسى الأشعري<sup>١٢٥٠</sup> ، وقد تحلق الناس عليه يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي ، والاباحة بالحظر . فقال له علي - رضي الله عنه - : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت ... الخ <<sup>١٢٥١</sup> .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم ما يجب ان يعرفه كل من يتصدى

١٢٤٧ مكانة السنة في الاسلام ، ص ٤٥

١٢٤٨ النسخ في اللغة : الإزالة والنقل . وفي الاصطلاح : رفع الحكم الشرعي لبطل شرعي متأخر عنه ، ويسمى هذا الدليل بالناسخ ، ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ ، ويسمى هذا الرقع بالنسخ ( عن كتاب الوجيز في اصول الفقه ، د . عبدالكريم ، ص ٢٥١ ) .

١٢٤٩ ويتبين من ظاهر القصة انه قاص غير عالم ، بشهادة الامام علي - رضي الله عنه - ( حاشية كتاب الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل ، هبة الله المقرئ ، ص ١٨ ) .

١٢٥٠ ابو موسى الأشعري : هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار جليل مشهور ، أمرة عمر ثم عثمان - رضي الله عنهم - وكان من كبار علماء الصحابة ، ومن وجوه اصحاب علي يوم صفين . توفي عام ٥٠ ، وقيل بعده ( حاشية ناسخ والمنسوخ ، هبة الله المقرئ ، ص ١٨ )

١٢٥١ الناسخ والمنسوخ ، هبة الله المقرئ ، ص ١٨

للبحث في أحكام الشريعة ، إذ لا يمكن للباحث ان يستنبط الأحكام من أدلتها من غير ان يعرف الأدلة الناسخة والمنسوخة<sup>١٢٥٢</sup> .

فهذا العلم بمتابفة الأساس لبناء الأحكام<sup>١٢٥٣</sup> . ومسائل الاجتهاد ، وعليه بناء الشريعة الفراء ، والجهل فيه بمتابفة البناء على الماد ، أو وضع البناء على جرف هار يهوي بالأمة ، الى التنافر والتباعد والاختلاف ، والاستهانة بالسنة .

يقول الحازمي : > هذا الفن من تتمات الاجتهاد ، إذ الركن الأعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل ، ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ ، إذ الخطب في ظواهر الأخبار يسير ، وتجشم كلفها غير عسير ، وانما الإشكال في كيفية استنباط الأحكام من خفايا النصوص ، ومن التحقيق فيها معرفة أول الأمرين وآخرهما الى غير ذلك من المعاني <<sup>١٢٥٤</sup> .

ولم يكن علم الناسخ والمنسوخ قد وقع في الشريعة الاسلامية عبثا ، وانما وقع لحكم جليلة ، ولاعتبارات لا بد منها في البناء ، ولو تجاوزها الشرع الاسلامي لحدث الخلل المخيف الذي يعرضها للتزعزع والانهيال .

ومن تلك الحكم : > ضرورة التدرج بالناس في دحض الجاهلية الى علو المثالية الاسلامية <<sup>١٢٥٥</sup> .

ولمعرفة الناسخ من المنسوخ نحتاج الى أمور :

- ١٢٥٢ اصول الحديث ، د . عجاج ، ص ٢٨٨
- ١٢٥٣ ولأهمية هذا العلم فقد صنفت فيه المؤلفات خاصة ، فمن أقدم ما صنف كتاب ( الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي - ٦١ - ١١٨ هـ - ، ومن اشهر الكتب الأخرى في ( ناسخ الحديث ومنسوخه ) للحافظ ابي بكر احمد بن محمد الأثرم - ٢٦١ هـ - ولا يزال هذا الكتاب محفوظا ، ومن اجمع ما وصل من مؤلفات القرن السابع كتاب ( ناسخ الحديث ومنسوخه ) لمحدث العراق ابي حنيفة عمر احمد البغدادي المعروف بابن شاهين - ٢٩٧ - ٣٨٥ هـ - ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا . ومن اجمع ما صنف بعد ذلك في هذا العلم كتاب ( الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ) للامام الحافظ النسابة ابي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني - ٥٤٨ - ٥٨٤ هـ ) عن كتاب اصول الحديث ، د . عجاج ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وكذلك من الكتب في هذا الباب ( الناسخ والمنسوخ ) للامام احمد ، ( تجريد الاحاديث المنسوخة ) لابن الجوزي > عن كتاب تيسير مصطلح الحديث للطحان ، ص ٥٩ < .

١٢٥٤ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، ص ٣ - ٤ ( عن كتاب الحديث ، د . عجاج ص ٢٨٩ )

١٢٥٥ منهج النقد في علوم الحديث ، د . عتر ، ص ٣٣٦

- ١ - تصريح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذلك :  
أ - مثل حديث : ( كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها )<sup>١٢٥٦</sup> .
- ب - وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة ليتسع ذوو الطول على من لا طول له ، فكلوا ما بدا لكم ، واطعموا ، وادخروا )<sup>١٢٥٧</sup> .
- ٢ - بنص الصحابي :  
فالصحابية الكرام كلم ثقة ، وقد طهر الله قلوبهم ، برفقتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكانت موازينهم دقيقة في أحكامهم ..  
مثال ذلك :  
ما جاء في قول جابر بن عبد الله - رضي الله عنه : > كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار <<sup>١٢٥٨</sup> أي أن الوضوء مما مسته النار منسوخ ، وعدم الوضوء ناسخ .
- ٣ - بطريقة التاريخ والسيره :  
عند التعارض بين حديثين ، يكون الحديث المتأخر في الزمن ناسخا للحديث المتقدم .. مثال ذلك :  
الحديث الذي رواه شداد بن أوس - رضي الله عنه - وغيره من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى على رجل يحتجم في رمضان ، فقال : ( افطر الحاجم والمحجوم )<sup>١٢٥٩</sup> . وفي رواية ان المحتجم كان جعفر بن أبي طالب<sup>١٢٦٠</sup> .  
وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : > أن النبي - صلى الله
- ١٢٥٦ رواه مسلم > عن كتاب المنهل الراوي من تقريب النواوي ، ص ١٥٧ ، والترمذي وصححه . وانظر منتقى الأخبار لابن تيمية ، نيل الأوطار للشوكاني ١١٧/٤ ( عن كتاب لمحات في اصول الحديث والبلاغة النبوية ، د . ابيب ، ص ٨٣ ) ، تدريب الراوي ج ٢ ص ١٩٠ ، ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ، ص ٣٤ .
- ١٢٥٧ رواه احمد ومسلم والترمذي ، وانظر نيل الأوطار للشوكاني ١٣٥/٥ عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٣ .
- ١٢٥٨ رواه ابو داود وغيره ( عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٤ ) . تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٠ ابو داود ٤٩٠/١ ، والنسائي : ٩٠/١ وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما .
- ١٢٥٩ رواه الترمذي في الصوم ٩٦/١ ، وابوداود ٣٠٨/٢ ، وابن ماجه ٥٣٧/١ ( عن كتاب منهج النقد ، ص ٣٣٦ ) .
- ١٢٦٠ رواه الدارقطني ( عن كتاب لمحات في اصول الحديث ، ص ٨٤ )

عليه وسلم - احتجم وهو صائم <sup>١٢٦١</sup> .  
وقد ذكر الامام الشافعي ان الحديث الثاني ناسخ للأول ، بدليل ان  
حديث شداد كان في زمن فتح مكة سنة ثمان للهجرة ، وحديث ابن عباس  
كان في حجة الوداع سنة عشر ، فيكون الثاني ناسخا للأول <sup>١٢٦٢</sup> .

٤ - ما عرف بدلالة الاجماع :  
فالاجماع لا ينسخ حديثا ، ولكن يدل على ناسخ <sup>١٢٦٣</sup> .. من الأمثلة  
علي ذلك حديث : ( قتل شارب الخمر في الرابعة ) ، والحديث : ( من شرب  
الخمر فاجلدوه ، فان عاد في الرابعة فاقتلوه ) <sup>١٢٦٤</sup> .  
فقد دل الاجماع على نسخ الحديث ..

فعند النظرة الشاملة العميقة لا نجد تضاربا ولا تناقضا في الأحكام  
الشرعية التي جاءت بها السنة المطهرة ، وانما النقص في ضيق الأفق  
وجهل الناقد ، فالتبحر الغائص في أعماق السنة يتبين له في النسخ حكم  
جليلة منها :

التدرج <sup>١٢٦٥</sup> في الأحكام التي هي بمثابة سلم الارتقاء .

وكذلك في النسخ الرحمة بالامة للتخفيف عنهم <sup>١٢٦٦</sup> .

وكذلك من حكمة النسخ يتبين لنا ان التبديل من عند الله سبحانه  
وتعالى ، ولم يكن لأحد من الأمر أو الحق في التغيير ، وانما له الأمر

- 
- ١٢٦١ اخبره البخاري في الطب ، ١٢٥/٧  
١٢٦٢ انظر في كتاب الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي ٤ - ١٠ ( عن كتاب منهج النقد ،  
ص ٣٣٧ ) .  
١٢٦٣ تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٢  
١٢٦٤ رواه ابو داود والترمذي ( عن كتاب هامش تدريب الراوي ، ج ٢ ص ١٩٢ ) .  
١٢٦٥ النسخ في علم الاصول معناه : رفع حكم شرعي بدليل شرعي لاحق وسببه التيسير على الناس والتدرج  
في التشريع وتغيير احكام المعاملات بتغيير الازمان - فلسفة التشريع الاسلامي للمحمصاني ، ص ١٠٩ )  
عن كتاب الاصول الاسلامية ، ص ٩٣ ) .  
١٢٦٦ الرسالة ، ص ١٠٦

والخلق<sup>١٢٦٧</sup> ، وان النسخ يثبت انه لا يمتنع على الله شيء ، وان إرادة الله لا تحد ، وان النسخ في فعله ووحيه<sup>١٢٦٨</sup> ..

فالأحكام الشرعية المبنية على التدرج والرحمة والتخفيف ، ولم يكن لأحد القدرة على التغيير والتبديل فيها ، وان الأمر كله لله ، وهو القادر على كل شيء ، فإن هذه الأحكام الشرعية تكون قوية البناء ، لا تؤثر فيها العواصف ، ولا تززع أركانها تغير الظروف والأحوال .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

١٢٦٧ من قوله تعالى : « واذا تلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا أنت بقراًن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ، ان اتبع الا ما يوحى اليّ ، اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ) يونس : ١٥٠ . قال الامام الشافعي في هذه الآية : فأخبر انه فرض على نبيه اتباع ما يوحى اليه ، ولم يجعل له تبدله من تلقاء نفسه - الرسالة ص ١٠٧

١٢٦٨ المستصفي للغزالي ، ص ١١٢ ( من كتاب الاصول الاسلامية منهجها وأبعادها ، ص ٩٦ ) .

## الباب الثاني

### << البدعة >>

الفصل الأول : البدعة في اللغة - البدعة في الدين .

الفصل الثاني : مضار البدع

الفصل الثالث : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسباب الابتداع .

المبحث الثاني : كيف نقضي على البدع .

## الفصل الأول

### البدعة في اللغة - البدعة في الدين

#### البدعة في اللغة :

- . بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : انشأه وبدأه<sup>١٢٦٦</sup> .
- . وبدع الركبة<sup>١٢٦٧</sup> : استنبطها وأحدثها<sup>١٢٦٨</sup> .
- . وركى بديع : حديثه الحضر<sup>١٢٦٩</sup> .
- . البديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا<sup>١٢٧٠</sup> ..
- . وفي التنزيل : « قل ما كنت بدعا من الرسل »<sup>١٢٧١</sup> ، أي : ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير .
- . واستبدعه : عدة بديعا<sup>١٢٧٢</sup> .
- . والبديع : المحدث العجيب<sup>١٢٧٣</sup> .
- . والبديع : المبدع<sup>١٢٧٤</sup> .
- . وبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال<sup>١٢٧٥</sup> .
- . والبديع : في أسماء الله تعالى ، لإبداعه الأشياء وأحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء<sup>١٢٧٦</sup> ، ويجوز أن يكون بمعنى < مبدع > أو يكون من

١٢٦٦ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٤ ، الوافي ص ٣١ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٢ ، الرائد ج ١ ص ٣١٠

١٢٦٧ الركبة : البئر ذات ماء < منجد الطلاب ، ص ٢٦١ >

١٢٦٨ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٤ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٢ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٤

١٢٦٩ لسان العرب ج ١ ص ١٧٤

١٢٧٠ لسان العرب ج ١ ص ١٧٤ ، الوافي ص ٣١ ، المصباح المنير ج ١ ص ٢٨ ، الرائد ج ١ ص ٣١٠ ،

القاموس المحيط ج ٣ ص ٣

١٢٧١ الأحقاف : ١٠

١٢٧٢ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٢٧٣ المصدر السابق .

١٢٧٤ المصدر السابق .

١٢٧٥ المصدر السابق .

١٢٧٦ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، الوافي ص ٣١

بدع الخلق أي بدأه ، والله تعالى قال : « بديع السموات والأرض »<sup>١٢٨٠</sup> أي خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثل سابق<sup>١٢٨١</sup> . قال أبو اسحاق : يعني انه أنشأها على غير حذاء ولا مثال .

وسقا بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع<sup>١٢٨٢</sup> .

وقال الأزهري : حبل بديع : جديد<sup>١٢٨٣</sup> .

ورجل بدع ، وإمرأة بدعة : إذا كان غاية في كل شيء ، كان عالما أو شريفا أو شجاعا<sup>١٢٨٤</sup> .

وأبدعت الابل : بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال ، وأبدعت هي : كلت أو عطبت ، وقيل : لا يكون الابداع الا بظلع . ويقال : أبدعت به راحلته إذا طلعت<sup>١٢٨٥</sup> .

وابدعوا به : ضربوه<sup>١٢٨٦</sup> . وابدع يمينا : أوحها<sup>١٢٨٧</sup> .

عن ابن الاعرابي : وابدع بالسفر وبالحج : عزم عليه<sup>١٢٨٨</sup> .

ويقال ابتدع فلان بدعة : إذا ابتدأ طريقة لم يسبق اليها<sup>١٢٨٩</sup> .

#### العرض والتحليل للمعاني السابقة :

عند النظر لهذه المعاني والتمعن فيها نجد معظمها يدور حول الاحداث والاختراع ، وهذه المعاني من الناحية الدنيوية ، فلا ضرر فيها ولا حرج على عقول المسلمين منها ، ما دامت لا تهدم الأصول التي وضعتها الشريعة الغراء .

فالبدعة على هذا الأساس تشمل الصناعات والاختراعات والتحسينات في الأعمال ، والابتكار ، وكل هذه الاشياء ، يجب ان يبرز فيها المسلم قبل غيره ، لانها من ضروريات الحياة .

١٢٨٠ البقرة : ١١٧ .

١٢٨١ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٢٨٢ المصدر السابق .

١٢٨٣ المصدر السابق .

١٢٨٤ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٣

١٢٨٥ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٤

١٢٨٦ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٢٨٧ المصدر السابق .

١٢٨٨ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥ ، الوافي ص ٣١

١٢٨٩ اصول في البدع والسنن ، ص ١٨

وقد احاط الشرع تلك المنافع الدنيوية بحماية لها للمحافظة عليها :  
> فأوجب المحافظة على قاعدة العدل ، ودرء المفسد ، وجلب المصالح < ١٣١ > .  
فقد دارت معظم معاني مادة البدعة في الجديد ، والاختراع والغاية ،  
والعزم ، وكل هذه المعاني ، تحتاج لبذل النفس والنفيس ، وعليها يبني  
صرح الحضارة . وفيها تكمن قوة الأمة وعزها .

وعلى هذا الأساس فقد أوجبها بعض العلماء ، ما لم تخالف الشريعة  
الإسلامية .

ويقول الشيخ محمد نجيب في رسالته عن البدعة :  
> وأما البدعة التي قسمها العلماء الى واجب وحرام ... فهي  
البدعة اللغوية ، وهي أعم من الشرعية ، لأن الشرعية قسم منها < ١٣٢ > .  
ومع ان البدعة في الدنيا مباحة ، وواجبة ، فقد تصل في حالات  
خاصة الى التحريم .

ومن ذلك : > بدعة التحسين والتقبيح بالعقل بدلا من الشرع ، وبدعة  
انكار حجية السنة ، أو انكار وجوب العمل بما تقتضيه < ١٣٣ > .  
والبدعة في الجوانب الدنيوية لها أفق واسع ومعاني كثيرة ، وباب  
يؤدي الى ساحة تسمح لجميع أصحاب العقول من الحكماء والعلماء والقادة  
أن ينهلوا من معينها .. ومن معانيها :

١ - الوصول الى القمة في كل شيء :

وقد ورد هذا المعنى في مادة البدعة ، فقليل بدع : يبدع بداعة وبدوعا  
: كان غاية في كل شيء فهو بدع ، وهي بدعة ١٣٤ .  
ب - قوة الحجة ودحض الفكرة :

فكلمة البدعة تتسع لهذا المعنى مما يدل على غزارة معناها ومبناها  
من الناحية اللغوية ، وفي هذا المجال تفتح أفقا واسعة أمام العلماء .  
وقد ورد معنى أبدع : أبطل ، يقال : > أبدعت حجته < أي :  
أبطلت ١٣٥ > .

ج - حصر معناها بالحبس والعاطفة :

١٢٩٠ المصدر السابق ، ص ٩١

١٢٩١ أحسن الكلام ص ٦ ، وقد نقل هذا الكلام عن أبي حجر الهيثمي في فتاويه الحديثية ص ٣٠٥ ط : الحلبي

١٢٩٢ البدعة ص ٣٥٩

١٢٩٣ الوافي ص ٣١

١٢٩٤ المصدر السابق

وقد يكون هذا المعنى يتداول بين جماعة معينة تهدف الى أفكار خاصة ، حددت هذا اللفظ بهذا المعنى ، ففيل < الإبتداعية > : نزعة في جميع فروع الفن تعرف بالعودة الى الطبيعة وايتار الحس والعاطفة على العقل والمنطق ، وتتميز بالخروج على أساليب القديما باستحداث أساليب جديدة<sup>١٢٩٥</sup> .

د - يحتمل المعنى الخير والشر أو المحج والذم :

ففيل < البدعة : اسم هيئة من الابتداع ، كالرفعة من الارتفاع ، وهي : كل شيء أحدث على غير مثال سابق ، سواء كان محمودا أو مذموما ><sup>١٢٩٦</sup> .

والبدع < بكسر الباء > يستعمل في الخير والشر<sup>١٢٩٧</sup> .

ورجل بدع : أي غمر<sup>١٢٩٨</sup> .

وقد مرت معنى البدعة بمعنى الاختراع لا على مثال<sup>١٢٩٩</sup> .

ولكن بعض العلماء يجعل فرقا بين الاختراع والابتداع ، فيذكر ابو هلال العسكري في كتابه < الفروق في اللغة > حيث يقول :  
< الفرق بين الاختراع والابتداع ، ان الابتداع اتخاذ ما لم يسبق الى مثله ، يقال أبدع فلان : إذا أتى بالشيء الغريب ، وأبدعه الله فهو مبدع وبديع .. ومنه قوله تعالى : « بديع السموات والأرض »<sup>١٣٠٠</sup> > .

فعند النظر لهذه المعاني الكثيرة للبدعة وما يتفرع منها ، نجد بعض العلماء يعطيها معنى عام ، وهو الاختراع ، والعزم ، والجديد . وبعضهم يخصصها ويجعل لها فرعا خاصا ، ويسميها بالشيء الغريب ..

قد تحتمل البدعة كل هذه المعاني ، كل حسب الزاوية التي ينظر اليها من العلماء والحكماء والفلاسفة واللغويين وأصحاب الفرق الأخرى .

١٢٩٥ المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣

١٢٩٦ البدعة ص ١٩٣

١٢٩٧ المصدر السابق

١٢٩٨ لم يجرب الأمر < حاشية البدعة ص ١٩٣ >

١٢٩٩ لسان العرب المحيط ج ١ ص ١٧٥

١٣٠٠ الفروق في اللغة < لأبي طلال العسكري ، ص ١٢٦ >

### البدعة في الدين :

- ١ - تعاريف تدل على ذم البدعة :
- ١ - عرفها الشيخ عز الدين بن عبد السلام ومن وافقه<sup>١٣٠١</sup> بأنها هي :  
> فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - <<sup>١٣٠٢</sup> .
- ٢ - ويقول ابن حجر العسقلاني :  
> والبدعة : أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق في الشرع في مقابل السنة ، فتكون مذمومة <<sup>١٣٠٣</sup> .
- ٣ - ويقول ابن رجب الحنبلي :  
> والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ،  
أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا ، وإن كان بدعة  
لغة <<sup>١٣٠٤</sup> .
- ٤ - وعرفها ابن حجر الهيتمي :  
> ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام <<sup>١٣٠٥</sup> .
- ٥ - وقال الزركشي :  
> البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم <<sup>١٣٠٦</sup> .
- ٦ - ويقول الشيخ نجيب :  
> إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة ، وأما البدعة  
التي قسمها العلماء الي واجب وحرام ... فهي البدعة اللغوية ، وهي أعم  
من الشرعية ، لأن الشرعية قسم منها <<sup>١٣٠٧</sup> .
- ٧ - ويرى الدكتور عبدالله دراز تعريف البدعة الشرعية بأنها لا تتناول  
إلا ما هو باطل في الصدر الأول ، فيقول :  
> وهي تلك الطرائق المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة  
، أو ما استنبط منهما <<sup>١٣٠٨</sup> .
- ٨ - ويعرف الامام الشاطبي ومن وافقه البدعة :

- 
- ١٣٠١ البدعة ص ١٩٨
  - ١٣٠٢ المصدر السابق
  - ١٣٠٣ المصدر السابق
  - ١٣٠٤ المصدر السابق
  - ١٣٠٥ المصدر السابق ص ١٩٩
  - ١٣٠٦ الابداع ص ٣١
  - ١٣٠٧ أحسن الكلام ص ٦
  - ١٣٠٨ الميزان بين السنة والبدعة ص ٥

- > المحدث المخالف للسنة الذي جعل ديننا قويمًا ، وصراطًا مستقيمًا < ٣٠١ >
- ٩ - وعرفت البدعة : > ما أحدث وليس له أصل في الشرع ، ويسمى في عرف الشرع بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة < ٣٠٢ > .
- ١٠ - وقال ابن الأثير : > وما أكثر ما يستعمل المبتدع عرفًا في الذم < ٣٠٣ > .
- ١١ - وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا :  
> البدعة إذا أطلقت يراد بها السيئة < ٣٠٤ > .
- ١٢ - وأخرج الهروي عن مالك قال :  
> إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبدالله وما البدع ؟ ، قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان < ٣٠٥ > .
- ١٣ - وعرفت البدعة : > هي الأمر المستحدث في الدين بعد إكماله ، دون أن يكون له أصل يرجع إليه ، من الكتاب ، أو السنة < ٣٠٦ > .
- ١٤ - البدعة : > هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي < ٣٠٧ > .
- ١٥ - وعرفت البدعة : > هي الفعلة المخالفة للسنة ، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام < ٣٠٨ > .

وعند النظر الى هذه التعريفات بدقة ، وإمعان فكر ، نرى أنها تدل على المعاني الآتية :

(١) أن الفعل الذي تدل عليه البدعة لم يكن في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

(٢) البدعة تطلق على الشيء المذموم ، مقابل السنة .

(٣) ان البدعة لا أصل لها في الشريعة الاسلامية ، ولذلك لا يمكن ان يكون لها سند ترجع اليه ، من كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس أو مصالح مرسله .

١٣٠٩ الاعتصام ج ١ ص ١٢٧

١٣١٠ عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ص ٣٦٢

١٣١١ البدعة ص ٢١٩

١٣١٢ المصدر السابق

١٣١٣ الاسلام والعقل ص ١٦٧

١٣١٤ مناهج الشريعة الاسلامية ج ٣ ص ٢٨٤

١٣١٥ التعريفات للجرجاني ص ٢٤

١٣١٦ المصدر السابق

- (٤) البدعة مخالفة للشريعة الاسلامية واحكامها .
- (٥) ان الالتزام بها هو بعد عن حقيقة الشريعة الاسلامية وروحها ، وان السير عليها يؤدي الى الانحراف والضلال .
- (٦) البدعة لها طرق متعددة منحرفة تؤدي كلها الى الهلاك .
- (٧) ان سالك هذا السبيل عليه وزر ، وليس له أجر .
- (٨) ان أصحاب البدع يقولون على الله ما لا يعلمون ، وقد يتعرض عدد منهم الى الوقوع في الكفر والهلاك ، بسبب الكلام في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه ، مما لا علم لهم به ، فيقعون في تحريف العقيدة .

وبعد تبين هذه المعاني يمكن تلخيص البدعة : بأنها هي التي لم يدل عليها دليل شرعي في كتاب أو سنة أو اجماع أو استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل .

## الفصل الثاني

### مضار البدع

أدلة هذا الغريق على ذم البدعة :

لقد استدل أصحاب هذا الرأي أن البدع كلها ضلالات ، يجب على المسلم أن يبتعد عنها ، مهما كان نوعها ، وذلك استنادا على الأدلة الآتية :

١ - ذم أهل البدع :

فقد ذم سبحانه وتعالى أهل البدع ، ووصفهم بأنهم أصحاب زيغ وضلال ، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يجني من عمله إلا الحسرة والندامة ، ولقد ورد هذا الذم في القرآن جملة ، قال تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله »<sup>١٣١٧</sup> .

فقد ذكر المفسرون<sup>١٣١٨</sup> :

« ان الذين يتبعون المتشابه من الكتاب ، هم أصحاب البدع > .  
ومع ذم أهل الأهواء والبدع ، فإن طريقهم الذي يسلكوه يؤدي بهم الى الابتعاد عن سبيل الاسلام وهدية ، فيؤدي بهم ذلك الى طرق كثيرة كلها بعيدة عن سبيل الرشاد الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده المقتفين شريعته ، فقد بين سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالى :  
« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »<sup>١٣١٩</sup> .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » : « أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن

١٣١٧ آل عمران : ٧

١٣١٨ مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٦٤ ، وصفوة البيان لمعاني القرآن ص ٧٢

١٣١٩ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٦٣٣

الاختلاف والتفرقة ، وأخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمرء  
والخصومات في دين الله > ٣٣٠ .

عن أبي الحجاج بن جبير المكي ٣٣١ - وهو من كبار التابعين وامام  
المفسرين - في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل » ، قال : > البدع  
والشبهات > ٣٣٢ .

٢ - انهم جعلوا أهواءهم معبودا لهم : فقد اتبع كثير من أصحاب الفرق  
أهواءهم . فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا ما أنزل الله بها من سلطان ،  
ولم يكن لهم سند من سنة ولا تفسير عن السلف الصالح .. ومن بدعهم :  
أ - منهم ٣٣٣ من يقول : > فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى  
والمجوس والزنادقة . مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا  
مؤمن ولا كافر ٣٣٤ .

ب - ومنهم الهشامية > أتباع هشام بن عمرو القوطي > وكان من  
حملة القدرية ، وزاد عليهم في بدع كثيرة - منها قوله : إنه لا يجوز لواحد  
من المسلمين ان يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ٣٣٥ . فخرق بهذا  
القول إجماع المسلمين .. وزعم انه لا يجوز ان يسمى ٣٣٦ « وكيفا » . خلاف  
قوله تعالى : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيفا » ٣٣٧ .  
ج - ومنهم الواصلية > أتباع واصل ٣٣٨ بن عطاء > - وهو رأس

١٣٢٠ الأنعام : ١٥٣

١٣٢١ هو الامام سعيد بن جبير > هامش اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للعلامة محمد جمال الدين  
القاسمي ص ١٠

١٣٢٢ اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ، ص ١٠

١٣٢٣ الجعفرية فرقة المعتزلة ، وهم اتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ، والقول لجعفر ابن مبشر ، التبصير  
في الدين ص ٧٨

١٣٢٤ التبصير في الدين ، للامام الاسفراييني ص ٧٨

١٣٢٥ آل عمران : ١٧٣

١٣٢٦ التبصير في الدين ، للامام الاسفراييني ، ص ٧٧

١٣٢٧ المزمّل : ٩

١٣٢٨ واصل بن عطاء : البصري ، المتكلم ، ولد بالمدينة في سنة ثمانين ، مات في سنة ٣١ ، قال المسعودي : >  
وهو قديم المعتزلة وشيخها ، واول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين > ، كان يجلس في سوق الغزالين  
فلقب له بالغزال .. حاشية الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٠ . وانظر لسان العرب : ٢١٤/٦ .  
والبدء والتاريخ ١٤١/٥ . وانظر في فصاحة البيان والتبيين للجاحظ : ٢١/١ وما بعدها . والكامل للمبرد :

المعتزلة - وكان واصل يقول : > إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، وانه في منزلة بين المنزلتين ، وحكمهم في الآخرة انهم مخلدون في النار مع الكفار . وان من خرج منهم من الدنيا قبل ان يتوب لم يجز لله تعالى ان يغفر له . مخالف في هذا القول جميع المسلمين > ١٣٣٠ .

د - ومنهم الجهمية > هؤلاء اتباع جهنم بن صفوان > - الذي قال بالجبر - وزعم : > ان العباد مضطرون الى أنواع يصرقهم كما يضطر الريح الى حركتها . ولم يثبتوا للعبد كسبا ولا استطاعة > ١٣٣١ .

هـ - ومنهم الصفيرية > وهم فرقة من الخوارج > : > يقولون في مرتكبي الذنوب ١٣٣٢ بأنهم كفرة ( وكذلك قالت الأزارقة من الخوارج بذلك > ١٣٣٣

وأهل البدع لا حصر لبدعهم وضلالتهم ، وهي كثيرة وذات درجات متفاوتة في مرتكب ذنب صغير الى فاسق حتى تصل الى الخروج من الملة الاسلامية ، فأهل البدع خالفوا النصوص من الكتاب والسنة صراحة وبدون دليل يرتكزون عليه لاقامة دعواهم .. فزعموا مزاعم كثيرة منها :

- زعموا انهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله ١٣٣٤ .. ردا لقوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » ١٣٣٥ .

- وانكروا ان يكون له يدان ١٣٣٦ : مع قوله تعالى : « لما خلقنا بيدتي » ١٣٣٦ .

وهكذا نجد جميع أهل البدع قد اتبعوا أهواءهم ، لا بل جعلوا لذاتهم وشهواتهم معبودا يتجهون اليه ، وقالوا على الله سبحانه وتعالى ما لم يقل ، وشرعوا ما لم يشرع في كتابه ولا سنة نبيه ، فكانت النتيجة ان تفرقت الأمة ، وذهب ريحها ، وخمدت شوكتها .

١٣٢٩ التبصير في الدين للاسفراييني ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

١٣٣٠ كتاب اصول الدين ، البغدادي ، ص ٣٢٢ .

١٣٣١ الذنوب الصغيرة والكبيرة يعتبر مرتكبها كافرا ، الفرق بين الفرق ، ص ١٧ .

١٣٣٢ الفرق بين الفرق ، البغدادي ص ١١٧ .

١٣٣٣ الابانة عن اصول الديانة ، ص ١٣ .

١٣٣٤ الأعراف : ١٨٨ .

١٣٣٥ الابانة عن اصول الديانة ، للأشعري ، ص ١٤ .

١٣٣٦ ص : ٧٥ .

٣ - تكليف الأمة بما لا طاقة لها به :

فقد وضع أصحاب البدع تكاليف قاصمة للظهر تنوء بالعصبة أولي القوة ، فقد حملوها بفلسفات ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وكلفوا الناس ، بأعمال شاقة ، واعتبروها شريعة لهم .. من تلك التشديدات الباطلة :

أ - تكفير المسلمين :

فقد كفر الخوارج الامام عليا - رضي الله عنه - ، والخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وأصحاب الجمل ، والحكمين وكل من رضي بالحكمين<sup>١٣٣٧</sup> .

ومن المزامع التي ادعوها : ان كل من أذنب ذنبا في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر<sup>١٣٣٨</sup> ..

فكانت ثمرة هؤلاء أن ذهب ضحيتها الخليفة الراشد علي بن أبي طالب<sup>١٣٣٩</sup> ، فكانت أكبر مأساة على الأمة الإسلامية ، من جماعة تنتمي الى الاسلام ، وتحترق عبادة غيرها ، ولكن البدع التي عشعشت في فكرها أمت احساسها ، فأباحت دماء المسلمين ، لا بل جعلت تلك الدماء قربانا الى الله تعالى . فنشبت الحروب الدامية بين الأمة الإسلامية واصحاب الفرق الغارقة في البدع ، والتي أثارت الفتن في كل زمان ومكان ، فقد بقيت نار هذه الفتنة متأججة مرة بالسهم ، ومرة باللسان ، فأضعفت شوكة المسلمين .

ب - التشدد بالعبادة والتعننت بكل شيء لا يوافق أهواءهم : ويروى عنهم انهم كانوا يتشددون في حياتهم في العبادة والزهد والتقشف ، ويذكر : > أن رؤساء المعتزلة كانوا يحيون حياة متقشفة زاهدة ، في اعتزال للمجتمع الذي كانوا يعاصرونه ، فلما ذهبوا هذا المذهب الاعتزالي المنكمش أو كثر تلقيينهم بالمعتزلة .

ويقال : ان قتادة بن دعامة السدوسي هو أول من أطلق عليهم هذا الاسم ، فقد دخل مسجد البصرة ذات يوم وكان أعمى ، فاذا بعمرو بن عبيد

١٣٣٧ التبصير في الدين ص ٤٥

١٣٣٨ المصدر السابق

١٣٣٩ قاتل الامام علي - رضي الله عنه - عبدالرحمن بن ملجم الخارجي ، ليس بأهل أن يروى عنه ، وما أظن له رواية ، وكان عابدا قانتا لله ، لكنه ختم بشر ، فقتل أمير المؤمنين عليا متقربا الى الله بدمه > ميزان

الاعتدال ، للذهبي > ج ٢ ص ٥٩٢

واصحابه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري بعد حادثة واصل ، وكونوا لأنفسهم حلقة خاصة ، وارتفعت أصواتهم وهم يتجادلون جدلا عقيما حول ذات الله وصفاته ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين .. ولما وصل اليهم عرف حقيقة مذهبهم ، ادرك اعتزالهم المجتمع الاكبر الذي يدين بغير ما دانوا به ، فقام عنهم قائلًا : أولئك المعتزلة : اعتلوا طريق الجماعة من المسلمين > .

وكذلك كان الخوارج على درجة من الزهد والعبادة - كما مر في ترجمة حياة عبدالرحمن بن ملجم .

وإن أصحاب البدع وقفوا بكل ضراوة وشراسة بوجه كل من يخالفهم ولم يخشوا الله في ذلك ، نجد اباحة دم المرء بمجرد جواب من أي شخص لا يعجبهم .

ويروى : > ان الخوارج رأوا في طريقهم حال خروجهم الى النهروا ، عبدالله بن خباب بن الارت ، فقالوا له : حدث لنا حديثا سمعته من أبيك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من السائر ، والماشى فيها خير من العادي .. )<sup>١٣٤٠</sup> . فلما سمعوا منه هذا الخير قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه مسمع .. ، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده ، وأمهات أولاده بالنهروا ... ><sup>١٣٤١</sup> .

وكذلك وقفوا في وجه كل عمل فيه صلح وخير ، يجمع الأمة الاسلامية ويوحد كلمتها .

> ولما أراد الحسن - رضي الله عنه - أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج ابن سنان . وقال : أشركت كما أشرك أبوك ، ثم طعنه في أصل فخذة . وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بين الأزرق يقولون : نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك ، فإذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون . والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفر ، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين ، وحكموا عليهم بالشرك ><sup>١٣٤٢</sup> .

١٣٤٠ أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ٢٢٥/٤ في كتاب الفتن : باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

١٣٤١ التبصير في الدين ، للأسفراييني ، ص ٤٧

١٣٤٢ عن كتاب : لماذا يلحدون ؟ ، د . سيد الجميلي ، ص ١٠٥

هؤلاء الحمقى اصحاب القلوب الغلف ، ما أكثر تناقضهم يتصورون أنهم أصحاب صفاء ونقاء وتقوى .  
> واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها ،  
وتعبوا في العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات  
الذكر < ١٣١٢ .

من أين جاء هذا الفكر الغريب والنظرة الضيقة ، والتناقض  
العجيب من عمق في العبادة في الظاهر ، مع قسوة القلب الذي هو أشد  
من الحجارة ، الذي يكفر الصحابة الكرام ، ويبيح دماءهم ، ولا يمكن بيان  
جميع الأسباب ، لعدم استيعاب الموضوع في هذا البحث المحدود . ولكن  
من أهم هذه الأسباب .. هي :

(١) ضيق الأفق الذي كان يسيطر على عقولهم ، وقلة ادراكهم وجهلهم  
باستنباط الأحكام من أدلتها الشرعية ، فكانت احكامهم الصارمة بالتكفير  
، واباحة دماء المسلمين تكون مستندة الى تأويل معاني نصوص وردت لا  
تحتمل أي احتمال ، مما ذهبوا اليه ، فمن تلك النصوص :

(١) حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ( لا يزني الرجل حين يزني  
وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ) < ١٣١١ .

(٢) عن أبي هريرة ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( والله لا  
يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ) قيل : من يا رسول الله ؟ قال :  
( الذي لا يأمن جاره بوائقه ) < ١٣١٢ . وفي رواية لمسلم : ( لا يدخل الجنة من  
لا يأمن جاره بوائقه ) < ١٣١٧ .

(٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - قال : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذي جاره . ومن  
كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله  
واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليسكت ) < ١٣١٨ .

١٣٤٣ المصدر السابق .

١٣٤٤ أخرجه الشيخان وابن أبي شيبة في الايمان ، رقم ٢٨ ، ٧٣

١٣٤٥ البوائق : الغوائل والشورور ( رياض الصالحين ، ص ١٧٣ )

١٣٤٦ رواه البخاري في الأدب ، ج ٥ ص ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٠ ( متفق عليه )

١٣٤٧ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٦٨ ، رقم ٤٦

١٣٤٨ قال الشافعي - رحمه الله - : يكره بعد ان يتفكر فيما يريد ان يتكلم به ، فاذا ظهر له انه خير محقق لا

يترتب عليه مفسدة ، ولا يجر الى كلام محرم او مكروه ، أتى به ( حاشية رياض الصالحين ، ص ١٧٣ ) .

- (٤) وقول عمر - رضي الله عنه - : ( لا ايمان لمن لا امانة له )<sup>١٣٥٠</sup> .
- (٥) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من حمل علينا السلاح ، فليس منا . ومن غشنا ، فليس منا )<sup>١٣٥١</sup> .
- (٦) وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا )<sup>١٣٥٢</sup> .
- (٧) عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء<sup>١٣٥٣</sup> كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : ( هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ ) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ( قال : أصبح من عبادي مؤمن بي ، وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب . وأما من قال : مطرنا بنوء<sup>١٣٥٤</sup> كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب )<sup>١٣٥٥</sup> .
- (٨) عن ابن عمر - رضي الله عنهم - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت إليه )<sup>١٣٥٦</sup> .
- (٩) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله

١٣٥٠ حديث صحيح مرفوع من حديث أنس (٧) من الايمان لابن أبي شيبة ، تحقيق وتخريه الشيخ ناصر الدين

الألباني في كتاب الايمان للامام ابن سلام ، ص ٣٦

١٣٥١ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٩٩ رقم ١٠١

١٣٥٢ رواه ابو داود ٤٩٤٣ ، والترمذي ١٩٢١ ، واخرجه احمد ١٥٨/٢ ، ٢٠٧ ، وسنده حسن ، وعن أنس عند

الترمذي ١٩٢٠ ، وعن عبادج ابن صامت عند احمد ٣٢٣/٥ وزاد : ( ويعرف لعائنا ) وسنده حسن .

١٣٥٣ السماء هنا المطر (رياض الصالحين ، ٦٤٧) .

١٣٥٤ قال الامام الشافعي - رحمه الله - في (الأم) : من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض اهل

الشرك يصفون من اضافة المطر الى انه مطر نوء كذا ، فذلك كفر كما قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - ، لأن النوء وقت ، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ، ومن قال : مطرنا بنوء كذا على

معنى : مطرنا في وقت كذا ، فلا يكون كفرا ، وغيره من الكلام احب الى منه ( حاشية رياض الصالحين ،

ص ٦٤٧ ) .

١٣٥٥ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٨٣ رقم ٧١

١٣٥٦ رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٧٩ رقم ٦٠

رواه البخاري في الآداب ، ج ٥ ص ٢٢٦٣ رقم ٥٧٥٢

- عليه وسلم - : ( سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر )<sup>١٣٢٧</sup> .
- (١٠) وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعا ، قال : ( الرقى والتمايم<sup>١٣٢٨</sup> والتولة<sup>١٣٢٩</sup> شرك )<sup>١٣٣٠</sup> .
- قال الخطابي - رحمه الله - : > وأما إذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرقى الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيقول : ( أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة )<sup>١٣٣١</sup> .
- (١١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( اليسير من الرياء شرك )<sup>١٣٣٢</sup> .
- (١٢) وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ) فليل ، وما هو يا رسول الله ؟ ، قال : ( الرياء )<sup>١٣٣٣</sup> .

عندما نلقي نظرة الي هذه الأحاديث النبوية ، نجد جميعها تتعلق بموضوع الايمان ، ولكنها تنقسم الى أربعة أنواع :

- ففي الحديث الأول والثاني والثالث والرابع ، ففي هذه الأحاديث نفي الايمان .

- وفي الحديث الخامس والسادس ففيهما البراءة من الامة الاسلامية .

- وفي الحديث السابع والثامن والتاسع فيها تسمية الكفر .

- وفي الثلاثة الأخيرة فيها ذكر الشرك .

١٣٥٧ روه البخاري في الآداب ، ج ٥ ص ٢٢٤٧ رقم ٥٦٩٧

رواه مسلم في كتاب الايمان ، ج ١ ص ٨١ رقم ٦٤

واخره الترمذي (١٩٨٤) . والنسائي (١٢١/٧) .

١٣٥٨ التمايم : جمع تميمة ، وهي خرزات او خرز يعلقها الجهال على انفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك ( كتاب الكبائر للذهبي ، ص ١٦ )

١٣٥٩ التولة : بكسر التاء وفتح الواو ، نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة الى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال ان ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله ( كتاب الكبائر للإمام الذهبي ، ص ١٦ - ١٧ )

١٣٦٠ روه احمد ، أفاده المنذري في ترغيبه . .

١٣٦١ كتاب الكبائر ، للإمام الذهبي ، ص ١٧

١٣٦٢ متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب ، وفي مسند الامام احمد وغيره ( عن الكبائر ، للذهبي ، ص ١٥٥ )

١٣٦٣ روه الحاكم من حديث معاذ والطبراني بنحوه ، أفاده العراقي عن < كبائر - الذهبي ، ص ١٥٥ > .

يقول الامام أبو عبيد القاسم<sup>١٣٦١</sup> بن سلام : فهذه أربعة أنواع من الحديث ، قد كان الناس منها على أربعة أصناف من التأويل : فطائفة تذهب الى : كفر النعمة . وثانية : تحملها على التغليظ والترهيب . وثالثة : تجعلها كفر أهل الردة . ورابعة : تذهبها كلها وتردها<sup>١٣٦٢</sup> . ثم يعلق على هذه الأصناف ، فيقول : فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة ، لما يدخلها من الخلل والفساد<sup>١٣٦٣</sup> .

والذي يهمننا التعقيب والتعليق عليه هو الصنف الثالث والرابع ، لأنه يتعلق بأصحاب الأهواء والبدع الذين أساؤوا الى الاسلام كل الإساءة من التطرف بالاحكام ، وضيقوا على الأمة كل سعة أتى بها الاسلام ، ليشوهوا معالم الحق ، وينفروا الناس من الدين الحنيف ، فكان الصنف الثالث هو مذهب الخوارج .

فيقول الامام بن سلام : واما الثالث : > الذي يلغ كفر الردة ، فهو شر من الذي قبله ، لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل ، فكفروا الناس بصفار الذنوب وكبارها <<sup>١٣٦٤</sup> .

فيرد على حجتهم ، ويفندها من كتاب الله عز وجل ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يكذب مقالتهم ، وذلك انه حكم في السارق بقطع اليد ، وفي الزاني<sup>١٣٦٥</sup> والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من بدل دينه فاقتلوه )<sup>١٣٦٦</sup> .

١٣٦٤ هو ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، الامام المجتهد البحر ، اللغوي ، الفقيه ، ولقب بـ ( هراة ) نحو سنة ١٥٧ هـ ، سمع جماعة من الأئمة الثقات ، مثل سفيان بن عيينة واسماعيل بن علية ويحيى بن سعيد القطاة ، وحدث عن الامام الدارمي . أقام رحمه الله ببغداد ، وخرج الى مكة حتى مات بها سنة أربع وعشرين ومائتين ( عن كتاب الايمان ، ص ٥ و ٦ ) .

١٣٦٥ كتاب الايمان ، للامام ابن سلام ، ص ٢٨ - ٢٩

١٣٦٦ فالفساد في الصنف الأول ان كفران النعم في مدلول اللغة العربية لا تكون الا بالجحد لأنعام الله وآلائه ، وفساد الصنف الثاني ان جعلوا الخير عن الله وعبيدا لا حقيقة له ، وهذا يؤول ال ابطال العقاب ( عن الايمان باختصاص ، ص ٣٩ ) . ومن أراد التفصيل فليراجع نفس الكتاب ، ص ٣٩

١٣٦٧ كتاب الايمان ، للامام بن سلام ، ص ٢٩

١٣٦٨ هنا يريد بالزاني الغير محصن > وهو الغير متزوج < ، أما المحصن فحده الرجم .

١٣٦٩ أخرجه : البخاري . وأصحاب السنن من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - مرفوعا ، واحمد ٢٣١/٥ من حديث معاذ - رضي الله عنه - واسناد صحيح على شرط الشيخين .

أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد ، وكذلك قول الله تعالى فيمن قتل مظلوما ، فقد قال سبحانه وتعالى : « فقد جعلنا لوليه سلطانا »<sup>١٣٧٠</sup> . فلو كان القتل كفرا ما كان لولي عفو ولا أخذ دية ، ولزمه القتل .

ثم يبين القول الرابع : الذي فيه تضعيف هذه الآثار ، فيذكر انها مذهب من لا يعتد بقوله ، فلا يلتفت اليه ، انما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم<sup>١٣٧١</sup> .

قد يتصور من ينظر الى الموضوع ان كلام الامام بن سلام فيه تناقض ، حيث انه ذكر الصنف الثالث انه رأي الخوارج وهم أصحاب بدع وأهواء ، وهم يكفرون المسلمين بارتكاب الذنب ، ثم ذكر الصنف الرابع الذين ينكرون الحديث جملة وتفصيلا وهم أصحاب بدع وأهواء . فلم يكن في الحكم أي تناقض لأن أصحاب البدع فرق كثيرة متضاربة أفكارها ، وآرائها ، فمنهم من كفر المسلمين بارتكاب الذنوب الصغيرة ، ومنهم من انكر السنة جملة وتفصيلا وأباح لنفسه ارتكاب جميع المحرمات كالفرق المتطرفة<sup>١٣٧٢</sup> الأخرى غير الخوارج .

١٣٧٠ الاسراء : ٣٣

١٣٧١ كتاب الايمان ( للامام بن سلام ، ص ٤٠ ) .

١٣٧٢ فمنهم من قال : يخلق القرآن وهم المعتزلة . ومنهم من كان يقول : ان من لم يعزف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه امر ولا نهي ، وان الله خلقه للسخرى والاعتبار لا للتكليف في جنة ولا نار ، وان الله يجعلهم في الآخرة ترابا ، وهذه الفرقة سمي الثمامية ، فرقة تجمع من القدرية والاعتزال ( عن كتاب التبصير في الدين ، ص ٧٩ ) .

ومنهم الهشامية : اصحاب هشام بن عمرو القوطي ، ومبالغة في القدر ، وكان يتمتع من اطلاق اضافات افعال الى الباري تعالى ، وان ورد بها التنزيل ، منها قوله : < ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين ، بل هم المؤلفون باختيادهم ... > ( عن الملل والنحل للشهرستاني ) .

ومنهم المجسمة والمشبه : كالكرامية ( الملل والنحل ، ج ١ ص ١٠٨ ) .

ومنهم العبيدية وهي فرقة من المرجئة ، ان عقيدتهم ان ما دون الشرك مغفور لا محالة ، وان العبد اذا مات كلف توحيد لا يضره ما اقتترف من الآثام واجترح من السيئات ( الملل والنحل ، ج ١ ص ١٤٠ ) .

ومنهم من أول الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك على رجال ، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الله ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت - وتسمى هذه الفرقة الكيسانية ، وهي من فرق الشيعة . ( عن الملل والنحل ، ج ١ ص ١٤٧ ) .

ثم يعقب على الأصناف الأربعة بعد ان يرد جميع الآراء ، فيقول :  
> إن المعاصي والذنوب لا تزيل ايماننا ، ولا توجب كفرا ، ولكنها انما تنفي من الايمان حقيقته واخلاصه الذي نعت الله به أهله ، واشترطه عليهم في مواضع من كتابه ، فقال : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ... » الى قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين »<sup>١٣٧٢</sup> . وقال تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »<sup>١٣٧١</sup> .

فخلاصة قول ابن سلام : > أن الايمان الخالص بأداء جميع ما أمر الله سبحانه وتعالى هو حقيقة الايمان ، وعند ارتكاب المعاصي نفت عنهم حقيقته ، ولم يزل عنهم اسمه ><sup>١٣٧٥</sup> .

وهذا الرأي هو الحق الذي يؤيد وهو طريق السلف الصالح ، والمنهج القويم الذي يتسع لاحتواء جميع أفراد الأمة الإسلامية من قوياها الى ضعيفها الى متوسطها ..  
والأدلة التي تقوي هذا الرأي - أي أن المعصية لا تخرج المسلم من الملة الإسلامية - هي :

١ - شهادة ( لا إله إلا الله ) حجاب من النار :

فشهادة التوحيد لها وزنها ، وقدسيتها ، واجمعت الأمة على ان كلمتي الشهادة : ( لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ) هما الركن الأول للإسلام ، وعليهما تبني الأعمال ، ولا يقبل أي عمل دونهما ، وبها ينجو المسلم من النار ، وقد وردت الأحاديث التي تدل على هذا المعنى منها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله ) .  
قال أبو عيسى الامام الترمذي :

١٣٧٣ التوبة : ١١٢ - ١١٣

١٣٧٤ الأنفال : ٢ - ٣

١٣٧٥ كتاب الايمان ، للامام ابن سلام ، ص ٤١ ، باختصار مع تصرف

> ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم : أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة ، وأن عذبوا بالنار بذنوبهم ، فإنهم لا يدخلون في النار < ١٣٧٦ .  
ومما يؤيد عدم خلود أهل الذنوب من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في النار : الحديث الذي يرويه أنس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ) ثم قال : ( يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ) ثم قال : ( يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ) < ١٣٧٧ .  
فالمتتبع لفضائل شهادة التوحيد لا يستطيع أن يحصي نعمها ، وقد جمع العلامة تاج الدين السبكي ، بعض الآيات التي فسرت ب ( لا إله إلا الله ) ، فروى بسنده عن ابن عباس في قول الله عز وجل : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » < ١٣٧٨ . وعن عكرمة في قوله تعالى : « وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم » < ١٣٧٩ ، قال : أي قولوا ( لا إله إلا الله ) < ١٣٨٠ .

وفي قول موسى - عليه السلام - لفرعون : « هل لك الى أن تزكى » < ١٣٨١ ، قال عكرمة : أي الى ان تقول : ( لا إله إلا الله ) . وفي قوله تعالى حكاية عن الذي يموت كافرا : « رب ارجعون لعلي أعمل صالحا » < ١٣٨٢ . قال عكرمة : > أي لعلي أقول : لا إله إلا الله . وفي قوله تعالى : قد أفلح من تزكى < ١٣٨٣ . قال : أي من قال : ( لا إله إلا الله ) . وفي قوله تعالى : « وقولوا قولا سديدا » < ١٣٨٤ قال : أي ( لا إله إلا الله ) < ١٣٨٥ .  
وعلى أساس هذا الدرع الحصين الواقفي من الخلود في النار ، أن مجرد اجراء كلمتي الشهادة على لسان المؤمن مع التصديق الداخلي بالله

١٣٧٦ الجامع الصحيح للترمذي ، ج ٥ ص ٢٤

١٣٧٧ اسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد اخرجاه في الصحيحين ( عن كتاب الايمان ، ابن ابي شيبه ) .  
تحقيق الشيخ محمد الألباني ، ص ٢٣ .

١٣٧٨ فصلت : ٣٠

١٣٧٩ البقرة : ٥٨

١٣٨٠ انظر كتاب ( معنى لا إله إلا الله ) ص ٤٣

١٣٨١ النزعات : ١٨

١٣٨٢ المؤمنون ، ٩٩ - ١٠٠

١٣٨٣ الأعلى : ١٤

١٣٨٤ الاحزاب : ٧٠

١٣٨٥ انظر كتاب ( معنى لا إله إلا الله ) ص ٤٤ .

وبرسله وملأكته وكتبه باليوم الآخر وبالقدر ، يدخل الانسان في دائرة المؤمنين .

قال الحافظ ابن حجر :

> فمن أقر<sup>١٣٨٦</sup> أجريت عليه الأحكام في الدنيا ، ولم يحكم عليه بكفر الا إن اقترن فعل يدل على كفره مثل سجود للصنم <<sup>١٣٨٧</sup> .

### ٢ - سقوط العقوبة عن المذنبين :

إن كرم الله ورحمته ، وسعة عفوه ، فتح أبوابا ينوب اليها العاصي ، فيتطهر من الذنوب والخطايا ، ولقد استند من رأى هذا الرأي من العلماء على الكتاب والسنة ، ولقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية الأسباب التي تسقط عن المذنبين .. هي باختصار :

أ - قال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا ، الا من تاب وأمن وعمل صالحا ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا »<sup>١٣٨٨</sup> .

وقال سبحانه : « إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم »<sup>١٣٨٩</sup> .

والتوبة تمحو الذنوب ، ويتجاوز رب العالمين عن جميع ما اقترف العبد ، وما ذلك على الله بعزيز .. قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »<sup>١٣٩٠</sup> .

والتوبة التي يغفر الله سبحانه بها الذنوب ، هي التوبة النصوح ، التي تنبع من القلب المصحوبة بالندم ، مع العزم على عدم العودة ، مع العمل الصالح .

وقال عبدالله بن المبارك :

> التوبة : الندم على ما مضى من الذنوب ، والعزم على ألا يعود ، وأن يؤدي التائب كل فرض ضيعه ، ويؤدي الي كل ذي حق حقه من المظالم

١٣٨٦ أي بالشهادتين .

١٣٨٧ فتح الباري : ٤٦/١

١٣٨٨ مريم : ٦٠

١٣٨٩ البقرة : ١٦٠

١٣٩٠ الزمر : ٥٣

، ويذيب البدن الذي زينته بالسحت والحرم بالهموم والأحزان ، حتى يلصق الجلد بالعظم ، ثم ينشأ بينهما لحم طيب ، ويذيق البدن ألم الطاعة ، كما أذاقه لذة المعصية > ٣٣١ .

والتوبة يجب ان تعم الجوارح كلها ، وقد أوضح ذو النون المصري ذلك في قوله :

> على كل جارحة لابن آدم توبة ، فتوبة القلب ان ينوي ترك المحظورات ، وتوبة العينين : الغض عن المحارم ، وتوبة اليدين : ترك تناول ما لا يحل ، وتوبة الرجلين : ترك السعي في الملاهي ، وتوبة السمع : ترك الإصغاء الى الباطل ، وتوبة الفرج : القعود عن الفواحش > ٣٣٢ .  
ولقد وردت أحاديث نبوية عن التوبة :

(١) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر ) ٣٣٣ .

(٢) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى شبر تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الى ذراعاً تقربت اليه باعاً ، ومن اقبل يمشي اقبلت اليه أهول ) ٣٣٤ .  
ب - الاستغفار :

قال الله تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ٣٣٥ .  
فالاستغفار يحجب الذاب ، ويرفع البلاء ، لا بل يكون صاحب الاستغفار الذي يختم عمله به ، يكون من أهل السعادة .. كما ورد في الحديث الشريف عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ،

١٣٩١ عن كتاب التوبة ، للمحاسبي ، ص ٥١

١٣٩٢ مكفرات الذنوب وموجبات الجنة ، لابن الربيع الشيباني ، ص ٢٢ - ٢٣

١٣٩٣ يغفر : تبلغ روحه الحلقوم عند الموت .

١٣٩٤ اخرجه ابن ماجة والترمذي .

١٣٩٥ اخرجه مسلم والبخاري .

١٣٩٦ الأنفال : ٢٣

، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .. من قالها من النهار موقنا بها ، فمات قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة ( ٣٣٧ ) .

ج - فعل الحسنات :

قال الله سبحانه وتعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ( ٣٣٨ ) .

د - الوقوع في المصائب الدنيوية :

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( ما يصيب المؤمن من وصب<sup>٣٣٩</sup> ولا نصب<sup>٣٤٠</sup> ولا هم ولا حزن ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها ) ( ٣٤١ ) .

فالصبر على المصيبة ، يببئ السيئات حتى يلقي الله سبحانه وما عله خطيئة ، فقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة ) ( ٣٤٢ ) .

هـ - عذاب القبر .

و - أهوال يوم القيامة وشدائده .

ز - شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة .

ح - عفو أرحم الراحمين .

ط - دعاء المؤمنين واستغفارهم .

ي - انتفاع الأموات بما يهدي لهم من صدقة أو حج .

هذه عشرة<sup>٣٤٣</sup> أسباب تسقط العقوبة ، ولم تكن تلك الأسباب هي كل الأسباب التي وردت لاسقاط الذنوب ، وإنما وردت أسباب أخرى ، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر .. منها :

١٣٩٧ أخرجه البخاري .

١٣٩٨ هود : ١١٤

١٣٩٩ معنى الوصب : الوجع ( معجم الوجيز ، ص ٦٧١ )

١٤٠٠ النصب : التعب ( معجم الوجيز ص ٦٧١ )

١٤٠١ الحديث : متفق عليه .

١٤٠٢ رواه الترمذي وغيره ، وقال حسن صحيح ، والحاكم ( عن كتاب كفارات الخطايا ، ص ٣٨ )

١٤٠٣ انظر تفصيل ذلك في كتاب شرح العقيدة الطحاوي ، ص ٣٧١ ، ٣٩٧ ، ٥١١ ، ٥١٧ هـ

الشهادة في سبيل الله<sup>١٤٤</sup> ، الصلوات المكتوبات<sup>١٤٥</sup> ، صيام رمضان وقيامه يكفر الذنوب<sup>١٤٦</sup> ، الحج لا يدع ذنبا الا غفره<sup>١٤٧</sup> ، العمرة التي العمرة<sup>١٤٨</sup> .. وهي لا تكاد تنحصر لكثرتها<sup>١٤٩</sup> ، وذلك من فضل الله وكرمه واحسانه .

ملاحظات هامة :

أ - الملاحظة الأولى < اخطار يجب الانتباه اليها > :

لعل القارئ عندما ينظر الى موضوع أسباب سقوط الذنب ، يتساهل بالموضوع ، ويستتهين بالأثم ، مادام باب الرحمة مفتوح ، ورب العباد رحيم كريم ، مع كل ذلك ، فإن للذنوب بركانا ، يلهب الأحشاء ، وله أهات ، تتردد بزفرات ، تجعل القلب متفحما ، يعيش في جحيم ، تجعل حياته كلها تفجع وتوجع .. ومن تلك المخاطر :

(١) مياغطة الموت :

مادام الموت لم يكن له زمنا معيننا ، فإن المسلم يبقى في خوف منه ، ولا يدري متى يهجم عليه ، فيأخذه على حين غفلة ، ولا ينفع الندم .

(٢) الذنوب تميت القلب :

حذر الله سبحانه وتعالى من الذنوب في كتابه العزيز، وفي سنة نبيه ، لعاقبتها الوخيمة ، وخطرها الكبير .. قال الله تعالى : « من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا »<sup>١٥٠</sup> .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن المذنب اذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ، واستغفر الله ، صقل قلبه ، وان لم يتب ، زادت حتى تعلو قلبه )<sup>١٥١</sup> أي تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء ، هو هو الران الذي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه ، فقال : « كلا ، بل

١٤٠٤ كتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة ، ص ٣٦

١٤٠٥ المصدر السابق ، ص ٦٨

١٤٠٦ المصدر السابق ، ص ٨٤

١٤٠٧ المصدر السابق ، ص ٩٢

١٤٠٨ المصدر السابق ، ص ٩٩

١٤٠٩ فمن اراد الاستزادة من الاطلاع عليه ان يراجع كتابات كفارات الخطايا وموجبات المغفرة جميعه .

١٤١٠ النساء : ١٢٣

١٤١١ صحيح الترمذي بشرح ابي العزمي ، ج ١٢ ص ٢٢٤ . وقد قال عنه الترمذي : حسن صحيح . وسنن ابن

ماجه ج ٢ ص ١٤١٨

ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون <sup>١١٢</sup> .

٣) الذنوب قنطرة للعبور الي الكفر :

فالذنوب خطرهما عظيم ، لان صاحبها يفقد الذوق والاحساس ، ويفقد نور البصيرة من قلبه ، فيتخبط في الظلام ، فلا يميز بين الحق والباطل .. قال السلف : < المعاصي بريد الكفر > <sup>١١٣</sup> . ذلك ان كثرتها تقسي القلب ، فيخرج منه كل خير ، فيرتكب ما أراد ، ويفعل ما أحب ، فيتخذ الشيطان وليا من دون الله فيضله ويغويه ويصدده ولا يرضي منه بأقل من الكفر ما وجد اليه سبيلا <sup>١١٤</sup> .

٤) جلا لعظمة الله تستوجب من العبد الابتعاد عن الذنب :

المقامات تقدر بمستوى عظمتها ، فمجالسة العظماء ، تستوجب هيبة المجلس واحترامه .. فكيف بمن يكون عبدا لله ، خالق السموات والأرض ، وبيده كل شيء ، والقادر على كل شيء . قال بعض العلماء : < لا تنظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت > <sup>١١٥</sup> .

٥) خطر الذنوب من الناحية الاجتماعية :

فالمجتمع الاسلامي له موازين لتقييم الرجال ، وكلما كان المسلم صاحب تقوى وتقرب من الله سبحانه وتعالى ، فان المسلمين يثقون به ، ويأتمنونه على كل غال ورخيص ، أما إذا كان ضعيف الايمان ، ملوث الذنوب ، فإن الأمة الإسلامية تحذر منه ، ومن التقرب اليه ، فليحذر المسلمون من معاملته والابتعاد عنه ، حتى يصل الى درجة تسقط عدالته ولا تقبل منه الشهادة ، وفي هذه الحالة يكون مركزه الاجتماعي ، وضعيا .

وقد أشار الفقهاء في كلامهم عن العدالة وما يسقطها ، فقالوا : < إن من زادت منه الصفائح على الطاعات اعتبر مصرا ، وسقطت عدالته > <sup>١١٦</sup> . قال الجمهور : < الاصرار هو غلبة المعاصي الصفائح على الطاعات > <sup>١١٧</sup> . وقيل يتحقق الاصرار بالمواظبة على صغيرة واحدة ، وتكرارها ، أو على بعض الصفائح وتكرارها كذلك <sup>١١٨</sup> .

١٤١٢ المطففين : ١٤

١٤١٣ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ج ١ ص ١٢

١٤١٤ مقتبس عن كتاب ( الايمان ، أركانه ، حقيقته ٠٠ ) د / محمد نعيم ياسين ، ص ١٧٢

١٤١٥ المصدر السابق .

١٤١٦ التوبة ، للمحاسبي ، ص ٥٦

١٤١٧ المصدر السابق .

١٤١٨ المصدر السابق .

ب - الملاحظة الثانية :

لقد قلنا سابقا انه لا يجوز تكفير مرتكب الذنب على الاطلاق ، ومع ذلك ان الذنوب توقع صاحبها في الكفر ، وهي كثيرة .. نذكر منها :

(١) استحلال المعصية :

> واستحلال المعصية : صغيرة كانت أو كبيرة كفر ، اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعي <sup>١١٦</sup> .

ويقول الامام الطحاوي في العقيدة الطحاوية : > ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا آمنوا بما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - معترفين ، وله بكل ما قاله واخبر مصدقين .. ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنوب ما لم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله ، ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه <sup>١١٧</sup> .

(٢) الاستهزاء بالشريعة الاسلامية :

> والاستهزاء <sup>١١٨</sup> بالشريعة الاسلامية كفر ، لان ذلك من امارات التكذيب <sup>١١٩</sup> .

(٣) انكار ضروريات الدين :

> وهو ما يعرفه منه الخواص والعوام من غير قبول للتشكيك ، كوجوب الصلاة ، والصوم ، وحرمة الزنا والخمر <sup>١٢٠</sup> .

(٤) الطعن في القرآن الكريم :

> يعتبر مرتد من جحد من المسلمين القرآن الكريم كله أو بعضه ولو أية منه ، كما تكون الردة باعتقاد تناقض القرآن واختلافه ، أو الشك في اعجازه ، أو ادعاء القدرة على الاتيان بمثله ، أو إسقاط حرمة ، أو

١٤١٩ العقائد النسفية ، ص ١٦

١٤٢٠ انظر العقيدة الطحاوية مع شرحها ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٢

١٤٢١ لو ضحك على وجه الرضا فيمن يتكلم بالكفر ، وكذلك لو قال عند شرب الخمر والزنا : باسم الله . وكذا اذا

صلي بغير القبلة ، وبغير طهارة متعمدا ، يكفر ، وان وافق ذلك القبلة - العقائد النسفية ، ص ١١٧

١٤٢٢ العقائد النسفية ، ص ١١٦

١٤٢٣ شرح جمع الجوامع ، ج ٢ ص ١٣٠

الزيادة فيه ، أو النقص منه < ١٢٦١ > .  
وكذلك من قال : < بأن كلام الله مخلوق ، فهو كافر بالله العظيم > ١٢٦٢  
وكذلك أجمع العلماء على أن < مما يوجب كفر المسلم إلقاء المصحف ،  
أو جزء منه ، أو تلطيخه بالقذر > ١٢٦٣ .

#### (٥) الطعن في الذات الإلهية :

يعتبر كافرا مرتدا < من أشرك من المسلمين بالله ، أو جحد به ، أو  
نفى صفة ١٢٦٧ ثابتة من صفاته ، لا يجهلها مثله ، أو أثبت له شيئا أنكره  
كالولد ١٢٦٨ ... أو البنات أو الصحابة أو السنة أو النوم أو الغفلة ...  
أو أي نقص من النواقص > ١٢٦٩ .

إن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء  
من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر  
معاند ، قال الله تعالى : « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا » ١٢٧٠ ، وكقوله  
تعالى : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » < فإن عمل بالتوحيد عملا  
ظاهرا .. لا يعتقد به بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص > ١٢٧١  
قال تعالى : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » ١٢٧٢ .

#### (٦) الطعن في النبوة والأنبياء :

< فالواجب على كل مسلم الاقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشرائع ، وما أخبر به من أمور

١٤٢٤ كتاب الايمان ، ص ٢٢٣ لمجموعة من المؤلفين : عبدالله القطان / احمد سلامة / عبدالمجيد الزندانى /

فيصل عبدالعزيز / حزام البهلولى / توحيد عبدالحميد .

١٤٢٥ كتاب الكفار والملحدون في ضروريات الدين ، ص ٥٤ ( الامام الشيخ محمد ابو شاه الكشميري ) .

١٤٢٦ كتاب الايمان ، لمجموعة المؤلفين ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦

١٤٢٧ كنفى علمه الكامل أو قدرته أو حياته أو قيوميته أو سمعه أو بصره أو استوائه على العرش أو كلامه أو

رحمته أو جبروته أو كبريائه أو غيرها مما هو ثابت لله في الكتاب والسنة ( عن كتاب الايمان / د . محمد

نعيم ياسين ، ص ١٣٣ ) .

١٤٢٨ كتاب الايمان ، مجموعة من المؤلفين ، ص ٢٢٣

١٤٢٩ كتاب الايمان ، د . محمد نعيم ياسين ، ص ١٣٤

١٤٣٠ التوبة : ٩

١٤٣١ ثلاث وسائل في العقيدة الاسلامية ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦١

١٤٣٢ النساء : ١٤٥

الغيب ، وانه من عند ربه عز وجل ، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة ، من صدق وأمانة وفطنة وتبليغ ، وغير ذلك < ١١٣٣ > .  
> وعلى أساس ذلك ، فانه يكفر كل من طعن في صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو أمانته ، أو عفته ، أو صلاح عقله ، ونحو ذلك ، ويكفر من سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو استهزأ أو استخف به أو بتصرف من تصرفاته الثابتة < ١١٣٤ > .

وكذلك يكفر : > من أنكر أي أمر من الأمور التي أخبر بها . فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثبت عنه من البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيرها من المغيبات < ١١٣٥ > .

> وأجمعوا علي أن من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - فجزاؤه القتل < ١١٣٦ > .

وكذلك من الأشياء التي يكفر بها الفرد هو الاعتقاد أن النبوة يمكن الحصول عليها بالسعي والجد .. ، قال ابن حبان : > من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع ، أو أن الولي أفضل من النبي ، فهو زنديق ، يجب قتله .. < ١١٣٧ > .

### ٣ - غفران جميع الذنوب :

قاله سبحانه وتعالى قد بين أنه يغفر جميع الذنوب ، وهو الغني القادر ، فقد ذكر في كتابه العزيز عن تلك البشارة العظمى ، بقوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »

١٤٣٣ مقتبس من كتاب الايمان ، اركانه ، حقيقته ، د. محمد نعيم ، ص ١٣٢

١٤٣٤ المصدر السابق ، ص ١٣٨

١٤٣٥ المصدر السابق .

١٤٣٦ كتاب ( الاجماع ) للنيسابوري ، ص ١٥٣ . قال ابن منذر : اجمع عوام اهل العلم على ان حد من سب

النبي - صلى الله عليه وسلم - القتل ، ومن قاله مالك والليث واحمد واسحق . . .

وقد حكى ابوبكر القاري من اصحاب الشافعي اجماع المسلمين على ان حد من سب النبي - صلى الله عليه

وسلم - القتل ( عن كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٥ )

١٤٣٧ الكفار والملحدون في ضرورات الدين ، ص ١١٥

وقد ذكر سبحانه وتعالى في الحديث القدسي غفران جميع الذنوب ، من ذلك الحديث : ( ... يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا )<sup>١٤٣٨</sup> .

فلو كان الذنب من الكفر لما غفر الذنوب ، لان الله سبحانه وتعالى قد استثنى الكفر من الذنوب التي لا يغفرها إلا بالدخول في الإسلام ، قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »<sup>١٤٣٩</sup> .

#### ٤ - خطاب الله للعاصين بلفظة المؤمنين :

لقد خاطب الله سبحانه وتعالى أصحاب الذنوب ، بلفظة المؤمنين ، وهذا يقتضي ان الذنب لا يخرج مرتكبه من الأمة الإسلامية ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم .. »<sup>١٤٤٠</sup> ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون »<sup>١٤٤١</sup> .  
خاطب الله سبحانه وتعالى باسم المؤمنين وهو سبحانه ينهاهم عن أشياء لا يرضاها لهم ، لا بل فيها العذاب والمقت ، إذا استمر صاحبها على ارتكابها .

#### ٥ - الخصومة ذنب لم تنفي الإيمان عنهم :

القتال بين المسلمين إثم عاقبته وخيمة ، مع ذلك وصفهم بالمؤمنين ، مع ان فتنة القتال ذنب شره مستطير .  
قال الله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين »<sup>١٤٤٢</sup> .

١٤٣٨ حديث قدسي ، رواه مسلم ، ٢٥٧٧

١٤٣٩ النساء : ١١٦

١٤٤٠ النساء : ٢٩

١٤٤١ الصف : ٢

١٤٤٢ الحجرات : ٩

لا بل خاطبهم بلفظة الاخوة الإسلامية ، مع الايمان مما يزيد اثباتا ان المسلم يبقى في دائرة الاسلام مع ارتكابه للذنوب ، قال الله تعالى : « إنما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون »<sup>١٤٤٣</sup> .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فـمـي القـتـلـى » إلى أن قال سبحانه : « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف »<sup>١٤٤٤</sup> .

فلم يخرج سبحانه القاتل من الذين آمنوا ، وجعله أخا لولي القصاص ، والمراد أخوة الدين بلا ريب<sup>١٤٤٥</sup> .

#### ٦ - الأعمال بالموازين :

ذكر سبحانه وتعالى أنه يضع الموازين يوم القيامة ، وتوفى كل نفس ما كسبت إن كان خيرا فخير ، وإن شرا فالجزاء من نفس العمل ، ولم يذكر ان صاحب الذنب يدخل النار ويحبط عمله ، ولا يقبل منه العمل الصالح .. قال تعالى : « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »<sup>١٤٤٦</sup> . وقال تعالى : « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »<sup>١٤٤٧</sup> . وقال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها »<sup>١٤٤٨</sup> .

في هذه الآيات ذكر سبحانه أن الأعمال توزن ، وكل يأخذ جزاؤه ، بينما نجد الكافر يحبط عمله ، ويدخل جهنم ، قال تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين »<sup>١٤٤٩</sup> .

وقال تعالى في آية أخرى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين »<sup>١٤٥٠</sup> .

١٤٤٣ الحجرات : ١٠

١٤٤٤ البقرة : ١٧٨

١٤٤٥ شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٦١

١٤٤٦ غافر : ٤٠

١٤٤٧ الزلزلة : ٦

١٤٤٨ الجاثية : ١٥

١٤٤٩ الأعراف : ٣٩

١٤٥٠ آل عمران : ٨٥

٧ - لا تكليف إلا بمقدور :

هذه قاعدة أصولية مهمة وأساسية ، أن العبد يكلف بحدود قدرته ، وطاقته ، ولا يكلف بما هو خارج عن قدرته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين »<sup>١٤٥١</sup> .

وذكر الأصوليون : < إنه لا تكليف إلا بمقدور ><sup>١٤٥٢</sup> ، وأن الانسان مهما كان تقيا وورعا ، لا يمكن ان يتجنب جميع الذنوب طيلة حياته ، من صغيرها وكبيرها ، لان هذه الحصانة<sup>١٤٥٣</sup> لا يملك جهازها بحكم تركيب الضعف والغفلة والنسيان ، وتزيين حب الشهوات للناس ، مما يجعل الانسان معرضا للوقوع بالخطيئة ، ويشهد على ذلك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ) .

فقاعدة تكفير المسلم بارتكاب الاثم قاعدة لا يمكن اثبات صحتها ، لانها تكليف خارج عن قدرة البشر ، فيقع الضيق والحرص على كل انسان ، وعلى هذا الأساس تكفر البشرية على وجه الأرض الى قيام الساعة ، هذا أمر ما أقره كتاب سماوي ، ولا عقل بشري .

الرأي الرابع في الأحاديث النبوية :

ذكرنا الرأي الثالث ، وهو تكفير المسلمين بارتكاب الذنب ، وناقشنا رأيهم مع تفنيده بالآيات والأحاديث وأراد السلف الصالح الذي يرد كلامهم . . أما الرأي الرابع ، وهو كذلك رأي أصحاب البدع والأهواء ، وهو انكار العمل بالحديث النبوي الشريف ، استنادا الى تناقض الأحاديث النبوية أو ضعفها ، وكل ذلك يرجع الي خبث السريرة ، أو ضيق الأفق بمعرفة أصول الشريعة ، وطريقة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها ، وان الجواب الكافي للرد على هؤلاء ما كتبتة في المقدمة عن حجية السنة .

المسلك الثاني لأهل الأهواء والبدع ، وهو التشدد في العبادة ، وحمل النفس على التقشف ، الذي لم تنص عليه الشريعة الاسلامية ، وقد رد

١٤٥١ البقرة : ٢٨٦

١٤٥٢ الوجيز في اصول الفقه ، ص ٢٦

١٤٥٣ إلا من عصمه الله من الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله .

النبي - صلى الله عليه وسلم - على كثير من هذه التشديدات ، التي حدثت في عصره - صلى الله عليه وسلم - وهي حجة للرد على كل من أتى بمثل هذه التشديدات من بعده ، لم يكن لها سندا من كتاب أو سنة ، ومن الأشياء التي حدثت في زمانه ورد عليها .. هي :

١ - وعن أنس - رضي الله عنه - قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها<sup>١٤٥٤</sup> ، وقالوا : أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، فقال : ( أنتم قلت كذا وكذا ؟ ! أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي<sup>١٤٥٥</sup> فليس مني )<sup>١٤٥٦</sup> .

٢ - وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر ان يقوم في الشمس ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه )<sup>١٤٥٧</sup> .

٣ - وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها وعندها امرأة ، قال : ( من هذه ؟ ) قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها . قال : ( مه<sup>١٤٥٨</sup> ، عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل<sup>١٤٥٩</sup> الله حتى تملوا ) وكان أحب الدين اليه ما داوم صاحبه عليه .

١٤٥٤ أي عدوها قليلة ( حاشية رياض الصالحين ، ص ١٠٤ ) .

١٤٥٥ من رغب عن سنتي : أعرض عنها ( حاشية رياض الصالحين ص ١٠٥ )

١٤٥٦ رواه البخاري : ٨٩/٩ ، ومسلم ١٤٠١ ، وأخرجه النسائي ٦٠/٦

١٤٥٧ رواه البخاري ١١/٥١٢

١٤٥٨ مه : كلمة زجر ونهي ( رياض الصالحين ، ص ١٠٤ ) .

١٤٥٩ ( لا يمل الله ) : أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ، ويعاملكم معاملة ، حتى تملوا فتركوا ( رياض

الصالحين ، ص ١٠٤ ) .

ففي هذه الأحاديث النبوية نرى أن التقرب إلى الله والحصول على الدرجات العالية ليس بكثرة الجهد ، وأخذ النفس بالشدة ، وإنما شرط القبول عند الله أن يكون الدخول إلى العبادة من أبوابها ، وهي الشريعة الإسلامية ، ولذلك رد الثلاثة الذين خالفوا سنته بقوله : ( فمن رغب عن سنتي فليس مني ) ، كما في الحديث الأول ، وكذلك رد الأعمال التي لم ينص عليها الشارع ، وأبقى الأعمال الشرعية ، كما في الحديث الثاني . وكذلك نجد الجهد الشديد والعمل الشاق الذي لا تتحملة النفس يمنعه الإسلام ، ويحث على العمل الدائم المستمر ، كما في الحديث الثالث .

فالطريق الذي يسلكه أهل البدع ، ليس هو الطريق السوي الذي جاء به الإسلام ، ويحصل من ذلك أن المرء لا يؤجر على عمله ، فيذهب ادراج الرياح ، ويرفع الله بركة العمل ، لا بل تقسوا القلوب ، وتكثر الأحقاد ، وتتفرق الأمة ، ويبتعد الناس عن الإسلام ، وكذلك هذه الأعمال ، تشوب بسماحة الإسلام ويسره واللذان يمتاز بهما الإسلام على سائر أنظمة الأمم ، فاليسر الذي جاء به الإسلام ، نجده كأنوار يضيء جميع جوانب الشريعة الإسلامية . فقد ذكر الله تعالى اليسر إجمالاً ، بقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »<sup>١٦٦</sup> . وقال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج »<sup>١٦٧</sup> .

إن يسر هذا الإسلام ، وفقه هذا اليسر هو مقتضى كون هذا الدين نعمة ورحمة ، قال تعالى : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »<sup>١٦٨</sup> .

ولقد بلغ اليسر في الشريعة إلى درجة التخفيف من الواجبات ، عند وجود الحرة ، والسماح بتناول القدر الضروري من المحرمات عند الحاجة ، فالذي لا يستطيع استعمال الماء لعدم القدرة عليه أبيع له التيمم<sup>١٦٩</sup> . قال تعالى : « فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً »<sup>١٧٠</sup> . وكذلك يبيح للمريض والمسافر الإفطار في رمضان ، قال تعالى : « ومن

١٤٦٠ البقرة : ١٨٥

١٤٦١ المائدة : ٦

١٤٦٢ طه : ١ ، ٢

١٤٦٣ خصائص الشريعة الإسلامية ، د . الأشقر ، ص ٦٣

١٤٦٤ النساء : ٤٣

كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر «<sup>١١١</sup>» . ولقد شمل اليسر جميع جوانب الشريعة ، ومن ذلك :

عدم التكليف بما هو فوق طاقة البشر أو شاق عليهم ، قد حط الآثام عن وساوس النفس وخطراتها ما لم تترجمه الأعضاء الي عمل ، أو اللسان الي كلام<sup>١١٢</sup> . روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به ، إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به ) .

ولم يكف الاسلام في هذا المجال فحط الإثم والعفو عنه ، بل سما وبلغ الغاية في السمو ، فكافأ من حدثته نفسه بعمل سيئة ثم تركها ان يجزيه بذلك حسنة ، جزاء كبحه لنفسه ، وتراجعه عن عمل ما فكر به من سوء . روى مسلم بسنده عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه تعالي قال : ( إن الله كتب الحسنات والسيئات ) ثم بين ذلك الي أن قال : ( وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة ) .

وكذلك من سماحته : عدم المؤاخذه في حالات الخطأ والنسيان والاستكراه ، عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث : عن الخطأ والنسيان والاستكراه ) .

وكذلك من سماحته : قلة المحرمات بالنسبة للمباحات فسي الشريعة<sup>١١٣</sup> ، ويؤيد ذلك من الكتاب والسنة ( قال تعالي : « قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به »<sup>١١٤</sup> . . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير حرام ) .

ومن سماحته يسره في التجنيد : لقد رفع الاسلام الحرج عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض ، كما رفعه عن الضعفاء عموماً ، كمن لا يستطيع

١٤٦٥ البقرة : ١٨٤

١٤٦٦ صور من سماحة الاسلام ، د . علي ربيعة .

١٤٦٧ المصدر السابق ، ص ٣٤

١٤٦٨ الأنعام : ١٤٥

القتال ، لكبر أو لنقص الخلقة ونحو ذلك<sup>١٤٦٦</sup> . . وقال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »<sup>١٤٦٧</sup> .

وكذلك سماحته في المعاملات : في البيع ، والشراء ، والاقتضاء ، والقضاء . . عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( رحم الله رجلا : سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى )<sup>١٤٦٨</sup> . وروى أبو داود ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من أقال مسلما ، أقال الله عثرته ) .

وكذلك سماحة الاسلام في الأحوال الشخصية : من ذلك السماح في المهر في النكاح<sup>١٤٦٩</sup> ، واحترام الاسلام للعلاقة الزوجية<sup>١٤٧٠</sup> .

هذه قطرات من نهر في سماحة الاسلام ، لا يسمح مجال البحث لضيقه بالتوسعة في الموضوع ، لذلك ذكرت بعض رؤوس النقاط ، كقبس ضوء يستتير بها ، للوصول الى معرفة الاسلام ، الذي يدخل في كل جانب من جوانب الاسلام .

١٤٦٩ صور من سماحة الاسلام ، د . علي الربيعه ، ص ٧٢

١٤٧٠ التوبة : ٩١ - ٩٢

١٤٧١ رواه البخاري ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، ص ٧٣٠ رقم ١٩٧٠

١٤٧٢ روى الخمسة عن ابي العجفاء ، قال سمعت عمر - رضي الله عنه - يقول : < لا تغلوا صدق النساء ، فانها

لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي - صلى الله عليه وسلم - . ما أصدق

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امرأة من نساته ، ولا أصدقت امرأة من بناته اكثر من ثنتي عشرة

أوقية > ( عن كتاب : صور من سماحة الاسلام ، د . علي الربيعه ، ص ٩٣ - ٩٤ ) .

١٤٧٣ قال الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » النساء : ١٩ . . وعن عائشة - رضي الله عنها - ان رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - قال : ( خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ) عن كتاب : صور من سماحة

الاسلام ، ص ٩٥

٤ - كمال الشريعة ترفض كل بدعة :  
وكما عرفت البدعة : > ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ،  
أو الطرائق المصطنعة < .  
وكل ذلك هو طعن في الشريعة ، لأن صاحب البدعة بعمله هذا يريد  
أن يضع لبنات غريبة واهية في بنائها ، وهذا يقتضي وجود النقص فيها  
، أو أن صاحب البدعة يهدم جزء منها لاعادة بناء آخر ضعيف ، وكل ذلك  
مخالف للنظام الاسلامي ، لأن الشريعة كاملة ، وتم كل ذلك في حياته -  
صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت  
عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً »<sup>١٤٧٤</sup> .

فهذه البدع التي يضعها المبتدعون في الدين الاسلامي يكون لها أكبر  
الخطر على النظام الاسلامي .. ومن تلك الأخطار :  
(١) كسر سياق قدسية النظام الاسلامي :

الذي هو من عند الله ، والذي نتعبد بتعظيمه ونتقرب الى الله  
بالتمسك به .. قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله ، فإنها من تقوى  
القلوب »<sup>١٤٧٥</sup> .

(٢) فساد النية :

فالمرء عندما يجد شريعته فيها شيء من تعاليم البشر ، فإنه لا يؤمن  
بصحتها ، وعند ذلك لا يستطيع الاخلاص في العمل ، فيدخل على عمله  
الرياء ، وحب السمعة ، فيحبط عمله ولا يحصل من جهده وسعيه الا  
الحسرة والندامة . قال الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله  
مخلصين<sup>١٤٧٦</sup> له الدين ، حنفاء<sup>١٤٧٧</sup> ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك  
دين القيمة<sup>١٤٧٨</sup> »<sup>١٤٧٩</sup> . وقال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ،  
ولكن يناله التقوى منكم » .

أما الأحاديث التي وردت : عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن  
الخطاب - رضي الله عنه - قال ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه

١٤٧٤ المائدة : ٣

١٤٧٥ الحج : ٣٢

١٤٧٦ مخلصين له الدين : أي موحدين له لا يعبدون معه غيره .

١٤٧٧ حنفاء : أي مائلين عن الأديان كلها الى دين الاسلام .

١٤٧٨ وذلك دين القيمة : قال الزجاج ، أي : ذلك دين الملة المستقيم ، والقيمة نعت لموصوف محنوف ، أو يقال :

( دين الأمة القيمة بالحق ، أي : القائمة بالحق ) هامش رياض الصالحين ، ص ٢٥ .

١٤٧٩ الحج : ٣٧

وسلم - يقول : ( إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. الخ )<sup>١٣٨</sup> .

فالاخلاص قاعدة أساسية نابغة من أصول العقيدة ، ومن يشك في كمال الدين الاسلامي ، فإنه يشك في عقيدته ، ولا يستطيع ان يعمل خالصا لوجه الله تعالى .

(٣) الاعتراض على حكم الله :

فالله سبحانه وتعالى بين أنه اكمل الدين الاسلامي ورست قواعده وأسسها على أحسن وجه من عند أحسن كل شيء صنعا . وصاحب البدعة يعترض على حكمه فيشرع بجنب تشريع الله ، ولم يبيح لهم ذلك ، ولم يجعل لهم من الأمر شيئا ، ولا لغيرهم .. فالله سبحانه وتعالى يقول : « له الأمر والخلق » . ويقول في آية أخرى مخاطبا نبيه الحبيب : « ليس لك من الأمر شيء » .

٥ - اتباع أهل البدع مخالفة لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم :-  
لقد جاء الرسول بالحق والهدى من عند الله ، قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » . وقال تعالى : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى » .

إن من خالف الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلا يعدو ان يتبع الظن وما تهوى الأنفس ، كما قال تعالى في المشركين : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

فعندما ننظر الى ما جا به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عند ربه من الكمال والجمال والسمو ، ولكل متطلبات البشرية في الدارين نقول : > كل من خالف الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس ، فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب ، أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله ، وكان من إلقاء الشيطان < .

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا ، اما ان يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهانا ، وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة ، لم يميز بين حقها وباطلها ، كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة .. واما ان

يتمسك المنطل بحجج سمعية - أي ما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث - فإما ان تكون كذبا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو تكون غير دالة على ما احتج به أهل الباطل .  
لقد خالف أهل البدع ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم تكن لهم حجة الا اتباع الهوى والظن اللذان لا يغنيان من الحق شيئا .  
إن البدع تحمل بين طياتها السموم والخبث ، ففيها الطعن بصاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - وتشويه لجمال الدين ، وطمس لمعالم السنن ، وحيلولة بين الناس وبين دينهم الصحيح ، وحرمانهم من سلسبيلهم العذب ، وينبوعهم الصافي ، وفيها مع ذلك تفرق كلمة المسلمين ، وفي الوقوف عند السنن وحدة للمسلمين وجمع كلمتهم .

#### ٦ - كل بدعة ضلالة :

فالكتاب والسنة والآثار والأخبار تفيد الناظر فيها بتبصر وتدبر ، ان كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة ، في الأصول أو الفروع ، في العقائب أو العبادات ، أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركية ، فهي ضلالة . ولقد ورد النص الذي لا يحتمل التأويل ولا التفسير .. ( بأن كل بدعة ضلالة ) في الحديث النبوي الشريف .

- عن أبي نجيع العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال ، وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع . قال : ( أوصيكم الله ، والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ<sup>١٤٨١</sup> ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة )<sup>١٤٨٢</sup> .

- وعن جابر - رضي الله عنه - ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتي كأنه منذر<sup>١٤٨٣</sup> جيش . يقول : ( صباحكم<sup>١٤٨٤</sup> ومساكم ) . ويقول : ( بعثت أنا

١٤٨١ النواجذ : بالذال المعجمة ، الأنياب ، وقيل الأضراس ( رياض الصالحين ، ص ١١٣ )

١٤٨٢ رواه ابو داود ٤٦٠٧ ، والترمذي ٢٦٧٨ وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه احمد : ١٢٦/٤ ، ١٢٧/٤ ،

وابن ماجه ٤٢ ، والدارمي : ٤٤/١ ، ٤٥ . واسناده صحيح ، وصححه ابن حبان ١٠٢

١٤٨٣ منذر : مخبر خبير مخوف .

١٤٨٤ صباحكم : أي العدم مغيرا عليكم .

والساعة كهاتين) <sup>١٤٨٥</sup> ويقرن بين أصبعيه ، السبابة والوسطى . ويقول : ( أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها <sup>١٤٨٦</sup> ، وكل بدعة ضلالة ) ، ثم يقول : ( أنا أولى <sup>١٤٨٧</sup> بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فإلهه ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً <sup>١٤٨٨</sup> فإلى وعلى ) <sup>١٤٨٩</sup> .

فالحديثان الواردان عن العرباض بن سارية وجابر بن عبدالله يفيدان العموم علي أن كل بدعة ضلالة ، فالقول على عمومه يفيد العموم ، ما لم يكن فيه تخصيص أو بيان أو استثناء أو شرط . . يقول الامام الشافعي : « الحكم لا يثبت في المستثنى لوجود المعارض ، كما أن دليل الخصوص يمنع ثبوت حكم العام فيما يتناوله دليل الخصوص لوجود المعارض ، وكذلك الشرط — فإنه يمنع ثبوت الحكم في المحل لانعدام العلة الموجبة له حكماً مع صورة التكلم به لا لأن الشرط مانع من وجود العلة ، وعلى قوله الشرط مانع للحكم مع وجود علة <sup>١٤٩٠</sup> .

ومن ألفاظ العموم لفظة < كل > <sup>١٤٩١</sup> ولم يرد عليها أي بيان يخرجها من عمومها بقرينة تصرفها عن أصلها الذي وضعت له . . ومن ذلك قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » <sup>١٤٩٢</sup> ، وقوله تعالى : « لكل أمة أجل » <sup>١٤٩٣</sup> ، وقوله تعالى : « والله خالق كل شيء » <sup>١٤٩٤</sup> .

وقيل : لو سألت امرأة زوجها الطلاق ، فقال : كل نسائي طوالق . طلقن كلهن لعموم لفظه ، وإن خص السؤال <sup>١٤٩٥</sup> . . وقوله - صلى الله عليه

١٤٨٥ أنا والساعة كهاتين : كناية عن قرب يوم القيامة ، وهو قرب بالنسبة لما مضى من عمر الدنيا ( نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ص ١٩٤ ) .

١٤٨٦ محدثاتها : أي ما جد منها مما لم يكن معروفاً في كتاب أو سنة أو إجماع ولا أصل له فيها .

١٤٨٧ أنا أولى : أي أحق .

١٤٨٨ ضياعاً : أطفالاً وعبالاً .

١٤٨٩ رواه مسلم في الجمعة ( باب تخفيف الصلاة والخطبة ) رقم ٨٦٧

١٤٩٠ أصول سرخسي ، ج ٢ ص ٣٦

١٤٩١ من ألفاظ العموم لفظ < كل > علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ص ١٨٢ . روضة الناظر وجنة

المناظر ، ص ١٩٦ . المدخل إلى أصول الفقه المالكي ، ص ٥٩ . التمهيد في تخرية الفروع على الأصول

، ص ٣٠٢ .

١٤٩٢ آل عمران : ١٥٨

١٤٩٣ الأعراف : ٣٣

١٤٩٤ الرعد : ١٨

١٤٩٥ روضة الناظر وجنة المناظر ، ٢٠٥

وسلم : ( كل مسكر حرام )<sup>١٤٩٦</sup> ، وقوله - صلي الله عليه وسلم - ( كل شراب أسكر فهو حرام )<sup>١٤٩٧</sup> .

عند تتبع آراء الأصوليين في العام نجد أن < كل > لفظ يدل على العموم ، وهنا في لفظ ( كل بدعة ضلالة ) لا يمكن بأي حال من الأحوال إلا أنها تدل على العموم .

وعلى هذا الأساس ، فإن ذم البدع والمحدثات في الدين عام لا يخص بدعة دون غيرها .

ولا يفوتنا لدعم ذلك وتوكيده ، وزيادة قوته ، وتحصين السنة هو ان الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع سنته ، وان ما يضاد السنة هي البدعة ، وان القاعدة الأصولية بأن الأمر بالشيء نهى عن ضده ، ولا يصير منتهيا عن ضده إلا بفعل المأمور به على الفور<sup>١٤٩٨</sup> .

فالسنة النبوية العمل واجب بها ، وهي حجة ، وان كل تشريع ضدها منهي عنه ، والبدع ضد السنة فيجب النهي عنها ، وهذه القواعد التي ذكرناها من القواعد الأصولية في الفقه التي تكون ميزانا لتقييم البدعة ، تؤيد ما ذهب اليه الشاطبي < رحمه الله > بزم جميع البدع للأسباب التالية :

( ١ ) انها - أي البدعة - جاءت مطلقة عامة على كثرتها ، لم يقع فيها استثناء البتة ، ولم يأت فيها مما يقتضي ان منها ما هو هدى .. الخ<sup>١٤٩٩</sup> .

( ٢ ) انه قد ثبت في الأصول العلمية ان كل قاعدة او دليل شرعي كلي اذا تكررت في مواضع كثيرة ، وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فرعية ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص ، مع تكررها ، واعادة تقررها ، لذلك دليل على بقائها مقتضى لفظها من العموم<sup>١٥٠٠</sup> .

( ٣ ) اجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك ، وتقبيحها والهروب عنها ، وعمن اتسم بشيء منها<sup>١٥٠١</sup> ..

( ٤ ) ان متعلق البدعة يقتضي ذلك بنفسه ، لانه من باب مضادة الشارع واطراح الشرع ، وكل ما كان بهذه المثابة فمحال ان ينقسم الى حسن وقبيح ، وان يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم ، اذ لا يصح في معقوف ولا

١٤٩٦ رواه احمد والشيخان وغيرهم عن أبي موسى الأشعري .

١٤٩٧ رواه مالك واحمد والشيخان عن عائشة

١٤٩٨ التبصرة في أصول الفقه ، ص ٥٥ ( مسألة ٩ ) .

١٤٩٩ الاعتصام ، ج ١ ص ١٤١

١٥٠٠ المصدر السابق .

١٥٠١ المصدر السابق ، ص ١٤٢

منقول استحسان مشاققة الشارع<sup>١٥٢</sup> .  
فمهما دار النقاش للدفاع عن بعض البدع ، فإن صاحبها أعزل من  
الحجة ، ولا قيمة لدفاعه ، لأنه لا يملك التنبيه ، ومهما أتى من حجج ، فهي  
بمثابة سهام يصوبها على نفسه ، باحباط عمله<sup>١٥٣</sup> ، لأنه في بدعة ( وكل  
بدعة ضلالة ) .. واكبر دليل علي عدم قبول أعمال أهل البدع ، أن أعمالهم  
لم تصلح قلوبهم لا بل لكثير منهم قلوب هي كالصخر لا بل هي أشد من  
ذلك ، حيث أنهم أباحوا دماء المسلمين ، ونشروا الفتن ، وماتت الاخوة  
الاسلامية بينهم ، وعاشوا في قلوب متنافرة ، حاقدة ، همها الجدل العقيم  
الذي لا يأتي بخير .

### منهج أهل البدع

لكل أمة شرعة ومنهاجا يسلكوه في حياتهم ، وهذا المنهاج إما ان  
يكون من عند الله ، أو من عند الشيطان ، فمنهج الأمة الاسلامية السالكة  
سبيل الرشاد ، منهاجها التعاليم الاسلامية التي أنزلها الله على نبيه  
محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأهل البدع اتخذوا منهاجا يضاد لمنهاج  
الأمة الاسلامية ، ويسمى منهاج < الضلال > لان كل بدعة ضلالة ، وان  
معاني < الضلال > هي القوانين أو المواد التي يلتزم بها أهل البدع كل على  
حسب مستواه ، في هذا الضلال ، وان اختيار هذه اللفظة ، لأهل البدع ،  
لتكون منهاجا لهم ، لا يمكن لأي مفكر ، لو حك يا فوخه في السماء ، من  
سعة أفقه ، وعمق إدراكه ، وشمول تفكيره ، وكثرة تجاربه ، أن يأتي  
بمنهاج يشمل أهل البدع ، كمنهاج < الضلال > .

وأريد ان أبين هذه المعاني من القرآن الكريم ، استنادا على التفاسير  
، وأسأل الله العون والتقدير :

١٥٠٢ المصدر السابق

١٥٠٣ إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة ، والنية الحسنة لا تجعل الباطل حقا ، لان النية وحدها لا تكفي  
لتصحيح الفعل ، فلا بد ان ينضم اليها التقييد بالشرع > انظر مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية :

معاني الضلال أو ما يشتق منها :

١ - الكفر ، والاشراك بالله :

القسم الأول > الكفر بالله < :

أ - ورد هذا المعنى في قوله تعالى : « وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »<sup>١٠١</sup> .

معنى - لفي ضلال مبين : كفر وجهالة<sup>١٠٢</sup> .

ب - وفي قوله تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم »<sup>١٠٣</sup> .  
« من يشأ الله يضلله » : فيموت على الكفر<sup>١٠٤</sup> .

ج - وكذلك في قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين »<sup>١٠٥</sup> .

فمعنى الضلال : الكفر بالايمان<sup>١٠٦</sup> . أي استبدلوا الكفر بالايمان .

د - وقوله تعالى « ... حتي إذا أداركوا فيها جميعا ، قالت أوراها أولاهم ، ربنا هؤلاء اضلونا ، فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون »<sup>١٠٧</sup> .

فيأتى معنى الضلال : الكفر والاغواء<sup>١٠٨</sup> .

هـ - وفي قوله تعالى : « ومن ضل ، فإنما يضل عليها »<sup>١٠٩</sup> .

ومعنى قوله : « ومن ضل » : بالكفر والاعراض<sup>١١٠</sup> .

و - وورد معنى الضلالة تقديم الكفر في قوله تعالى : « ألم ترالى

١٥٠٤ الجمعة : ١

١٥٠٥ مدارك التنزيل وحقائق التأويل > للنسفي < ، ج ٥ ص ١٩٧

١٥٠٦ الأنعام : ٣٩

١٥٠٧ زاد المسير في علم التفسير > لابن الجوزي < ، ج ٣ ص ٣٩

١٥٠٨ البقرة : ١٦

١٥٠٩ مختصر تفسير ابن كثير > للصابوني < ، ج ١ ص ٣٦ . الجامع لأحكام القرآن > للقرطبي < ،

ج ١ ص ٢١٠

١٥١٠ الأعراف : ٢٨

١٥١١ النكت والعيون > للماوردي < ، ج ٢ ص ٢٦

١٥١٢ يونس : ١٠٨

١٥١٣ روح المعاني > للأوسى < ، ج ١١ ص ٢٠١

الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ، ويريدون ان تضلوا السبيل «<sup>١٥١٤</sup> .  
معنى « يشترون الضلالة » : عبارة عن ايثارهم الكفر على الايمان<sup>١٥١٥</sup>

#### القسم الثاني - الاشرار بالله :

أ - قال تعالى : « إني إذا لفي ضلال مبين »<sup>١٥١٦</sup> .  
معنى « إني إذا لفي ضلال مبين » : أي إن اتخذها<sup>١٥١٧</sup> آلهة من دون الله<sup>١٥١٨</sup> .

ب - وقال تعالى : « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول : أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ »<sup>١٥١٩</sup> .

ومعنى « أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » : أي فيقول تبارك وتعالى للمعبودين : أنتم دعوتهم هؤلاء الى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم<sup>١٥٢٠</sup> ؟ .

#### ٢ - الأثم والوزر :

قال الله تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون »<sup>١٥٢١</sup> .

معنى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم » : أي قالوا ذلك إضلالا للناس ، فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم ، وهو وزر الاضلال ، لأن المضل والضال شريكان<sup>١٥٢٢</sup> .

١٥١٤ النساء : ٤٤

١٥١٥ تفسير ابن جزى ، ص ١٢٢

١٥١٦ يس : ٢٤

١٥١٧ أي اتخاذ الأصنام آلهة دون الله < مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٥٩ > .

١٥١٨ تفسير مختصر ابن كثير ، ج ٣ ص ١٥٩

١٥١٩ الفرقان : ١٧

١٥٢٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٢٧

١٥٢١ النحل : ٢٥

١٥٢٢ مدارك التنزيل وحقائق التأويل < للنسفي > . ج ٣ ص ٣٦

٣ - الخذلان وعدم العصمة :

قال تعالى : « ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه »<sup>١٥٢٣</sup> .  
معنى « ومن يضلل » : أي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان<sup>١٥٢٤</sup> .  
وكذلك ورد هذا المعنى في آية أخرى ، قال تعالى : « ومن يضلل الله فما له من هاد »<sup>١٥٢٥</sup> .  
قال الزمخشري : « ومن يضلل الله » : ومن يخذله بعلمه انه لا يهتدي ، « فما له من هاد » : فما له من واحد يقدر على هدايته<sup>١٥٢٦</sup> .  
وكذلك ورد ما يؤيد هذا المعنى في قوله تعالى : « فيضل الله من يشاء »<sup>١٥٢٧</sup> .  
ومعنى الضلال : أي يخلق فيه الضلال لوجود أسبابه المؤدية اليه فيه<sup>١٥٢٨</sup> .

وقيل : يخذله ، فلا يلفظ به لما يعلم انه لا ينجح فيه اللطاف<sup>١٥٢٩</sup> .

٤ - الهلاك :

قال تعالى : « أولئك الذين خسروا أنفسهم ، وضل عنهم ما كانوا يفترون »<sup>١٥٣٠</sup> .  
ومعنى « وضل عنهم » : أي ذهب وهلك<sup>١٥٣١</sup> .

١٥٢٣ الإسراء : ٩٧

١٥٢٤ مدارك التنزيل وحقائق التويل > للنسفي > ، ج ٣ ص ١٠٤

١٥٢٥ الرعد : ٣٣

١٥٢٦ البحر المحيط > لابن حيان > ، ج ٥ ص ٣٩٥

١٥٢٧ ابراهيم : ٤

١٥٢٨ البحر المحيط > لابن حيان > ، ج ١٣ ص ١٨٧

١٥٢٩ المصدر السابق .

١٥٣٠ هود : ٢١

١٥٣١ البحر المحيط ، ج ٥ ص ٢١٢

١٥٣٢ الفجر : ٢٤

٥ - الخيبة والخسارة :

قال تعالى : « فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه ، إنا إذا لفي ضلال وسعر »<sup>١٥٣٢</sup> .  
معنى « إنا إذا لفي ضلال وسعر » : لقد خبنا وخسرنا<sup>١٥٣٣</sup> .

٦ - الضياع والبطلان :

أ - قال تعالى : « ... وما نرى معكم سفهاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون »<sup>١٥٣٤</sup> .  
معنى « وضل » : وضاع وبطل<sup>١٥٣٥</sup> .  
ب - وورد هذا المعنى في قوله تعالى : « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال »<sup>١٥٣٦</sup> .  
ومعنى « في ضلال » : في ضياع وخسارة وباطل<sup>١٥٣٧</sup> .  
ج - وكذلك ورد هذا المعنى في قوله تعالى : « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم »<sup>١٥٣٨</sup> .  
ومعنى « أضل أعمالهم » : أبطلها<sup>١٥٣٩</sup> ، وأصل < الضلال > : الغيبوبة ، يقال : ضل الماد في اللبن : إذا < غاب > وغُلب عليه ، فلم يتبين<sup>١٥٤٠</sup> .  
د - ويؤيد هذا المعنى في قوله تعالى : « ... قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال »<sup>١٥٤١</sup> .  
معنى « إلا في ضلال » : ضياع<sup>١٥٤٢</sup> .

٧ - الفوايصة :

- 
- ١٥٣٢ الفجر : ٢٤  
١٥٣٣ مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، ج ٣ ص ٤١١  
١٥٣٤ الأنعام : ٩٤  
١٥٣٥ مدارك التنزيل وحقائق التأويل < للنسفي > ، ج ٢ ص ٦٢  
١٥٣٦ الرعد : ١٤  
١٥٣٧ روح المعاني ، للكلوسي ، ج ١٣ ص ١٢٥  
١٥٣٨ محمد : ١  
١٥٣٩ تفسير غريب القرآن < لابن قتيبة > ص ٤٠٩  
١٥٤٠ المصدر السابق  
١٥٤١ المؤمن : ٢٥  
١٥٤٢ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٤ ص ٣٤٩

قال تعالى : « أقمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين »<sup>١٥٢٣</sup> .  
معنى « في ضلال مبين » غواية ظاهرة<sup>١٥٢٤</sup> .

#### ٨ - الجهل :

أ - قال تعالى : « ... والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد »<sup>١٥٢٥</sup> .  
معنى « لفي ضلال بعيد » : أي في جهل بين<sup>١٥٢٦</sup> .  
ب - وكذلك ورد هذا المعنى في قوله تعالى : « هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضال مبين »<sup>١٥٢٧</sup> .  
معنى « بل الظالمون في ضلال مبين » : يعني المشركين بالله ، العابدين معه غيره ، في جهل وعمى ، واضح ظاهر لا خفاء به<sup>١٥٢٨</sup> .  
ج - ويزيد تأكيد هذا المعنى ، قوله تعالى : « قال فعلتها إذا وأنا من الضالين »<sup>١٥٢٩</sup> .  
معنى « وأنا من الضالين » : أي قبل أن يوحى إلى ، وينعم الله على بالرسالة والنبوة<sup>١٥٣٠</sup> . قال ابن عباس : « وأنا من الضالين » : أي الجاهلين<sup>١٥٣١</sup> .

#### ٩ - الغساق والانهلال الخلقى :

جاء ما يدل على هذا المعنى في قوله تعالى : « ... تراود فتاها عن نفسه ، قد شغفها حبا ، إنا لنراها في ضلال مبين »<sup>١٥٣٢</sup> .  
معنى « إنا لنراها في ضلال مبين » : أي في صنيعها هذا من حباها

١٥٤٣ الزمر : ٢٢

١٥٤٤ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ، ج ٤ ص ٣١٩

١٥٤٥ الشورى : ١٨

١٥٤٦ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٣ ص ٢٧٤

١٥٤٧ لقمان : ١١

١٥٤٨ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٣ ص ٦٤

١٥٤٩ الشعراء : ٢٠

١٥٥٠ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٤٥

١٥٥١ المصدر السابق

١٥٥٢ يوسف : ٢٠

فتاها ، و مراودتها إياه عن نفسه<sup>١٥٥٣</sup> .

١٠ - اجباط العمل :

ما يدل على هذا المعنى في قوله تعالى : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد »<sup>١٥٥٤</sup> .  
معنى « ذلك هو الضلال البعيد » : أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة ، حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه<sup>١٥٥٥</sup> .

١١ - الخطأ في الوصول للحق :

أ - جاء ما يدل على ذلك في قوله تعالى : « .. وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »<sup>١٥٥٦</sup> .  
معنى « فقد ضل سواء السبيل » : فقد أخطأ طريق الحق والصواب<sup>١٥٥٧</sup> .

ب - ويؤيد هذا المعنى في قوله تعالى : « .. فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل »<sup>١٥٥٨</sup> .  
معنى « ضل سواء السبيل » : أي أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى إلى الضلال<sup>١٥٥٩</sup> .

ج - ويؤكد هذا المعنى كذلك ، قوله تعالى : « قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون »<sup>١٥٦٠</sup> .  
معنى « إلا الضالون » : المخطئون طريق الصواب<sup>١٥٦١</sup> .

١٥٥٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٢٤٨

١٥٥٤ إبراهيم : ١٨

١٥٥٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٢٩٤

١٥٥٦ المتحنة : ١

١٥٥٧ مدارك التنزيل وحقائق التأويل > للنسفي > ، ج ٥ ص ١٨٥

١٥٥٨ المائدة : ١٢

١٥٥٩ مختصر تفسير ابن كثير ، ٠٠

١٥٦٠ الحجر : ٥٦

١٥٦١ مدارك التنزيل وحقائق التأويل > للنسفي > ، ج ٣ ص ٢٢

١٢ - الزلل في مواقف الغنن :

ومما جاء في هذا المعنى في كتاب الله ، قوله تعالى : « ... ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء »<sup>١٥٦٢</sup> .  
ومعنى « ويضل الله الظالمين » : فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل<sup>١٥٦٣</sup> أقدامهم أول شيء ، وهم في الآخرة أضل وأزل<sup>١٥٦٤</sup> .

١٣ - عدم السمع والبصر والعقل :

ومما يدل على هذا المعنى في القرآن الكريم ، قوله تعالى : « اسمع بهم وابصر ، يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين »<sup>١٥٦٥</sup> .  
معنى « لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين » : لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك<sup>١٥٦٦</sup> .

١٤ - الاندحار :

يدل على هذا المعنى ، قوله تعالى : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ، ثم ازدادوا كفرا ، لن تقبل توبتهم ، وأولئك هم الضالون »<sup>١٥٦٧</sup> .  
المعنى « الضالون » : أي الخارجون عن المنهج الحق الى طريق الغي<sup>١٥٦٨</sup>

وجاء هذا المعنى في قوله تعالى : « ولأضلنهم ولأمنينهم ، لأمرنهم فليبتكن ... »<sup>١٥٦٩</sup> .  
معنى « ولأضلنهم » : لأضلهم عن محجة الهدى ، ولأزيغنهم عن طاعتك بالأمانى<sup>١٥٧٠</sup> .

١٥٦٢ إبراهيم : ٢٧

١٥٦٣ معنى وتزل أقدامهم : وهي الحيرة التي تحققهم ، إذ ليسوا متمسكين بحجة ، وفي الآخرة هو اضطرابهم في جوابهم < البحر المحيط ، لابن حيان ، ج ٥ ص ٤٢٣ >

١٥٦٤ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٢ ص ٤٣٠

١٥٦٥ مريم : ٢٨

١٥٦٦ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ٢ ص ٤٥٢

١٥٦٧ آل عمران : ٩٠

١٥٦٨ مختصر تفسير ابن كثير ٠٠

١٥٦٩ النساء : ١١٩

١٥٧٠ تفسير القرطبي ، ج ١ ص ١٧٤

١٥ - التيه والحيرة :

- أ - والذي يدل على هذا المعنى ، قوله تعالى « وإذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة ! إني أراك وقومك في ضلال مبين »<sup>١٥٧١</sup> .  
معنى « في ضلال مبين » : أي تائهين ، لا يهتدون ، أين يسلكون ، بل في حيرة وجهل<sup>١٥٧٢</sup> .  
ب - ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : « ... قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا : ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين »<sup>١٥٧٣</sup> .  
المعنى « قالوا ضلوا عنا » : غابوا عنا وتاهوا<sup>١٥٧٤</sup> .

١٦ - الشقاء :

- أ - ومنه قوله تعالى : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد »<sup>١٥٧٥</sup> .  
المعنى « الضلال » : معناه الشقاء<sup>١٥٧٦</sup> .  
ب - وورد هذا المعنى كذلك في قوله تعالى : « إنا إذا لفي ضلال وسعر »<sup>١٥٧٧</sup> .  
المعنى « ضلال » معناه الشقاء<sup>١٥٧٨</sup> .

١٧ - الاستدلال في الحكم :

- ومنه قوله تعالى : « إذ همّت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم .. »<sup>١٥٧٩</sup> .

١٥٧١ الأنعام : ٧٤

١٥٧٢ مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ١ ص ٥٩١

١٥٧٣ الأعراف : ٣٧

١٥٧٤ في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ١٢٨٩

١٥٧٥ سبأ : ٨

١٥٧٦ نزهة الأعين النواظر > لابن الجوزي < ص ٤٠٨

١٥٧٧ القمر : ٢٤

١٥٧٨ نزهة الأعين النواظر > لابن الجوزي < ص ٤٠٨

١٥٧٩ النساء : ١١٣

وهنا معنى « يضلوك » : يذلوك .  
يقال نزلت في أمر طعمة بين أبيرق ، وكان قد سرق درعا وتركها  
عند يهودي ، فلما رؤيت عند اليهودي ، أحال بها على طعمة . وانطلق قوم  
طعمة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسألوه : أن يجادل عن  
صاحبهم ، لئلا يبرأ اليهودي ، ويفتضح أمره . فهم رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - أن يفعل ، فنزلت هذه الآية<sup>١٥٨٠</sup> .

#### ١٨ - النسيان :

ومنه قوله تعالى : « أن تضل إحداهما ، فتذكر إحداهما الأخرى »<sup>١٥٨١</sup>  
معنى « أن تضل إحداهما » : ان تنسى<sup>١٥٨٢</sup> .

#### ١٩ - اليهود :

ومن قوله تعالى : « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا  
كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل »<sup>١٥٨٣</sup> .  
المعنى « قد ضلوا » : اليهود<sup>١٥٨٤</sup> .  
« وضلوا عن سواء السبيل » أي قصد طريق محمد - صلى الله عليه  
وسلم - .  
والمراد الاسلاف الذين سنوا سنن الضلالة ، وعملوا بها من رؤساء  
اليهود والنصارى<sup>١٥٨٥</sup> .

#### ٢٠ - النصارى :

قال تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »<sup>١٥٨٦</sup> .

١٥٨٠ نزمة الأعين النواظر < لابن الجوزي > ص ٤٠٧

١٥٨١ البقرة : ٢٨٢

١٥٨٢ نزمة الأعين النواظر < لابن الجوزي > ص ٤٠٩

١٥٨٣ المائة : ٧٧

١٥٨٤ القرطبي ، ج ٣ ص ٢٥١ - مختصر الطبري ، ج ١ ص ٢٠٥

١٥٨٥ القرطبي ، ج ٣ ص ٢٥١

١٥٨٦ الفاتحة : ٧

معنى « الضالين » : النصارى<sup>١٥٨٧</sup> .

### توضيح وبيان :

لقد تكررت لفظة الضلالة أو ما يشتق منها في القرآن الكريم كثيرا ، وذلك لخطورتها ، لقد تكررت من مائة وخمسين مرة ، وبمعان مختلفة ، وكلها تدل على الانحراف<sup>١٥٨٨</sup> عن الطريق المستقيم ، ولهذه الانحرافات درجات متفاوتة ، تصل الى حد الكفر والخروج من الأمة الاسلامية ، ولأهمية هذه اللفظة وخطورتها ، وتشابك معانيها وملابساتها ، ودقة الفاظها ، مما يجعل اللبيب يحتار في تحديد المعاني . . ولذلك نحتاج الى توضيح ما يأتي :

- ١- لا يشترط ان المعاني التي وردت لكلمة < الضلالة > في القرآن الكريم كلها بدعة ، ولكن يمكن ان تكون تلك المعاني بدعة من طريق آخر ، لان كل بدعة ضلالة .
- ٢ - ان البدع لا تكون كلها بدرجة واحدة ، وانما تتفاوت فتصل الى درجة الكفر ، وقد تكون بدرجة الغفلة والجهل ، ولذلك لا يمكن ان نزن أصحاب البدع بميزان واحد ، أو تكون لهم عقوبة واحدة ، وانما ينزل كل منهم بقدر البدعة التي يرتكبها ، ولذلك نجد كلمة الضلالة لها معان كثيرة .
- ٣ - ان جميع البدع في الدين تكون مخالفة للمشرع ، ولا يمكن ان يتقرب بها الله بأي حال من الأحوال ، ولان كل بدعة ضلالة ، وان كل ضلالة تدل على شر كما مرت معانيها في القرآن الكريم -
- ٤ - ان اصحاب البدع تكون قلوبهم شتى ، وأراؤهم مختلفة ، لان الضلالة لها معان كثيرة ومختلفة ، ولذلك يمكن ان تكون عدد البدع ، بعدد معاني الضلالة .

---

١٥٨٧ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٤ . الكشاف < للزمخشري > ، ج ١ ص ٧١ . تفسير ابن جزي ، ص ١٠ . تفسير صفوة البياني لمعاني القرآن < للشيخ حسنين محمد مخلوف > ، ص ٣ . تفسير البيضاوي < للامام البيضاوي > ، ج ١ ص ٤٠ . صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٢٦ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي ، ج ١ ص ٦ . مختصر تفسير الامام الطبري ، ج ١ ص ٣٥ . مفحومات الأقران في مبهعات القرآن < للسيوطي > ، ص ١٣ .

١٥٨٨ لقد وردت لفظة الضلالة في القرآن الكريم مما يدل على النسيان في موضع واحد ، وهذا لا يعتبر من الانحراف ، وانما هي فطرة الانسان وخاصة النساء ، قال الله تعالى : « ان تضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى » البقرة : ٢٨٢

- ٥ - ان البدعة تدعو الى التفرقة والتمزق والضعف ، وذهب شوكة الأمة الاسلامية ، فهي مخالفة للاسلام ، لان الاسلام يدعو الى الاعتصام<sup>١٥٨٩</sup> .
- ٦ - ان البدعة تدعو للقضاء على الأصالة الاسلامية ، وتدعو الى وحدة الاديان المحرفة والاسلام ، لان جميع البدع كما رتبنا معانيها التي وردت في التفاسير ، تدل على انها رواسب جاهلية أو بقايا المجوسية أو الأديان المحرفة من اليهودية والمسيحية .
- ٧ - ان اكبر الروافد التي تمد البدعة من الديانات المحرفة هي المسيحية كما ورد ذلك في القرآن الكريم في تفسير كلمة الضالين في سورة الفاتحة ، فقد اتفق جميع المفسرين علي ان الضالين هم النصارى ، لانهم أصحاب أهواء وغلو في الدين .
- وقال الله تعالى في النصارى<sup>١٥٩٠</sup> : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »<sup>١٥٩١</sup> .

ومن أكبر ضلالات النصارى واليهود ، التي غذت البدعة ، وكانت شريانا لتنميتها ، ومن هذه الضلالات :

أ - جحد النصارى واليهود لرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - : لقد وقع ذكره<sup>١٥٩٢</sup> ( الرسول - صلى الله عليه وسلم - ) بنعته وصفته وعلاماته ودعوته ، وصفة أمته ، ووقت مخرجه ، ونحو ذلك ، فإن هذا يعينه ويميزه ، ويحصر نوعه في شخصه ، وهذا القدر مذكور في التوراة والانجيل ، وغيرهما من النبوات التي بأيدي أهل الكتاب<sup>١٥٩٣</sup> .

ولقد دعموا وغطوا خبث الجحود والنكران ، بستار أوهى من بيت العنكبوت ، ونريد من فضح خبثهم ، وكلما زادوا احكامه ودقته وذلك الستار .

ب - التحريف والكتمان لنعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - : وقد وبخهم الله سبحانه وتعالى وبكتهم على لسان رسوله

١٥٨٩ قال الله تعالى : « واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا .. » آل عمران : ١٠٣

١٥٩٠ صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص ٣

١٥٩١ المائة : ٧٧

١٥٩٢ لقد ذكر اثنا عشر وجها تدل على انه مذكور في الكتب المنزلة < هداية الحيارى في الرد على اليهود

والنصارى > لابن قيم الجوزية ، ص ٧١

١٥٩٣ هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ، ص ٦٦

بالتحريف والكتمان والاختفاء<sup>١٥٩٤</sup> ، قال تعالى : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »<sup>١٥٩٥</sup> ، وقال تعالى : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »<sup>١٥٩٦</sup> ، وقال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم »<sup>١٥٩٧</sup> .

ج - ومن ضلالتهم في العبادة :

أن النصارى مخالفون للمسيح في كل فروع دينهم في الطهارة والصلاة والصوم وأكل الخنزير وتعليق الصليب ، ويقولون ان الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة ، لانها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين ، أقرب الى مخالفة الامتين<sup>١٥٩٨</sup> .

د - وكذلك من ضلالتهم الاخلاقية : ليس عند النصارى على زنى أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ، ولا عذاب في الآخرة ، لأن القس أو الراهب يغفر لهم<sup>١٥٩٩</sup> .

ولقد أدخل أهل الكتاب الضلال والبدع في كل جوانب حياتهم ، ومن أكبر تلك الضلالات فساد العقيدة ، وهي عقيدة التثليث التي يدين بها النصارى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وعلى كثرة الضلالات التي شملت جميع نواحي الحياة عند أهل الكتاب وخاصة النصارى ، اتفق أهل التفسير على ان الضالين هم النصارى لكثرة بدعتهم . والله أعلم .

١٥٩٤ المصدر السابق ، ص ٧٤

١٥٩٥ آل عمران : ٧١

١٥٩٦ البقرة : ١٥٩

١٥٩٧ المائدة : ١٥ - ١٦

١٥٩٨ هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ، ص ١٩٤

١٥٩٩ المصدر السابق ، ص ١٩٥

## تنبيهات هامة على خطر البدع

- أ - الخطر الأول : تسرب البدع في التفاسير ——— .
- ب - الخطر الثاني : أهل البدع ووضع الحديث النبوي الشريف .

### أ - الخطر الأول - تسرب البدع في التفاسير :

لم يترك أهل البدع شيئاً من التعاليم الإسلامية ، الا وبثوا سمومهم فيها ، فمنهم من أول الاحاديث النبوية وفسرها حسب أهوائه ورغباته فكفر المسلمين ، ومن انكر العمل بالاحاديث النبوية ، ادعاءً بعدم جواز الأخذ بخبر الآحاد ، ومنهم من أنكر صحة الحديث الذي لا يناسب هواه ، ولم يقفوا الى هذا الحد بل زحفوا الى الآيات القرآنية ، ولكنهم لم يستطيعوا الزيادة فيه أو النقصان أو التحريف ، لأن الله تكفل بحفظه ، قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »<sup>١</sup> ، ولكن بدعهم ادخلوها بطريقة التفسير ، على ما يناسب فكرتهم وعقيدتهم ، بادخال الرأي ومحاولة الابتعاد عن الاحاديث التي لا تناسب رأيهم ، بالطبع في ذلك الحديث ، ومن تلك التفاسير ، تفاسير المعتزلة ، كتفسير أبي مسلم محمد بن الاصفهاني . وتفسير علي بن عيسى الرماني ، وتفسير ابي علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي ، وغيرها من التفاسير التي تكثر فيها البدع .

ومن أهم البدع التي في التفاسير هي :

#### ١- نفي الرؤية عن الله سبحانه وتعالى :

قال تعالى : « ثم جعلناكم فئات في الأرض من بعدهم ، لننظر كيف تعملون »<sup>٢</sup> .

قال الزمخشري : فإن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى ؟ وفيه معنى المقابلة ! قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر ، وعيان المعاني في تحققه . قلت : حاصل كلامه نفي النظر عن الله تعالى ، بدعوى استلزامه المقابلة ، وهي في حقه ممتنعة .

فالله سبحانه وتعالى متصف بالسمع والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة أو آلة ، فيعلم تعالى المبصرات والمسموعات تمام العلم

١٦٠٠ الحجر : ٩

١٦٠١ يونس : ١٤

وتنكشف له وتنجلي تمام الانكشاف والتجلي<sup>١٦٢</sup> .. وقبل البصر الذي يبصر ما تحت الثرى<sup>١٦٣</sup> .. وقيل : إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك<sup>١٦٤</sup> .

ومعنى هذا ان الله لا تخفى عليه خافية ، يعلم ويسمع ويرى وهو كامل الصفات ، وقد أراد سيدنا ابراهيم - عليه الصلاة والسلام ، تقري السمع والبصر حين قال لأبيه : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغني عنك من الله شيئا »<sup>١٦٥</sup> .

ولو كان لا يعتقد ان عدم السمع والبصر نقص لخاف ان ينقل الدليل عليه في معبوده ، فيقال له : وأنت تعبد ما لا يسمع ولا يبصر . أضف الى ذلك أن اهل اللغة لا يفهمون في < سميع ، وبصير > الا ذاتا قد ثبت لها السمع والبصر<sup>١٦٦</sup> .

والنص الصريح في الكتاب والسنة يرد هذه البدعة ، قال تعالى : « إنني معكما أسمع وأرى »<sup>١٦٧</sup> ، « إن الله سميع بصير » ، وقوله تعالى : قد نرى تقلب وجهك في السماء »<sup>١٦٨</sup> ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ( الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) .

والرؤية والنظر واحد ، ودعوى استلزامهما للمقابلة<sup>١٦٩</sup> باطلة ، لان الله تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها ، فكما انه تعالى موجود لا في مكان ولا في جهة ، كذلك يرى وينظر من غير جارحة ولا مقابلة ، ونفي النظر عنه ، ينافي كماله المطلق سبحانه وتعالى .

## ٢ - التفسير بغرائب هي أشبه بالخرافة من الحقيقة :

أ - قال تعالى : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » . سكينة : سكون وطمأنينة .  
والمعنى : انهم اذا رأوا التابوت سكننت قلوبهم وأطمأنت .

١٦٠٢ أسماء الله الحسنى < حسنين محمد مخلوف > ، ص ٤٨

١٦٠٣ شرح أسماء الله الحسنى < الامام الرازي > ، ص ٢٤٧

١٦٠٤ المصدر السابق .

١٦٠٥ مريم : ٤٢

١٦٠٦ شرح جوهرة التوحيد < للباجوري > ص ١١٩

١٦٠٧ لقمان : ٢٨

١٦٠٨ البقرة : ١٤٤

١٦٠٩ المقابلة : لقيه مواجهة ، الشيء بالشيء : عارضه به يرى وجه الشبه أو الاختلاف بينهما ، قابل الكتاب

بالكتاب < الرائد > ج ٢ ص ١١٤١

ومن بدع التفاسير ما حكاه الزمخشري ، ولم يتعقبه : أن السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، كانت في التابوت ، لها رأس كرأس الهر وذناب كذنبه ، وجناحان ، فيزف<sup>١٦١٠</sup> التابوت نحو العدو ، وهم يمضون معه ، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ، ونزل النصر .

فهذه الأوصاف الغريبة ، وتلك التشكيلة في هذا الكائن ، مما يثير الدهشة ، ويلفت النظر ، ويبعث الى الشك .

ب - ومن العجائب ، الغرائب الأخرى ، قوله تعالى : « ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته » .

تسبيح الرعد : أما ان يراد به : تسبيح معية ، فيكون في مجاز الحذف ، أو يراد به : دلالته على قدرة الله تعالى ، مكتسبة بدلالته على نعمة المطر التي يحمدها ، فيكون من قبيل الاستعارة . أو : انه يسبح حقيقة ، وان كنا لا نفقه تسبيحه .

قال الزمخشري : ومن بدع المنصوفة ، الرعد : صفعات الملائكة ، والبرق : زفرات أفئدتهم ، المطر : بكاؤهم .

فهذا التفسير فيه السذاجة التي تبعث الى السخرية ، مما يفتح للأعداء ثغرة يتسللون منها لبث سمومهم .

ج - ومن الغرائب المكشوفة قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل »<sup>١٦١١</sup> .

قال الزمخشري : ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل : علي وقومه ، وعن بعضهم قال انه قال - عند المهدي الخليفة - : إنما النحل : بنو هاشم ، يخرج من بطونهم العلم<sup>١٦١٢</sup> ..

فهذه التأويلات المضحكة ، لا تتحملها اللغة ، ولا يقبل بها أي مفسر ، فالعلم لا يكون في البطن في بني آدم ، وانما يكون في الصدر .

د - ومن الغرائب والخرافات التي تدهش السامع ، تفسير قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، لا يتكلمون الا من أذن له

١٦١٠ الريح تزف : وهو هبوب ليس بالشديد ، ولكنه في ذلك ماضٍ > العباب الزاخر واللباب الفاخر ، ص ٢٤٦ ،

حرف الفاء > ويقال زفيف الظليم ابتداء تحنوه ، يقال : زف الظليم ويزف بالكسر زفيفا : أي أسرع

> العباب الزاخر ، ص ٢٤٥ > . ومنه قوله تعالى : « فانقلبوا اليه يزفون » الصافات : ٩٤ ، أي : يسرعون

اليه في المشي > تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٣٧٢ > . وكذلك الزف ، وانشد أبي دريد :

فطالما سقنا المطي زفاً ليلاً تعر عني الدفاً > الجماهر : ٩٠/١ >

١٦١١ النحل : ٦٨

١٦١٢ بدع التفاسير ، ص ٧٧ - ٧٨

الرحمن وقال صوابا «<sup>٣٣٢</sup>» .

ومن بدع التفاسير : ما جاء عن وهب بن منبه ، قال : أشرف ذو القرنين ، على جبل قاف ، فرأى تحته جبالا صغارا ، فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا قاف ، قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هي عروقي ، وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي . فإذا أراد الله ان يزلزل مدينة ، أمرني ، فحركت عرقي ذلك ، فتزلزلت تلك الارض ، فقال له : يا قاف ، أخبرني بشيء من عظمة الله . قال : ان شأن ربنا لعظيم ، وان ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام ، في خمسمائة من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضا ، لولا هي لاحترقت من خرجتهم . قال زدني ، قال : إن جبريل - عليه السلام - واقف بين يدي الله تعالى ترتعد فرائصه ، يخلق الله من كل رعدة ألف ملك . فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله تعالى ، منكسون رؤوسهم ، فإذا أذن الله لهم في الكلام ، قالوا : لا إله إلا الله ، وهو قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا »<sup>٣٣٣</sup> .

فهذه خرافات وأساطير يترفع عنها أدنى صاحب معرفة ، فهي خرافات مكشوفة ، مع عدم تنسيقها ، وترتيبها .

### ٣ - الاتيان بتحريف لا تحتمله الآية :

أ - قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »<sup>٣٣٤</sup> .  
حرف بعض المتصوفة هذه الآية الى : < من ذل ذي - يعني نفسه - يشفع عنده - > ، يقصد ان من أذل نفسه يشفع عند الله . وغفل عن الاستثناء<sup>٣٣٥</sup> .. فهذا تحريف مناف لأصول القواعد في التفسير ، لانه غير مبني على قواعد اللغة السليمة ، وهذا عمل فيه تطاول على الحق ، والقول بغير علم ، مما يفتح لاهل الباطل مجالا للدخول على المنهج الاسلامي من هذه الأبواب .

ب - تحريف آخر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » ، معنى الآية : ان الله تعالى أسمع موسى - عليه السلام - كلامه ، وأكد بالمصدر ، لينفي عنه احتمال المجاز ، ولذا سمي موسى كليم الله<sup>٣٣٦</sup> .

١٦١٣ النبأ : ٣٨

١٦١٤ النبأ : ٣٨

١٦١٥ البقرة : ٢٥٥

١٦١٦ بدع التفاسير ، ص ٢٩

١٦١٧ المصدر السابق ، ص ٤٠

ومن بدع التفاسير كما قال الزمخشري : ان كلم من الكلم بسكون اللام ، وان المعنى : وجرح موسى بأظفار المحن ، ومخالب الفتن . هذا التفسير خاطيء ، لان صاحبه تعمد تحريف معنى الآية ، حتى لا يضطر الى الاعتراف بنسبة الكلام الى الله تعالى .

ج - تحريف ثالث : في قوله تعالى : « من شر ما خلق » قرأه بعض المغالين في الاعتزال ، من شر بتنوين شر ، وجعل « ما » نافية . والمعنى : قل أعوذ برب القلق من شر ما خلقه ، بل خلقه فاعله . بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعاله . وهذا تحريف يدل على انحراف عن صفاء العقيدة ، وبعد عن حقيقة الاسلام .

#### ٤ - تفاسير فيها طعن :

أ - منها قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » من الغي ، ضد الرشد . وكان أكله من الشجرة نسيانا ، بدليل قوله تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما »<sup>١١٨</sup> .

ومن بدع التفاسير : قول بعضهم : فغوى فبشم من كثرة الأكل . قال الزمخشري : وهذا - وان صح - على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا ، فيقول في فني وبقي : فنا وبقا ، وهم بنوطي . وهذا تفسير خبيث ، لوصف آدم بالشرة ، والأنبياء - عليهم السلام - معصومون من كل خلق دنيء .

وقع كثير من المفسرين عن قصد أو غير قصد بخطأ أودى بهم الى التحريف والتزييف بما يجافي سير الأنبياء وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وفق ما أبانها القرآن الكريم ، الذي نزه رسل الله الذين يخلقون في مستوى من الكمال الخلقى لا يسف بهم الى مهاوى الخطأ والخلل<sup>١١٩</sup> .

ب - مطعن ثانٍ : في قوله تعالى : « وهل أتاك بنا<sup>١٢٠</sup> الخصم إذ تسوروا المحراب<sup>١٢١</sup> »<sup>١٢٢</sup> . جاء هؤلاء الخصوم ، فتسوروا المحراب<sup>١٢٣</sup> إذ دخلوا على داود ففزع منهم<sup>١٢٤</sup> حيث نزلوا من جهة السقف ، وظن انهم

١٦١٨ طه : ١١٥

١٦١٩ قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، سميع عاطف ، ص ٥٨٣

١٦٢٠ نبا الخصم : خبرهم .

١٦٢١ المحراب : محراب داود - عليه السلام - ، وهو المسجد الذي أعده للصلاة في بيته > بدع التفاسير < محمد

صديق الغماري ، ص ١٠٧

١٦٢٢ ص : ٢١

١٦٢٣ ص : ٢٢

يريدون به شرا ، . . « قالوا : لا تخف »<sup>١١٣</sup> لا نقصدك بشر ، نحن « خصمان » ، وبعد ان بينا السبب الذي من أجله حضرا ، واستمع الى الخصم ، وحكم بينهما بالحق . . « وظن « أيقن « داود أنما فتناه « ابتليناه بالفزع الذي حصل منه حين تسور الخصوم عليه المحراب . وماكان ينبغي له الفزع من المخلوق ، وهو في حضرة الخالق وعبادته « فاستغفر ربه « من فزعه الذي لا يليق به « وخر راکعا « ساجدا « وأتاب « رجع الى الله تعالى . . فتبين من سياق القصة انه كانت خصومة بين شركاء في نجاج حقيقة ، وانه لم يحصل من داود - عليه السلام - قبلها ما يستوجب لومه أو عتابه . وكل ما حصل منه خوفه من الخصوم الذين تسوروا عليه المحراب<sup>١١٣</sup> .

ومن التفاسير ما ذكرت أشياء لا تليق بمقام النبوة ، والطعن بصفوة خلق الله ، الذين هم قدوة البشر ، الذين زهدوا بالحلال ، واتجهوا الى الله ، فكيف يليق بالصاق الكبائر بهم ، وهي لا تليق بالمؤمنين المخلصين ، فكيف بأنبياء الله .

فمن بدع التفاسير ما قيل عن ذنب داود - عليه السلام - > انه نظر من طاقة في بيته ، فرأى امرأة عريانه تغتسل ، فأعجبته ، فسأل عنها ؟ فقيل له : انها امرأة شخص يقال له : أوريا ، فبعته الى حرب ، وأمر بأن يحمل التابوت - وكان حامل التابوت لا يحل له ان يرجع حتى ينتصر الجيش أو يقتل هو - فانتصر الجيش ، وعاد أوريا . فبعته مرة ثانية وثالثة ، فقتل فتزوج امرأته ، وكان له تسع وتسعون امرأة . .

وقيل : بل كانت خطيبة أوريا ، فبعث داود يخطبها - ولم يعلم بخطبتها - فأثره أهله علي خطيبها الأول ، فزوجوها له ، وهي أم سليمان ، فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين يختصمان في نجاج ، كنبها عن الزوجات ، فلما قضى ، صعدا الى السماء وهما يقولان : قضى الرجل على نفسه ، فأدرك خطأه وتاب .

وهذه القصة لا تليق بمقام النبوة وعصمة الأنبياء ، وهي من الاسرائيليات . . وقال بعضهم في خطأ داود : انه قضى للخصم قبل ان يسمع كلام خصمه ، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب<sup>١١٣</sup> .

وهذا أيضا باطل ، لان من البديهيات في القضاء : ألا يحكم القاضي الا بعد سماع الخصمين ، وابداء حججهما ، والموازنة بينهما ، فكيف يخفى

١٦٢٤ ص : ٢٢

١٦٢٥ بدع التفاسير ، محمد صديق الغماري ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

١٦٢٦ المصدر السابق ، ص ١٠٩

- هذا عن نبي آتاه الله الملك والحكمة وفصل الخطاب<sup>١٦٢٧</sup> .
- وعند النظر لهذه القصة وما حيك فيها من طعن يترفع عنها عامة الناس ، فكيف يمكن الصاقها بصفوة الناس ، الذين عصمهم الله .
- وان الذي ذهب اليه عدد من المفسرين على ارتكاب الكبيرة من داود - عليه السلام - لا تثبت امام النقد العلمي النزيه ، للأسباب التالية :
- ١- ان الذي حكاه المفسرون عن داود - عليه السلام - وهو انه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها ، لا يليق بالأنبياء<sup>١٦٢٨</sup> .
  - ٢- ان الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته ، فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف<sup>١٦٢٩</sup> .
  - ٣- ان الله تعالى وصف داود - عليه السلام - في ابتداء القصة بأوصاف حميدة ، وذلك ينافي ما ذكره في الحكاية ، ومن ذلك الوصف :  
أ - وصفه بالقوة :
- قوله تعالى « ذا الأيد » والأيدِ القوة ، ولا شك ان المراد فيه القوة في الدين ، لان القوة في غير الدين كانت موجودة في الملوك والكفار ، وما استحقوا بها مدحا ، انما استحق للمدح هو القوة في الدين<sup>١٦٣٠</sup> .
- ودليل قوة الدين : العمل بالطاعات وترك المحرمات ، وهذا ينافي البدع التي ذكرت في التفسير .
- ب - تسخير الجبال له :
- لم يكن هذا التسخير له الا انه على مستوى من التقوى والعمل الصالح ، ولم يناسب من تعطى له النعم يقدم الى الزنا والقتل . وقيل انه كان محرما عليه صيد كل شيء فكانت الطيور تأمنه ، فكيف يجوز ان تأمنه الطير ولا يأمنه المسلم على زوجته<sup>١٦٣١</sup> .
- ج - شدة ملكه :
- قال تعالى « وشددنا ملكه » ومحال ان يكون المراد منه شدة ملكه بالمال والعسكر مع كونه مسلما من طريق الدنيا لا من طريق الدين<sup>١٦٣٢</sup> .
- د - آتاه الله الحكمة :
- قال تعالى : « وآتيناه الحكمة » والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي

١٦٢٧ المصدر السابق .

١٦٢٨ عصمة الأنبياء < فخر الدين الرازي > ص ١٠٠

١٦٢٩ المصدر السابق .

١٦٣٠ المصدر السابق ، ص ١٠١

١٦٣١ اقتباس من كتاب عصمة الأنبياء - بتصرف - ص ١٠٢

١٦٣٢ عصمة الأنبياء < فخر الدين الرازي > ص ١٠٢

علما وعملا ، قال بعض أهل العلم ، الحكمة : ضرب من العلم يمنع من ركوب الباطل<sup>١٦٣٣</sup> .

وقال غيره : الحكمة خروج نفس الانسان الى كمالها الممكن لها في حدي العلم والعمل . فحينئذ تنال الخلق الذي يسمى العدالة ، وسميت حكمة الدابة بذلك ، لانها تمنعها من التصرف بما لا يريد راعيها . كما ان الحكمة تمنع صاحبها من ركوب ما لا يصلح<sup>١٦٣٤</sup> .

وقال ابن قتيبة : الحكمة < العلم > و < العمل > لا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما<sup>١٦٣٥</sup> .

وقال ابن فارس : أصل الحكم المنع . واحكمت وحكمته أخذت على يده<sup>١٦٣٦</sup> .

وقال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم

إني أخاف عليكم ان اغضب<sup>١٦٣٧</sup>

> وذكر أهل التفسير ان الحكمة في القرآن على ستة<sup>١٦٣٨</sup> أوجه <١٦٣٩> .

فجميع المعاني تدل على الكمال ، ووصل صاحبها الى أعلى الدرجات ، فكيف يليق به ان يوصف بما وصفه المبتدعة .

هـ - اختياره للخلافة :

« جعلناك خليفة في الأرض » فتنصيب الخلافة في الارض يكون صاحبها بالمستوى اللائق والعمل الصالح ، ولا تناسب صاحب القتل والفسق .

و - الدليل العقلي ينفي كل إثم :

قال داود - عليه السلام - « وان كثيرا من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » .. فقد استثنى الذين آمنوا من هذا البغي ، فان كان هو الفاعل لذلك وجب ان

١٦٣٣ نزعة الأعين للنواظر > لابن الجوزي < ص ٢٦٠

١٦٣٤ المصدر السابق ، ص ٢٦١

١٦٣٥ تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٣٢

١٦٣٦ المجمل ، ص ٢٢٧

١٦٣٧ ديوان جرير ، ٤٦٦/١

١٦٣٨ الستة أوجه هي : الموعظة ، السنة ، الفهم ، النبوة ، القرآن الكريم ، علوم القرآن .

١٦٣٩ الأشباه والنظائر ، ص ١١١ . الوجوه والنظائر ، ص ١٣ . نظائر القرآن ، ص ١٠٧ . وجوه القرآن

ق/٤٣ . اصلاح الوجوه ، ص ١٤١ . كشف السرائر ، ص ١٤٣ .

يكون حاكما على نفسه بعدم الايمان<sup>١٦٦</sup> .. وهذا مستحيل بحق النبوة والأنبياء .

ز - بشارة الله سبحانه وتعالى لنبيه داود - عليه السلام - :  
قال تعالى : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب »<sup>١٦٧</sup> هذه البشارة لما أعد الله لنبيه داود ، لم تكن تمنح لأصحاب العشق والقتل ، وانما تمنح للأصفياء الاتقياء .

احتمالات ليست ببعيدة التفسير :

ان مقام النبوة عند الله مقام رفيع ، ومنزلة عند الله ، لا يدانيها منزلة ، لا يليق الطعن فيهم ، لا بل أن تنزلهم أقل من منزلتهم ، واني أحاجج من يحكم عليهم ، او يرضى بحكم من يحكم عليهم بهذا الحكم الجافي الغليظ ، ان يحكم على نفسه ، وعلى خير أهل زمانه ، بما حكم على نبي الله داود وعلى غيره من الأنبياء - عليهم السلام - .

وأنبياء الله خير من جميع الأحياء ، فليتنظر بم يرجع من الندم والحسرة من نتيجة تلك الاحكام ..

وهذه الاحتمالات التي أريد ان أبينها دقيقة ، عميقة الغور ، لا تصدق الا على قادة العظماء ، الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه ، ورعاهم بعنايته ورعايته .. وعندما نحكم بهذه الاحكام ان نتذكر انه على قدر أهل العزم تأتي العزائم .

- الاحتمال الأول :

ان الذين تسوروا المحراب قاموا بمخالفة الأصول والاعراف ، وذلك بالدخول من الأبواب بعد الاستئذان ، فطريقة دخولهم تدخل الخوف والريبة من أن تلك الجماعة تريد الشر ، فظن بهم سوء ، فلما أخبروه بقضيتهم واطمأن ، ندم على ظنه بهم سوء ، واستغفر ربه ، لان منزلته العالية عند الله ، يؤاخذ على هذه الظنون ، والله أعلم .

- الاحتمال الثاني :

ان دخولهم عليه بطريقة غير مشروعة ، يحق له ان يؤدبهم ، وله القدرة على تأديبهم ، وعفى عنهم ، فانه يحتمل ان يدخل عليه شي من العجب على كمال حلمه ، فاستغفر ربه من ذلك العجب لانه ممن المهلكات<sup>١٦٨</sup> .

١٦٤٠ عصمة الأنبياء > فخر الدين الرازي > ص ١٠٢

١٦٤١ ص : ٢٥

١٦٤٢ اقتباس من كتاب > عصمة الأنبياء > بتصرف ، ص ١٠٨

- الاحتمال الثالث :

ان الذين تسوروا المحراب ارتكبوا اثم المخالفة ، فدعى لهم ان يغفر الله ذنوبهم ، وقد فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أذوه ، فاستغفر لهم .

- الاحتمال الرابع :

خوفه من عدم كمال العدل لما داخل سريرته من الخوف من تلك المداهمة ، والقاضي العادل يطلب منه ان يسوي بين الخصمين في لحظة ومجلسه و اشارته<sup>١٦٤٣</sup> .

ويقرر الامام الشافعي أن القاضي ينبغي له ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء : في الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما<sup>١٦٤٤</sup> .

فالحالة التي كان عليها نبي الله داود من المباغته التي فوجيء بها ، قد لا يستطيع ان يؤدي ذلك للخصمين ، فاستغفر ربه ، بما وقع منه من تقصير يكاد يكون فوق قدرته . ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يناجي ربه ويقول : ( اللهم هذا قسمي<sup>١٦٤٥</sup> فيما أملك ، فاغفر لي ما تملك ولا أملك ) .

- الاحتمال الخامس :

الخوف من عدم التحرر الوجداني : وهو مقياس دقيق يحتاج الى ظروف ملائمة من الراحة النفسية بابعاد الخوف والجوع ، ووجود المناخ الاجتماعي المناسب لاصدار الحكم .

يقول سيد قطب - رحمه الله - > لن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ، ما لم تستند الي شعور نفسي باطن باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة اليها ، وبعقيدة في انها تؤدي الى طاعة الله ، والى واقع انساني أسمى<sup>١٦٤٦</sup> .

قد يقع احتمال بعيد التصور ، صعب الادراك من صاحب الحكم داود - عليه السلام - بانه لم يكن كامل التحرر الوجداني بالنسبة لمستواه ، عند

١٦٤٣ القاضي ابو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية ، ص ١٢

١٦٤٤ أخلاق القرآن > للشرباصي < ص ٢٣

١٦٤٥ يعني القسمة بين زوجاته ، والذي لا يملكه الجزئيات المتعلقة بوجود أثار النفس كالحب والكره

٠٠ > أخلاق القرآن < للشرباصي ، ص ٢٠

١٦٤٦ العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، ص ٣٦

اصدار الحكم في الظروف التي كانت تحيط به ، ولو كان الحكم عادلا كاملا ، لم تكن القناعة النفسية قد وصلت الي مستوى الكمال الذي حققه في الظاهر .

- الاحتمال السادس :

الخوف من عدم القدرة على استخدام اسلوب العدل الكامل : لكل شيء مظهر وجوهر ، والمظهر أشبه بالغلاف الذي يحمل الجوهر ، ومطلوب من المرء الذي يريد ان يصل الي مستوى الكمال ، الكمال بهما . . كثير من الكرماء لا يجيدون اسلوب العطاء ، وكثير من اصحاب العدل لا يكون مستوى اسلوب اصدار الحكم بمستوى ذلك العدل ، وهذا الاسلوب يؤلم السامع ، ولو نال كل حقه ، لان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( كلمة طيبة خير من صدقة يتبعها أذى ) .

والعدل كما يكون في الأمور العادية التي يسهل ضبطها وتحديدها ، يكون في الأمور العقلية والمعنوية التي يدق وزنها ، ويحتاج ضبطها الى معاناة ومشقة .

يقول الامام الرازي : > إن من العدل المطلوب عدل العلماء مع العوام ، بأن لا يحملوهم على التعصب الباطل ، بل يرشدونهم الى الأعمال التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم <<sup>١٦٤٧</sup> .

وهذا العدل الذي يشير اليه يتطلب من العلماء أن يتعرفوا الى الحاجات العقلية والنفسية والدينية التي يحتاج اليها هؤلاء العوام ، ليستقيم أمرهم ويعتدل حالهم ، فلا يقدموا اليهم الا ما يزيدهم توفيقا ورشدا في أمور دينهم ودنياهم<sup>١٦٤٨</sup> .

ويرى الامام الغزالي ان قوة العدل الحقيقية هي ضبط الشهوة والغضب ، واخضاعهما تحت اشارة العقل والشرع ، وهو يرى ان العدل حالة للنفس ، وقوة بها تسوس الغضب والشهوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة ، وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها<sup>١٦٤٩</sup> .

والذي أعنيه بأسلوب العدل بالنسبة لنبي الله داود - عليه السلام - ان حالته قد ظهرت على اسلوب عند تصدير الحكم من ناحية تغير الوجه ، نبرة اللسان أو طريقة اسلوب الاجابة . . كل هذه قد رأى بعد اصدار يمكن تحسينها وتجميلها أحسن مما صدرت ، فاعتبرها تقصير يحتاج الى توبة وانابة .

١٦٤٧ أخلاق القرآن > للشرياصي < ص ٣٠

١٦٤٨ المصدر السابق ، ص ٢١

١٦٤٩ المصدر السابق .

- الاحتمال السابع :

عاقبة التقصير وخيمة : الأشياء المعنوية كالأشياء المادية ، وكما يقولون معظم النار من مستصغر الشرر، وكل شيء يبدأ من الصغير ثم ينمو حتى يصل الى الكمال ، وكذلك الأشياء التي يصيبها الدمار والخراب تبدأ بأعراض بسيطة ثم تتطور وتتضخم ، ثم تكون الدمار ، وكذلك الامراض الجسدية لها تدرج بالنمو ، قد تأخذ سنين طويلة لا يلتفت اليها إلا اصحاب المعرفة الدقيقة ، وعمق التجربة ، وقد يكون ذلك من ضرب الخيال ، لمن لم تعركه الحياة بتجاربها ، قد يلقي خبير ومجرب ومتخصص على جسد يلمح فيه بعض الصفات ، فيتصور ان ذلك الجسد سوف يتقبل بنزول المرض الفلاني بعد كذا من السنين ، استنادا على غذائه وحركته وتركيب بنيته ومسكنه ..

وهكذا كل شيء في الحياة سواء في الارتقاء او الانحدار ، ولا ينفع الندم بعد فوات الأوان ، فالذي يصدق على الماديات يصدق على المعنويات ، في الأشياء التي تبني الضمير وتنير القلب ، أو عكس ذلك مما تميت الاحساس وتميت القلب .. فالعظماء نظروا على كل شيء مهما دق وصغر فيه نفع أو ضرر نظرة دقيقة شغلت جوانب الضمير ، فاستهزت العيون من الخوف ، واقلقت الفكر من الاهتمام ، فالعظماء وعلى رأسهم الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - شغلتهم دقائق أبكت عيونهم ، وأحزنت قلوبهم ، قد يعجز كثير من الناس عن إدراك تلك الدقائق ، لعمق تصورها .. ومن تلك الدقائق :

١ - النية والدوافع :

فكم من الأعمال أخذت العمر ، وهو مغمور في الجبر في الظاهر ، ولكن قد شوبت فكره أشياء كثيرة من المدح ومسايرة المجتمع ، أو الغفلة والشروود عند عمل الخير . هذه الدوافع مع امتزاج النية أقلقت العظماء من خوف التقصير ، مما دفع كثير منهم ذلك بشدة الاهتمام لتصفية السريرة من كل شائبة حتى يكون خالصا لله .

ويصدق على من يريد ان يكون خالصا لله ، قول القائل : < ان يقبل مختارا جميع أوامر الشريعة ، وان يخضع نفسه لها كلية ، لدرجة ألا يجد شيئا يتردد في نفسه ><sup>١١٠</sup> .

فهذه الدقة لاجل اخلاص النية والتخلص من اختلاط البواعث التي لا حصر لها ازعجت العظماء . ولعله احد الاسباب الذي جعل نبي الله داود -

عليه السلام - يستغفر خوفا من ان تحول بعض البواعث لجعل العمل غير كامل الاخلاص .

ب - اعداد قوة الايمان لرد هجوم البلاء :

فهذا الجانب لا يتأهب له ، ويستعد له الا الذين هم في قمة العظمة وهم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، فلذلك كان شغلهم الشاغل في العمل الصالح خوف البيات وخوف الهجوم من الثغرات الضعيفة ، ولذلك كان تحصينهم لنفوسهم ليل نهار ، فكان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، وكان يستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة ، وكان كثير الدعاء ، ومن اكثر دعائه ( يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ) ، ولقد بنى العظماء حاجزا من الخير لمقارعة الشر ، حيثما تدلهم الخطوات . وقال عبدالله بن مسعود : < اجعلوا بينكم وبين الحرام حاجزا من الحلال > <sup>١٦٥١</sup> .

وقيل : < العاقل من تاهب للمخاوف قبل وقوعها > .

ومن كلام ابن الجوزي : < كل من لا يتلمح العواقب ، ويستعد لما يجوز وقوعه ، فليس بكامل العقل > <sup>١٦٥٢</sup> .

ج - الذنب ينمو تدريجيا :

فهذه الحالة تخيف العظماء وتشغلهم بتتبع الخواطر والوساوس ، والخلجات النفسية ، وتتبع المراتع والنظرات لنمو الذنب ، والتشجيع على ظهوره واستيطانه ، مما جعل عمالقة الخير ، في خوف وحزن وتتبع ، لكل خاطرة ، وغفلة ، وغضب ، من ان تستحكم في القلب ، فتنمو وتتحول الى ذنب ، يفسد على الصالح صلاحه ..

وما أحسن قول ابن الجوزي حيث يقول :

< ان الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها الى الفكر ، فيأخذها الفكر ، فيؤديها الى التذكر ، فيأخذها التذكر ، فيؤديها الى الارادة ، فتأخذها الارادة ، فتؤديها الى الجوارح والعمل ، فتستحكم ، فتصير عادة ، فردها من مبادئها أسهل من قصعها بعد قوتها وتامها .. > <sup>١٦٥٣</sup> .

ومن ذلك يتبين انه يسبق العمل بالجوارح مراحل تسري في القلب ، وتسلسل في الفكر ، فاذا وجدت الجو المناسب ، فانها تظهر على الوجود ، وعند ذلك يكون استقرارها وتمكنها وأثرها ان كانت شرا فشر ، وان كانت خيرا فخير .

١٦٥١ الحكمة الخالدة < لابن مسكويه > ، ص ١٢٤

١٦٥٢ صيد الخاطر < لابن الجوزي > ص ٣٩٧

١٦٥٣ الفوائد ، للامام ابن قيم الجوزية ، ص ١٦٥

يقول الامام الغزالي : > اعلم ان هاهنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجوارح : أحدها خاطر ، وهو حديث النفس . ثم الميل . ثم الاعتقاد . ثم الهم <<sup>١٦</sup> .

وعلى هذا الاساس يحتاج الرجل الذي يريد ان يرتقي الى اعلى درجات السمو والسؤدد ، ان يحرك قوة من الخير لرد الشر في عقر داره ، وقبل ان يتحرك الى قلاع القلب ، وهو في مرحلة < خاطر > فان فلت وتحرك ، فعليه ان يلاحقه ، ويقضي على أنفاسه في المرحلة الثانية وهي < الميل > ، فان تقدم ونجا فالخطر يكون أكثر ، ويحتاج الى قوة عسكرية كبيرة من الخير لضرب ذلك الشر وهو في المرحلة الثالثة وهو < الاعتقاد > ، فان لم يستطع رد كيده وتقدم الى المرحلة الرابعة ، فان الخطر يكون عظيما ، والسيطرة على احساس الفرد وجوارحه ، تكون قاب قوسين أو أدنى ، فعند ذلك يحتاج المرء الى قوة أكثر من سابقتها لتقدمه واستحكام أمره ، واذا فشل المرء بكل تلك الاستحقاقات ، الاستعدادات ، وضرب جيش الخير ، ولم تبق له حيلة للرد وللکید . فإن الذنب يحتل سويداء القلب ثم يظهر على الوجود وهو العمل بالجوارح ، وهو مرحلة الاستسلام والانقياد للشر .

ولذلك يتعب العظماء ، من شدة الحذر ، واليقظة الدائمة ، ودقة المحاسبة ، والشفافية الدقيقة ، لمعرفة الخواطر والهواجس الكامنة في النفس ، لسحقها وابدانها ، قبل ان تتحرك خطرة واحدة الى الامام ،

وهذه الاستعدادات تحتاج الى امكانيات ضخمة لا يملكها الا من يعيش في قمة العظمة ، وهم الأنبياء والرسل - عليهم السلام - ولذلك قد يكون استغفار نبي الله - داود - عليه السلام - خشية التقصير لتلك الاستعدادات في المستوى اللائق بمستوى عظمة النبوة للظروف التي أحاطت به .. والله أعلم .

## **\*\* اعتراضات وردود :**

قد يعترض من يطلع على هذه الاحتمالات التي ذكرتها للدفاع عن نبي الله داود - عليه السلام - ، ولمن وقع عليه طعن من اخوانه من الانبياء من أهل البدع ، أو من اعتقد بأهل البدع ، ويقول :

(١) الاعتراض الأول :

ان ما ذكرته من هذه الاحتمالات بعيد التوقع والتصور ، لانها جوانب نفسية ، ولا يمكن اقناع الناس بها .

(٢) الاعتراض الثاني :

ان الكلام الذي قيل عن نبي الله داود - عليه السلام - قد قاله علماء لهم وزنهم ، من سعة العلم ، وعمق التفكير ، ودقة التحليل ، مما يرد احتمالاتك ، ويرد تصورك .

## **- الرد على الاعتراض الأول :**

أما بالنسبة الى ان الاحتمالات التي قلتها بعيدة التوقع والتصور ، فهذا شيء فيه حق نسبي ، وليس هو كل الحق ، لان السير في التفسيرات المادية ، وارتكاب الكبائر لنبي الله داود - عليه السلام - هو الذبح من الوريد الي الوريد ، ومن اعتقد ما قيل من قبل أهل البدع ، فانه الهلاك ، لان الأنبياء معصومون ..

وفي اثبات وجوب عصمة الانبياء - عليهم السلام - من الأدلة الآتية :

أ - ان كل من كانت نعمة الله تعالى عليه اكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ، ونعمة الله تعالى على الأنبياء اكثر فوجب ان تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة ، وان يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الأمة ، وهذا باطل فذاك باطل<sup>١٦٥٥</sup> .

ب - انه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ، ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته ، لقوله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »<sup>١٦٥٦</sup> ، وإذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة ، فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى ، وهذا باطل فذاك باطل<sup>١٦٥٧</sup> .

١٦٥٥ اصول الدين > معالم اصول الدين > للرازي ، ص ١٠٨

١٦٥٦ الحجرات : ٦

١٦٥٧ اصول الدين > معالم اصول الدين > للرازي ، ص ١٠٩

ج - ان بتقدير إقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها ، ولم يكن اذاؤه محرما ، لكنه محرم<sup>٣٣٨</sup> لقوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله »<sup>٣٣٩</sup> .

فأي تفسير يحمل الطعن وإنزال قدر الأنبياء فان صاحبه يعرض نفسه للخطر العظيم ، وللنجاة من هذا الخطر ، هو تفسير هذه الأشياء بما يجنب المسلم الخطر ، وذلك بأن يحمل التفسير عدم الطعن بالأنبياء مع حسن الظن بهم ، ولو سار على جسدك السعداء ، أو شبا الشوك ، أو حد السيف ، أولى له من ان يسلك سبيلا يؤدي به الي انحدار ينزلق به الي هاوية سحيقة تعرضه للانحراف في عقيدته .

#### - الرد على الاعتراض الثاني :

أما بالنسبة للقول بأن التفسير الذي فيه طعن قد قاله علماء لهم وزنهم وغزارة علمهم .. فالرد من وجوه :

##### أ - الرد الأول :

انه لا يقاس الحق بالرجال ، وانما يقاس الرجال بالحق ، وهو قاعدة منطقية للرد على منطقتهم -

##### ب - الرد الثاني :

ان التقرب الي الله ، هو ان نعمل بما يرضى الله ، وان نتقرب اليه بما يريد الله ، وان الطعن بالأنبياء معصية لله ، وبعد عن الله سبحانه وتعالى .

##### ج - الرد الثالث :

لم تثبت أي رواية صحيحة عن قصة نبي الله داود وأوريا التي ذكرت سابقا في بدع التفاسير ، وقد رواها البغوي عن طريق الثعالبي ، والرواية منكورة مختلقة على الرسول - صلى الله عليه وسلم . وفي سند هذه الرواية المختلقة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي لهيعة ، وهو ضعيف في الحديث ، وفي سندها ايضا : يزيد بن ابان الرقاشي ، وكان ضعيفا في الحديث<sup>٣٤٠</sup> .

وقال فيه النسائي ، والحاكم أبو احمد : انه متروك ، وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، من البكائين بالليل ، غفل عن حفظ الحديث

١٦٥٨ محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين < للرازي ، ص ٣٢٠

١٦٥٩ الأحزاب : ٥٧

١٦٦٠ تفسير البغوي ، على هامش تفسير ابن كثير ، ج ٧ ص ١٩١ ، ١٩٢

تفسير الدر المنثور ، ج ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠١

شغلا بالعبادة ، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم ، فلا تحل الرواية عنه الا على جهة التعجب<sup>١١١١</sup> وقال العلامة ابن كثير في تفسيره :

> وقد يكر المفسرون هنا قصة ، أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده ، لانه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس - رضي الله عنه - ويزيد ، ان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة<sup>١١١٢</sup>

وبعد بيان ان هذا الطعن لم يثبت بطريق النقل ، وهو مردود جملة وتفصيلا عن طريق العقل ، وليس له دليل يسوغه من الأصول أو الفروع ، فإن التشبث بهذا الطعن تكون حجته أوهى من بيت العنكبوت ، وهو آثم على تمسكه .

#### ٥ - حمل التفسير على مخالفة الأصول :

قال تعالى : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما »<sup>١١١٣</sup> .

مظاهر الآيتين تدلان على عموم قدرته ، ونفاذ أمره في مخلوقاته ، وهو يتصرف في ملكه يفعل ما يشاء فيرزق حسبما تقتضيه حكمته . ولكن اصحاب البدع أرادوا ان يصرفوا المعنى عن حقيقة المخالفة للأصول بدون اي دليل يقوي بدعتهم أو يؤيدها . وهو طعن يصرف الحقائق عن أصولها ، مما يجعل ضعفاء النفوس ، تمتد أقلامهم بالطعن على الشريعة عن طريق التفسير بدون الالتزام بالأصول المرعية .

ومن بدع التفاسير قولهم في قوله تعالى : « يهب لمن يشاء إناثا » يريد لوطا وشعيبا - عليهما السلام - لم يكن له لهما إلا البنات<sup>١١١٤</sup> ، « ويهب لمن يشاء الذكور » يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور<sup>١١١٥</sup> ، « أو يزوجهم ذكرا وإناثا » يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - كان له

١١٦١ تهذيب التهذيب ، ج ١١ ص ٢٠٩

١١٦٢ تفسير ابن كثير ، ج ٧ ص ١٨٩ ط المنار > عن كتاب الاسرائيليات والموضوعات في كتب > محمد ابو شهبه ، ص ٣٧٢

١١٦٣ الشورى : ٤٩ - ٥٠

١١٦٤ بدع التفاسير ، ص ١٢٢

١١٦٥ المصدر السابق

ذكور وبنات<sup>١٦٦٦</sup> ، « ويجعل من يشاء عقيما » يريد يحيى وعيسى - عليهما السلام<sup>١٦٦٧</sup> .

وهذا التأويل باطل ، لانه تخصيص العموم بدون أي دليل يدل على ذلك ، وهذه أحكام منافية للأصول الفقهية وبدون دليل .

وأما أصحاب التفاسير المعتبرة ، والذين رعوا الأصول المعتبرة فقد فسروا العموم على عمومه ، فذكروا المعاني التي تدل عليها الاتيان . . فمعنى قوله تعالى : « يهب لمن يشاء اناثا » أي يخص من شاء من عباده بالاناث دون التبني<sup>١٦٦٨</sup> ، « ويهب لمن يشاء الذكور » أي يخص من شاء بالذكور دون الاناث<sup>١٦٦٩</sup> ، « أو يزوجهم ذكرا واناثا » أي يجعلهم ان شاء من النوعين فيجمع للانسان بين البنين والبنات<sup>١٦٧٠</sup> ، « ويجعل من يشاء عقيما » أي يجعل بعض الرجال عقيما فلا يولد له ، وبعض النساء عقيما فلا تلد<sup>١٦٧١</sup> .

قال البيضاوي : > والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة ، على مقتضى المشيئة ، فيهب لبعض اما صنف واحد من ذكر أو أنثى ، أو الصنفين جمعا ، ويعقم آخرين <<sup>١٦٧٢</sup> .

وقال ابن كثير : > جعل تعالى الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه النوعين الذكور والاناث ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما ، لا نسل ولا ولد ، فسبحان العليم القدير <<sup>١٦٧٣</sup> .

فهذه البدع في التفاسير ، عاقبتها وخيمة وخطرها كبير ، حيث لم تجعل هبة الذكر والانثى من الله ، مما يأتي على هدم العقيدة من أساسها ، وكذلك هذه البدعة ، فتنة كبير بين الزوج والزوجة ، وذلك عندما يكون جميع ذريته بنات ، فيتصور ان هذه المرأة لا تلد إلا البنات ، وقد يؤدي هذا الاعقاد الى طلاقها ، أو كراهيتها وظلمها ، وكأن الامر يعود اليها .

١٦٦٦ المصدر السابق

١٦٦٧ المصدر السابق

١٦٦٨ صفوة التفاسير ، ج ٣ ص ١٤٦

١٦٦٩ المصدر السابق

١٦٧٠ المصدر السابق

١٦٧١ المصدر السابق

١٦٧٢ تفسير البيضاوي : ١٧٦/٢

١٦٧٣ مختصر تفسير ابن كثير ، ٢٨٣/٣

٦ - حمل التفسير على الشذوذ :

قال تعالى : « قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم »<sup>١٧٤</sup> .  
فالمعنى : < أي فبسبب إغوائك واضلالك لي لأقعدن لآدم وذريته على  
طريق الحق وسبيل النجاة الموصل للجنة ، كما يقعد القطاع للسابلة ><sup>١٧٥</sup> .  
هذا هو التفسير الذي تحتمله معاني اللغة العربية ، اما أهل البدع  
فلم يرق لهم سواء السبيل ، والسير في الطريق المستقيم ، فسلخوا  
الطريق الشاذ ، والمعاني الوعرة التي تشوه بلاغة القرآن ومتانة المعاني ،  
ومن قول أهل البدع في التفاسير :

< قول من جعل ما استفهامية > في كلمة فيما اغويتني < ، أي فبأي  
شيء أغويتني ؟ ثم ابتداء لأقعدن ( قال الزمخشري : واثبات الألف اذا  
أدخل الجر على ما الاستفهامية ، قليل شاذ ) أي لا يصح تخريج القرآن عليه  
، ثم الاستفهام لا معنى له هنا ><sup>١٧٦</sup> .

فتحمل هذه البدعة بصرف المسلمين عن العمل بكتاب الله ، لانه بقدر  
قوة المعنى الذي تتذوقه النفوس السليمة ، يكن الانقذاح في زناد الفكر  
لتحريك الطاقة البشرية ، اما اذا كان التفسير شاذا ولا معنى له ، فان  
النفوس تصاب بالعطب ، وتميل الى جعجة الكلام ، وتتوقف الطاقة  
العملية المثمرة .

٧ - التفسير بالالغاز والعمميات :

ومن بدع التفاسير ما قيل في سورة « ق » : « أن « ق » جبل محيط  
بالارض ، من زمردة خضراء ، اخضرت السماء منه ، وعليه طرفا السماء ،  
والسمااء عليه مقببة ، وما أصاب الناس من زمردة ، كان مما تساقط من  
ذلك الجبل »<sup>١٧٧</sup> .

هذا كلام باطل واه يترفع التفسير ان يكون فيه مثل هذه البضاعة  
الوضيعة ، والافكار المبنية على غير اساس ودليل ، مما تجعل التفسير  
الذي يشبه هذا من ضرب الخيال المبني على الرموز التي تزيد الموضوع  
تعقيدا .

١٧٤ الأعراف : ١٦

١٧٥ صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٤٢٨

١٧٦ بدع التفاسير ، لأبي الفضل ، ص ٤٤

١٧٧ المصدر السابق ، ص ١٢٩

أما حقيقة تفسير هذه الحروف التي وردت في أوائل السور منها قولهم :

> وابتداء السورة بالحروف المقطعة « الم » وتصديرها بهذه الحروف الهجائية يجذب انظار المعرضين عن هذا القرآن ، اذ تطرق اسماعهم لأول وهلة الفاظ غير مألوفة في تخاطبهم ، فينتبهوا الى ما يلقي اليهم من آيات بينات ، وفي هذه الحروف وامثالها تنبيه على > اعجاز القرآن < فان هذا الكتاب منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فاذا عجزوا عن الاتيان بمثله ، فذلك اعظم برهان على اعجاز القرآن < ١٧٨ .  
ويقول العلامة ابن كثير - رحمه الله - : > انما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقرره الزمخشري في تفسيره الكشاف ونصره أتم نصر ، واليه ذهب الامام ابن تيمية < ١٧٩ .

وفصل الامام الزمخشري في تفسيره عن هذه الحروف تفصيلاً شافياً وافياً يروي النفوس المتعطشة لتلك الحروف ، ومما ذكره عن ذلك في أول سورة البقرة ، فقال : > الوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مرده على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه ، وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم امراء الكلام وزعماء الحوار ، وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ، ولم يبلغ في الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامع أعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر ، وانه كلام خالق القوى والقدر .. < ١٨٠ .

ولم يرق أصحاب الأهواء هذه التفاسير التي تشير الى اعجاز القرآن وعظمتها ، فاتجه اصحاب البدع الى تغطية هذا الاعجاز بالمعميات والالغاز لذر الرماد في العيون ، وصرف الناس عن عظمة الاسلام وشريعته ، والعيش في ظل الخرافات والاساطير .

١٦٧٨ صفوة التفاسير ، ج ١ ص ٢١

١٦٧٩ المصدر السابق .

١٦٨٠ الكشاف ، للزمخشري ، ج ١ ص ٩٥ - ٩٧

٨ - حمل الحقيقة على المجاز :

قال تعالى : « حتي اذا ما جاءوها<sup>١٦٨١</sup> شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون »<sup>١٦٨٢</sup> .

ومن بدع التفاسير في هذه الآية : > ان شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصي عليها ، بأن يظهر الله عليها علامات دالة على ما كانت تعمله في الدنيا <<sup>١٦٨٣</sup> .

وان هذا التأويل فاسد ، وانما الآية تبقى على حقيقتها ، وهو النطق ولا يمكن صرفها الى المجاز ، من وجوه :

أ - ان الآية التي بعدها فسرتها بالنطق ، قال تعالى : « وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا ، قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون »<sup>١٦٨٤</sup> .

ب - ان كثيرا من أصحاب التفاسير فسروها بنطق الجوارح ، ف قيل في قوله تعالى : « شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » أي نطقت جوارحهم وشهدت عليهم بما اقترفوه من اجرام وأثام<sup>١٦٨٥</sup>

ج - ان السنة النبوية تدل على ان الآية تحمل على الحقيقة ، وهي النطق .. عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وتبسم ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : ( ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ؟ ) قالوا : يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ ، قال - صلى الله عليه وسلم - : ( عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : أي ربي أليس وعدتني أن لا تظلمني ، قال : بلى ، فيقول : فإني لا أقبل على شاهد الا من نفسي ، فيقول الله تبارك وتعالى : أوليس كفى بي شهيدا والملائكة الكرام الكاتبين . قال - فيردد هذا الكلام مرارا - قال - فيختم على فيه ، وتتكلم أركانها بما كان يعمل ، فيقول : بعدا لكن وسحقا ، عنكن كنت أجادل )<sup>١٦٨٦</sup> .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ان يوم القيامة يأتي على

١٦٨١ الضمير جاؤها ، يعود على النار .

١٦٨٢ فصلت : ٢٠ .

١٦٨٣ بدع التفاسير ، للغماري ، ص ١٢١ .

١٦٨٤ فصلت : ٢١ .

١٦٨٥ صفوة التفاسير ، الصابوني ، ج ٣ ص ١٢٠ .

١٦٨٦ أخرجه الحافظ البزار ، ورواه مسلم والنسائي بنحوه > عن مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٢٦٠ .

الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون ، حتى يؤذن لهم ، فيختصمون ، فيجحد الجاحد بشركة الله تعالى ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ، فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم ، جلودهم ، أبصارهم وأيديهم وأرجلهم ، ويختتم على أفواههم ، ثم يفتح لهم الأفواه ، فتخاصم الجوارح ، فتقول : < انطقنا الله الذي انطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون > . فتقر الألسنة بعد الجحد<sup>١٦٨٧</sup> .

د - ان الأصل في اللفظ يحمل على الحقيقة ، ويرجع على المجاز ، فقد ورد في أصول الفقه ما يدل على اثبات ذلك ، فقيل : < حكم الحقيقة ، ثبوت المعنى الذي وضع له اللفظ وعدم انتفائه عنه . وتعلق الحكم به . وعلى هذا اذا أوصى شخص لولد زيد بألف دينار ، ثبتت الوصية له دون غيره لانه لا يمكن ان يقال لولد زيد انه ليس بولده . وقوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » القتل حقيقة في ازهاق روح الانسان ، والنهي منصب على هذه الحقيقة ، فلا يجوز ارتكابها بغير حق<sup>١٦٨٨</sup> .

وفي حكم الحقيقة ايضا رجحانها على المجاز ، ولهذا يثبت لها الحكم دون المجاز كلما أمكن حمل اللفظ على الحقيقة<sup>١٦٨٩</sup> .  
وعلى هذا الأساس فلا يجوز حمل الحقيقة على المجاز ، ما لم تكن قرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقي للفظ<sup>١٦٩٠</sup> .

فان حمل الحقيقة على المجاز بغير قرينة ، يسبب خطرا عظيما على الشريعة الاسلامية من قبل أهل البدع ، ولقد كون هؤلاء لهم عقائد فاسدة ، غيروا فيها جميع الحقائق في الفرائض والمعاملات ، وأولوها تأويلات تعطل الشريعة وتدعو الى الزندقة والكفر ونشر الفساد ، ومن هؤلاء الباطنية الذين قالوا بأن الصوم هو كتمان السر بعد استتار الامام خوفا عليه من الظلمة ، ويفسرون قوله تعالى « وإن كنتم جنبا فاطهروا » بقولهم : < ان كنتم جهلة بعلم الباطن فتعلموا ><sup>١٦٩١</sup> ، ويقولون ان القيامة : < هي ظهور الامام بعد استتاره ><sup>١٦٩٢</sup> .

١٦٨٧ رواه ابن ابي حاتم < عن مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٦٠ > .

١٦٨٨ الوجيز في اصول الفقه ، د . عبدالكريم زيدان ، ص ٢٠٥

١٦٨٩ المصدر السابق .

١٦٩٠ المصدر السابق .

١٦٩١ الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الاسلامي ، ص ٣٥

١٦٩٢ المصدر السابق .

ومن هذه البدع الكثيرة التي أدخلها الزنادقة الذين تستروا بالاسلام  
لهدم الاسلام ، بتلك التأويلات التي شوهدت الشريعة .

٩ - ضعف لا يفيد السياق :

لقد أورد اصحاب البدع تفاسير لبعض الآيات الكريمة لا تناسب  
المعنى الذي تدل عليه ، وعلى سبيل المثال ، قوله تعالى : « يوم لا ينفع  
مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »<sup>١٦٩٣</sup> .

فلقد فسر اصحاب البدع هذه الآية بما لا يناسب السياق الذي وردت  
فيه مما يجعل المعنى ضعيفا ، لا يفيد عملا ، لا بل يجعل الفكر فيه  
مضطربا ، والهمم خاملة ، هذا التفسير قاله الزمخشري :

> ومن بدع التفاسير : تفسير بعضهم < السليم > باللديغ من خشية  
الله<sup>١٦٩٤</sup> ، واطلاق السليم على اللديغ في باب التفاؤل ، كما يقال للبرية  
المهلكة : مفازة ، وحمل الآية عليه ، غير سليم <<sup>١٦٩٥</sup>.

فلا يوجد ترابط بين هذا المعنى وسياق الآية التي تدل على طهارة  
القلب وزكاته ، وبعده عن الكفر والفجور ، والاتجاه الى تقوى الله والعمل  
الصالح الذي ينور القلب ، ويزيد من بصيرته ، ومما يدل على هذا المعنى  
ما ورد في مختصر تفسير ابن كثير :

> فقال في قوله تعالى : « الا من أتى الله بقلب سليم » أي سالم من  
الذنس والشرك<sup>١٦٩٦</sup> .

قال ابن سيرين : القلب السليم ان يعلم ان الله حق ، وان الساعة  
آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور<sup>١٦٩٧</sup> .

وقال ابن عباس : القلب السليم ان يشهد أن لا إله إلا الله <<sup>١٦٩٨</sup> .  
فأقول ان ما أورده اصحاب البدع من ان السليم هو اللديغ ، لا  
يتناسب كلمة اللديغ نور الايمان ، الذي يزيد المسلم قوة وهمة وكثير عمل ،  
اما اللديغ ، مشغول بالألم ، فاتر الهمة ، ضعيف العزيمة ، عاجز عن  
العمل .

١٦٩٣ الشعراء : ٨٨

١٦٩٤ بدع التفاسير ، للغماري ، ص ٩٨

١٦٩٥ المصدر السابق .

١٦٩٦ مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٥١

١٦٩٧ المصدر السابق .

١٦٩٨ المصدر السابق .

### ب - الخطر الثاني - أهل البدع ووضع الحديث النبوي الشريف :

قامت جميع الفرق المبتدعة بوضع الأحاديث في السنة النبوية ، كل منهم وضع من الأحاديث ما يناسب مذهبه واعتقاده ، لأجل ان يعز بدعته ويروجها بين المجتمع الاسلامي<sup>١٦٩٩</sup> .

ولقد دأب أصحاب الأهواء في مختلف الأمان والعصور على الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حتى قال عبدالله بن يزيد المقرئ :

> ان رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته ، فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عن تأخذونه ، فإننا كنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا <<sup>١٧٠٠</sup> .  
وقال حماد بن سلمة : اخبرني شيخ من الرافضة انهم كانوا يجتمعون على وضع الحديث<sup>١٧٠١</sup> .

لقد أراد أصحاب البدع افساد السنة ، وإطفاء نور الشريعة ، وطمس حقائقها ، بالافتراء على السنة ، ولكن الله سبحانه وتعالى هيا فطاحل العلماء الذين وقفوا امام هذا الشر المستطير ، ورد كيدهم الى نحورهم ، بكشف خبثهم وشرهم .

### ملخص عن (( مضار البدع )) :

بعد تلك الجولة المفصلة عن مضار البدع ، التي تدمي القلب وتجعل الحليم حيرانا ، مما أحدثه المسلمون الجهلة ، بقصد أو بغير قصد ، وكذلك ما أحدثه المتسترون بالدين وهم أعداء الاسلام والمسلمين ، وما أحدثه الزنادقة ، من الضلال لتشويه الاسلام وطمس حقائقه ، من كل هذا وذلك ورموا الدين الاسلامي والمسلمين بقوس واحدة ، أصابت منه طعنة لازال ينزف منها ، ولا يمكن تضميدها وشفافؤها الا بالرجوع الي الكتاب والسنة .

ومن تلك المضار التي ذكرتها هي أن الابتداع في الدين الثغرة التي يتسلل منها أعداء الاسلام ، على جهلة المسلمين ، وعن طريق الابتداع جاء الغلو في الدين والتنطع فيه وادخال الحرج والتعننت والأصار والاغلال ،

١٦٩٩ انظر تفصيل ذلك في الباب الثالث < أشهر الوضاعين > .

١٧٠٠ التدريب ، ص ١٠٣ > عن علوم الحديث ، ص ٢٦٧ < .

١٧٠١ المصدر السابق .

فكانت تلك الاشواك والسموم ، ان حدث التفرق والتمزق والخصومات<sup>١٧٠٢</sup> ، فاصبحت الأمة شيعا واحزابا ، فكفر كل فريق الآخر ، فحدث للنفوس الضعيفة ولأصحاب البدع الابتعاد عن الاسلام ، والطعن فيه ، فجعلوا الاهواء مركبهم ، فكان التساهيل من فريق اسقط الفروض والسنن وحذف التفسير ووضع الأحاديث الموضوعية لدعم فسادها وغوايتها ، وسلك فريق آخر التشديد في الدين وتكفير<sup>١٧٠٣</sup> المسلمين بغير علم ، فولدت تلك المباديء المتناقضة من تساهل<sup>١٧٠٤</sup> وإباحة المحرمات ، وتشديد ، وتشبيه ، وتعطيل ، وجبر ، من تركيبة متنافرة ، متناقضة ، متصدعة البناء . . كل ذلك جعل الأمة تعيش في الشقاء والحيرة والتهيه ، فكان الجهل لتلك الفرق والفساد والانحلال .

وعن طريق الابتداع ، حرم الفلاة ما أحل الله من الزينة والطيبات ، وعن طريق الابتداع حدث الطعن في الدين ، وتشويه جماله وطمس لمعالم السنن ، > وقد شكك المبتدعة في كثير من المسائل الاسلامية بانها مخالفة للعقل ، وكل ما هو مخالف له يجب رده أو تأويله ، كقولهم في عذاب القبر انه يكذبه الحس والعقل ، وقالوا في الحساب والصراف والميزان

---

١٧٠٢ ومن هؤلاء الخوارج الذين احدثوا تمزيق المسلمين ، ومن فرقهم المتشددة الأزارق اتباع ابي نافع راشد الأزرق . ومن مذهبهم ان قتل من خالفهم جائز > عن اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للامام فخر الدين الرازي ، ص ٤٦ < .

وكذلك من فرق الخوارج : الأخنسية - أصحاب أخنس بن قيس ، وهم يتبرأون من كل شيء لا يوافقهم > عن كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤٩ < .

نشأ الخوارج في الحرب ، وعاشوا على أطراف لستوف . . وقضى الخوارج زهاء خمسين سنة تتجاذبهم السيوف وتتخاطفهم > عن كتاب الخوارج في الاسلام ، ص ٥٥ < .

١٧٠٣ كما فعلت بعض فرق الخوارج التي مرت مثل الأزارق ، والنجدات > عن كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للامام فخر الدين الرازي ، ص ٤٦ - ٤٧ < .

١٧٠٤ ومن هؤلاء الزنادقة الذين تستروا بالاسلام ، ويبثوا بين المسلمين الفساد والانحلال ، وعلى سبيل المثال ما فعله علي ابن الفضل القرمطي الاسماعيلي ، عندما استولى على اليمن وادعى النبوة ، واستباح المحظورات ، واحل الخمر والزنى ، ونكاح البنات > عن كتاب الحسام المسلول على منتقضي اصحاب الرسول ، للامام محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي ، ص ١٠٢ < .

ونحو من ذلك ، فطفقوا يؤولون بتأويلات بعيدة <sup>١٧٠٥</sup> . حتى غطوا على معالم الاسلام ، ومزقوا الأمة ، وينطبق في حقهم قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » <sup>١٧٠٦</sup> ، وقوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » <sup>١٧٠٧</sup> .

وعن مجاهد في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » <sup>١٧٠٨</sup> . قال : « هي البدع والشبهات » <sup>١٧٠٩</sup>

فالبدع يكمن فيها كل شر وبلاء ، وهي سبل وعرة مهلكة ، لا خير فيها من قريب أو بعيد ..

---

١٧٠٥ ومن هؤلاء الباطنية ، الذين اولوا الاحكام والفروض والآيات القرآنية ، فعضلوا الشريعة ، وتؤلوا الملائكة على دعواتهم ، وزعموا ان كبراءهم هم المسمون بجبرائيل وميكائيل واسرافيل . وتؤلوا الشياطين على مخالفيهم ، وتؤلوا الصلوات انها الثناء على الامام ، والصوم والامسك عن افشاء أسرارهم .. الخ . > عن كتاب اصول الدين ، للبغدادي ، ص ٣٣٠ < .

١٧٠٦ آل عمران : ١٠٦

١٧٠٧ آل عمران : ١٦٠

١٧٠٨ الأنعام : ١٥٤

١٧٠٩ مناهج الشريعة الاسلامية ، ج ٣ ص ٢٨٨



وسلم - ، فأخذت بيده أقبوده ، فانطلقت به الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأتني سورة الفرقان ، واني سمعت هذا ، يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأتنيها ! ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إقرأ يا هشام ) فقرأ كما كان يقرأ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( هكذا نزلت ) ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن القرآن أنزل على سبعة أحرف )<sup>٣١١</sup> .

٣- محاسبته الشديدة لمن يقرأ غير كتاب الله : كان عمر - رضي الله عنه - يؤكد على التمسك بكتاب الله ، ويحاسب ويعاقب من يقرأ من الكتب القديمة خشية هجر القرآن الكريم ، وترك أحكامه ، والتمسك بغيره . . عن عمر بن ميمون عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انا لما فتحنا المدائن ، أصبت كتابا فيه كلام معجب ، قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا ، فدعانا بالدرة ، فجعل يضربه بها ، فجعل يقرأ : « أَلر تَلِك آيَات الْكِتَابِ الْمُبِين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الى قوله تعالى : « وان كنتم من قبله لمن الغافلين »<sup>٣١٢</sup> . ثم قال : انما هلك من كان قبلكم انهم أقبلوا على كتب علمائهم ، واساقفتهم ، وتركوا التوراة والانجيل ، حتى درسا ، وذهب ما فيهما من العلم<sup>٣١٣</sup> .

٤- ومن شدة خوفه تعليل أعماله : كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شديد الخوف من الله تعالى ، وكان يخشى ان تهبط النفوس الضعيفة من صفاء العقيدة وعزة الاسلام الي حضيض الجاهلية وذل الشرك ، وذلك بعدم تمييزها بين الحجر الأسود والحجارة التي يقبلونها في الجاهلية ، بفرق الجوهر ، ونية القصد ، وارضاء الرب ، باتباع سيد البشرية ، كما ورد عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر نظر الى الحجر - أي الحجر الأسود - فقال : أما والله لولا اني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك ، ثم قبله<sup>٣١٤</sup> .

١٧١١ صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٥٠ ، ج ٦ ص ١٠٠

١٧١٢ يوسف : ١ - ٣

١٧١٣ مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، ص ١٢٤

١٧١٤ مسند الامام احمد ، ج ١ ص ١٦ > عن مناقب عمر ، ص ١٢٢ < .

٥ - الابتعاد عن جميع الاحتمالات التي يتوقع منها الخطر علي العقيدة :  
فقد كان ابن الخطاب - رضي الله عنه - بعيد الغور ، طويل الباع ، يربط  
الأسباب التي افسدت عقيدة الأمم السابقة ، فيحسب لها كل حساب ،  
ليتجنبها ، وليحصن العقيدة الاسلامية ، من مزالقها ، وخاصة عن ضعف  
الايمان وانطفاء مصباحه ، ومما تشدد فيه وأمر المسلمين بالابتعاد عنه . .  
من ذلك :

أ - قال نافع : كان الناس ، يأتون الشجرة ، التي بايع رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - تحتها بيعة الرضوان ، فيصلون عندها ، فبلغ ذلك  
عمر ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت<sup>١٧١٥</sup> .

ب - ولقد قام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعزل  
القائد العظيم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - خوف الفتنة في الدين ،  
واعتقاد المسلمين ان الاسلام ينتصر بالاشخاص ، فتقع الفتنة بتقديس  
هؤلاء العظماء ، وينسى المسلم ان النصر من عند الله .

ولقد ذكر هذا المعنى الاستاذ عبدالكريم الخطيب . . اذ يقول :

> إن عزل خالد لم يكن عن هوى في نفس عمر ، كما انه لم يكن عن  
انتقاص لفضل خالد ، وما أبلى في سبيل الاسلام . . ولكن مقتضيات  
الأمور ، ورعاية المصالح العامة كان لهما الشأن الأول في هذا الحدث ،  
وعنهما استملى عمر رأيه ، وأصدر حكمه .

فكانت النتيجة ان انتصر المسلمون بإيمانهم . . ولم ينتصروا بخالد  
الذي كاد يطغى الشعور به في بعض النفوس على الشعور بالدين الذي  
يدافعون عنه ويقاتلون في سبيله . . ثم سلم لخالد ايمانه ، فلم يفتتن  
بانتصاراته . . وحقق له انه وغيره من قواد المسلمين سواء<sup>١٧١٦</sup> ! وان  
النصر انما يكون تحت راية الاسلام ، قبل ان يكون الى بطولة  
الأبطال<sup>١٧١٧</sup> .

٦ - عدم تناقض شخصية ابن الخطاب : كانت شخصية عمر بن الخطاب -  
رضي الله عنه - شخصية ألمعية ، وصاحب علم غزير ، وعقل واسع ،  
وايمان عميق ، وشفافية قلب يدرك بها دقائق الأمور . فهو الذي قام  
بمحاربة البدع بكل أنواعها ، وسد جميع الثغرات ، التي قد يتوقع ان ينفذ

١٧١٥ اخبار عمر ص ٣١٠ ، ابن الجوزي ص ١٢٣

١٧١٦ لا أعني بذلك عدم الأخذ بالأسباب ، وانما أعني جانب الاعتقاد ان النصر من عند الله ، وان الأخذ  
بالأسباب هو أمر يأمرنا الله به والامتثال لذلك الأمر طاعة لله تعالى .

١٧١٧ اقتباس عن كتاب عمر بن الخطاب الوثيقة الخالدة ، لعبد الكريم الخطيب ، مع التصرف ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

منها البدع ، ومن كلامه - رضي الله عنه - في محاربته للبدع .. عن عبدالله بن حكيم قال : كان عمر يقول : < إن أصدق القليل قيلُ الله ، وإن أحسن الهدى هدى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها<sup>١٧١٨</sup> ، وكل محدثة ضلالة ، ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، ولم يقم الكبير على الصغير ><sup>١٧١٩</sup> .

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذي يحذر الأمة من العلماء المنحرفين عن الحق والمنافقين ، ويخشى على الأمة من الاقتداء بأصحاب الضلال .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خطبنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : < إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان ، وزيفة عالم<sup>١٧٢٠</sup> ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم ><sup>١٧٢١</sup>

وهو القائل : < ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهأه إيمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ، ولكن أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتي أذلقه بلسانه<sup>١٧٢٢</sup> ، ثم تأوله على غير تأويله ><sup>١٧٢٣</sup> .

وبين - رضي الله عنه - ان اصحاب الرأي الذين لم ينوروا قلوبهم بعلم السنة هم أعداء الشريعة ، وهم الذين انحرفوا عن الصراط وحرفوا غيرهم ..

عن عبدالملك بن هارون بن عنتره عن أبيه ، عن جده ، قال قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر : < ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث ان يحفظوها ، وثقلت منهم ان يعوها ، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا ، فأفتوا برأيهم ، فضلوا وأضلوا ، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ><sup>١٧٢٤</sup> .

١٧١٨ المحدثات : ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا اجماع > عن حاشية كتاب خطب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص ٨٣ .

١٧١٩ كنز العمال : ١/٢٧٤ رقم ١٦٣٣ > عن خطب امير المؤمنين ، ص ٨٣

١٧٢٠ زيفة العالم : اي ميله عن الحق > عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ٨٦ .

١٧٢١ سيرة عمر ، لابن الجوزي ، ص ٢٢٣ . كنز العمال : ١٠/٢٦٧ رقم ٢٩٤٠١ > عن خطب امير المؤمنين ، ص ٨٦ .

١٧٢٢ أذلق بلسانه : اللسان الذلق : أي البليغ الحديد > عن خطب امير المؤمنين ، ص ٩٧ .

١٧٢٣ كنز العمال : ١٠/٢٦٨ رقم ٢٩٤٠٤ > عن خطب امير المؤمنين ، ص ٩٧ .

١٧٢٤ سيرة عمر ، لابن الجوزي ص ١٤٥ . كنز العمال : ١٠/٢٦٨ و ٢٦٩ رقم الحديث ٢٩٤٠٦ > عن كتاب الخطب ٩٩ .

فنظرة عابرة الى أقوال ابن الخطاب ، يظهر لأبسط العقول انه اشد الناس محاربة للبدعة ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان يمدح البدعة في الدين .

٧- الشورى وطلب النصيحة التي يتبعها ابن الخطاب : كان الخليفة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - يستشير الصحابة ، لكل أمر يقدم عليه ، وكان الصحابة يبدون رأيهم بكل صراحة ، ولا يجدون أي حرج أو خوف ، فكانت هذه الصفة ، لا تدع لابن الخطاب شيئاً الا وتسلسط عليه الأضواء ، ولا يمر أي قول أو فعل الا وقد نوقش ، وابدئ كل صحابي ، جهة نظره .. ومما ورد عن استشارة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وقبوله للنصح قيل : < كان عمر - رضي الله عنه - لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة ، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ، ويحيل الرأي معهم فيه ويستشيرهم > ٣٣٢ .

ومن مآثور قوله : < لا خير في أمر أبرم من غير شورى > ٣٣٣ .  
< ولما خرج عمر - رضي الله عنه - الى الشام في احدى قدماته لقيه في سرع > قرب تبوك > أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه ، فأخبروه ان الطاعون وقع في الشام ، ( قال ابن عباس ) : فقال عمر : < ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم واستشارهم وأخبرهم ان الوباء وقع في أرض الشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم ، معك بقية الناس واصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء ، وقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى ان ترجع عنه ، فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم ، فسلخوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدوعتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى ان ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء .. فنادى عمر في الناس : اني مصبح على ظهر ، فاصبحوا عليها . قال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - : أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله .. فجاء عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وكان متغيباً في بعض حاجته ، فقال : ان عندي في هذا علما ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم

بها ، فلا تخرجوا فرارا منه ) فحمد الله عمر ثم انصرف<sup>١٧٢٧</sup> .  
وكان الفاروق - رضي الله عنه - يطلب النصيحة ليستعين بها ،  
ومما قاله : < فاتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ،  
وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، احضاري  
النصيحة ، فما ولاني الله من أمركم : أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي  
ولكم ><sup>١٧٢٨</sup> .

نرى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يضع ميزان  
الشورى لتدقيق أعماله وأقواله ، ولا يتردد في الأخذ بمن له حجة من  
كتاب أو سنة ، ويحاول ان يصل الى دقة الاصابة ، بتعميم الشورى  
ومناقشتها ، كما رأيناه فعل عندما أراد أن يدخل الشام ، وكان الوباء وقع  
فيها ، فاستشار المهاجرين الأولين ، ثم الانصار ، ثم مشيخة قريش من  
مهاجرة الفتح ، وكذلك استمع لمن له رأي ، ولم له الظروف بادلاء رأيه مع  
استشارتهم ، فمن مجموعة هذه الآراء ، استخلص الفاروق بنود فكرته  
على أقوى الحجج المستندة على الكتاب والسنة ، ومن كانت هذه طريقته ،  
فلا يمكن لفكره أو عمل يقوم به ، الا يتعرض للفحص الدقيق ، والنقد  
الموجع ، حتى انه ليصل به الأمر بشمول استشاره ، ان يستمع الى  
الصبيان والنساء .

قال يوسف بن الماجشون : قال لي ابن شهاب ولأخ لي وابن عم لي ،  
ونحن صبيان ، : لا تستحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم ، فإن عمر بن  
الخطاب - رضي الله عنه - كان اذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث  
فاستشارهم لحدّة عقولهم<sup>١٧٢٩</sup> ، وكان يشاور حتى المرأة<sup>١٧٣٠</sup> .

٨- شدة محاسبة عمر بن الخطاب لنفسه وللصحابة : كان ابن الخطاب -  
رضي الله عنه - شديد المحاسبة للصحابة الكرام ولنفسه ، وكانت تلك  
المحاسبة مبنية على الصراحة التامة والعدل ، فلا يخشى صاحب الحق من  
بطش عمر لان العدل يحميه ويقيه ، فكانت محاسبته الشديدة لولاته  
ولجميع الصحابة ولأهل بيته وأقربائه ، ومن تلك المحاسبة ما كتبه عمر بن  
الخطاب - رضي الله عنه - الي أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : <  
أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فاحذر ان تدركني ، واياك عمياء

١٧٢٧ صحيح البخاري : ٢١/٧ . وموطأ مالك : ٤/٧٧ > عن اخبار عمر ، ص ٧٢ .

١٧٢٨ الفراج لأبي يوسف ، ص ١٤٠ . وحياة الحيوان : ١/٥٦ > عن كتاب اخبار عمر ، ص ٥٦ .

١٧٢٩ ألف باء : ٢٦/١ ، وابن الجوزي : ١٦٥ > عن اخبار عمر ، ص ١٦٢ .

١٧٣٠ ابن الجوزي ، ص ١٦٤ > عن اخبار عمر ، ص ١٦٢ .

مجهولة<sup>١٧٣١</sup> ، وضغائن<sup>١٧٣٢</sup> محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة<sup>١٧٣٣</sup> ، أقم الحدود ، وأجلس للظالم ولو ساعة من النهار ، وأخف الفساد واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا<sup>١٧٣٤</sup> ، وإذا كانت بين القبائل ثائرة<sup>١٧٣٥</sup> فنادوا : يا لفلان فانما تلك نجوى<sup>١٧٣٦</sup> من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى<sup>١٧٣٧</sup> أمر الله عز وجل ، وتكون دعواتهم الى الله والاسلام ، واستدم النعمة بالشكر ، والمقدرة بالعفو ، والنصرة بالتواضع ، والمحبة للناس ... . وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنازتهم ، وباشر أمورهم بنفسك ، واقتح لهم بابك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير ان الله قد جعلك أثقلهم حملا<sup>١٧٣٨</sup> .

فإن هذه المحاسبة الشديدة للراعي والرعية ، مع أخذ الناس بالشدة والعدل ، كل ذلك يجعل المجتمع الاسلامي يتتبع أعمال عمر بن الخطاب ، ويعترض على كل شيء يصدر منه ولو كان النزول عن درجة الكمال ، لانه في موضع القدوة ، وشديد المحاسبة على غيره ، فمن الأولى ان يكون أشد محاسبة لنفسه عن كل شيء يقوم به ، وخاصة وقد جعل ميزان العدل يسري على الجميع ، فكيف يسكت الصحابة ، عن قول عمر - رضي الله عنه - وهو يحارب البدع أشد المحاربة ثم يمدحها ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون المدح عن البدعة في الدين ، ولو ان الأمر غاب عن الصحابة ، وعن من يتبعون أعمال ابن الخطاب ويغربلونها ، وهو أمر مستحيل ومن ضرب الخيال ، فكيف يغيب الأمر طيلة عمره ، وهو يحاسب نفسه كل يوم ، ولا يجد حرجا في ان يتنازل عن أي فعل قام به ثم وجد رشده في غيره ، وهي كثيرة في حياة ابن الخطاب .. ومن أمثلة ذلك ، قال الأحنف :

> كنت مع عمر بن الخطاب - فلقية رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي فأعدني على فلان ، فانه قد ظلمني ، فرفع الدرة فخفق بها رأسه ، وقال : تدعون أمير المؤمنين ، وهو معرض لكم حتى اذا شغل في أمر من أمور المسلمين اتيتموه : أعدني أعدني .. فانصرف الرجل وهو

١٧٣١ عمياء مجهولة : فتنة > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٦ .

١٧٣٢ الضغائن : الاحقاد والعداوات .

١٧٣٣ دنيا مؤثرة : أي مفضلة على الآخرة > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٧ .

١٧٣٤ أي فرق بينهم > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٧ .

١٧٣٥ ثائرة : فتنة وعداوة > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٧ .

١٧٣٦ النجوى : أسرار الحديث > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٧ .

١٧٣٧ يفيئوا : يرجعوا > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٧ .

١٧٣٨ العقد الفريد : ٨٨/١ و ٨٩ > عن كتاب خطب أمير المؤمنين ، ص ١١٦ .

يتذمر ، فقال عمر : على بالرجل ، فألقى اليه المخفقة ، وقال : امتثل - أي اخفني كما خفقتك . فقال : لا والله ، ولكن أدعها لله ولك . قال : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده ، أو تدعها لي ، فاعلم ذلك . قال : أدعها لله ... < ١٧٣٩ .

لقد كان عمر - رضي الله عنه - يحاسب نفسه ويطلب القصاص من نفسه ولا يجد حرجا في ذلك وهو الخليفة ، وكان يقول : < فو الذي بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة ، لو ان عناقا > ذهب بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة < ١٧٤٠ .

قيل لابن عباس : أي رجل كان عمر ؟ قال : < كان كالطير الحذر الذي كان له بكل طريق شرك > ١٧٤١ .

ان هذه الشخصية الفذة ، الحذرة ، اليقظة ، المحاسبة للنفس عن كل صغيرة وكبيرة ، المترصدة لعيوبها أشد من ترصد العدو لعدوه ، لن تسمح بأن تتفوه بلفظة دون ان تصفيها وتنقيها من كل شائبة تشين بصاحبها في المبنى أو المعنى أو بكليهما .

٩- شجاعة الصحابة : امتاز عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - بالشجاعة المتفوقة على جميع العصور ، وهذه الصفة تجعلها لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا تجد الحرج في قول الحق ، ومناقشة الخليفة ، عن كل ما يبدر منه ، لا بل تحاسبه على ان يسمو الى عظام الامور لانه في موضع القدوة ، ومما ورد ما يدل على شجاعتهم ومحاسبتهم للخليفة :

أ - اعتراض امرأة على الخليفة : عن مسروق بن الأجدع ، قال : ركب عمر بن الخطاب ، منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخطب الناس ، فقال : يا أيها الناس ، ما اكثركم في صدقات النساء >؟! ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واصحابه يقللون ، وانما الصدقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى أو مكرمه لم تسبقوهم اليها ، فلا اعرف ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم .

قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين

١٧٣٩ أخبار عمر ، ص ٢٠٢

١٧٤٠ عناقا : عنزا > أخبار عمر ، ص ٢٠٦ .

١٧٤١ ابن الجوزي > عن كتاب أخبار عمر ، ص ٢٠٦ .

١٧٤٢ النبر المسبوك ، ص ١٦ > عن أخبار عمر ، ص ٢٠٦ .

١٧٤٣ صدقات النساء : مهورهن > حاشية خطب أمير المؤمنين ، ص ٤٠ .

أنهيت الناس ان يزيدوا في صدقاتهن عن أربعمائة درهم !؟ قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأين ذلك ؟ قالت : أو ما سمعت الله يقول : « . . . . إحداهن قنطارا ، فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً » . فقال عمر : > اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر !! ثم رجع فركب المنبر ، فقال : يا أيها الناس ، اني كنت نهيتكم ان تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء ان يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه ، فليفعل < ١٧٤٤ .

ب - اعتراض صحابي من عدم سماع قول عمر حتى يتبين له ما أبهم عليه : بعث الى عمر بن الخطاب بحلل ، فقسمها ، فاصاب كل رجل ثوب ، فصعد المنبر وعليه حلة < ١٧٤٥ ، فقال : > أيها الناس ، ألا تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع !! قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ ! قال : لانك قسمت علينا ثوبا ثوبا ، وعليك حلة : فقال : لا تعجل يا أبا عبد الله - ثم نادى - يا عبدالله . فلم يجبه احد !! فقال : يا عبدالله بن عمر . فقال : لبيك يا أمير المؤمنين . فقال : نشدتك الله ، الثوب الذي إنتزرت به أهو ثوبك !؟ قال : اللهم نعم ! فقال سلمان : أما الآن ، فقل نسمع < ١٧٤٦ .

ج - رد نواهي عمر بعد مناقشتها : مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على حسان بن ثابت - رضي الله عنه - ينشد في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - > فانتهره < فقال حسان : قد أنشدت فيه من هو خير منك ، فانطلق عمر < ١٧٤٧ .

د - تشجيع عمر لمن ينصحه : قال رجل لعمر : > اتق الله يا عمر - واكثر عليه - فقال له قائل : اسكت فقد اكثرث على أمير المؤمنين ، فقال له عمر - رضي الله عنه - دعه ، لا خير فيهم إن لم يقولوها لنا ، ولا خير فينا ان لم نقبل < ١٧٤٨ .

هـ - اكرام عمر لمن ينصحه ويخوفه : عن محمد بن سلام قال : أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله :

عمر ودع ان تجهزت غاديا  
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

١٧٤٤ سيرة عمر بن الخطاب ، تفسير ابن كثير : ٢/٢١٢ . الدر المنثور : ٢/١٣٣ > عن كتاب خطب أمير المؤمنين ، ص ٤١ < .

١٧٤٥ الحلة : ثوبان > عن كتاب خطب أمير المؤمنين ، ص ٩٨ < .

١٧٤٦ نشر الدد : ٢/٢٣ > عن كتاب خطب أمير المؤمنين ، ص ٩٧ - ٩٨ < . الرياض النضرة : ٢/٥٦ مع اختلاف في اللفظ .

١٧٤٧ الأغاني : ٤/٦ ، العمدة : ١/١٥ > عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٦٢ < .

١٧٤٨ الخراج ، ١٤ > عن كتاب اخبار عمر ، ص ٢٦٧ < .

فقال عمر : لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك<sup>١٧٤٩</sup> .  
ان هذه الشجاعة الفائقة ، والجبال الرواسي التي لا تعرف مجاملة  
ولا محاباة عن كل صغيرة وكبيرة ، عن قول وعمل ، رجالهم ونساؤهم ،  
جميعهم يسלט انوار الحق ، على الخليفة ، ليرى منه ، ما لا يقبل مما  
يخالف الكتاب أو السنة ، أو ما يزرى بالخليفة ، لمركزه ، وهؤلاء الفرسان  
، يثيرهم ويشجعهم عدل الخليفة وتشجيعه لهم ، واكرامه لمن يقدم له  
عيوبه ، مع محاسنهم لهم على تقصيرهم ..  
كل هذه الأسباب لا تسمح بأي حال من الأحوال بالسكوت الجماعي من  
قبل الصحابة الكرام ، لو كانت كلمة البدعة التي نطق بها الخليفة عمر بن  
الخطاب - رضي الله عنه - يعني بها البدعة في الدين ، لان البدعة في  
الدين لم تدع جيلا من الأجيال الا واختلفوا فيها ، فكيف بجيل الصحابة  
يكون منه هذا السكون الشامل !؟ .

١٠- الذوق الأدبي والنحوي والبلاغي لابن الخطاب : لقد كان عمر بن  
الخطاب الأديب الذي لا يشق له غبار ..  
> كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أشرف قريش ، واليه  
كانت السفارات في الجاهلية ، وذلك ان قريشا كانت اذا وقعت بينهم حرب  
وبين غيرهم بعثوه سفيرا .. واذا فاخرهم مفاخر بعثوه مفاخرا ><sup>١٧٥٠</sup> .  
ويقول صاحب أخبار عمر الشيخ على الطنطاوي - حفظه الله - :  
> ولقد قرأت ما لا أحصيه من الصفحات ، لأدباء الشرق والغرب ،  
وأنا أؤكد القول ، ان قليلا جدا من الأدباء ، من يبلغ في < حياة > العرض ،  
و < دقة > الوصف وشموله ، مثل هذا المبلغ ><sup>١٧٥١</sup> .  
ثم يقول بعد أن يأتي بأمثلة من خطبه .. فيقول :  
> ويمتاز عمر فوق ذلك بانه كان صادقا فيما يقول ، لم يكن سياسيا  
مخادعا ، ، وانه جاء به في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال ><sup>١٧٥٢</sup>  
وما أروع العبارة ، وقوة السبك ، ودقة الأسلوب ، وجزالة اللفظ في  
خطبه وأحاديثه ، التي تسحر في بيانها الفكر .. ومن الأمثلة على ذلك في  
تهوين المصائب ، وتخفيف الجزع ، والتذكير بالموت ، والاسعداد ليوم  
الحساب ، والتأهب لما لا بد منه ، فيقول :

١٧٤٩ الأغاني : ٣/٢ . البيان والتبيين : ٧٥/١ > عن اخبار عمر ، ص ٢٦٢ <

١٧٥٠ الاستيعاب : ١١٤٥/٣ > عن كتاب خطب امير المؤمنين ، ص ١٥ < .

١٧٥١ اخبار عمر ، ص ٢٠٩

١٧٥٢ المصدر السابق ، ص ٢١٠